المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا

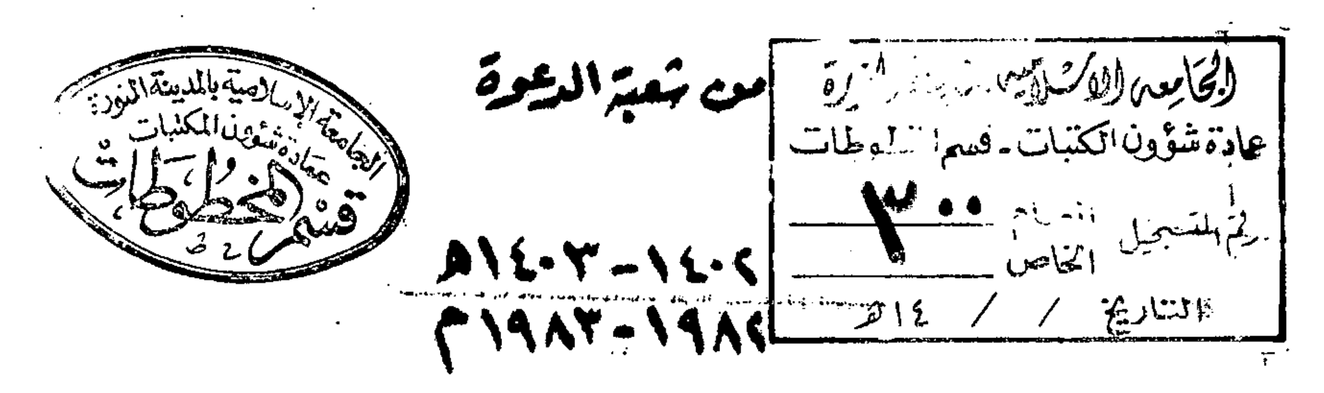
دفع مطاعن عن القرآن

« من حيث مصدره »

بحث بإشراف فضيلة الدكتور :
أحمد إبراهيم مهنا
الأستاذ بالدراسات العليا

إعداد الطالب : المكاشفي الشيخ الزبير جاد الله

تقدم به لنيل شهادة العالمية « الماجستير »



من شعبة الدعوة

١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ
١٩٨٢ - ١٩٨٣ م

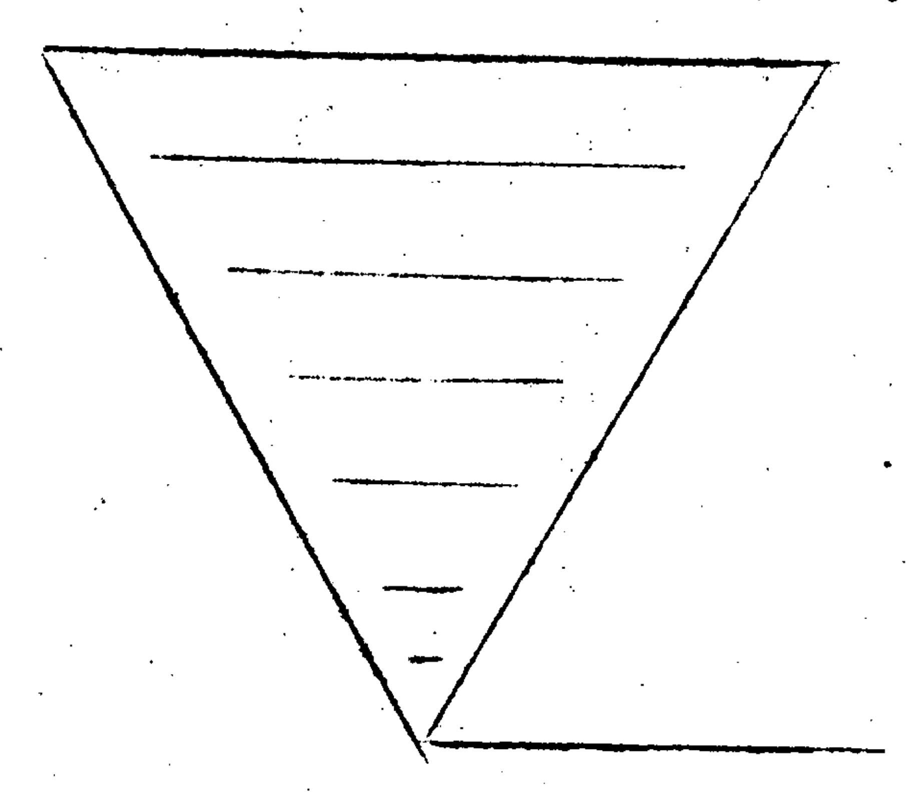

بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بدأت بسم الله فى (البحث)[1] أولا	تبارك رحمانا رحيما وموئلا[2]
وثنيت صلى الله ربى على الرضا[3]	محمد المهدى الى الناس مرسلا
وعترته[4] ثم الصحابة ثم من	تلاهم على الاحسان بالخير وبلا[5]
وثلثت أن الحمد لله دائما	وما ليس مبدوءا به أجزم[6] العلا[7]



(١) فى الأصل النظم

(٢) المرجع والملجأ

(٣) الذى ارتضاه الله

(٤) اهله الادنون وعشيرته المقربون

(٥) جمع وابل وهو المطر يعنى أن الصحابة كالمطر فى كثرة الخير وعمومه ونفعه

(٦) الاجزم الناقص والعلاء الشرف والرفعة. (*)

(٧) مقتبس من مقدمة حرز الامانى ووجه التهانى للامام الشاطبى

(*) شرح الكلمات من ٢ ــ ٦ من كتاب الوافى فى شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضى : انظر ص ٩ ، ١٠

آيــات مختــارة

* (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) البقرة : ٢١٧

* (ولن ترضى عنــك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهــم) البقرة : ١٢٠

* (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليـــلا) الاســـراء : ٧٣

* (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافـــرون) التوبة : ٣٠

* ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خـــير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتـــم انه بما تعملون بصـــير • ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطـــل من بين يديه ولا مـــن خلفه تنزيـــل من حكيم حميـــد • ــ فصلت : ٤٠ــ٤٢

* (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلا فـــا كثـــيرا) النساء : ٨٢

* (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبـــين) النحـــل : ١٠٣

* (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطــه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) العنكبـــوت : ٤٨

* (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولـــين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا • قـــل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) الفرقان : ٤ــ٦

(واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم

لايعلمون) النحل : ١٠١

* (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ٠ بل جاء بالحق وصدق المرسلين)

الصافات : ٣٦و ٣٧

* (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) الزخرف : ٣٠

* (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) النحل : ٢٤

* (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير

هذا أو بدله قل مايكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى

الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يونس : ١٥ــ١٧

* (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) الطور : ٣٣

* (أم يقولون افتراه ٠ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم

من دون الله ان كنتم صادقين) هود : ١٣

* (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

ان كنتم صادقين) يونس : ٣٨

* (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استط

من دون الله أن كنتم صادقين) البقرة : ٢٣

* (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يد

وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) يونس : ٣٧

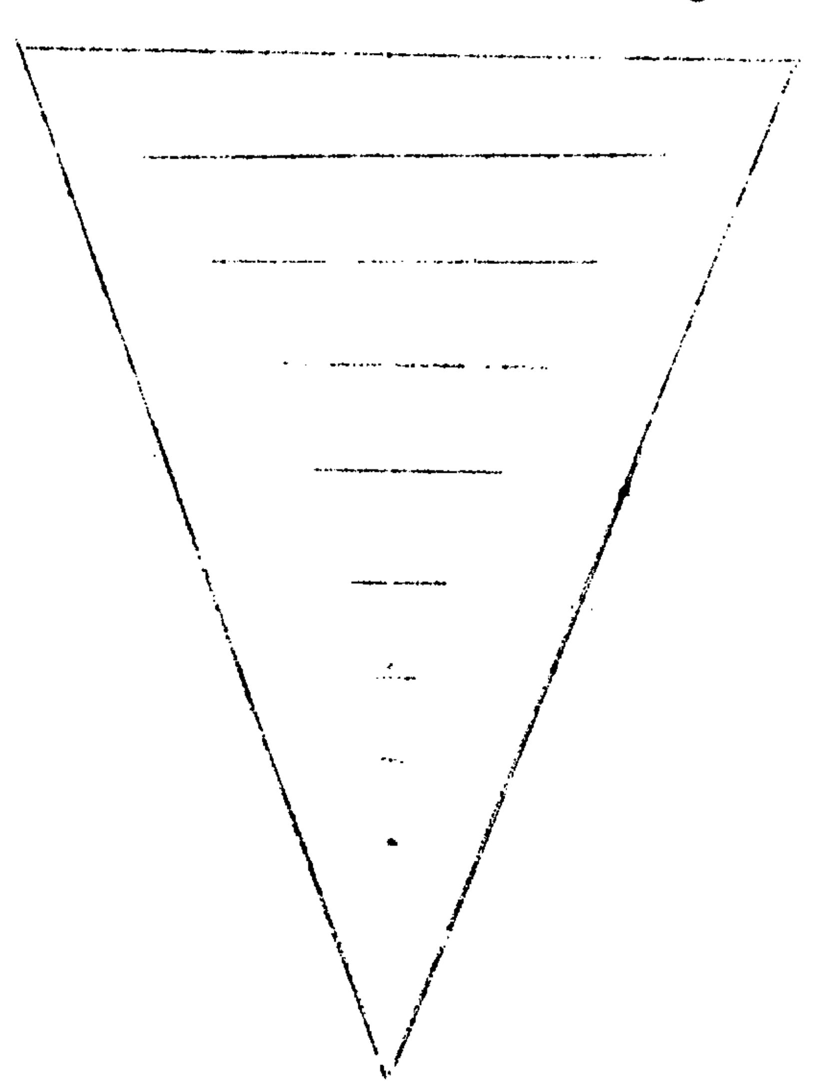
* (ولو تقول علينا بعض الأقاويل ٠ لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الو

فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقه : ٤٤ــ٤٧

{ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بهذا القرآن لا يأتـ

ـون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا } الاسراء : ٨٨

* { انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون } الحجر : ٩



دعـاء

اللهم إنى عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك، ناصيتى بيدك . ماض فىَّ حكمك، عدل فى قضاؤك ،أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى . (١)

اللهم ذكرنى منه ما نسيت ، وعلمنى منه ما جهلت ، وأجعله حجة لى ولا تجعله حجة على . وبارك لى فيه ، واجعلنى من التالين له بإخلاص، العاملين بما فيه بصدق، المدافعين عنه بلا رياء، الناصحين له ما حييت ، إنك أنت السميع المجيب ..

اللهم : نور بالكتاب بصرى ، واشرح به صدرى، وبيض به وجهى واستعمل به بدنى ، واطلق به لسانى ، وقو به جنانى ، وأوسع به فهمى ، بحولك وقوتك، لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين ..

اللهم من أراد بهذا القرآن سوءا فعليك به ، وإن لم تهده فأهلكه ، وإن لم تهلكه فاخزه ، ولا تجعل له أمرا على عبادك ولا تقسم لأحد سلطانا بدون كتابك ولا عزا بمعزل عنه إنك أنت القوى العزيز . ولا تجعل لأحد كلمة مع كلامك إلا إذا أردت استدراجه لتضاعف له العقاب هناك،إنك أنت الحكيم العليم،الذى يمهل ولا يهمل .. لايعلم أحد مافى نفسك ولكن تعلم ــ كما اخبرتنا فى كتابك إنك عزيز ذو انتقام ..

الاهـداء ..

إلـــى المؤمنين بهذا القرآن حقا ، الذين ارتفع بهم إيمانهم فـــوق مستوى الشبهات ..

إلـــى المؤمنين الذين حاكت فى قلوبهم تلك الشبهات فعكـــرت صفو إيمانهـــم ..

إلـــى الذين اعترضت طريقهم تلك الشبهات فصدتهم عن الإيمان ..

إلـــى هؤلاء وأولئك جميعا أهدى هذه الرسالة، ليزداد الأولـــون إيمانا ، وليستيقن الذين يلونهم، ثم ليقبل الأخـيرون ..

وقبـل ذلك لا بعده أهدى هذه الرسالة إلى من حكموا هذا القـرآن واتخذوه دستورا لهم، وارتضوه منهاجا لحياتهم .. أهديها تقديرا لهم ..

إلـــى المجاهدين فى كل مكان، الساعين بإخلاص لرفع راية القـــرآن الرافضين بإباء لكل طغيان ، الرافعين فى شمم رؤسهم ، القائلين بملء أفواهـهـم ألا خضوع إلا للواحد الديـــان .. أهديها تشجيعا لهم ..

إلى حكـــام المسلمين بغير القرآن مناديا لو يسمع لى صوت اتقوا اللـــه ربكم فى قومكم . الله الله فى كتاب ربكم لا تهجروه حكموه بينكم .. أهديهـــا تذكـيرا لهـــم ..

إلـــى علماء المسلمين الذين كتبوا مدافعين عن هذا القرآن باذلـيـن كل الجهـــد .. أهديهـــا إعترافا ــ بعد الله ــ بفضلهـــم ..

•• الخطـــوط العريضـــة للرسالـــة ••

مقدمه

* افتتاحيــــة ••
* مدخـــل الى الرسالـــة ••

مطالب الرسالة

* الباب الأول : فى الرد على المنكرين وجود الخالق ••
* الباب الثانى : فى الرد على منكرى الوحـــى والنبوة ••
* الباب الثالث : فى الرد على الزاعمين بأن هذا القرآن مـــن الانتاج الذاتى للرسول محمد ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ ••
* الباب الرابع : فى الرد على الزاعمين أنه تعلمه فى غـــيره من الخلـــق ••
* الباب الخامس : ايراد مجموعة ادلة على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند أحد سوى الله تعالى ••

* الخاتمـــه ••

•• الافتتاحيــــة ••

وتشمـــل علـى :

* بيــا ن أ هميــة الموضـــــوع ••
* وسبـــــب اختيـــــاره ••
* الصعوبات التى واجهها الباحث وكيف ذ للـت ••
* تقديم واجب الشكر لكل من ساهم فى هذا العمل وشاطــــرة حـــل مشكلا تـــه ••
* وقفـــــه مع الا ستـــــاذ المشـــــرف ••
* بيا ن المنهج الذ ى سلكه الباحث فى الرسالة ••
* الـــــرد على منتقـد ى ذ لــك المنهـــــج ••

***
*

.. الافتتاحيـة ..

الحمد لله ، ميسر الأمور ومزلل الصعاب . أستمد منه العون وأستلهمه التوفيق ، وأسأله أن يجنبنى الزلل ويرزقنى الإخلاص فى العمل إنه نعم المولى ونعم النصير .. والصلاة والسلام على نبى الهدى ورسول الرحمة سيدنا محمد الذى بعثه ربه ليبلغ الدعوة للعباد وليوضح مناهج الإرشاد ، ويبين معالم الطريق إلى الله فيسير عليها الدعاة بصحبة قومهم لعلهم يحذرون فأكرم به وأنعم من رسول أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة، وهدى الأمة الى الصراط السوى ونشر دعوته فى الآفاق على الرغم مما لاقاه من عنت وصدود بادئ ذى بدء وعلى الرغم مما عاناه من آلم فى هذه السبيل من المشركين واليهود والمنافقين، أولئك الذين أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فأيد لرسوله ونصره بالمعجزات الظاهرات وأخزى الذين كفروا وخزلهم وجعل كلمتهم السفلى وكلمة الله أبدا هى العليا إن الله قوى عزيز، ولقد إنتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وترك للناس هذا القرآن منهاجا للدعوة إلى يوم الدين وأعداؤه هم أعداؤه .. ورضى الله عن صحابة رسول الله الذين تصدوا لهم وحملوا راية الجهاد والدعوة من بعده وبذلوا أرواحهم وأموالهم وكل مرتخص، وغال من أجل رفعة هذا الدين وفى سبيل نصرته وزودا عن حياضه من هجمات أولئك الاعداء وطعناتهم ورضى الله عن التابعين الذين ساروا فى هذا الدرب وحملوا الأمانة فى صدق وإخلاص وتصدوا فى تفان لكيد الكائدين لهذا الدين وجزى الله علماء الاسلام فى كل زمان ومكان خير الجزاء على دفعهم عن القرآن، والله المسؤول أن يعين علماء اليوم على أداء هذا الواجب فما أشد حرب

الأعداء اليوم على القرآن، وإن هجومهم لضار تمتد جبهاته وتعرض في كل يوم وقد أعد العدو لها أسلحة شتى مختلفة أنواعها وابتكر من الأساليب في حربه حيلا مختلفا ألوانها والهدف ـ بالطبع ـ معلوم وهو القضاء على هذا الدين .. وذلك لا يتم الا بازالة هذا القرآن وهم يعرفون ذلك جيدا ومن يومها يركزون هجومهم عليه حسا ومعنى فالحرب على القرآن إما حسيه وإما معنوية . ونقصد بالأول الاعتداء الظاهر كأن يمنع أهله من تلاوته عن طريق القوة أو من حمل مصاحفه أو اعدامها بالحرق أو التمزيق أو أي صورة أخرى كالدس فيه لتحريفه، أو بمحاولة قفل مدارسه ومؤسساته ونحوه وهذه قد توقفت إلى حد ما أو لم تعد مستمرة كما كانت الا في بعض البلدان المعروفة كالاتحاد السوفيتي ومايتبعه من البلاد الشيوعية، ولا يعني توقفها أو عدم استمرارها . رحمة من الاعداء بأهل القرآن أو لينا من جانبهم في حربهم تجاهه ،كلا وانما لكونها لم تعد تؤدي غرضها في زعزعة العقيدة ، واضعاف روح الايمان لدى أهله بل على الدوام كانت تزيدهم قوة وتمسكا به عن طريق رد الفعل . ولقد أدرك الاعداء ذلك ، ليس بذكائهم فحسب، وانما من خلال تجاربهم الطويلة وممارستهم لهذا النوع من الحرب عليه فعلموا الا فائدة من ورائها ولا طائل من تحتها، حيث لم يعد لها كبير أثر ومن هنا فقد انتقلوا بكل ثقلهم وامكاناتهم إلى الثانية ونقصد بها الحرب الفكرية التي تمارس ضد القرآن اليوم وتدور رحاها بعنف ، ويبدوا ذلك واضحا جليا للناظر في كتابات المستشرقين والملحدين وأعداء الاسلام أينما كتبوا وهم لا يتورعون مهما تحطمت أسلحتهم ولا ينتهون أبدا بل كلما تحطم لهم سلاح بحثوا عن آخر ولا يزالون ماضين في باطلهم فركزوا في هذا العصر على هذه الحرب الفكرية يثيرون المطاعن والشبهات في الدين كله ولاسيما القرآن لأنه هو الذي نهض به

الاسلام قديما ويخشى القوم أن ينبعث به من جديد ولهم دوافع أخرى كثيرة سيأتى بيانها ان شاء الله — (١)

ومازالوا سادرين فى غيهم باتباع هذا الاسلوب جيلا بعد جيل كأنما وكل اليهم دائما الرهان على هذا الجواد الخاسر وكأنما كتب عليهم ابدا أن يحملوا مياههم فى هذه السقاء المخروقة ..

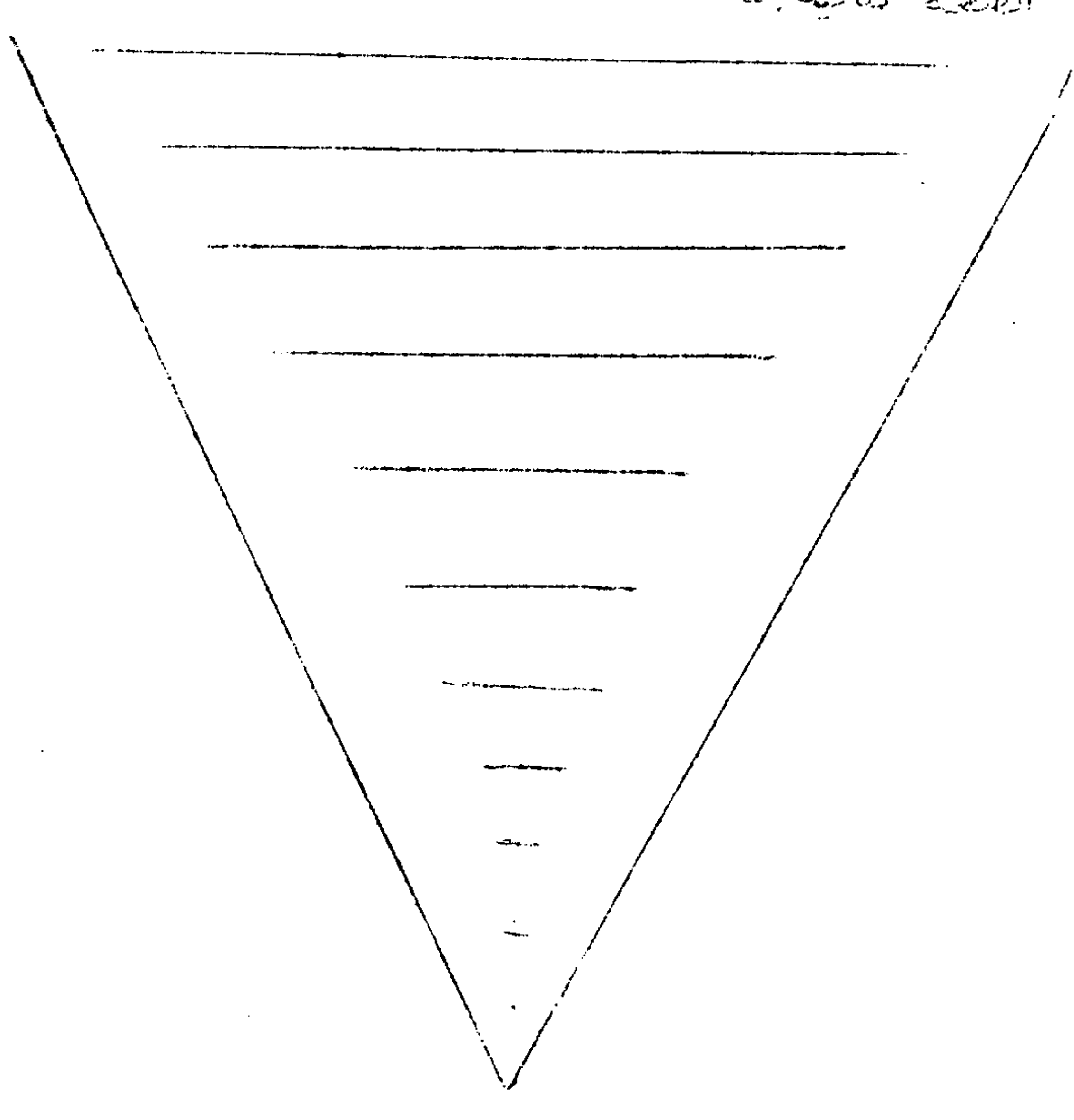
ان اسلوبهم يتركز فى إظهار هذا الدين وأهله فى صورة منكرة ويلفونه أصولا وفروعا بهالة من الأكاذيب حتى ليبدو كأنه بقايا خرافات لا أصل لها ينبغى إزالتها من الوجود ..

انه هجوم ثقافى يتسلل خفية إلى السرائر والعقول ممتلئا بالدس والإفك، وجبهة الهجوم تشمل جميع أطراف العالم الإسلامى بدون إستثناء ويتزرعون بكل شىء لتدمير العقيدة الاسلامية والقضاء عليها نهائيا وإهالة التراب على الاسلام كله ولما كان هذا القرآن حجر عثرة فى طريقهم وشوكة فى شجاهم استماتوا فى حربهم عليه. وهذه الحرب بين القرآن وأعدائه ليست وليدة هذا الزمان كما اشرنا من قبل ، بل صحبته منذ إشراق نوره قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، ظلت تدور منذ ذلك الزمان الغابر الى هذا الوقت الحاضر، وستظل دائرة الى أن يرث الله الارض ومن عليها، لانها حرب بين الحق والباطل، وتلك حرب لا هوادة فيها البتة ولا هدنة، لأن الخير والشر لا يتسالمان أبدا ولا يلتقيان بحال، ومن ثم فإن هذه المؤامرات على القرآن لا تنتهى قط، بل تبقى مابقى على الارض عدو لله ولكتابه ورسوله والمؤمنين ..

---

(١) فى الاجابة على السؤال المطروح : لماذا الهجوم على القرآن الذى سيأتى فى المدخل ..

والحـــرب ــ كما هو معلوم ــ كر وفر وهجوم ودفاع ٠٠ وهذا الذى بـــين يديـــك أيها القارئ بحث اعددته فى مجال الدفاع عن القرآن ازج به فى ساحة هذه المعركة الدائرة ليكون ترسا فيها أو درعا مع غيره تتكسر عليها ضربـــات العدو بإذن الله ٠٠ وجهدا مبزولا مع غيره لتقوية خطوط دفاعنا ــ وأسأل المولى عز وجل أن يتقبله منى ويثيبـــنى عليه وهو كما رأيت بعنوان (دفع مطاعن عـــن القرآن من حيث مصدره) وأحسب أن الموضوع مهم جدا واليك بيان ذلك فى الصفحة التالية :—



أهميـة الموضـوع ..

إن أهمية الموضوع لجد واضحة وجلية ، وأحسبها تظهر للقارئ من أول وهلة لاسيما إذا ما علم أنه يتعلق بالقرآن الكريم .. فمن القرآن يستمد الموضوع أهميته وبه يشرف وصاحبه ..

وتظهر ضرورته أكثر للناظرين إذا ما علموا أنه في مجال الدفاع عن ذلك الكتاب العزيز الذى هو روح الإسلام وأصله الأول فهو حجر الزاوية والعماد الذى يقوم عليه هذا الدين ، وقد تعرض من أول يوم لنزوله ومازال يتعرض لهجوم جائر ومركز من أعدائه ليبعدوا عنه الناس ويصدوهم عن هديه ، محاولين بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم فيجد الباطل مجالا ليبيض فيه ويفرخ فى غيبة الحق وما غاب الحق وماينبغى ، ولكن الناس عنه قد عموا بسبب تلك الغشاوة التى أوجدتها تلك الطعون وبفعل الغبار الذى أثارته تلك الشبهات والغيوم التى ظللت سماء افكارهم فجعلتهم لايرون الاسلام الا من خلالها فلا يرونه الا مظلما حالك السواد فينفرون منه وهذه لعمر الله دعوة الى الباطل فكان لابد لها من ترياق مضاد .. هو دعوة حق تعيد الأمور إلى نصابها ..

فإن مجال الدعوة الإسلامية — كما هو معلوم — ينقسم الى قسمين : توليفى يتعلق بنشر الدعوة ، ودفاعى هو ما نحن بصدده ، أمران لاينفك أحدهما عن الآخر وكلاهما لازم، إذ لايمكن للداعية بحال من الأحوال أن يبلغ هذا الدين ويبنى فى أمة الاسلام وغيره يهدم ويخرب بإطلاق تلك الشبهات وإثارة تلك المطاعن . فكان لابد من الدفاع بجانب التبليغ كلاهما فى درجة واحدة من الأهمية وهذا ما أكده الدكتور عبد المنعم حسنين رئيس شعبة الدعوة بقسم

الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية فى بحثه للمؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذى عقد بالجامعة الاسلامية (1) ولقد انبرى لهذه المهمة رجال من المؤمنين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن كتاب ربهم فلم تجز عليهم خديعة الأعداء ولم تنطل عليهم حيلهم فاتلوا فى الدفاع عن القرآن على مدى التاريخ ولم يقصروا فى هذا السبيل جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء حيث لم يتركوا تلك الطعون تنفرد بالساحة أبدا فلم يخلو زمان من قائم لله بالحجة ضد هؤلاء الطاعنين وسيأتى إن شاء الله فيما بعد فى المدخل بعض التفصيل لجهاد هؤلاء العلماء المسلمين .. وفى الاجابة على سؤال هو لماذا نرد على الاعداء الذى سيأتى فى المدخل تتأكد باذن الله أهمية هذا الموضوع وشدة الحاجة اليه وإلى مثله ..

---

(1) انظر مجلة الجامعة الاسلامية العدد الثانى للسنه العاشرة رمضان ١٣٩٧هـ اغسطس سبتمبر ١٩٧٧ . التى أوردت البحث ..

سبب اختيار الموضوع ..

أما سبب اختيار الموضوع ليكون بحثى فى هذه الرسالة فيرجع أولا للأهمية التى ذكرتها، ثم لطمعى فى نوال ثواب الله بالذود عن كتابه فانه "من بعض حقوق الله على عباده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينهم ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان"[1] كما يقول ابن القيم[2] كذلك قد جاء فى صحيح مسلم[3] "أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة؛ قلنا لمن؟ : قال: الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[4]

ومن النصيحة لكتاب الله كما يقول أهل العلم "الذود عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين"[5] هذا ثانيا .. أما ثالثا .. فقد أردت أن يكون موضوعى ذا ارتباط بهذا القرآن الكريم فقد وجدت والحمد لله – فى بيت شغل أهله بالقرآن فوالدى من معلمى القرآن الكريم المتفرغين له ورث ذلك عن أب عن جد وقليل من أهلنا من لا يحفظ القرآن الكريم فكان أن نشأت وقد ألفت أذنى منذ الصغر سماع هذا الكتاب فأحببت أن أربط الحاضر بالماضى وحرصت أن تظل هذه الصلة بين القرآن وهذا البيت مستمرة ومن هنا رغبت أكثر فى هذا الموضوع – ولقد ربط الله بينى وهذا الكتاب بعروة أرجو أن لا تنفصم فقد كانت دراستى المتوسطة فى مركز

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى فى اجوبة اليهود والنصارى، ص١٠

(٢) هو شمس الدين محمد ابن أبى بكر قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ .

(٣) هو مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ([illegible]) .

(٤) ٢/٣٧ .

(٥) النووى: التبيان فى آداب حملة القرآن ص٥٨ .

من مراكز تحفيظ القرآن الكريم بالسودان ، ثم بعد أن أكملت الثانوى أكرمني الله تعالى بالدراسة فى كلية القرآن الكريم بهذه الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وكان يدرس لنا فى منهجها مادة تسمى (شبهات مزعومة حول القرآن والرد عليها) أفدت منها كثيرا فى نفسى فقد كانت هناك بعض الشبهات تحوم فى خاطرى فانجلت لى الحقيقه فزالت تلك الشبهات التى كانت تجول فى نفسى وانكشف، أمام ناظرى مكر الاعداء وغرضهم الخبيث، وكذلك قد كان كثير من الشبهات وان لم أتأثر بها ولكنى كنت لا أقوى على ردها لقلة العلم وقد كان كثير من الناس يسألنا عنها أملا فى أن يجد لها إجابة عندنا نحن أهل القرآن أو ليثير فى وجوهنا الشبهات فيعرضها علينا فى أسلوب السائل الباحث عن الجواب وقد وجد هذا الصنف من الناس ولا حول ولا قوة الا بالله — لهذا فقد كنت أسعد كثيرا حينما تنكشف لى شبهة أو اجد اجابة عن سؤال يحمل شبهة طرح على ومن هنا عن طريق هذه التجربة الشخصية أدركت مدى اهمية هذا العمل فحرصت أن أكتب فيه موضوع رسالتى العالمية للماجستير ثم الدكتوراه .. ان شاء الله اذا يسر البارى سبحانه وتعالى ..

ولقد شجعنى على ذلك كثيرا البند الخامس والعشرون من توصيات المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة حيث جاءت فيه «توصية المؤتمرين بحث الجامعات الاسلامية على تتبع افتراءات المستشرقين على الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام والرد عليهم» (1)

---

(1) التى نقلتها مجلة المجتمع فى عددها رقم 341 السنة السابعة بتاريخ 25 ربيع الاول 1397 15 مارس 1977 م

كذلـــك فإننى لم أجد أحدا قد أفرد هذا الموضوع بالكتابة (كرسالـــة جامعية) فيما أعلم - على أن أهل العلم من السلف والخلف كما أشرت من قبل لـم يقصروا فى هذا المجال، ولكن كتاباتهم متفرقة فى بطون الكتب فأحببت أن أجمع بعضها إلى بعض فى مؤلف واحد وأعزز بعضها ببعض وأوكده .. هذا .. ولقـد تكررت كتابات بعضهم فأحببت أن أصفى ما تكرر فى مكان واحد ليس معنى ذلـك أننى سآتى بالجديد ولكنى سآخذ من تلك الكتابات ما جد وطرق وقوى حجـة .. وأما الذين أفردوا هذا الموضوع بالحديث فقد تناولوا قليلا من كثير وليس معـنى هذا أننى سأستوعب كل المطاعن ولكن سأتعرض الى الأهم فآتى منه على البعض الكثير إن شاء الله وان كان هناك من جديد فهو فى التنظيم والتبويب والجمـع والتوكيد وفى العرض وما نحـن فى الحقيقة الا عالة على أولئك العلماء نستفيـد من تجاربهم ونجنى من ثمارهـم ..

الصعوبات التي واجهتني ..

أما الصعوبات التي اعترضتني فكثيرة جدا ولكن بفضل من الله وعون منه قد

تزلت جميعا إما بتوجيهات الأستاذ المشرف جزاه الله عني كل خير وهو الغالب

وإما بمساعدات أهل العلم وتشجيعاتهم، أو بمساعدة زملاء الدراسة .. ولكن

أهمها يتلخص فيما يلي :

لقد سجلت الموضوع بعنوان (دفع مطاعن عن القرآن) هكذا ..

وقد بوبت له بحيث يشتمل على أنواع مختلفة من المطاعن قد وجهت الى

القرآن فكان أن تعبت كثيرا في جمع المادة أولا حيث بلغت ما مجموعه ثلاثة

آلاف صفحة، الأمر الذي صعب معه إدراج تلك المطاعن في فصول ومباحث

يكون وضعها فيها منطقيا ومتناسقا لكثرة تلك المطاعن وتداخلها من جهة ثم

احتياجها الى مجهود جبار للصياغة ، والوقت — كما هو معلوم — محدود ..

فوجدتني رغم الجهد الجبار المتواصل لم أبلغ درجة من الاطمئنان على أنني قادر

على انجاز العمل بهذه الصورة فمضى نصف الوقت أو أكثره دون أن أفعل شيئا يذكر

ودون أن يكون لجهدى أثر فنصحني استاذى بتحديد الموضوع وتخصيصه ثم

الاحتفاظ بباقي المادة التي جمعت إلى مرحلة الدكتوراة ان شاء الله فاقتنعت

بما أشار وللأمانة أقول إن هذا رأيه من البداية ولكني كنت أحسب أن تلك

الطريقة الأولى أولى وفي بالي طبعا أنها تشتمل على أكثر عدد من المطاعن ولم

يرد في خاطرى أبدا أن تكون الرسالة القادمة بهذا العنوان أيضا ولكن تجربتي

جعلتني أخيرا اقتنع برأي الأستاذ فكان أن خصصنا الموضوع نصا وكما يلي :

.. (دفع مطاعن عن القرآن من حيث مصدره) ..

هـذا .. وقد كان يعوقني كثيرا ويقف في طريقي عدم معرفتي باللغات الاجنبية، فالانجليزية لم أبلغ فيها شاوا يؤهلني بأن أعتمد على نفسي في كثير منها، ثم لا علم لي البتة بغيرها من اللغات الاجنبية وكانت هذه مشكلة كبيرة وعقبة كؤود أمامي قد ساعد في حلها بعض أهل العلم وعلى رأسهم استاذي المشرف بالتوجيه والترجمة لكثير من النصوص، قد لا يظهر أثرها كثيرا في هذا الجزء من الرسالة ولكن معظمها مرجوء مع المادة الباقية للرسالة القادمة ان شاء الله فجزاهم الله خير الجزاء.. ومن العقبات التي واجهتني كذلك غياب كثير من المراجع والكتب الضرورية في البحث لكونها لا يمكن دخولها الى هذه البلاد لحظرها مثل كتب الشيعة، والمستشرقين وبعض كتب اعداء الاسلام مما جعلني انتظر كثيرا على أمل أن تصلني فلم يصلني منها شيء حيث أخذ بعضها في مطارات المملكة وموانيها كما اخبرني من أرسلتهم اليها ولم يستطع القسم توفيرها وكنت قد تقدمت اليه بقائمة بأسمائها .. هذا ولم تسعدني الظروف بالسفر الى خارج المملكة لأنقل من تلك الكتب ما أحتاج إليه في رسالتي ووجدتني أمام مشكلة حقيقية كان حلها عند استاذي المشرف الذي نصحني بأن آخذ عنها بواسطة ما دامت مفقودة ولكن كان ذلك بعد أن انتظرت كثيرا وكل ذلك ولا ريب على حساب الوقت ..

ومن الصعاب التي اعترضتني أنه في فترة من الفترات بدا لي فيها أن هذا الموضوع صعب وأنني لست بأهل لدراسته فأردت أن اغيره ولعل ذلك من ضعفي البشري يرجع إلى هبوط في المعنويات لظروف نفسية تصحب كل إنسان وكانت تلك مشكلة وجدت حلها عند استاذي الدكتور أكرم العمري رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية الذي شجعني على المضي في هذا الموضوع

وأقنعني بأن تركه ليس من مصلحتي في شيء فعدت إلى البحث بروح جديد وعزم أكيد فجزاه الله عني كل خير واحسان فقد أضاف بهذا التشجيع فضلا إلى أفضاله علي وهي كثيرة، وقد كان له من قبل فضل تدريسنا مناهج البحث في السنة التحضيرية، تلك الدراسة التي ساعدتني كثيرا في هذه الرسالة ..

تلك كانت أهم الصعاب التي واجهتني وذلك كان حلها والله هو مذلل الصعاب أولا وأخيرا ..

كلمـة شكر عامـة ..

انـني أشكر الله تعالى على آلائه ونعمه وهي كثيرة .. وان من تمام شكر الله تعالى أن اشكر كل من أدى الى معروفا .. فأتقدم بشكرى الجم الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، التى احتضنتنى من تسع سنوات خلت عشت فى رحابها مكرما أتزود بسلاح العلم والمعرفة ، وأنهل من معين علمائها الذين كرسوا جهدهم لخدمة العلم وتجردوا له وتفرغوا من كل شىء فى سبيل الدعوة إلى الله .. فجزى الله القائمين عليها كل خير واحسان وجزى الله المنفقين عليها خلفا ، وجعلهم ذخرا للاسلام ..

ولى عظيم الشرف دائما وأبدا أن أكون أحد المنتسبين اليها وهى ترفع راية الدعوة فى هذا العصر وتصدرها الى الآفاق ..

وانى لأشكر أساتيذى فيها ولا سيما فى كليتى القرآن الكريم والشريعة اللتين رزقنى الله الدراسة فيهما وأعاننى على التخرج فيهما فله الحمد والمنه ونذكر هذا من باب التحدث بنعمته .. ولا أنسى أساتيذى فى معهدها الثانوى ..

كما أشكر كل من له فضل على فى تعليمى وتوجيهى من معلمى ومدرسى فى طفولتى وشبابى فما أنا الا غرسة من غرسهم وثمرة من جهدهم، وسأظل أذكر فضلهم على جميعا ما حييت ولا أنسى بالطبع اساتيذى فى قسم الدراسات العليا الذين أفادونى علما وطريقة وروحا ، وفتحوا عينى على أمور كثيرة تتعلق بالبحث والتحصيل ولاسيما أستاذنا الفاضل رئيس شعبة الدعوة الدكتور عبد المنعم حسنين الذى ابدى استعدادا كبيرا لمساعدتى فجزاه الله كل خير، ولا أنسى ما بقيت فضل استاذنا وشيخ مشائخنا الشيخ عبد الفتاح القاضى الاستاذ بكلية

القرآن الكريم ورئيس لجنة المصاحف وشيخ المقارئ في العالم الاسلامي في هذا العصر[1] الذي ربانا على يديه وأحاطنا بحنانه ولنا الفخر كله والاعتزاز — لو جاز هذا التعبير — أن أكون أحد تلاميذه وهو الذي ربى الاجيال من العلماء وقد افادني كثيرا في هذه الرسالة بالاجابة على اسئلة عويصة وحل لي مشكلات كثيره امد الله في عمــره ..

لا يفوتنــي أخيرا أن اشكر المسؤولين عن المكتبات في الجامعة لتعاونهم الصادق معنا ولاسيما في مكتبة قسم الدراسات ومكتبة كلية القرآن الكريم والمكتبة العامة فجزاهم الله خير الجزاء ..

---

(١) فيما نعلم ولا نزكي على الله أحدا ..

وقفـة مع الأستاذ المشـرف

وكـان لابد من هذه الوقفة مع استاذى الفاضل الدكتور (أحمد ابراهيم مهنـا) الذى وجدنى على جهل كبير بالبحث وأصوله ووجدنى على عجز غير قليل وربما غرور بسبب ذلك الجهل فعلمنى الكثير، وبث فى من روحه الجادة ونشاطه الجم، ما تحركت به فنهضت بعد ذلك العجز، وأرانى نفسى فعرفتها، وأدركت حقيقـة قدرى، وتبين لى أين هو مكانى الحقيقى من الناحية العلمية وكنت أحسـب نفسى ذا شأن فى هذا المجال . فرجعت بحمد الله الى قواعدى سالما مـن ذلك الغرور الذى كاد أن يحرمنى من خير كثير رجعت وفى النفس شىء من الخجل على ما فرطت فقد كان ذلك الجهـل يعطينى جرأة عليه، بقدر ما كان — حفظه الله — لطيفا معى وحليما، وكذلك صبورا على قلة علمى ولكنه مع ذلك كان حاسما وحازمـا لا يجامل فى الحق وفى نفس الوقت يقدر العمل الجيد ولا يبخسه حقه .. ويحترم آراء الآخرين .. واقولها ابتغاء مرضات الله تعالى انه كان أحرص منى على إتمام هذه الرسالة وأكثر اهتماما بها منى مع كونى صاحب الشأن، ولقد جهد معـى الرجل جهدا عظيما وأعطانى من الوقت أكثر مما هو مقرر وفتح لى بيته وكنت أجـد منه عناية فائقة وتشجيعا كبيرا بلغ درجة يغضب فيها على اذا ما قصرت وذلك أمـر ما كنت أعهده الا عند الوالدين فهما اللذان يغضبان لمصلحة إبنهما، ولقد تأكد لدى أن الرجل صادق فى شعوره فترك هذا أثرا جميدا فى نفسى وشجعنى أكثـر وأكثـر .. ومجمـل القول أنه رافقنى هذا المشوار فى إخلاص لمسته عن كثـب توجيها وارشادا، مذللا كل الصعاب التى اعترضتنى . فشكر الله سعيه وجزاه عنى خير الجزاء، ولا أريد أن أمدحه أو أثنى عليه لأنى ما تعودت ذلك من جهـة — وما ذكرته لايتعدى بيان حقيقة اقتضاه المقام — ولا اريد أن أقصم الرجل ظهـره

من جهة ثانية وهذه الرسالة بين يديه ، وعلمى أنه لايحب المدح يمنعنى من جهة أخرى لهذا فسأضرب عن ذلك صفحا وان كان استاذى أحسب لذلك ولا أذكى على الله أحدا — ولكنى أحفظ له كل ذلك تقديرا واحتراما واعترافا بالجميل واسجله له فى أعماق قلبى وأدعو الله تعالى أن ينفعه فى ذريته كما نفع أبناء المسلمين وأن يطيل فى عمره لخدمة هذا الدين ..

ولا يمنعنى ذلك من أن أشير الى أن استاذى قد وجهنى فيما وجهنى إليه — أن أكتب اشياء وأحذف أخرى ، وقد وافقته فى معظمها الا قليلا جدا بدا لى أن أتركها متحملا مسؤوليتها .. وذلك أذكره انصافا للرجل فيما قد يكون من تقصير فى الرسالة — وهو حاصل ولا بد من إنسان مازال فى أول الطريق — وتبرئة لذمته من خطأ متوقع ممن هو مثلى وأتمثل هنا قول العماد الاصفهانى فى كلمته التى اشتهرت عنه .. إنى رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من اعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر،،

وكما يقول الدكتور دراز رحمه الله فى هذا الصدد عن الانسان،،إنك تراه حتى يتعقب كلام نفسه فى الفيته بعد الفيته يجد فيه زايدا يمحوه ، وناقصا يثبته ويجد فيه مايهذب ويبدل، وما يقدم أو يؤخر ... ولعله لو رجع اليه سبعين مرة لكان له فى كل مرة نظرة، وكلما كان انفذ بصرا وأدق حسا، كان أقل فى ذلك قناعة، وأبعد هما، إذ يرى وراء جهده غاية هى المثل الأعلى الذى يطمح اليه ولا يطاوعه ، والكمال البيانى الذى يتعلق به خياله ولا يناله (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) سورة الرعد الاية ١٤ هذا حظ الكلام ... عند قائله

فما ظنك بنا قديه ومنافسيه "[1] وأخيرا فكل عمل ولا ريب معرض للخطأ والصواب فلا عصمة لغير الرسل والانبياء ولا كمال لغير كتاب الله فلا بد من الهفوة أو الهفوات فى أى عمل بشرى وكم ردد الناس فى أمثالهم (لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة ولكل عالم هفوة " فما بالك بغير العلماء ؟ (غفر الله لنا هفواتنا ووقانا شر زلاتنا وهو المعاذ وهو الملاذ من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا إنه نعم المولى ونعم النصير ..

---

(١) النبأ العظيم ص ١١٠، ١١١

منهجي في الرسالة ..

١ ـ أورد المطعن ضمن تمهيد يسبق الباب غالبا وربما تخلله وذلك نادر .

٢ ـ اذكر نصا أو نصين للطاعنين تشتمل على المطعن ثم اذكر الذين وافقوا عليه ممن علمت ـ أو قالوا بمعناه ، أو بما يفهم منه ، حسب ما يتيسر لي والغرض ليس إثبات مجرد الطعن ، وانما لتنبيه القارئ الى هؤلاء الطاعنين لمعرفتهم . ومعرفة كتبهم فيحذرهم ويتقي كتاباتهم أينما وجدت ..

٣ ـ اذكر الكتاب الذي جاء فيه المطعن لصاحب المطعن نفسه اذا كان موجودا وذلك ما احرص عليه ، أو من المرجع الذي نقل عنه ذلك وهذا ما ألجأ اليه في عدم وجود الأول ، واذا كان المطعن شائعا وموجودا في الساحة دون أن ينسب الى قائل باسمه ، بل وجد في كتب العلماء الذين قاموا بالرد على ذلك المطعن فانني اذا لم أجد له قائلا بعينه اكتفي فيه بالاشارة الى أين ورد في تلك الكتب ذاكرا كتابا أو اثنين . والغرض من ذلك اثبات أن هذا القول موجود في أوساطنا وأننا لم نصطنعه .

٤ ـ إذا كان الرد على المطعن يوجد في نص لعالم من الغرب مسلم أو غيره فاني أفضله على النص الوارد في كتب أو كتاب العالم المسلم من غير الغربيين لأني " أعلم أن كثيرا من الناس لا يقع منهم الدليل موقع الاقناع الا إذا نسب الى الغرب "[1] وأنا قد أكثرت من ايراد كلام أهل الغرب مستدلا أو مستشهدا في ردي على كثير من المطاعن وليس معنى ذلك أن علماء المسلمين ليس لديهم الحجة القوية ، كلا وانما أرى

---

(١) محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ص ١٠٣ .

أنه أدعى إلى انهيار تلك المزاعم أن أورد كلاما ناس من الغرب لأن معظم تلك المطاعن في أصلها انما تصدر من هناك، وذلك لنبين أن علماء من نفس جلدتهم لا يوافقونهم على مازعموا وذلك أوكد في إنهيار مفتريات الاعداء واسقاطها — فيما أحسب ..

٥ — عدم تجريح الأفراد والهيئات ونقاء الكلمة والعفة في اللسان هي رائدى في هذا البحث، الذين ماتوا فقد افضوا الى ربهم ان شاء عذبهم أو ان شاء رحمهم الا من أشرك غير مطمئن قلبه بالايمان . أما من أخطأ مجتهدا فما لنا عليه من سبيل وقد ثبت له الأجر والله هو العليم بالصدور .. والاحياء أولى بذلك لأننا نطمع في هدايتهم .. ومن تطاول بلسانه على المقام الالهي الكريم والذات العلية، ثم من تطاول على صاحب الرسالة المعظم — صلى الله عليه وسلم — ومن تجرأ على الكتاب المقدس هذا القرآن المجيد ، طعنا ولمزا فقد جاء بعظيم واثم كبير، ومهما قلنا فيه فليس بشاف لنا ، لذا فاننا نربأ بأنفسنا أن نرد عليهم بمثل اسلوبهم أو نصفهم بفاحش من القول وان كانوا يستحقون ذلك وأكثر ، ولكننا نترك عقابهم الى ربهم ليتولى اخذهم بما يستحقون ان ماتوا على ذلك وهو أدرى بهم .. على أننا لا نترك الرد عليهم ولا نتجاهله لأن الافكار لا تموت بموت أصحابها ، وقد ملئت بها الكتب فشاعت في مجتمعاتنا ..

هذا هو مجمل منهجنا .. وقد وردت أراء لبعض أهل العلم في كتاباتهم تنتقد بعض هذا المنهج ، كما سمعت شفاهة من بعضهم .. فأما الذين سمعت منهم شفاهة فلا داعي لذكرهم، وأما الذين كتبوا في ذلك فنكتفي بذكر بعضهم فيما بعد لنرد عليهم .. وكان لابد من مناقشة أرائهم تلك وقد ظهر

لى أن بعض آرائهم اذا تم التسليم به فانه يحكم بالاعدام تماما على موضوع هـذه
الرسالة ويقوضه من أركانه ، كما أن بعضها يقلل من أهمية هذا العمل ويجعلـه
ثانويا ، لاسيما أنها صادرة فى معظمها عمن لهم مكانتهم العلمية المشهود بهـا
ودورهم البارز فى مجال الدعوة الذى لاينكره أحد ـ فيما أحسب ـ ومن هنا جاء
الاهتمام بتلك الآراء ٠٠٠ وهى ـ كما سترى ـ فى صريحها أو مفهومها تعـترض
على المنهج الذى يقوم على ايراد المطعن ثم التعقيب عليه بالرد وتلك هى طريقتى
فى هذه الرسالة وقد اقتنعت بها وأحسبها الطريقة المثلى ٠ يشجعنى على هذا
الاعتقاد أن الكثيرين من أهل العلم غير أولئك ممن هم فى منزلتهم من حيث المكانة
والعلم وممن هم قبلهم فى الزمن والمعاصرين ينهجون هذا النهج ويحبذونه ، بـل
لايـرون غيره أصلح منه وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل عند مناقشة هذه الآراء
وكان لابد من هذه المناقشة لأن هذه الآراء فى رأى تحول دون استفادة القارئ
الفائدة المرجوة فيحس ان لا جدوى من هذا العمل فلا يكون نشيطا على الاطلاع
وقد سمع أو قرأ من قبل تلك الآراء لهذا بادرت الى الرد عليها تبريرا لهـذا
العمل الذى قمت به من جهة ولمصلحة القارئ من جهة ثانية ولم أكن لأجرؤ علـى
الوقوف هذا الموقف مع من هم ولا شك اساتذتى وقد أستفدت كثيرا من خـلال
مؤلفاتهم القيمة ومن مقابلاتى الشخصية لبعضهم وربما يلحظ القارئ أننى استفدت
من بعضهم فى ثنايا هذا البحث أو الذى يليه إن شاء الله ٠٠ المهم ما كنـت
لأتطاول إلى مناقشة آرائهم لولا أن البحث يتطلب ذلك والحقيقة تلزم لبيانهـا
أن أفعل ولا يفوتنى قبل عرض تلك الآراء لمناقشتها أن أعلن تقديرى الفائـق
واحترامى الشديد لهذه الآراء ٠٠ ولا أشـك مطلقا فى إخلاص اصحابهـا
وحرصهم الشديد وغيرتهم على الاسلام ـ فيما أحسب ولا ازكى على الله أحـدا ـ

وبدافع من ذلك صدرت هذه الآراء التي لا نلومهم عليها ولا نبخسهم حقهم من العلم أو نقلل من شأنهم بمناقشتها .. ومع ذلك لا أرى مانعا من مخالفتهم فيما ذهبوا اليه وهم الذين نعتز ونفخر بعلمهم ولو كان البحث يسمح والمقام يبيح أن أترك بيان رأيي ووجهة نظرى فى هذا الصدد لفعلت ذلك من أجلهم إكبارا لهم واجلالا لو كان ذلك ينبغى ، ولا أحسبهم يرضون منا أن نتبعهم لذاتهم ومجرد مكانتهم .. وهم يعلمون بلا شك أن البحث عن الحقيقة وايضاحها متى ما ظهرت واقتنع بها صاحبها أمر يستوى فيه العالم والمتعلم أو بعبارة أخرى طلاب العلم الصغار مثلى وكبار أهل العلم أمثالهم . وكل يؤخذ من رأيه ويرد الا المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام ..

الـرد على المنتقدين للمنهج ومناقشة آرائهم

ولنقدم الآراء أولا ثم نعقبها بالرد كما هو منهجنا تعبيرا عن تمسكنا بـه ولا نخشى انتشار هذه الآراء بين الناس فتضر بالرسالة كما قدمنا ـ لكونها وجهة نظر نحترمها كما ذكرنا .. والآراء هي :

* ان اثبات المطعن للرد عليه أو ايراد الشبهة ثم التعقيب عليها بما يبطلها يعطيها " لونا من الأهمية لا تستحـق ، ولونا من الشرعية يستوجب منا الاحتفال والاهتمام، ثم كأنما دين الله المنزل في حاجة الى جهدنا نحن البشـر لاثبات أن برئ من العيوب " ..

" ان الـرد على الشبهات ليس هو المنهج الصحيح في الدعوة ولا في الكتابة عن الاسلام، ان المنهج الصحيح هو عرض حقائق الاسلام ابتـداء لتوضيحها ... لا ردا على شبهة ولا إجابة على تساؤل ... وانما مـن أجل البيان الواجب على الكتاب والعلماء لكل جيل ... ثم لا بأس في اثناء عرض هذه الحقائق من الوقوف عند بعض النقاط التي يساء فهمها أو يساء تأويلها من قبل الاعداء أو الاصدقاء سواء، وفي مثل هذا الجو من الحقيقة كانت ترد ردود القرآن على شبهات المشركين وأهل الكتاب .. ثـم ان معركـــة الجدل التي يخوضها الشباب المسلم المتحمس مع اعداء الاسلام لا تستحق في الحقيقة ما يبذل فيها من الجهد ... انما الرد الحقيقي على خصوم الاسلام هو اخراج نماذج من المسلمين تربت على حقيقـــة الاسلام، فأصبحت نموذجا تطبيقيا واقعيا لهذه الحقيقة يراه النـــاس فيحبونه ويسعون إلى الاكثار منه وتوسيع رقعته في واقع الحياة هذا هو

الذى ينفع الناس فيمكن فى الأرض وهذا هو مجال الدعوة الحقيقية للإسلام [(١)].

" وبهذا نحفظ جهودنا وطاقاتنا من أن تستغرع فيما لا طائل منه " [(٢)]

هذا هو رأى الاستاذ محمد قطب وهو بالجملة يقول عن كتابه (شبهات حول الاسلام) " ان المنهج الذى يسير عليه الكتاب ... تغير موقفى منه فأصبحت أجد نفسى اليوم غير موافق عليه " [(٣)] ويقول فى مكان آخر" وانا انتقد منهجى فى كتابى (شبهات حول الاسلام) لأنه سلك هذا المسلك " [(٤)].

هذا هو الرأى الأول أما الثانى فيقول عن ايراد المطاعن :

* انه يؤدى بها الى الانتشار وليس ذلك من الحكمة فى شىء لأنها لم تنتشر فى كل البلاد وكثيرون أولئك الذين لا يعرفونها فلا ينبغى تنبيههم الى شبهات قد تعلق بقلب الضعيف وان رد عليها [(٥)] .. وكان هذا رأى الدكتور عبد المنعم صالح العلى الذى رجع عنه كما سنبين فى ردنا على هذا الرأى ولقد اثبته هنا لأن بعض الناس التقيت بهم مازالوا يتمسكون بهذا الرأى .. أما ثالث الآراء فيقول عن المطاعن :

* ينبغى أن يكون الداعية على ذكر منها وتنبه لها . والواجب أن يضمن كلامه الرد عليها دون أن يغرق فى عرضها وشرحها حتى لا يكون سببا

---

(١) محمد قطب : ويقول هكذا دلته التجربة الشخصية انظرا لمقدمه قبل الكلام المذكور بسطرين من كتابه شبهات حول الاسلام الطبعة الحادية عشرة .

(٢) من محاضرته فى الجامعة الاسلامية التى نشرتها مجلة المجتمع الكويتية فى عدد ٣٤١ السنة السابعة بتاريخ ٢٥ ربيع سنة ١٣٩٧ هـ .

(٣) مقدمة الكتاب السابق نفس المكان :

(٤) مجلة المجتمع العدد السابق نفسه .

(٥) مجلة المجتمع العدد ٤٦٩ السنة العاشرة بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ

فى نشرها وابلاغها لمن لم يعرفها سابقا ... فعلى الداعية أن يتناول الموضوع ايجابيا ... فيتهافت الطعن بنفسه دون حاجة الى ايراده وعرضه .."(1)

وهذا رأى الاستاذ الدكتور محمد المبارك عبد القادر (2)

* أما الرأى الرابع والأخير فيقول : ان مقام القرآن يوجب عدم ذكر المطاعن مقدمة عليه للرد عليها .. ولقد انتقد بمثل هذا على الدكتور محمد حسنين هيكل فى كتابه حياة محمد ونص كلامه عن منتقديه فى" أما الذين قالوا بأن مقام النبى الكريم يوجب عدم ذكر مطاعن المستشرقين عليه مقدمة للرد عليها .."(3) وأنا لم أجد فرقا بين مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ومقام القرآن اذ هما متلازمان وهذا ما سنفصله فى مكان آخر فى المدخل تحت فقرتنا بعنوان كلمة عن الطاعنين ومطاعنهم . ان شاء الله ولا يعنى ذلك اننى لم أسمع شيئا مثل هذا عن القرآن فقد قال لى أحدهم : يا أخى : إن مكان القرآن فى النفوس وقد سيته يجافيها ذكر تلك المطاعن .

هذا هو عرضنا للآراء وفيما يلى مناقشتها على هذا الترتيب وبموجبه يكون لقاؤنا الأول مع الاستاذ محمد قطب الذى نبدأه بأن نشكر فضيلته مكبرين فيه شجاعته النادرة فى هذا العصر وهو ينتقد منهجه ، فان أشجع الناس واكثرهم

---

(1) اللجنة الثالثة من بحوث المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة بتاريخ ١٣٩٧/٢/٢٩ هـ ..

(2) من كبار الدعاة فى سوريا عمل فى جامعة دمشق وأم درمان ومكة وقد توفاه الله فى المدينة المنورة قبل شهور قليلة رحمه الله واسعة وهذا الرد قد كتب قبل وفاته وحقا لقد فقدت الدعوة الاسلامية رجلا من خيرة رجالها جزاه الله عن الاسلام خيرا .

(3) ص ٦٣

اخلاصا من يقول الحق على نفسه اذا ما اقتنع به وان الكيس من دان نفسه واجدنى فى موقف صعب وهو أن أدافع عن رأى انسان أمام نفسه ولكن لما لم يكن هذا الرأى المنتقد والمنهج المرفوض ملكا للاستاذ وحده هان علينا الأمر بعض الشىء ..

والآن ليسمح لنا استاذنا بأن نتناول رأيه بالرد فنقول :

ان الأهمية بهذه المطاعن والشبهة التى يطلقها الاعداء حول الاسلام ولاسيما القرآن لابد أن تكون موجودة عندنا ولابد أن نرد عليها لأنه فى حسابنا وكما يقول الاستاذ محمد قطب نفسه فى مقدمة كتابه شبهات المتقدم الذكر " طائفة ... من الشباب المخلص المفكر المستنير ، شباب صادق الرغبة فى الوصول الى الحقيقة ولكن هذه الشبهات تعترض طريقة فلا يعلم لها ردا "وما أحسب أن هؤلاء الشباب وهم موجودون فى كل جيل قد سقطوا من حساب استاذنا .. ولن يسقطوا من اهتمامنا فى يوم من الأيام .. وخطر هذه الشبهات ليس فى ذاتها ـ كما يقول الاستاذ وانما لأنه يجد سبيله الى قلوب ابنائنا (1) ويقول فضيلته عن كتابه المتقدم ذكره " انى لأعلم ... أن أكثر قراء هذا الكتاب هم من الشباب المسلم المتحمس بالذات لأنهم يجدون فيه الرد على بعض الشبهات التى يثيرها اعداء الاسلام فى طريقهم ولا يجدون الرد عليها حاضرا فى اذهانهم .. لهذا كان من بين اسلحة الشباب المسلم التى يخوض بها معركة الجدل مع اولئك الاعداء "(2)

ونحن لا نحسب أن استاذنا يريد أن يسلب هؤلاء الشباب سلاحهم الذى يخوضون به أكبر المعارك الفكرية فى هذا العصر ولا أن يحرمهم سلاحا

---

(1) مقدمة كتابه السابق الذكر .

(2) المرجع نفسه مقدمته .

آخـر من هذا النوع يمكن أن يفيدهم فى هذه المعركة اذن فالأهمية بهـذه المطاعن وان لم يكن لذاتها موجودة ينبغى أن تكون بدلالة كلام الاستاذ نفسه من خلال العبارات المتقدمة أذن فهى تستحق هذه الأهمية ..

وقديما قال الشاعـر :

لا تحقرن عدوا ومـاك   وان كان فى ساعديه قصـر

فان السيوف تجز الرقـاب   وتعجـز عمـا تنـال الابـر (١)

وقديما قالوا وكما هو معلوم ايضا أن النار من مستصغر الشرر

فالتهوين مرفوض تماما كالتهويل اذ الأول تفريط والثانى أفـراط

وكلا هما غير محمود — كما هو معلوم —

أما قول الاستاذ عن ايراد المطاعن بأن ذلك يعطيها لونا من الشرعية ... الخ .. فهذا نترك الاستاذ نفسه ليرد عليه حيث يقول : عن كتابه المتقدم فى مقدمة طبعته الحادية عشرة " انى حين قمت بتأليف الكتاب على هذا النحـو منذ أكثر من عشرين عاما كنت استند — بينى وبين نفسى — الى أن القرآن قـد أورد شبهات المشركين وأهل الكتاب فيما يتعلق بالقرآن والوحى والرسول صلـى اللـه عليه وسلم بل بالذات الالهية كذلك . ثم رد عليها بما يبطلها دون أن يكون الرد قد اعطى لتلك الشبهات اعتبارا ولا شرعية ولا أعطى شعورا بأن الاسلام متهـم يقف فى موقف الدفاع "

ولا أحسب أن عشرين عاما يمكن أن تسقط هذا الاستناد لأنه استناد الى القرآن اعظم مستند فما أقوى حجة الاستاذ محمد قطب على الاستاذ محمد قطب !

---

(١) الرد على ابن النغريلة اليهودى : ابن حزم ص٤٥ و ٤٦ طبعه مكتبة دار العروبه بالقاهرة بتحقيق د . احسان عباس ١٣٨٠ هـ

هذا ولا يمكن بحال أن تنسخ تجربة الاستاذ الشخصية هذا الإستناد حيث يقول في نفس المقدمة " ومع ذلك فان تجربتي ... خلال تلك الفترة من الزمان قد دلتني على أن الرد على الشبهات ليس هو المنهج الصحيح في الدعوة ولا في الكتابة عن الاسلام " وانا ألمح في هذه العبارة ان لم أكن مخطئا أنها تفيد أن الاستاذ لا يعترض على المنهج وحده وانما على دفع المطاعن من حيث هي يؤكد ذلك قول الاستاذ المتقدم " كأنما دين الله المنزل في حاجة الى جهد منا نحن البشر لاثبات أنه برئ من العيوب " ونحن نقول إن القوم قد زعموا ذلك واجتهدوا في أن يعيبوه فهل نسكت عنهم ونقول نحن لسنا مكلفين بالرد عليهم وأن دين الله ليس بحاجة منا نحن البشر إلى جهد لاثبات أنه برئ من العيوب " فمن يرد عليهم إذن والوحي قد انقطع ؟

وما هو دور علماء الاسلام إذن ان لم يكن المبادرة الى الرد ؟ فان اعداء الاسلام يقولون عندئذ عن سكوتنا ولا ريب أنه يعني أن الاسلام معيب حقا ولو لا ذلك لما سكت علماؤهم وأنه لو كانت لهم حجة لأدلوا بها .. وعندئذ لانفردت كتاباتهم بالساحة .. ولنا فيما بعد - إن شاء الله في الاجابة عن سؤال لماذا نرد على الاعداء في مدخل هذه الرسالة تفصيل أكثر حول هذه النقطة وبهذا قد أنهينا الاجابة على هذه النقطة .. وننتقل الى غيرها ..

أما قول الاستاذ ان الرد على الشبهات ليس هو المنهج الصحيح في الدعوة ولا في الكتابة عن الاسلام الخ ... فهذا نتاج تجربة شخصية وفردية لا يوافق عليها استاذنا ولست في ذلك وحدي ولكن المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة المنعقد في الجامعة الاسلامية كما اشرت من قبل (1) - وفضيلته

---

(1) انظر حديثنا في أهمية الموضوع .

عضو فيه ــ قد كان من توصياته حتمية الرد على هذه الشبهات والطعون وتتبعها ومعلوم أن مثل هذا لا يعلن الا بعد الموافقة عليه بين اعضاء المؤتمر أو على الأقل من الاغلبية الساحقة وهذا يؤكد ضرورة هذا العمل وأهميته ٠٠ وصحته لدى جمهور علماء الاسلام ٠٠

أما قوله ان المنهج الصحيح هو عرض حقائق الاسلام ابتداء لتوضيحها لا ردا على شبهة ولا اجابة على تساؤل الخ ٠٠ فنحن نوافق فضيلته في انه لابد من توضيح حقائق الاسلام ابتداء فهذا واجب تبليغ الدعوة ، ولكن لابد كذلك من الرد على كل شبهة والاجابة على كل تساؤل وأن يفرد لذلك الكتب بالتآليف لأنه الجانب الثاني المهم في الدعوة وهو جانب الدفاع كما يقول الاستاذ عبد المنعم حسنين . ولا يكتفي بالاجابة عرضا بالرد على بعض النقاط لأن الاعداء يفردون الكتب للطعن في الاسلام ويؤسسون المجلات والصحف والاذاعات وغيرها ولابد من مجاراتهم على الأقل ان لم نفقهم في بذل الجهد حتى لا تنفرد كتابتهم تلك بالساحة وهذه جملة فكروها دائما لأهميتها ٠٠

أما قولـــه :وفي مثل هذا الجو في الحقيقة كانت ترد ردود القرآن على شبهات المشركين وأهل الكتاب ٠ فنحن لا ننكر ذلك ولكن لا يعني ذلك أن القرآن يمنع أن يفرد الرد على الطاعنين بالكتب والرسائل،وما مجيء القرآن بالرد على بعض المطاعن الا لأنه لا يمكن أن ينفرد بالرد فقط على الطاعنين وهو الكتاب الكامل والشامل ، الحاوي لأمور كثيره تخص الدنيا والآخرة بل نحن نحسب أن القرآن قد أولى هذا الجانب أي الرد على المطاعن، عناية كبيرة فأورد الكثير ورد عليه بما يبلغ عشره أو يزيد فهل القرآن في القالب الا مصححا ومهيمنا ؟ ٠٠

ان هذا العمل لا ريب مشروع بدلالة القرآن ومشروع بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره لشعراء الاسلام من الصحابة بالرد على شعراء المشركين الذين

يطعنون في شخصه وفي الاسلام فيجيبونهم بالقصائد الكاملة الى غير ذلك ..

أما قول الاستاذ : إن معركة الجدل التي يخوضها الشباب المسلم مع أعداء الاسلام لا تستحق في الحقيقة مايبذل فيها من الجهد .. فاننا مع احترامنا لوجهة نظره نرى أنها تستحق مايبذل فيها من جهد بل نرى أنه لا بد من المزيد من هذا الجهد لأن هذا جهاد باللسان والجهاد لا ريب أنه أفضل الأعمال ، ولأن القوم يحاربوننا بنفس السلاح فهل نحاربهم بغيره ؟

أما قول استاذنا بأن الرد الحقيقي على الاعداء هو اخراج نماذج من المسلمين تربت على حقيقة الاسلام ..الخ .. فهذا نوافقه عليه بل هو الغاية التي نريد الوصول اليها غير أننا نرى أن هذه المطاعن والشبهات تعيق الوصول الى هذا الهدف ونرى أنه لزاما علينا أن نزيل كل تلك الشبه والمطاعن لنصل الى غرضنا الذي اشار اليه الاستاذ وفعلا أن هذا هو العمل الذي يمكن الناس فيمكث في الأرض وهو مجال الدعوة الحقيقية للاسلام فهل الدعوة الا اخراج جيل يؤمن بهذه المبادئ الاسلامية ويطبقها كما يقول الامام البنا عليه رحمة الله ؟ (١)

ونحن نؤمن بأن الرد على كل المزاعم والشبهات هو العمل الذي ينبغي أن نسبق به غيره حتى نكون هذا الجيل المثالي وبغير ذلك يكون الأمر مستحيلا وبهذا نحفظ جهودنا وطاقاتنا من أن تستفرغ فيما لا طائل منه - لأن أي جهد نبذله في بناء هذا الجيل بمعزل عن الرد على تلك المطاعن لا يأتي أكله ولا يثمر ثماره ولأننا كلما بنينا اسقطت منه الشبهات شيئا فلا يقوم لنا بنيان أبدا ..

وأخيرا فان الشباب المخلص المفكر المستنير الصادق الرغبة في الوصول الى الحقيقة ولكن هذه الشبهات تعترض طريقه كما يقول الاستاذ - موجود في كل عصر

---

(١) رسائل البناء : انظر رسالة المؤتمر الخامس ..

٣٢ - لقد استغرقه المطابع جميع الحروف فاضطررنا إلى إعادتها وآلاتي هي مشكل كلما يلزم التنويه ..

يوجد غيرهم فمن أجلهم ينبغى استمرار الردود على هذا المنهج الذى يرتضون

ويحبون بدلالة حبهم لكتاب شبهات وبدلالة الطبعات الكثيرة له التى بلغت

إحدى عشرة طبعة رسمية ناهيك عن التى طبعت بغير إذن : وعزاؤنا أن

الاستاذ لم يمدح طباعته وان اعترض على منهجه ولا يكفينا هذا بل نحن من هذا

المنبر نناشده أن يستمر فى دفع الشبهات عن الاسلام وهو من أقدر الناس على

ذلك لاسيما أنه موجود فى الساحة اليوم الكثير من الشبهات التى تحتاج الى رد

من ذلك النوع فى كتابه المذكور وجزاه الله عن الاسلام كل خير واحسان !!

هذا ولا يفوتنى أن أضيف ردا على قول الاستاذ بأن هذا ليس المنهج الصحيح

فى الدعوة (أى الرد على الشبهات) مذكرا بأن هذه الطريقة فى دفع المطاعن

هى الاصل منذ قيام الخليقة وهى قبل ذلك طريقة القرآن الذى درج فى كثير

على ذكر المطعن ثم الكر عليه بالرد وكما يقول الدكتور محمد حسنين هيكل فى

مقدمة كتابه حياة محمد فى طبعته الثامنه[1] " وأدب القرآن أقوم أدب واسماه فهو

يذكر اتهام قريش محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالسحر والجنون وهو

يقول (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى

وهذا لسان عربى مبين) النحل : ١٠٣ وهو يجرى فى ذلك بالشىء الكثير"

هذا ومعظم علماء الاسلام يتبعون هذا النهج – كما اسلفت القول • وكل

الكتب التى سيأتى ذكرها فى المدخل لبيان مجهودات علماء الاسلام وهى تعالج

شبهات أو مطاعن وجهت الى القرآن اتبعت نفس النهج كما سوف ترى ان شاء الله ••

أما الرأى الثانى الذى يقول بأن هذا المنهج يؤدى بها الى الانتشار الخ ••

---

(١) ص ٦٣ .

فقد ذكرنا أنه رأى للدكتور عبد المنعم صالح العلى قد رجع عنه وهاهو فلنستمع اليه يقول " قد يظن العرب أن الشبهات التى أثارها اعداء الاسلام تقتصر على محيطه العربى وذلك تقدير خاطئ ، فان مساعيهم تمتد لتشوش مفاهيم ابناء كل الأمة الاسلامية وقد طلب منى صديقى الاستاذ صالح اوزجان النائب بالبرلمان التركى أن يشرف على ترجمة كتابى فى الدفاع عن أبى هريرة وأن يصدره عن دار الهلال للنشر التى يمتلكها فأعترضت عليه بأن بدعة النيل من أبى هريرة غير موجودة فى تركيا وليس من الحكمة تنبيه الناس الى شبهات قد تعلق بقلب الضعيف وان رددنا عليها فقال: كلا بل كل الشبهات حول دين الاسلام ورجال الاسلام وتاريخ الاسلام يروج لها الاعداء فى تركيا كما فى بلاد العرب وترجموها لنا كتبا استشراقية الى التركية تطعن بأبى هريرة وابن عباس وغيرهما "[1] اذا فالقول بأن ذلك يساعد على نشرها ليس له مبرر وهو مرفوض من جانبنا لأن الاعداء أكثر امكانات منا فى ابراز تلك المطاعن فهى موجودة ولا ريب فى جميع الاوساط ما دام الاعداء يسيطرون على اجهزة الاعلام كلها مسموعة ومرئية ومقروءة ولهم الكثير من المطابع والاذاعات والاجهزة المختلفة فى نشرها وسوف نبين لك بعض تلك الامكانات فى حديثنا فى المدخل عن الذين تولوا كبر الطعن فى القرآن علاوة على المدارس التبشيرية والمستشفيات والانديـة الخ .. بل وصل بهم الأمر الى نشرها بالبريد ولقد كان لهذا الأمر صداه فى صحف المملكة انظر مثلا جريدة المدينة الاعداد : ٥٤٤٨ بتاريخ ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٤٠٢ ص١٧ وكذلك العدد الاسبوعى منها بتاريخ ٢ ربيع الثانى سنة ١٤٠٢ وكذلك مجلة جوهر الاسلام العددين ٧ ، ٨ السدة

---

(١) مجلة المجتمع العدد ٤٦٩ بتاريخ ٢٥ ربيع الاول ١٣٩١ السنة العاشرة .

- ثامن -

الثالثة عشرة ص٣٧ وكذلك جريدة المدينة العدد ٥٤٧٩ بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ..

فنحن لا نساعد اذن في نشرها وانما هي منشورة اصلا بل احسب أنه نشرنا لها مع ردها يكون أولى وأحسن لكوننا نصف الداء ودواءه كالطبيب حينما يحذر من مرض معد فيصف أعراضه ثم يبين علاجه ، بل نشر الشيء لمجرد معرفة خطره أمر مطلوب وأعلم أن بعض علمائنا قد جمعوا الموضوعات من الاحاديث في مجلدات ونشروها مبينين أنها موضوعة ينبغي أن تجتنب ولم يقل أحد بأنهم قد ساعدوا على نشرها بهذا العمل ، كما أن بعض أهل العلم قد جمع الاسرائيليات في كتب التفسير في مجلد وبين حقيقتها فهل يقول أحد بأنهم قد ساعدوا في نشرها ومثلهم من كتبوا في القراءات الشاذة وبينوها للناس لتجتنب في التلاوة فهل يدعي عليهم أحد ذلك ؟ ا. ونحن في الحقيقة انما نؤدي بهذا العمل نفس الدور وهو جمع تلك المطاعن في القرآن وبيانها للناس لمعرفة حقيقتها ومعرفة انها مفتريات وزيادة هي الرد عليها وكما لا يقال للطبيب حينما يقوم بتلقيح الناس من الأمراض المعدية بأنه ساعد على نشر تلك الامراض بهذا الفعل لأن المصل الواقي في نفسه ليس الا الداء بعينه ولكن اثبتت التجربه نفعه فكذلك ينبغي الا يقال في هذا المنهج أنه ساعد على نشر تلك المفتريات لأن التجربة الطويلة قد اثبتت نفعه ثم ما الذي يخيفنا من هذه المفتريات ما دمنا قادرين على دفعها ؟ !

وهذا هو جوابنا على الرأي الثاني أما الثالث الذي مجمله أن يضمن الداعية كلامه الرد على المفتريات دون أن يعرضها فيتناول الموضوع ايجابيا

فيتهافت الطعن بنفسه دون حاجة الى ايراده فردنا عليه كما يلى :

ان الأصـــل فى الرد أن يكون مباشرا مادام ممكنا فهو أولى وأوفر للوقت وأسرع الى الفهم عند الدهماء والبسطاء من الناس وهم الغالب فى هذه الحياة أما الـــرد على طريق غير ذلك فهو كمثل من يطعن ظل الشبح دون جسمه وهو واقف أمامه ، وهل يغنى النعامة وينصحها دفن رأسها فى التراب ؟ فان من يسلك طريقا غير هذا المنهج فلن يغنيـه ذلك كما لا يغنى النعامة دفن رأسها فى التراب ولماذا يكون الاعداء واضحون فى مطاعنهم ويوجهونها مباشرة الـى الاسلام فنقوم نحن بالرد عليها من بعـد ؟ ولقد أخرت جملة لاستاذنا محمد قطب من رأيه لا رد عليها هنا لارتباطها بهذا الرأى وهى قوله أن يرد علـى المطاعن عرضا ويركز على بيان حقائق الاسلام ابتداءا الخ ٠٠ فهذه تشير الـى تحبيذه الرد بطريق غير مباشر فيلتقى مع هذا الرأى فنرد عليهما قائلـين :

ان الـــرد على هؤلاء المفترين هل يتأتى بغير إيراد حقائق الاسلام وهـل يطمس أباطيلهم تلك ويقضى عليها الا الحقائق ؟ ! وهل هذه الحقائــــق الاسلامية تحتاج فى ذاتها الى بيان أكثر مما هى بينـه وهل هذه المطاعـن وردت على القرآن من جانب اعدائه لخفاء فى هذه الحقائق الاسلامية ؟ لا احسب ذلك بـل ها هى كتب الاسلام التى تشتمل على كل الحقائق موجودة مطبوعـــا ومخطوطا وفى درجة من الوفرة ومع ذلك وجدت هذه المطاعن المزعومة وشاعت لأنها مقصودة ، إنها قد قيلت أو بعضها والرسول موجود فقد طعن الطاعنـون فيه وفى القرآن وهو بين ايديهم يبين لهم بنفسـه حقائق الاسلام ويوضحهـــا لهم ومن أوضح منه بيانا ؟ ! وقد طعنوا فى الاسلام والقرآن أمامهم وهو مصدر كل الحقائق وهو أوضح كتاب وأشمله اذن فمشكلتنا ليست خفاء فى حقائق الاسلام

وتقصيرا فى بيانها ولكن قضيتنا وحاجتنا هى مواجهة ورد مباشر بتلك الحقائق لأن الرد غير المباشر واظهار حقيقة اسلامية وبلورتها بقصد الرد لا يلتفت اليه أحد فالناس فى الغالب لا يستطيعون استخلاص الاجابة منها وهى كثيرة لرد تلك المطاعن ولكن الرد عليهم مباشرة يوفر عليهم ذلك كله وهو الذى ينتبهون اليه . وليس أدل على ذلك من كلام الاستاذ محمد قطب عن كتابه الذى فيه هذا الرد المباشر حيث يقول " انى لأعلم أن هذا الكتاب بالذات هو أوسع كتبى انتشارا وأكثرها طباعة سواء فى طبعته العربية أو فى ترجماته التى ترجم اليها باللغة الانجليزية وبأكثر من لغة من لغات العالم الاسلامى وسواء فى طبعاته المشروعة التى طبعت باذنى وعلمى أو طبعاته الاخرى التى طبعت بغير اذن منى ولا علم (..

أما الرأى الأخير فردنا عليه كمايلى :

فنحن نذكر أولا بما سبق قوله من أن هذه الطريقة هى طريقة أهل العلم من سالف الازمان وثانيا فان القائلين به لا ستدلهم فى قولهم هذا الا عاطفة اسلامية يحمدون عليها ، أما من الناحية العلمية والدينية فلا سند لهم وقد بينا من قبل كذلك أن هذه هى طريقة القرآن ومنهجه .. ثم أن الحجة لا تدفع علميا الا اذ ذكرت ودونت بأمانة ودقة .[1] ومن هنا كان هذا النهج هو الامثل فى رد المطاعن [illegible] --

وهذا هو ردنا على تلك الآراء وقد نكون نحن المخطئين (وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء) ولا ادرى هل أحسنت بذلك أم اسأت ولكن عزائى أننى مجتهد فان أصبت فمن الله وان أسأت فمن نفسى والشيطان وأرجو الله ان لا يحرمنى أجر المجتهد إنه سميع مجيب ..

---

(١) انظر محمد حسنين هيكل : حياة محمد ص٦٣

المدخل

المدخل الى الرسالة ..

ويشتمل على :

* تمهيد ..
* تعريف بالقرآن الكريم
* نبذة موجزة عن تاريخه
* كلمة عامة عن الطاعنين فيه ومطاعنهم قديما وحديثا ..
* كلمة موجزة عمن تولوا كبر الطعن فيه ..
* لماذا الهجوم على القرآن ؟ الاجابة فى ايجاز
* لماذا نرد عليهم ؟ الاجابه فى ايجاز
* من مجهودات علماء الاسلام فى الدفاع عن القرآن فى القديم والحديث .. ذكر بعض مؤلفاتهم .
* كلمة لابد منها .. لتحديد ماسيعالج فى الرسالة من طعون قبيل الرد عليها ..

* * *

تمهيـد :

لقد رأيت من المناسب أن أجعل لهذه الرسالة مدخلاً أنفذ من خلاله بصحبة القارئ إليها .. بدا لي ذلك مهماً لخدمتها، بإنارة الطريق وإيضاح معالمه أمام القارئ، فتسهل عليه متابعتنا في الموضوع مع فهم لمرادنا وإدراك لمقصودنا، فلا يكون في معزل عنا ونحن نرد على مفتريات الأعداء تجاه القرآن الكريم .. فيقدم إلى صلب البحث وقد عرف سلفاً ما المراد بالقرآن الذي خصصت هذه الرسالة للدفاع عنه، ويمضي في القراءة وقد علق بذهنه أثناء مروره بهذا المدخل شيء عن تاريخه، وفي محصلته قدر لا بأس به من المعرفة بالطاعنين فيه، وقد أدرك غرضهم الخبيث ووسائلهم الرخيصة، وأساليبهم الماكرة في حربهم له، فيشعر بمدى خطرهم فينصرف عنهم إن كان ممن خدعوا فيهم، ويهيئ نفسه ويجندها مع غيره لمكافحتهم .. كذلك يكون في المقابل قد كون فكرة ليست بالقليلة عن جهاد سلفنا الصالح، وهم يزودون عن حمى القرآن، بله المعاصرين من أهل العلم الذين حملوا الراية من بعدهم ومازالوا يحملونها في معارك المصحف المستمرة مع أعدائه ..

فيالـه من جهاد عظيم وحرب مقدسة تلك التي يخوضون
أرجو بكتابتي في هذا المجال أن أكون بحق قد نلت شرف المشاركة فيها والله هو المسؤول أن يرزقني الإخلاص ويجعل عملي هذا في سبيله غير مشوب إنه سميع مجيب ..

هذا ما أردته من جهة .. ومن جهة ثانية فلقد رميت من وراء هذا المدخل إلى أن يطالع القارئ الرسالة وهو مطمئن النفس في قلبه يقين بأن القرآن لا محالة منتصر، وأن مطاعن الأعداء (لا تنفرد بالساحة) وأنها

كلها مردودة ، ليس ذلك فحسب ، بل وموجهة إلى صدورهم ، فيقرأ هادئ البال وقد علم مقدما — ولو فى اجمال — بمجهودات أولئك الافذاذ من علماء هذه الأمة المحمدية الذين تصدوا لهذه الأباطيل وهمو — كما علم — فى تلك الدرجة الرفيعة من العلم، فيوقن بأنهم لابد منتصرين للقرآن بما هو أهله

ولا بد من التنويه هنا بأن انتماءنا الى هذا الدين الاسلامى لايجعلنا البتة نعمل على نصر القرآن بالباطل تحيزا وتعصبا — معاذ الله — فان ذلك لايشرفنا ولا يشرف القرآن — قط — فى شىء ، لأنه بالحق نزل وبالحق وحده سينتصر، فليس هو بحاجة إلى عون باطل ، ولا إلى نصر زائف ..

هذا .. ومن جهة ثالثة وأخيرة فقد هدفت من هذا المدخل إلى إكساب الرسالة شيئا من الاختصار فى صلبها ، حيث يغنى المتقدم فى المدخل عن ذكره هناك، فيجنبها الاثقال بالحواشى، الا الاهم مما هو ضرورى .. الأمر الذى يهيىء لى فرصة للتركيز فيها والتدقيق، فتقرب بذلك من الاتقان، وتسير نحو الكمال، اذا ما قدر لى فيها التوفيق .

اقتنعت بذلك ورأيته من اللزوم بمكان فقدمت بين يديها مايلى من الفقرات التى تشكل هذا المدخل ، حاولت أن اتجنب فيها التطويل الممل والايجاز المخل — فى نظرى — ما وجدت الى ذلك سبيلا ، فأرجو أن أكون قد نجحت فيما رميت إليه من التوسط مكتفيا — فى حسبانى — بالقدر الذى يتيح للقارىء ما أشرت اليه ويحقق كل الاهداف التى ذكرت آنفا ..

ذلك هو غرضى من هذا المدخل .. ولا ريب أن لكل شىء مدخله اللائق به ، الذى ينبغى أن يؤتى منه ، فهل ترانى وفقت فى إعداد ذلك المدخل المناسب ؟ .. هذا ما أرجوه ، والله هو الهادىء الى سواء السبيل ..

تعريف القرآن في اللغة :

لقد اختلف فيه العلماء بين الاشتقاق وعدمه • ومن الذين قالوا بعدم الاشتقاق الإمام الشافعي [١] عليه رحمة الله ، حيث يرى أن لفظ القرآن ليس مشتقا وانما ارتجل فوضع علما على هذا الكلام المنزل على محمد — عليه الصلاة والسلام فهو عنده لم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ منها لكان كل ماقرىء قرآنا ولكنه في رأيه — اسم للقرآن مثل التوراة والانجيل [٢] •

ومن الذين قالوا باشتقاقه الاشعري [٣] ومعه آخرون فرأوا أنه مشتق من قرن الشيء بالشيء اذا ضمه اليه ، حيث أن سور القرآن وآياته تقرن بعضها الى بعض وتضم [٤] •

ومنهم الفراء غير أنه يراه مشتقا من القرائن — مفرد ها قرينة — فآيات القرآن — في رأيه — يشبه بعضها بعضا فعلى هذا يكون بعضها قرينة على بعض [٦] •

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن شافعي (١٥٠ — ٢٠٤هـ) وهو الامام المشهور الذي ينسب اليه المذهب الشافعي •

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٦٢/٢ •

(٣) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الذي تنسب اليه الطائفة الاشعرية توفي عام ٣٢٤ انظر وفيات الاعيان ٣٢٦/١ •

(٤) الزركشي : البرهان ، ٧٨/١ •

(٥) هو يحيى بن زياد الديلمي ويكنى بابي زكريا وهو أحد نحاة الكوفة وائمتها المشهورين في اللغة توفي سنة ٢٠٧هـ (انظر وفيات الاعيان ٢٢٨/٢) •

(٦) انظر السيوطي : الاتقان ٨٧/١ •

وهؤلاء جميعا يقولون بأنه غير مهموز وذلك واضح من أمثلتهم ..

أما الذين يرونه مهموزا ومشتقا فمنهم :

اللحياني [١] الذي يرى أنه مشتق من قرأ بمعنى تلا فهو عنده — ومن معه — مصدر بوزن الغفران سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر [٢] .

ومنهم الزجاج [٣] الذي يراه مشتقا ولكن من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء في الحوض اذا جمعه فالقرآن فيما يرى قد جمع ثمرات الكتب السابقة [٤] .

وواضح من الأمثلة وجود الهمز في اللفظ الذي رأوا انه اشتق منه القرآن كما أنها موجودة ايضا في لفظ (قرآن) ولا يعكر على ذلك القرآءة المتواتره في لفظ قرآن بدون همز [٥] فانها قد نقلت وسهلت الى مد فهي في الأصل موجودة .

وكذلك اذا [illegible] ال فإنها ليست للتعريف وانما [illegible] الأصل [٦]

هذا ولقد رجح بعض أهل العلم رأي اللحياني بالهمز في قرآن واشتقاقه من قرأ بمعنى تلا ، ورأوا أن تلك الآراء الأخرى مرجوحة لاتقف امام هذا الرأي وكلها كما يقول (الزرقاني) [٧] " لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه

---

(١) هو أبو الحسن على بن حازم : اللغوي المشهور المتوفى سنة ٢١٥ هـ

(٢) السيوطي : الاتقان ، ١/ ٢٧٨ .

(٣) هو ابراهيم بن السري، ويكنى ابا اسحاق من أئمة اللغة توفى سنة ٣١١ . (انظر انباء الرواة ١/ ١٦٣) .

(٤) الزركشي : البرهان ، ١/ ٢٧٨ .

(٥) وهي قراءة ابن كثير من السبعة : وهو أبو معبد عبد الله بن كثير امام أهل مكة في القراءة (انظر ترجمته في طبقات القراء ١/ ٤٤٣) .

(٦) انظر ابن شهبة : المدخل لدراسة القرآن ، ١٧، ١٨ .

(٧) في مناهل العرفان : ١/ ١٤ .

بعضه من كلفة، ولا من بعد عن قواعد الإشتقاق وموارد اللغة" ومما قوى به أصحاب هذا الرأى ما ذهبوا إليه قوله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)[1] أى قراءته وكذلك قوله (الرحمن علم القرآن)[2] أى القراءة كما أشار الى ذلك بعض المفسرين[3] . وهذا الرأى بالاشتقاق للقرآن من قرأ بمعنى تلا وهو مهموز بالطبع أجدنى أميل اليه غير أنه لايفوتنى أن اشير إلى وجاهة رأى الامام الشافعى فهو أقرب من تلك الاقوال غير هذا الذى رجحنا فان لفظ قرآن ليس نكرة مشاعة كرجل ، بل اذا ذكر هذا اللفظ لاينصرف الذهن البتة الى غير هذا القرآن الذى بين ايدينا فلا قرآن غيره ، والارتجال فى الاسماء لغة معروف ، ورأى الامام الشافعى مريح لنا من البحث عن موارد واشتقاق كما حصل فيما ذكرنا من آراء غيره ، على اننا رغم وجاهته لانقول به لكونه يجعل لفظ قرآن بهذا الاعتبار جامدا ولا غضاضة فى ذلك فالاسماء الجامدة معروفة لغة ايضا غير أن ظاهر الآيات المتقدمة واضح فى مخالفته هذا الرأى[4]

نعود الى مارجحناه فنقول انه لاينكر عليه أن استعمل العرب لفظ قرأ بمعنى غير التلاوة كقولهم ، هذه الناقه لم تقرأ سلى قط ، يقصدون أنها لم تحمل ملقوحا ولم تلد ولدا .. ومنه قول (عمرو بن كلثوم)[5]: هجان اللون

---

(١) القيامة : ١٧و ١٨ .

(٢) الرحمن: آية ١و ٢ .

(٣) انظر : ابن كثير مختصر التفسير ٣/ ٤١٤ وانظر صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن ص١٩ .

(٤) انظر محمد رجب فرجانى كيف نتأدب مع المصحف ، ٣٠ .

(٥) شاعر تغلب وفارسها .

لم تقــرأ جنينــا[1] • فان السماع لهــم بهذا الاستعمال لا ينفى أنهم كانــوا يستعملونها أيضا بمعنى تــلا ، حتى ولو قلنا مع القائلين بأن استعمال قــرأ بمعنى تلا ليســت عربيـــه فى الاصل كما يقول بعضهم فيــرون أنها من اصـل أرامى[2] فان ذلك لايعكر علينا قط لأن تداول العرب قبل الاسلام لهذا اللفظ كان كافيا لتعريبه ، كما يقول أهل العلم[3] •

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فانه من تمام الفائدة ونحن نعرف بالقــرآن الكريم أن نعرف بأسمائه غير لفظ (قــرآن) ، ليس كلها ولكــن اظهرها وليــس على تفصيل كما فعلنا بلفظ قرآن ولكن مجردة عن ذلك نسبة لعدم الحاجة اليـــه وانما نذكرها لبيان أن كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولان الاشياء انما تعرف بأسمائها وصفاتها وما اكثر اسماء القرآن فقد ذكر منها (الزركشي)[4] نقلا عـــن بعضهم خمسة وخمسين اسماء ، بل بلغ بها بعضهم نيفا وتسعين[5] • ولكنهم قـــد خلطوا بين الوصف والتسمية فذكروا كثيرا من الاوصاف على انها اسماء[6] •

---

(١) ابن منظـــور : لســان العـــربه ١٤٦/١ •

(٢) انظر صبحى الصالح • مباحث فى علوم القرآن ، ص١٩ ، ٢٠ ومنهم الاستـــاذ عبد الوهاب حموده انظر مجلة لواء الاسلام العدد الأول من السنة الاولى ص٢٨ •

(٣) انظر أبى شهبـــة : المدخــــل ، ص١٩ •

(٤) هو بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشــى (٧٤٥ ـ ٧٩٤ هـ) •

(٥) انظـــر البرهــان : ٢٧٣/١ ـ ٢٧٦ •

(٦) انظر : أبى شهبه : المدخـــل ٢٣ •

أما الاسماء فمن اشهرها مايلي :

الكتاب : ولقد جاءت الاشارة الى ذلك فى آيات كثيرة فى القرآن منها قوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه)[1] ويقول أهل العلم ان فى تسميته بالكتاب اشارة الى جمعه فى السطور كما أن تسميته بالقرآن فيها اشارة الى حفظه فى الصدور لأنه كما تقدم مشتق من القراءة والقراءة فيها تذكير وهو سبب الحفظ[2] .

الفرقان : ولقد ورد ذلك فى قوله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده)[3] وفى ذلك الاشارة الى تفريقه بين الحق والباطل وغيره من فروق بين كل متضادين .

الذكر : ولقد ورد فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (وهذا ذكر مبارك انزلناه)[4] الى غير ذلك من الاسماء والصفات التى لانريد أن نطيل بها فى هذا المقام غير أن هناك اسما يطلق على القرآن مجموعا فى كتاب اشتهر به تماما كلفظه قرآن فهو الذى يهمنا هنا توضيحه الا وهو :

لفظ المصحف : فانه بخلاف لفظ قرآن الذى يطلق — كما هو معلوم — على الكل والجزء ولو كان آية أو بعضها حتى ولو كلمة منه ، أما المصحف فلا يطلق الا على ما هو مكتوب بين الدفتين من كامل[5]

---

(١) البقرة آية ١ و ٢

(٢) انظر محمد رجب فرجانى : كيف نتأدب مع المصحف ، ص ٣٥

(٣) الفرقان : الآية ، ١

(٤) الانبياء : الآية ٥٠ ،

(٥) انظر عبد الفتاح القاضى : تاريخ المصحف ، ٥٣

القرآن ، من الفاتحة إلى الناس وضبطه بضم الميم وهو المشهور أو فتحها أو كسرها مع سكون الصاد وفتح الحاء المهملة فى كل وهذا اللفظ لم يرد له ذكر فى القرآن مثل غيره — كما مثلنا — فمن أين لهم هذه التسمية ؟ هناك روايتان . يذكر الزركشى : أنه ، لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه : فقال بعضهم إنجيلا فكرهوه ، وقال بعضهم السفر — فكرهوه من يهود — فقال عبد الله بن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به "(1)

وبجانب هذا ذكر السيوطى نحوها عن ابن اشته فى الاتقان(2)

ومن المعاصرين فقد ذهب الى ذلك (صبحى الصالح)(3) و(لبيب السعيد) الذى عقب على ذلك بقوله " على أن هذا اللفظ وإن يكن — حسب هذه الرواية — معربا عن الحبشية كان ... مما استعمل العرب ... يقول (امروء القيس)(4) فى احدى قصائده :

اتت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان "(5)

وينقل رأى بعض الباحثين بأن هذه الكلمة دخلت العربية مع اصطلاحات دينية أخرى مثل ، الحواريين ، المنافق ، المشكاة وغيرها .. ومما يستدل به على حبشية هذا اللفظ أنه لا يوجد عربية فعل ثلاثى من مادة (صحف) يمكن اشتقاق

---

(1) الزركشى : البرهان ، ص ١/ .

(٢) ٨٩/١ .

(٣) فى مباحث فى علوم القرآن ، ص٧٧ .

(٤) امروء القيس بن حجر : التغلبى الشاعر المعروف فى الجاهلية ،

(٥) الجمع الصوتى الأول ص٨٣، و ٨٤ .

لفظ مصحف منه بينما يستعمل في الحبشة الفعل (صحف) بمعنى كتب •

وللباحث[١] كلمة حول هذا الرأى يرفض فيها ذلك نذكر للقارئ طرفا منها في ايجاز •

يرى الباحث أن اللغة العربية ليست فقيرة ، وانما هى غنية لاسيما فيما يتصل بالقراءة والكتابة، واذا كان لفظ صحف في الحبشية بمعنى كتب فان كتب في العربية نص صريح على الكتابة ، ويستشهد بابن منظور في لسان العرب ج ١١ ص٨٧و ٨٨ على أن الفعل صحف يشتق منه الصحيفة التى يكتب فيهما وجمعها صحائف وصحف وفي التنزيل قوله تعالى في سورة الاعلى (ان هذا لفى الصحف الاولى • صحف ابراهيم وموسى)[٢] وقوله تعالى (صحف مكرمة) سورة عبس[٣] وقوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) سورة البينة[٤]

ويعود فيستشهد بإبن منظور حيث يقول : والمصحف الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف ، ثم يذكر مانقله ابن منظور عن الأزهرى: وإنما سمى المصحف مصحفا لأنه اصحف أى جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين، ثم يذكر ما نقله بن منظور عن الفراء: مصحف من اصحف أى جمعت فيه الصحف ، ثم يورد قول ابن منظور : وقالوا في المغزل مغزلا ، والأصل مغزل من أغزل ثم يعقب الباحث بقوله : واستطيع القول بأن مصحف اسم مفعول أى وقع عليه الاصحاف وهو جمع الصحف فيه ، وهذا ماحدث من أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث أنه جمع الصحف التى كانت مكتوبة في عهد النبى صلى الله عليه وسلم في اللخاف ، والعسب والاكتاف والرقاع في مصحف واحد •

---

(١) هو محمد رجب فرجانى في كتابه كيف نتأدب مع المصحف .
(٢) الايتين ١٨و ١٩ .
(٣) الاية ١٣ .
(٤) الاية ٢ .

وبمقتضى هذا يرى الكاتب أن الكلمة عربية أصيلة بدلالة استعمالها في الجاهلية قبل الاسلام في قصيدة امرىء القيس التي تقدم ذكرها ، ويرى أن القول بحبشيتها لم يقم عليه دليل قطعي ، ويتساءل لم لا يكون الحبش قد نقلوها عن العربية، فدليل عروبتها كما يقول قائم باشتقاقها فإن صحف يشتق منه صحيفة وصحائف ثم يزاد الفعل الثلاثي بهمزة التعدية ليكون أصحف ، فأصحف أبو بكر مثلا الصحائف أي جمعها فكانت مصحفا باعتبار الفعل الثلاثي المزيد بهمزة التعدية . ثم ينقل أحاديث وردت فيها كلمة مصحف فيذكر ما رواه ابن (ماجه)(١) في سننه بسنده(٢) عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا تركه ، أو مصحفا تركه .. الى آخر الحديث واعقبه بقول (السندي)(٣) في حاشيته على سنن ابن ماجة بان اسناد الحديث غريب وأحد رواته مختلف فيه غير أن (ابن خزيمة) صححه من طريق آخر وهو كالتفصيل لحديث (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة ويرى الباحث بهذا أن الحديث صحيح المعنى وهذا الحديث شاهده وكذلك شاهده رواية ابن خزيمة بالطريق الآخر ..

ثم أورد عدة أحاديث لا تخلوا من ضعف غير أن بعضها يقوى بعض ويعززه ولا يسع المجال ذكرها .. وانتهى الباحث الى :

أن لفظ مصحف ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أما ما أثر

---

(١) وهو محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجه القزويني صاحب السنن المعروف .

(٢) ١/ ٥٤ باب ثواب معلم الناس الخير

(٣) أبو الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي نزيل المدينة المنورة توفي سنة ١١٣٨هـ .

عن ابن مسعود وأستدل به على حبشية الكلمة وان صحا فلا يقفان أمام الاحاديث التي سمي منها اثنين صحيحين [(١)] — وأنا موافق للباحث في كل ماذهب إليه استنادا على ماساق من أدلة اقتنعت بها — وبهذا ننهي حديثنا عن التعريف اللفظي للقرآن مكتوبا ومقروءا .

أما التعريف الاصطلاحي للقرآن : فإنه يطلق عليه : اللفظ المنزل على النبي — صلى الله عليه وسلم — من أول الفاتحة الى آخر سورة الناس .

وهذا اطلاق يحظى بموافقة علماء الاصول، والفقه ، واللغة العربية والمتكلمون أيضا ، على أنهم اختلفوا في تعريفه بعد هذا الاطلاق بين مطنب وموجز، ومقتصد ، ونحن هنا في هذا المقام يروق لنا كلام المطنبين لأننافي مجال التعريف وهو يقتضي التفصيل والبيان، ولا يعني أن الموجزين، والمتوسطين لم يك تعريفهم مانعا ، [(٢)] كلا وانما آثرنا الاطناب لما ذكرنا، بل ربما نزيد عليه لذات الغرض دون أن نخرج عن دائرة هذا التعريف ، ولا مشاحة في الاصطلاح ومن هذا المنطلق ليسمح لي أهل العلم أن اعرف القرآن بما سيأتي ولكن ليس قبل أن نذكر تعريف المطنبين ليكون محيطنا الذي لانخرج عنه بما يخالفه أو ينقضه ، فإنهم قد عرفوه بأنه "الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته " [(٣)]

---

(١) انظر محمد رجب فرجاني : كيف نتأدب مع المصحف ، ٣٩ — ٤٥ .

(٢) انظر مناهل العرفان ص١٩ .

(٣) نفس المكان .

أما نحن فنقول : إنه كلام الله ، المنزل ، على رسوله محمد ، على وجه الاعجاز ، بلفظه ومعناه ، العربى ، عن طريق جبريل ، المتعبد بتلاوته وهو المكتوب فى المصاحف ، المنقول الينا بالتواتر ٠ تلك عشر فقرات نعقبها باستخراج المحترزات فنقول :

كلام الله : يخرج كلام غيره ٠ والمنزل : يخرج كلامه فى نفسه الذى لم ينزل على أحد ٠ على محمد : يخرج ما نزل على غيره من الأنبياء : على وجه الاعجاز : يخرج ما نزل غير معجز : كالحديث النبوى والقدسى ٠٠ والكتب السابقة كلها ٠ بلفظه ومعناه : يخرج الحديث النبوى ، والقدسى والكتب السابقة كذلك فانها انما نزلت بالمعنى فقط ٠٠ العربى : يخرج تفسيره وترجمته بغير العربية فانها ليست كلام الله وانما معنى لكلام الله ، وان اجاز بعض أهل العلم الصلاة بقراءة الفاتحة بغير العربية (١) ٠ فكلها ليست قرآنا وانما معنى حيث لا تتأتى الترجمة الحرفية قط للقرآن الكريم بلغة أخرى — كما يقولون (٢) والاختصاص — طريق جبريل يخرج ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم من غير هذه الطريق مما القاه الله فى روعه ونحوه من الوحى ٠ متعبدا بتلاوته يخرج الحديث بنوعيه والكتب السابقة فانها ليست متعبدا بتلاوتها ٠ المكتوب فى المصاحف : يخرج به مالم يكتب فيها أولا تحتمله حكما أو تقديرا وان صح لغة ونقلا ٠ المنقول بالتواتر : يخرج مالم يتواتر نقله مشهورا كان أو آحاديا ٠٠

٠٠٠ هذا تعريف موجز للقرآن وفيما يلى نبذة موجزة عن تاريخه يكتمل بها هذا التعريف ٠٠٠

---

(١) كما يروى عن الامام أبى حنيفة ٠٠ انظر أحمد مهنا دراسة حول ترجمة القرآن ص ٧٢

(٢) انظر أحمد مهنا : المصدر نفسه ص ٧٨ .

نبذه موجزه عن تاريخ القرآن

ان تاريخ القرآن الكريم يبدأ بنزوله ، ومن ثم فاننا ملزمون بأن نستهل حديثنا في هذه الفقرة بنزول القرآن، لكونه البداية لذلك التاريخ العطر ونقصد بالنزول، نزوله على سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- بغض الطرف عن تنزله الى اللوح المحفوظ ، ومنه إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما أخبر بذلك بعض أهل العلم،(١) فذانك تنزلان لا يعلم تاريخهما الا الله وانكنت لا أنفيهما ..

لقد كان بداية نزوله في ليلة من الليالي مباركة، أذن المولى عز وجل بتنزله فيها - مالبث بعدها أن انبلج الفجر ، ثم اشرقت الشمس في ذلك اليوم الميمون تعلن إلى العالمين ، ذلك النبأ العظيم ، وتبشرهم بمقدم عهد جديد ، ومنهاج للحياة فريد ، كانت تلك ليلة القدر وما ادراك ماليلة القدر .. ولا خلاف بين المؤمنين في أنها إحدى ليالي شهر رمضان المعظم : ولا خلاف في أنه رمضان ذلك العام الذي بعث فيه الرسول الكريم ، محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- والمعتمد أنه بعث وهو في الأربعين من عمره ،(٢) ولما كان قد ولد في عام سنة ٥٧١ المعروف بعام الفيل (٣) ، فان من السهل تحديد زمن بعثته بعملية حسابية بسيطة: وهي إضافة الاربعين عاما عمره حين البعثة إلى تاريخ مولده الكريم . فنحصل على نتيجة هي ٦١١ م تلك هي بداية نزول القرآن الكريم

---

(١) انظر السيوطي :الاتقان ١/٦٨ . والزركشي :البرهان ، ١/٢٢٩ .

(٢) انظر ابن هشام :السيرة ، ص٤٦ والطبري:التاريخ، ٢/٢٩٨ .

وبتفصيل أكثر يمكن أن نقول : انه انزل فى رمضان سنة ٦١١ م الذى يوافق السنة العاشرة قبل الهجرة النبوية التى كانت فى عام ٦٢١ م • ولقد مضى عليه من وقت نزوله الى هذا الزمان القرن العشرين سنة ١٩٨٢ م من الميلاد الخامس عشر الهجرى سنة ١٤٠٢ اثنتا عشر واربعمائه بعد الالف من السنين أما المدة التى استغرقها نزوله حتى اكتمل فثلاثة وعشرون مقسمه بين مكة والمدينة [١] نزل خلالها القرآن نجوما حسب الوقائع والاحداث ، ولحكم كثيره لا يسع المجال ذكرها الآن •••

ولقد كان القرآن عندما ينزل على الرسول – عليه الصلاة والسلام – يحفظه ثم يتلوه على اصحابه الذين كانوا حريصين على استظهاره ، فلقد كانت همته – صلى الله عليه وسلم – واصحابه – رضوان الله عليهم – منصرفه بادئ الأمر الى جمع القرآن فى الصدور لكونه والقوم اميون " لا يحذقون الخط والكتابة اللهم الا نذر يسير لا يصاغ منهم حكم على المجموع " [٢] بجانب عدم تيسر أدوات الكتابة فى ذلك الوقت ، ومن ثم فقد كان التعويل على حفظه فى الصدور يفوق حفظه بكتابته فى السطور، لا سيما أن العرب من عادتهم، فى ذلك الزمان الاعتماد على الزاكرة ، فيما يريدون حفظه فقد جعلوا صفحات صدورهم دواوينا لاشعارهم، ومفاخرهم، وانسابهم وأيامهم [٣] • وليس معنى ذلك أن الرسول

---

(١) البخارى: الصحيح، ٥٧/٤ •

(٢) الزرقانى : مناهل العرفان، ٢٩١/١ •

(٣) المصدر نفسه • ٢٣٩/١ •

وصحبه قد أهملوا جانب الكتابة فى حفظ القرآن ، كلا وانما أمر الرسول من أول أيامه بكتابة القرآن فلم يقصروا فى ذلك ، بغية الزيادة فى التوثيق والضبط والاحتياط فى حفظ كتاب الله وصونه فتعاضد الكتابة الاستظهار فى هذا الشأن، فكان ان اتخذ صلوات الله وسلامه عليه كتابا من أصحابه منهم الخلفاء الاربعة، ومعاوية (١) وابان بن سعيد (٢) وخالد (٣)، وأبى (٤)، وزيد بن ثابت (٥)

---

(١) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى ، الأموى الصحابى ، من كتاب الوحى توفى سنة ٦٠ هـ (الاصابة ٣/ ٤٣٣ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٧)

(٢) هو ابان بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس القرشى الأموى اسلم أيام خيبر واستشهد يوم اجنادين فى آواخر عهد أبى بكر واجنادين موضع معروف بالشام كانت به موقعة مشهورة بين المسلمين والروم سنة ثلاث عشرة هجرية (الاصابة ١/ ١٣)

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو سليمان سيف الله اسلم بعد الحديبية وتوفى سنة احدى وعشرين على خلاف (تهذيب التهذيب ١/ ١٢٤)

(٤) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد ، أبو المنذر المدنى ، الانصارى، الصحابى الجليل، كان من كتاب الوحى ، قرأ القرآن على النبى — صلى الله عليه وسلم — وقرأ عليه النبى — صلى الله عليه وسلم — بعض القرآن — للتعلم والارشاد — (غاية النهاية ١/ ٣١، الاصابة ١/ ١٩)

(٥) هو أبو خارجة زيد بن ثابت الضحاك، الانصارى ، الخزرجى ، كان من كتاب الوحى فقيها عالما بالفرائض ، والقراءة، والفتوى، والقضاء ، حفظ القرآن فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — وكتبه فى الصحف لأبى بكر، وفى المصاحف لعثمان توفى سنة خمس واربعين من الهجرة على خلاف (تذكرة الحفاظ ٢٩/١ الاصابة ١/ ٥٦١)

وثابت بن قيس (١) وغيرهم (٢) . عليهم جميعا رضوان الله ..

وما انتقل الرسول - عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى إلا وكان القرآن كله محفوظا في صدور الكثيرين منهم : الخلفاء الاربعة (٣)، وهؤلاء المذكورين ليسوا إلا الذين جمعوه في صدورهم وتيسر لهم - فقط - دون غيرهم أن يعرضوه على النبي - صلى الله عليه وسلم فتتلمذوا عليه مباشرة ، أما الذين حفظوه منهم دون أن يعرضوه على الرسول - عليه الصلاة والسلام فلا يحصون عددا (٤) وكيف لا يكونون بهذه الكثرة الكاثرة

وهناك عوامل عدة تجعلهم - ولا ريب - يقدمون على حفظ كتاب الله واستظهاره نذكر منها مايلي :

تشريع قراءة القرآن في الصلاة ، فرضا أو نفلا ، وتلك وسيلة فعالة لا ريب تجعلهم يقرأونه ويسمعونه ، ومن ثم يحفظونه . ولا سيما أن القوم أذكياء فقد كانوا يضرب بهم المثل في الألمعية ، وقوة الحافظة وحدة الخاطر فربما كان الرجل منهم يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر . وربما كان من لغة غير لغته .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ القيس الخزرجي المدني خطيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استشهد باليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتى عشره (تهذيب التهذيب ١٢/٢)

(٢) انظر " ابى شهبة : المدخل : ص ٢٦٧

(٣) وقد عد منهم السيوطي في الاتقان جماعة سماهم بأسمائهم . انظر ص ١/ ١٢٤

(٤) انظر البرهان للزركشي ص ١/ ٢٤٢

ضف الى ذلك ارتباط الكتاب العزيز بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الاهتمام وتنبه الازمان، وتلفت الانظار، وبذلك يتمكن القرآن من القلوب، وينتقش على صفحات صدورهم .. هذا .. ولقد كان الصحابة يعملون حقا بهذا القرآن الكريم ويطبقونه في حياتهم كلها، ولا شك أن العمل بالعلم يقره في النفس ابلغ تقرير .. هذا .. ولقد كانت بلاغة القرآن التى اعجزت الخلق تجزبهم إليه فتخلب البابهم فيولعون به ، لأن الشأن فيما يخرج على نواميس الكون وقوانينه العامة أن يتقرر في حافظة من شاهده ويتركز في فؤاده علاوة على ما حفل به القرآن من ترغيب وترهيب ولا ريب أن غريزة حب الانسان لنفسه تدفعه الى أن يحقق لها كل خير وأن يحميها من كل شر ، ومن هنا تحرص النفس على وعى هداية القرآن، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منها ما وسعها الامكان ..

وينبغى أن لا ينسى وجود الرسول صلى الله عليه وسلم - بين ظهرانيهم كمرجع واضح لهم ومنهل عذب ، وهو يعنى بتعليم القرآن واذاعته ونشره فقد كان يقرؤه عليهم، يسمعهم أياه في الصلاة ، والخطبة والدرس والوعظ والفتوى والقضاء .. هذا .. ولقد كان للتحدى الذى امتاز به القرآن أثره في فتح عيون الناس ولفتهم اليه بقوة، اعداءا كانوا أم أولياء ..

أما الاعداء فقد تتبعوه أملا في وجود مغمز أو مطعن يأخذونه عليه وأما الأولياء فقد قرؤه وتتبعوه لابراز هذه الناحية الاعجازية فيه فيفحموا به الاعداء ..

ولقد كان كل ذلك داعيا لحفظه وتواتره وجريانه على كل لسان ثم نحن يجب ان لا ننسى بعد ذلك الترغيب في تلاوة القرآن في كل وقت وحين فهناك

آيـــات كثيرة تؤكد ذلك نذكر منها قوله تعالى (إن الذين يتلون كتاب اللـه وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور • ليوفيهم اجورهم ويزيد هم من فضله إنه غفور شكور)(١)

وكذلـك قد وردت احاديث كثيرة حفلت بهذا الترغيب فى التلاوة لا يسع المجال ذكرها ••

فهـل يعقل أن يسمع الصحابة ذلك • ثم يتوانون لحظة عن تلاوتـه ثم الا تكون تلك التلاوة سبيلا الى حفظه واتقانه واستظهاره ؟ (٢)

هـذا ولم ينتقل الرسول الى الرفيق الأعلى كذلك الا وقد كان القرآن ايضا مكتوبا كله بيد أنه كان مفرقا ومبعثرا فى الاحجار والرقاع (٣) — والعسب (٤) واللخاف (٥) وقطع الأديم (٦) • وعظام الاكتاف (٧) ، والاضلاع (٨) وغيرها • والخلاصة أنه مع كونه مكتوبا كله الا أنه لم يكن مجموعا فى مصحف واحد ولا مرتب السور (٩) •

---

(١) فاطـــر : آية ٢٩ .

(٢) انظر الزرقانى ، مناهل العرفان ١/ ٢٩١ — ٣١٦ .

(٣) جمع رقعه وتكون من جلد أو ورق أو غيره

(٤) جمع عسيب وهو جريد النخل .

(٥) جمع لخفة وهى الحجر الرقيق .

(٦) وهو الجلـــد .

(٧) وهو عظم عريض فى كتف الحيوان .

(٨) جمع ضلع وهو عظم الجنبين .

(٩) انظر عبد الفتاح القاضى : تاريخ المصحف ، ٤١ و ٤٢ .

وهكذا كان القرآن فى العهد النبوى محفوظا فى الصدور وفى السطور يعزز احدهما الآخر ويؤكده .

ولما جاء عهد الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه حدث فى عهده مانبه الى وجوب جمع القرآن فى مكان واحد خشية الضياع .. وكان ذلك الحدث هو معركة اليمامة (١) التى نشبت فيها نار الحرب بين المسلمين والمرتدين فكانت من أكبر الملاحم ، وفيها قتل كثير من قراء الصحابة الأمر الذى هال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فهرع الى أبى بكر معلنا ما يخشاه من ضياع القرآن اذا كثر القتل مع الايام فى القراء : واقترح عليه جمع القرآن . فتردد أبو بكر بادئ الأمر تورعا ، مخافة الاقدام على أمر لم يفعله الرسول — صلى الله عليه وسلم — فما زال به عمر حتى انشرح صدره لهذا الأمر ، فلما عزم أبو بكر على ذلك وقع الاختيار على رجل من خيرة الصحابة هو (زيد بن ثابت) رضى الله عنه للقيام بهذه المهمة وذلك لميزات اجتمعت فيه منها :

أنه كان من حفاظ القرآن ، ومن كتاب الوحى الذين شهدوا العرضة الأخيرة للقرآن قبيل انتقال الرسول للرفيق الاعلى . علاوة على خصوبة عقله فقد كان من علماء الصحابة وأئمة الفتوى فيهم (٢) .

وفيما يلى قصته كما يرويها فيقول " ارسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده .قال أبو بكر رضى الله عنه ، ان عمر أتانى فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله

---

(١) موضح فى نجد

(٢) انظر مناهل العرفان : ٢٤٣/١ وانظر المدخل لابى شهبة ٢٧٠ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد : قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه . فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن ..

فتتبعت القرآن اجمعه ، من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم اجدها مع أحد غيره " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم) فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما "[1]

ولما جاء عهد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت الفتوحات الاسلامية قد اتسعت فزادت رقعة الدولة الاسلامية ، وتفرق في امصارها العديدة صحابة رسول الله ، ينشرون دعوة ربهم بين الناس ويعلمونهم كتاب الله ، كل على ما كان قد تلقاه من حرف من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان أهل كل اقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرأون بقراءة (أبي بن كعب) وأهل الكوفة بقراءة (عبد الله بن مسعود)[2] وغيرهم يقرأون بقراءة (أبي موسى الاشعري)[3] وكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ، ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن

---

(١) صحيح البخاري ٦/٩٨

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود أحد السابقين الاولين الى الاسلام من أهل بدر ومن فقهاء ومقرئي الصحابه (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣ وطبقات ابن سعد ٣/١٥٠ ، ٦/١٣

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الاشعري اليماني كان من نجباء الصحابة ومن اطيب الناس صوتا بالقرآن توفي سنة ٤٤هـ على خلاف(غاية النهاية ١/٤٤٢)

أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف بل كان هذا الشقاق أشد لبعد عهد هؤلاء بالنبوة، وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون الى حكمة ويصدرون جميعا عن رأيه ، واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضا . وكادت تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ولم يقف هذا الطغيان عند حد ، بل كان يلفح بناره جميع البلاد الاسلامية حتى الحجاز والمدينة وأصاب الصغار والكبار على السواء "(١)

ولقد كان عثمان يشعر بهذا من قبل ويتوقعه وليس أدل على ذلك مما رواه أبو داود بسنده فى كتابه المصاحف حيث يقول : " لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين : حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب : فقال : أنتم عندى تختلفون فمن نأى من الأمصار أشد اختلافا " حتى صدق حدثه وكان ذلك يوم أن جاءه الصحابى الجليل (حذيفة بن اليمان) الذى كان فى الغزو وهذه هى قصته كما يرويها البخارى حيث يقول " ان حذيفة بن اليمان(٢) ، قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح (ارمنية واذربيجان) مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها اليك . فأرسلت بها حفصة الى عثمان،

---

(١) مناهل العرفان: ١/٢٤٨، ٢٤٩ .

(٢) هو أبو عبد الله حذيفة بن حسل بن جابر العبسى صاحب سر النبى — صلى الله عليه وسلم واليمان لقب أبيه توفى سنة ٣٦ هـ (انظر ترجمته فى الاصابة ١/٣١٧) .

فأمـــر (زيـــد بن ثابت) ، (وعبد الله بن الزبير)[١] (وسعيد بن العـــاص)[٢] (وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام)[٣] فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهـط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما انزل القرآن بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فـــى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمـــر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحـــرق"[٤] وأرسل مع كل مصحـــف حافظا من الصحابه ليقرىء أهل ذلك المصر فقد كان التلقى ولايزال هو الاصـل فى القراءة وما الكتابة الا اصل ثان للتوثيق فبعث (عبد الله بن السائب)[٥] مـــع المكـى : والمغيرة بن شهاب مع الشامى (وابا عبد الرحمن السلمى)[٦] مع الكوفى ، (وعامـــر ابن عبد القيـــس) مع البصرى كما عهد الى زيد بن ثابت أن يقرىء بالمد نـــى ..

---

(١) هو بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أول مولود فى الاسلام بالمدينة قتلـــه الحجاج ايام عبد الملك سنة ٧٣ على خلاف انظر الاصابة ٢/٣٠٩) .

(٢) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن امية القرشى الأموى كان مـــن فصحاء قريش توفى سنة ٥٨ هـ على خلاف (الاصابة ٢/٤٧) .

(٣) هو أبو محمـد عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيره القرشى المخزومى المدنى كان له عشر سنين عند وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم توفى سنة ٤٣ هـ (الاصابة ٣/٦٦) .

(٤) صحيـــح البخـــارى : ٦/٩٩ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عائذ بـــن عبد الله بن عمر المخزومى المكى القارىء الصحابى توفى قبل بن الزبير بخمسة سنين وكانت وفاة بن الزبير سنة ٧٣ هـ على خلاف (غاية النهاية ١/٤١٣) .

(٦) هو المغيرة بن شهاب بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة المخزومى الشامى أخذ القراءة عرضاً على عثمان وأخذ عنه عرضاً عبد الله بن عامر توفى سنة إحدى وتسعين من الهجرة (غاية النهاية ٢/٣٠٥) .

ومن قانون الصحابة فى كتابة هذه المصاحف أنهم :

"كانوا لا يكتبون فى هذه المصاحف شيئا الا بعد أن يعرض على الصحابة جميعا ويتحققوا أنه قرآن، وأنه لم تنسخ تلاوته وأنه استقر فى العرضة الأخيرة ، ولا ما كانت روايته آحادا ، ولا ماليس بقرآن كالذى كان يكتبه بعض الصحابة فى مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى ، أو بيانا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك ... وكتبوا هذه المصاحف متفاوتة فى الحذف والاثبات والنقص والزيادة وغير ذلك لأنه قصد اشتمالها على الاحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم وجعلت خالية من النقط والشكل تحقيقا لهذا الغرض أيضا ..

فالكلمات التى اشتملت على أكثر من قراءة ، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه ، من قراءات كتبوها برسم واحد فى جميع المصاحف وذلك نحو (فتبينوا) فى الحجرات وننشرها فى البقرة ...

أما الكلمات التى وردت على قراءتين أو أكثر وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات لم يكتبوها برسم واحد فى جميع المصاحف وانما كتبوها فى بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفى بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى نحو (واوصى بها ابراهيم) فى البقرة رسمت فى بعض المصاحف بواوين قبل الصاد من غير ألف بينهما وفى بعضها باثبات الالف بين الواوين ونحو : " وسارعوا الى مغفرة من ربكم " بآل عمران رسم فى بعض المصاحف الواو قبل السين : وفى بعضها بحذف الواو، ونحو (فان الله هو الغنى) فى الحديد كتب فى بعض المصاحف باثبات ضمير الفصل هو وفى

بعضها بحذفه وانما لم يكتبوا هذا النوع من الكلمات برسمين معا فى مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكررا بقراءة واحدة، وليس كذلك ، بل هما قراءتان : نزل اللفظ فى احداهما بوجه وفى الثانية بوجه آخر من غير تكرار فى واحد منهما • كذلك لم يكتبوا هذه الكلمات برسمين أحدهما فى الأصل والثانى فى الحاشية لئلا يتوهم ان الثانى تصحيح للأول ، وأن الأول خطأ • على أن كتابة احدهما فى الأصل والاخر فى الحاشية تحكم وترجيح بلا مرجح"[1]

استمر المصحف مجردا عن الشكل الذى يوضح اعرابه ، وعن النقط الذى يميز الاحرف المعجمة عن المهملة حتى عهد التابعين عندما كثر اللحن فى القرآن بسبب دخول كثير من الاعاجم فى الاسلام فبعث (زياد)[2] والى البصره (الى أبى الاسود)[3] وقال له ان هؤلاء الاعاجم قد افسدوا لغة العرب فلو وضعت شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله تعالى فأبى فاحتال عليه حتى وافق ، ثم اختار أبو الاسود رجلا من عبد القيس وقال له خذ المصحف وصبغا يخالف لونه لون مداد المصحف فاذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف فاذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف — أى أمامه — واذا كسرتها فاجعل النقطة فى اسفله فاذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة أو تنوينا فانقط نقطتين فبدأ بأول المصحف حتى آخره[4] " واستمر الأمر على هذه

---

(١) عبد الفتاح القاضي : تاريخ المصحف ص ٥٣ و ٥٤ .

(٢) ابن أبيه كما اشتهر أو ابن أبي سفيان كما نسب .

(٣) الدؤلي انظر ترجمته في إنباه الرواة ١/١٣ - ٢٣ .

(٤) عبد الفتاح القاضي المصدر السابق ص ٧٥ بتصرف يسير .

الحال حتى (كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه فسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال ان (نصر بن عاصم)[1] قام بذلك "والحروف المشتبهة انما هى المهملة والمعجمة كالحاء والجيم والخاء والغين والدال والزال ونحوها . فكان ذلك هو نقط الاعجام لأنها كلها كانت مهملة ، ثم ان علامات الاعراب دخل عليها شيء من الاختزال والتحسين حتى آلت الى ماهى عليه اليوم وكذلك حصلت فى المصحف التجزئة فقام جماعة فقسمته الى ثلاثين قسم كل قسم سمته جزءا وقسمت الجزء الى حزبين والحزب الى اربعة ارباع على ماهو عليه اليوم .[2]

أما تاريخ المصحف فى عهد الطباعة فهذه خلاصة لكلمة الشيخ القاضى فى هذا الصدد[3] : لما انشئت المطابع فى مصر وغيرها كان لها جهد هام المشكور فى العناية بالمصحف فى ابرازه فى ابهى صورة وابدع منظر واخراجه على اشكال شتى والوان متنوعة وحجوم مختلفة غير أن هذه المطابع لم تراع أن يكون المصحف فى كتابته على قواعد الرسم العثمانى الذى كتب به فى عهد عثمان رضى الله عنه بل طبعته مطابقا لقواعد الاملاء الحديثة اللهم الا فى النذر اليسير ظللت المصاحف هكذا زمنا غير قصير حتى قيض الله لها علما من أعلام القرآن هو المغفور له الشيخ رضوان بن محمد (المخلاتى) فكتب مصحفا جليل الشأن ، عنى فيه بكتابة الكلمات على قوانين الرسم العثمانى ، كما عنى فيه ببيان

---

(١) التابعى هو أحد قراء البصرة توفى سنة ٨٩ هـ (انظر ترجمته فى طبقات القراء ص ٣٣٦/٢).

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ١٢٥/١ .
(٣) تاريخ المصحف ص ٩١ – ٩٤ بتصرف يسير .

عدد أى كل سورة فى أولها عند علماء العدد المشهورين وقد وضع على الفاصلة المختلف فيها اسم من يعدها ، وقد بنى ايضا اماكن الوقف الستة عنده ووضع عليها علامات فأشار الى التام بالتاء ، والى الكافى بالكاف ، والى الحسن بالحاء والى الصالح بالصاد والى الجائز بالجيم ، والى المفهوم بالميم ، وقد طبع هذا المصحف بالمطبعة البهية فى القاهرة سنة ١٣٠٨هـ بيد أنه لم يبرز فى صورة حسنة تروق الناظر لرداءة ورقه وسوء طبعه لكونه طبع فى مطبعة حجرية .

ثم كان أن وجهت مشيخة الازهر عنايتها الى المصحف فكونت لجنة من العلم هم الشيخ محمد على الحسينى الشهير بالحداد شيخ المقارئ المصرية الاسبق والمرحومين الاساتذة حفنى ناصف ، ومصطفى عنانى وأحمد الاسكندرى كونت هذه اللجنه للنظر فى المصحف رسما وضبطا فقامت بالمهمة فكتبت المصحف على قواعد الرسم العثمانى وضبطته بما يوافق رواية حفص وبنيت ترجمة كل سورة ، عدد آياتها على مذهب حفص المذكور وأنها مكية ومدنية وأنها نزلت بعد سورة كذا ، ووضعت لكل آية رقمها الخاص بها كما وضعت علامات للوقوف والاجزاء ، والاحزاب ، والارباع ، والسجدات ، والكشتات . ثم قسمت الوقف الى ستة اقسام ، الأول مايلزم الوقف عليه ولا يصح وصله بما بعده ووضعت له علامة هى الميم المفرده هكذا (م) الثانى : ما يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده كما يصح وصله بما بعده غير أن الوقف عليه أحسن من وصله بما بعده ووضعت له علامة (قلى) وأصلها الوقف أولى الثالث : مثل الثانى غير أن وصله بما بعده أرجح من الوقف عليه ووضعت له علامة (صلى) وأصلها الوصل أولى : الرابع ما يجوز فيه الوقف والوصل على السواء من غير ترجيح ووضعت له علامة (ج) الخامس مالا يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده

فاذا وقفت عليه الانقطاع للنفس أو استراحة أو نحو ذلك تعين عليه أن يرجع فيصله بما بعده وعلامته (لا) السادس : وقف المعانقة : وهو أن يكون هناك موضوعان يصح الوقوف على كل منهما ولكن اذا وقف على احدهما امتنع على الآخر ووضعت لها تين العلامتين (∴ ∴) ومثلت لكل هذه الاقسام :

ومع تقديرنا لهذه اللجنه يقول الشيخ القاضى أنه لاحظ على طبعتها الأولى للمصحف بعض الهنات فى الرسم والضبط والوقوف وترجمات السور ولما نفدت طبعته وقررت ادارة دار الكتب المصرية اعادة طبعه طلبت من الازهر تكوين لجنة لمراجعة المصحف بمناسبة الشروع فى اعادة طبعه فكونت تحت اشراف شيخه الازهر لجنه مكونه منى ومن اصحاب الفضيلة الشيخ محمد على النجار : والمرحوم الشيخ محمد على الضباع شيخ المقارىء المصرية السابق ، والمغفور له الشيخ عبد الحليم بسيونى ، فقمنا بمراجعته على امهات كتب القراءات ، والرسم والضبط ، والتفسير ، وعلوم القرآن وعملنا — جهد الطاقة على اصلاح مالوحظ على الطبعة الأولى واستدركناه فى الطبعة الثانية وماتبعها من طبعات ٠أهـ ٠

هذا ولقد طبع المصحف فى كثير من البلاد الاسلامية وغيرها — هذا باجاز تاريخ المصحف من يوم نزوله الى هذا الوقت ولا يفوتنى أن اشير الى أنه كما كتب القرآن وحفظ فى الصدور كذلك قد سجل على الاشرطة وجمع جمعا صوتيا على مختلف القراءات بأصوات كبار المقرئين فى العالم الاسلامى ٠

كلمة عن الطاعنين ومطاعنهم قديما وحديثا

—

انهم يهود، ونصارى، وملحدون، وخارجون عن الاسلام، أو مسلمون مخدوعون، أو مجتهدون مخطئون، أو جاهلون بالاسلام اعطاهم جهلهم به جرأة عليه .. وقد يما قيل المرء عدو ما جهل ولفعمون يسابقون الى ما يعتقدونه صوابا
وحاقدون أعماهم حقدهم عن رؤيته غير محجوب وصدق من
قال: إن عين السخط تبدى المساوى ..!

وليس فى الاسلام والحمد لله مايسئ وانما توهموا ذلك، بل ذهبوا لأبعد منه بأن رأوا بنظرهم القاصر محاسنه — وكله محاسن — معائبا ..

إنهم حينما يطعنون فى القرآن إنما يفعلون ذلك ظلما وزورا، ويزعمونه بهتانا وجورا وليس بضار الحق شيئا مازعموا، وان القرآن لمعجز وهو آيات بينات فإن أنكروها، أو لم يظهر لهم إعجازه، فليس ذلك لخفاء فيه وإنما كمايقول الشاعر: قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم فانهم يعرفون أنه حق وربما اقتنعوا به فى قرارة انفسهم، ولكن بدا لهم تشويه تلك المحاسن، وتحريف هذا الواقع لغرض مافى انفسهم، وذلك ماسيأتى بيانه ان شاء الله فى الاجابة على سؤال هو : لماذا الهجوم على القرآن والتى ستأتى قريبا فى هذا المدخل، وعموما فإن القوم ليس براضين عنا ولا نحن بساعين لرضاهم لأنهم لن يرضوا عنا الا بالتخلى عن هذه العقيدة كحد أدنى، ولن يرضوا الرضا كله .. الا بانقيادنا لهم واتباعهم، وصدق الله العظيم حيث يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(1) هؤلاء

---

(1) البقرة : الآية ١٢٠ .

الذيـــن علموا من قبل أن هذا القرآن حق فكتموا ذلك بل ذهبوا الى أبعد فى غيهم بطعنهم فيه وفى من أرسل به عليه الصلاة والسلام (وبنى بعضهـــم لانفسهم مكانات زائفـــة على حساب الطعن فيـه والافتراء عليه والتطـاول على قدسيته ومقامه بالاعراض عنه والصد عن سبيله ، وقلدهم فى ذلك آخـرون تقليدا أعمى ، من دون فكر ولا نظر ، بل يـــرددون فقط مايسمعون من الإعداء وان أعداء الاسلام اليوم هم اعداؤه القدامى فاليهود هم اليهود والنصارى هم النصـــارى والمنافقون هم هم والملحدون الا ولون هم هم والمرتدون واليوم ما اكثرهـم ... وهؤلاء جميعا انما يرجعون فى الحقيقة الى اصلهــــم الأول فالطاعنـــون فى القرآن قديما هم انفسهم الطاعنون فيه اليوم أولئك آباؤهــم وهؤلاء احفادهم الذين حملوا راية الخزى من بعدهم وألبسوها ثوبا جديـــدا حاكـــوه مكرا وخداعا وبعثوه من جديد يعلنون عنه بابواق جوفاء وان هى فى الحقيقة الا أكاذيب مفتراه — فالمطاعـــن اليوم لمن يتأملها يجد أنها هـــى القديمة بعينها وان اختلفت فى اللون والشكل ولكن المضمون فى الغالب هـــو المضمون ولسنا بحاجة الى ذكر شىء من المطاعن فى صورها القديمة فقد حواهـا القرآن وقد أوردنا بعضا منها ضمن الآيات المختارة فى مفتتح هذه الرسالـــة وسيأتى فصل فى الباب الثانى نذكر فيه عددا منها نستدل بها على أن القـرآن لا يمكن أن يكون من عمل محمـــدا — صلى الله عليه وسلـم — وهذه المطاعــــن مـذكورة فيه ، على أن المطاعن قديمها وحديثها قد استهدفت القرآن من كـــل جانب ، مباشرة وبطريق غير مباشر، فلقد طعنوا فى القرآن من حيث مصدره ، ومـــن حيث سلامته ، ومن حيث اعجازه ، ومن حيث عالميته ، ومن حيث صلاحيته كمنهج شامـل للحياة . كما طعنوا فى الرسول الكريم — عليه صلوات الله وسلامـه —

ولا ريب أن الطعن فى الرسول من صميم الطعن فى القرآن ، وأركز على هذا لأن أحد أهل العلم استشرته قد نصحنى بأن لا أضمن دفع المطاعن عن القرآن هذا الأمر لأن ذلك فى تصوره موضوعا منفصلا خلاف الذى نحن بصدده فانه لايستطيع أن يسميه طعنا فى القرآن فلا يرى لذلك وجها حيث لا يتأتى فى نظره — أن يندرج علميا تحت المطاعن التى توجه الى القرآن وفهمه أن الرسول — صلى الله عليه وسلم شىء والقرآن الكريم شىء آخر ويكون ذلك ممكنا فى نظره لو كانت مهمتى فى البحث هى معالجة المطاعن التى وجهت الى الاسلام بصفة عامة لأن الطعن فى كل من الرسول الكريم والقرآن طعن فى الدين وخروج عنه ، ومع احترامى لهذا الرأى وصاحبه ومن يرى ذلك غيره ، اجدنى غير موافق عليه فهل الدين الا القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام وحديثه ؟ وهل القرآن قرآن من غير الرسول وهو من أوحى اليه به ؟ !

هذا .. ويرى بعض أهل العلم الثقيت بهم أن الطعن فى الرسول — صلى الله عليه وسلم — طعن فى القرآن الكريم ، ولكن بطريق غير مباشر ، ووجهة نظرهم أن الطاعنين انما أرادوا القرآن ومهدوا لذلك بالطعن فيمن ارسل به وفى حسابهم أنهم متى ما تمكنوا من النيل منه فقد أوشكوا أن يصلوا الى غرضهم لأنه عليه الصلاة والسلام هو طريق القرآن الى البشرية وناقله اليهم ، ومتى ما تعطل الناقل واثقلته الجراح فقد ضمنوا بذلك أن يتعطل المنقول وذلك مايحصل بداهة اذا ما فقدت الثقة فى الناقل وهذا مايسعون إليه ، وهؤلاء العلماء يلحظون هنا ثمة علاقة بينهما هى التى بين الناقل والمنقول ..

ولا الوم احدا رأى هذا الرأى فقد بدا لى ذلك أول الأمر ولكن ما لبثت أن ظهر لى ما هو الحق ان شاء الله ، حيث تبين لى أن الطعن فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم طعن مباشر وصريح فى القرآن فهما متلازمان لا ينفكان بحال من الأحوال ممتزجان حتى لكأنهما شىء واحد بل هما شىء واحد بالفعل واليك الدليل وأحسبه قويا يقنعك ، ولكن قبل ايراده أرى أن ماذهب اليه هؤلاء العلماء أكثر ما يصدق انما يصدق على الطعن فى السنة النبوية *(والطعن فيها)* . طعن فى القرآن غير مباشر وذلك ما سيأتى بيانه ان شاء الله فيما بعد ..

لقد كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى جميع احواله يمثل القرآن الكريم ، حركة وسكونا ، اشارة ونطقا ، قلبا وقالبا ، لقد كان تطبيقا له ظاهرا وباطنا ، لقد كان قرآنا بحق ، ومن هنا جاء وصف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلقه فقالت (كان خلقه القرآن) والحق اننا حينما نريد أن نكون صورة واضحة تامة عنه صلى الله عليه وسلم ، فان الطريق الوحيد لذلك انما هو القرآن ، فكل معنى للانسانية يوحى به القرآن ، وكل مثال عال للبشرية يشير اليه القرآن ، انما هو تفسير وتوضيح للصورة النبوية الكريمة والعكس أيضا صحيح ، فان المتأمل فى الصورة النبوية الكريمة عن طريق السيرة الصحيحة والاحاديث المعتمدة يفهم منها تفسيرا وايضاحا لجوانب من القرآن الكريم ، لقد امتزج به روحا وخلقا وجسما كما تقدم ، وامتزج القرآن به عقيدة واخلاقا وتشريعا ، فكان قرآنا يسير بين الناس ، وكان القرآن روحا يتنقل وقلبا ينبض ولسانا ينطلق بالهداية والارشاد (١) . وعليه فالطعن فى الرسول عليه الصلاة والسلام طعن صريح ومباشر فى القرآن الكريم ..

---

(١) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : د. عبد الحليم محمود شيخ الازهر الصفحات ٨ = ١٠ بتصرف واختصار فيه ..

هـــذا .. ولقد طعن الاعداء كما اشرنا من قبل فى السنة النبوية وهذا كما يقول أهل العلم[1] طعن فى القرآن ، فأخبروا أن الذى ينكر حجية السنــــة أو يطعن فيما بعد سنة صحيحة فقد طعن فى القرآن الكريم واليك بعض الأدلــة على ذلك فى ايجاز شديد . ولنحاول استخلاصها من القرآن الكريم نفسه خلال [illegible] :

يقول تعالى : مخاطبا رسوله — عليه الصلاة والسلام (وأنزلنا اليــك الذكر لتبيــين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكـــرون) النحل فالبيان كما يقول أهل العلم انما يكون بهذه السنة التى هى اقوال وافعال وتقرير وصفـــات .

وقوله تعالى (وما آتاكـم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) المائدة فليـس الأمر مقصورا على القرآن وانما ما أمر به الرسول ونهى كذلك كمـا هو صريح الآية .. يؤكد ذلك قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعــوا الله واطيعوا الرســول وأولى الأمر منكم) النساء

ويقول تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليه آيتـــه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه) الجمعة وقد قال بعض علماء التفسير ان الحكمـــة هى السنة .[2]

وقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) ولا يتحقق معـنى التأسى به صلى الله عليه وسلم الا بالأخذ بأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاتـــه وتلك هى السنة .

---

(١) معارف الفقه، انظر السيوطي: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص٥.

(٢) انظر الشوكاني: فتح القدير، ٥/٢٢٥.

يؤكد ذلك أيضا قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) النجم .

وقوله تعالى (وانك تهدى الى صراط مستقيم) والهداية هنا انما هى الارشاد والقدوة الحسنة وذلك هو السنة وهناك كثير من الاحاديث فى هذا الصدد لايسع المجال ذكرها فاكتفينا بالقرآن .. وعلى كل حال : لقد اشتمل القرآن على السنة وللعلماء فى بيان ذلك خمس طرق أوردها السباعى رحمه الله عليه فى كتابه السنه ومكانتها .. وأهمها فى نظرى ما يأتى :

١ — ان القرآن كما رأيت من الآيات قد دل على وجوب العمل بالسنة فكل عمل بما جاءت به السنه هو عمل بالقرآن . وهذه كما ترى طريقة عامة . وأخذ بها عدد من الصحابه منهم ابن مسعود الذى أتته امرأة فقالت: بلغنى عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال ومالى لا العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله فقالت لقد قرأت بين لوحى المصحف فلم اجده قال لئن كنت قرأتيه لوجدتيه قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧

٢ — أن فى القرآن مجمل والسنه مفصله له .. وهذه هى الطريقة المشهورة عند أهل العلم فالسنة مثلا قد بينت الصلوات على اختلافها ، فى مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر احكامها ، وبينت الزكاة فى مقاديرها وأوقاتها ونصب الأموال المزكاة وبينت احكام الصوم مما لا نص عليه فى القرآن وكذلك احكام الحج وغيره مما أجمل فى القرآن ..(١)

(١) مصطفى السباعى : السنة ومكانتها :انظر الصفحات ٢٨٦—٢٨٩

هذا ولداعية الاسلام الشيخ المودودى رحمه الله كلمة فى هذا الصدد نسوق اليك طرفا منها يقول فيها : اولا ان من الحقائق التاريخية الثابتة التى لا تقبل الانكار والجحود أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان قد اكتفى — بعد أن أكرمه الله تعالى برسالته بتبليغ الناس القرآن بتلاوته عليهم ، بل كان إلى ذلك قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها ، مجتمع اسلامى خالص ، ونظام جديد للمدنية والحضارة ، وقامت دولة واسعة فى بلاد العرب ، فالسؤال الذى ينشأ فى هذا الصدد أن جميع هذه الاعمال التى قام بها الرسول عليه الصلاة والسلام علاوة على تبليغه القرآن بالتلاوة بأى صفة وعلى أى اعتبار قد قام بها ؟ هل كان قيامه بها من حيث كونه رسولا من الله ممثلا لمرضاته ، كما يمثل القرآن مرضاته أم كانت رسالته تنتهى بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يعد بعدها الا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ، ولا عبرة بفعله فى حد ذاته من الوجهة القانونية فاذا سلمنا بالصورة الأولى فلابد أن نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن ، وأما فى الصورة الثانية فلا مبرر البتة لجعلها من القانون .

ثانيا : أما القرآن فبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب بل كان — الى ذلك — اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين أن يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويتخذوا حياته أسوة لأنفسهم ..

وأما العقل فيأبى كل الاباء أن يعترف بقول من يقول أن الرسول انما هو رسول حين يتلو على الناس كلام ربهم وما هو بعد ذلك الا رجل مثل سائر الرجال ، أما المسلمون فهم منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، مازالوا فى كل مكان

وفى كل زمان مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة الاتباع . وأن كل أمر من اوامره يجب الأخذ به . وكل نهى من نواهيه يجب الوقوف عنده ،ان هذه هى العقيدة التى مازال ولا يزال عليها المسلمون حتى أنه لاتكاد تجد عالما من غير المسلمين يجحد بهذه المكانة للرسول صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وأنهم لأجل هذا مازالوا يعتبرون سنته مصدرا ثانيا لقانونهم بعد القرآن وليت شعرى كيف يجوز لرجل فى هذا الزمان أن يتحدى هذه المكانة للسنة ، مادام لايعلن أعلانا واضحا سافرا أن محمدا صلى الله عليه وسلم — انما كان نبيا الى حد القائه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهى بمجرد انتهائه من تلاوته على الناس ، ثم ان هذا الرجل اذا كان يزعم ذلك عليه أن يبين ما اذا كان هو نفسه جعل للرسول هذه المكانة أو أن القرآن هو الذى أنزل الرسول هذه المنزلة . أما فى الصورة الأولى فلا علاقة له بالاسلام ، وأما فى الصورة الأخرى فعليه أن يثبت لنا ذلك بنص من نصوص القرآن وهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين "(١)

من هذا وغيره يتبين لنا أن الطعن فى السنة طعن فى القرآن الكريم ولا ريب .هذه هى المطاعن التى وجهت الى القرآن الكريم مجملة ، وغيرها يندرج تحتها لايخرج عن ذلك كما دلنى استقرائى من خلال ما هو مجموع عندى من مادة وان كنا فى هذه الرسالة سنعالج منها — فقط — مطاعن وجهت الى القرآن من حيث مصدره الا اننا تعرضنا اليها جميعا لنلفت اليها الانظار مسبقا ولبيان أن المطاعن قد وجهت الى القرآن من جوانب مختلفة أن كل

---

(١) ابو الاعلى المودودى : مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة ص١٥٣ — ١٥٤

المزاعم التى توجه إلى القرآن الكريم ما اشرت إليها أولم أشر اليها تستهدف فى الحقيقة مصوره وكلها فى الواقع انما ترمى إلى نفى الصلة بين هذا القرآن وبين السماء للوصول إلى أنه ليس إلا صنعة بشرية ، غير أن ما يندرج تحت عنوان الرسالة أساسى فى هذا الشأن وما سواه تابع له ولا أريد بهذا أن استصغر من شأن هذه الطعون التى جعلتها تابعة ، أو اقلل من خطورتها كلا فليس فى المطاعن التى توجه إلى القرآن خطر واخطر ، أو ضار واخف ضرر ولكنها كلها فى مقام واحد ، والقرآن كل لا يتجزأ فكل شبهة أو مطعن يرد على جزء منه انما ينسحب عليه جميعه غير أنى لمست فى الذى سيعالج فى هذه الرسالة ميزة افتقدتها فى غيرها جعلتها صالحة للانفراد بهذه الرسالة، وهو كونها مباشرة وصريحة فى طعنها فى المصدر وان كان غيرها كما اسلفت القول يتجه إلى المصدر أيضا وينسحب عليه .. ولو جعلت الأمر فى درجة واحدة لما تمكنت من التبويب والتفصيل لهذه الرسالة للكثرة المتناهية .. ولكن المطاعن تتفاوت ملاءمة بين نوع وآخر وهذا ما استندت اليه فى التقسيم وان كانت متداخلة أحيانا تداخل بين نوع وآخر ولكن يكون وضعها فى مكان أنسب منه فى مكان آخر كما سنمثل له فيما بعد ولكن ليس قبل أن نفصل لك بعض التفصيل فيما سبق أن اجملناه لأنواع المطاعن لأنه قد يكون من الجميل ونحن بصدد كلمة عن الطاعنين ومطاعنهم أن نشغل ذلك لمعرفته .. أما المطاعن التى وجهت الى القرآن من حيث مصدره فلا داعى لذكرها فى هذه الفقرة لكونها تستأثر بالرسالة كلها وفى كلمة لابد منها فى آخر فقرة فى المدخل سيكون هناك عرض مفصل لها .. إن شاء الله .

أما المطاعن التي وجهت الى القرآن من حيث سلامته فما أكثرها أنواعا وعددا فقد قالوا إنه لم يسلم من الزيادة والنقصان ، وقالوا انه قد حرف[1] : وقالوا انه متناقض[2] ، وقالوا إن فيه اضطرابا وتفككا[3] ، وقالوا أن فيه لغوا من الكلام وقالوا ان فيه ركاكة في الأسلوب الى غير ذلك ... وقالوا انه غير متواتر وهذا يعني عدم سلامته في نقله الى غير ذلك وحتى نبين أن هذا الافتراء قديم

---

(١) هذا ما شنعت به الرافضة وألفوا في ذلك كثيرا في الكتب منها التحريف للبرقي ، وله أيضا التنزيل والتغيير ، وكتاب التنزيل في القرآن والتحريف لعلي بن الحسن ابن فضال ، والتنزيل والتحريف للحسن بن سليمان وكتاب : فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الارباب للنووي الطبري المتوفي سنة ١٣٢٠ هـ وكتاب : تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين لميرزا سلطان الدهلوي وغير ذلك انظر كتاب السنة والشيعة لاحسان الهي ظهير . الصفحات ١٤٩ — ١٥١

(٢) وهذا ما شنع به جولد زيهر حيث يقول " أما القرآن فقد كان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادي في تعاليمه موضع ملاحظات ساخرة" العقيدة والشريعة ص٧٩ ترجمة محمد يوسف موسى .

(٣) هذا ما زعمه جولد زيهر حيث يقول " ان النص القرآني كان مضطربا ليست له صيغة موحدة وهذا ما جعل عثمان يقوم بمحاولة لتوحيد النص وان محاولته كان مصيرها الاخفاق " في كتابه مذاهب التفسير الاسلامي تعريب عبد الحليم النجار ص٦ وفيه يقول أيضا في نفس الصفحة " فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقوم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في القرآن "

لنستمع الى الباقلانى الذى عاش فى القرن الرابع حتى بداية الخامس يقول[1]

" أما بعد فقد وقفت على ماذكرتموه من شدة حاجتكم الى .... ابطال

ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه ، وتغييره ، ودخول الخلل فيه ، وذهاب

شىء كثير منه ، وزيادة أمور فيه ، وما يدعيه أهل الالحاد وشيعتهم من

منتحلى الاسلام من تناقض كثير منه ، وخلو بعضه من الفائدة ، وكونه غير

متناسب وما ذكروه من فساد النظم ودخول اللحن فيه ، وركاكة التكرار

وقلة البيان وتأخير المقدم وتقديم المؤخر الى غير ذلك من وجوه مطاعنهم "

ويقول الاعداء عن القرآن : ان بعضه غير بليغ ، وأنه يشبه قول الكهان[2]

وانه فيه شعر وأنه سحر الى غير ذلك من المطاعن التى أوردها على إعجاز

القرآن الكريم ،... أما الطاعنون فى عالميته فقد قالوها صريحة[3] " وكذلك

الذين يقولون باستمرار النبوة وأنها لم تختم به صلى الله عليه وسلم ، الى آخر

مايوردون فى هذا الصدد ...

وأما الطاعنون فى صلاحيته كمنهج للحياة فقد طعنوا فى تشريعات كثيره

---

(١) فى مقدمه كتابه نكت الانتصار

(٢) وايضا هذا زعم جولد فى العقيدة والشريعه ص٢٢

(٣) يقول توماس كارليل فى كتابه قادة الاديان واقوامهم طبع نيويورك ١٩١٩

" ان القرآن فى أول سورة يوضح أن كل نبى ارسل الى قومه فيقول رسولا

الى فرعون وقوم نوح ومثل هذا محمد . اذ لم يكن بدعا من الرسل

على حد تعبير القرآن فهل كان مرسلا الى بنى نوع البشر لا بل الى أهل

مكة خاصة " والنص من كتاب موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية

لمحمد علوى مالكى ص٢٤ .

جاء بها القرآن ، كالحدود ، وتعدد الزواجات ، والمواريث ، والجهاد ، وتشريعات عبادية أخرى كالحج والصوم ونحوه وقولهم بأن الاسلام هو السبب فى تأخر المسلمين ، وأقصاء للقرآن من التحكيم من جانب حكام المسلمين وهم قادرون على ذلك لا يفسر الا بأنهم يطعنون فى صلاحيته كمنهج للحياة ، أما شموله فلقد أوردوا فى ذلك مطاعن منها قولهم ان القرآن ليس فيه حلول لمشكلة الاقتصاد ، وانه خلو من الناحية الاخلاقية والروحية الى غير ذلك أما المطاعن التى وجهت الى شخص النبى — صلى الله عليه وسلم — فكثيرة جدا نمثل لها بما يلى :

جاء فى موسوعة لاروس الفرنسية[1] " بقى محمد مع ذلك ساحرا ممعنا فى الفساد ، لص نياق كردنا لا لم ينجح فى الوصول الى كرسى البابوية فاخترع دينا جديدا لينتقم من أعدائه "

" قال بعضهم " وان محمدا فى الحقيقة عابد أصنام لأن ادراكه لله فى الواقع (كان كبيرا)[2]

وسماه بعضهم كذاب مكة "[3] وقالوا فيه رجلا شهوانيا[4] وقالوا غير ذلك كثيرا .. أما الآن فلنا وقفة مع الذين تولوا كبر الطعن فى هذا القرآن وهو ما تمثله الفقرة التالية :.

---

(١) والنص عن التعبير الفنى فى القرآن د.بكرى شيخ أمين ص١٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٤٢ .

(٣) نفس المحل .

(٤) ركز عليها كثير من المستشرقين منهم ، ومر منجام ، وواشنطن ارفنج ، ولامانس انظر الاسلام بين الانصاف والجحود ص١٣٧ لمحمد عبد الغنى حسن .

وقفه مع الذين تولوا كبر الطعن فى القرآن فى هذه العصور

المتأخرة .. أولئك هم المستشرقون فمن هم ؟ ..

انهم " جماعة من علماء الغرب ، من مسيحيين ويهود وملحدين درسوا اللغات الشرقية من عربية وفارسية وعبرية وسريانية وغيرها وتوفر كثير منهم على دراسة اللغة العربية والاطلاع الواسع على علومها ومعارفها لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لالقاء كثير من المفتريات والأباطيل فى محيط الاسلام للتهوين من شأن الدعوة الاسلامية والتقليل من أثرها فى الحياة وفى الارتقاع بالمستوى الانسانى بدورها فى انقاذ الانسانية وتحريرها من العبودية واخراجها من الظلمات الى النور " (١)

ولما بلغ اهتمام القوم بالشرق هذه الدرجة فقد سموا بالمستشرقين والاستشراق : مصدر الفعل (استشرق) أى اتجه الى الشرق وليس ذى اهله ، ولقد اتخذ المستشرقون من دراسة لغات الشرق وسيلة للاتجاه اليه " (٢)

أما كيف بدأ الاستشراق فقد كان ذلك " عندما كانت الاندلس منارة للعلم والمعرفة التى يذهب الطلبة الاوربيون للتزود بها كما يذهب ابناؤنا الآن ..

أولئك كانوا أول من تعلم العربية وأطلع على الاسلام ، وقد عادوا من بلاد الاسلام ، وعادوا من مدارس المسلمين يتكلمون اللغة العربية

---

(١) مجلة الجامعة الاسلامية العدد الثانى السنة العاشرة رمضان سنة ١٣٩٧ بحث الاستاذ عبد المنعم حسنين لموءتمر توجيه الدعوة واعداد الدعاة العالمى الأول ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨١ .

ويحملون فى قلوبهم وعقولهم تأثرات اسلامية ، وبلغة العصر الحديث والتشبيه مع الفارق كانت الكنيسة تعتبرهم غزوا فكريا اسلاميا بالنسبة لأوروبا ، ولهذا فزعت الكنيسة من هولاء المتعلمين الى مدارس المسلمين . ولتعلموا مدى فزع الكنيسة فلتستمعوا الى هذا القرار الكنيسى الذى تقول فيه الكنيسة (ان هؤلاء الشبان الرفعاء الذين يبدأون كلامهم بلفات بلادهم ثم يكلمون كلامهم باللغة العربية ليعلم عنهم أنهم تعلموا فى مدارس المسلمين هؤلاء ان لم يكفوا عن ذلك فستصدر الكنيسة ضدهم قرارات حاسمة "(١)

ولقد كان ذلك فى العصور الوسطى وتلك قرون يعدونها مظلمة فى أوروبا كانت تعيش فيها الفرنجة حياة همجية بائسة فى ظل كنيسة جائرة متسلطة ففى ذلك الوقت كانت الحضارة الاسلامية فى الاندلس فى أوج مجدها حيث كانت الاندلس مركزا حضاريا فى هذا الجزء من أوربا الذى انفتحت فيه كنافذة فى جنوبها لتطل منها اليها الحضارة الاسلامية تشع آثارها من خلالها فى كل أوروبا ، وكان لذلك أثر كبير فى حياة الشعوب الأوروبية حيث أخذ الفرنجة — كما قدمنا — يرتادون الاندلس فينهلون منها علما وحكمة وحضارة ورقيا ، ويكفى دلالة على تلك الحضارة أن تكون قرطبة وحدها مكونة من (٢٥٠) الفا من القصور والمساكن الراقية يسكنها مليون من البشر ، مسلمين ، ويهود ونصارى .. ولقد كان دكان النسخ الواحد فيها يحتاج الى (١٧٠) جارية لنقل المؤلفات النادرة لطلاب الكتب ولقد كان فى قصر الخليفة وحده (٤٠٠) الف كتاب ...(٢) هذا ولقد " كانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام اوروبا

(١) من محاضرة محمد قطب فى الجامعة الاسلامية عن المستشرقين التى نشرتها المجتمع فى عدد ربيع الأول سنة ٣٩٧ (العدد ٣٢٠ السنة السابعة .

(٢) انظر العقاد : أثر العرب فى الحضارة الاوربية ص ١١٥ — ١١٩ ، ط/دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ..

من الشرق وهى الحملات الصليبية على بلاد الاسلام ، فقد جلب الصليبيون معهم الى اوربا كثيرا من عادات المسلمين وازيائهم وانماط حياتهم ووسائلهم فى الحرب والبناء فارتفعت الحصون والقلاع والكنائس فى اوربا متخذة فى أشكالها هندسة البناء الشرقى الاسلامى ، هذا الى جانب ما حملوا هم أوحمله اليهم سفراء المسلمين وبعثاتهم من انواع الثقافة وتحف الحضارة الاسلامية فى العصور المختلفة حتى عصر العثمانيين ..

ولا شك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفا عسكريا فحسب بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنتشر معالمها فى كل بقعة تصل اليها فتغيره من حياة الشعوب وافكارهم وعقائدهم واسلوب حياتهم وكان بداية تأثير الحضارة الاسلامية على شعوب اوربا أن ملوك الفرنجة بدأوا يحاولون التخلص من نفوذ الكنيسة وتسلطها الرهيب ، وقد كانت الكنيسة فى تلك العصور اذا اعطت صكا بالرضاء والغفران لواحد منهم استقر ملكه واطمأن على كرسيه ، فان غضبت على احدهم فحكمت عليه بالكفر والجحيم نهش الناس ملكه ومزقوه اربا اربا ..

ووضع كثير من المفكرين الذين فتحت الحضارة الاسلامية أعينهم .. الكنيسة موضع المناقشة والاتهام ، حتى تجلت تلك المناقشات عن حركة انشقاقية فى قلب الكنيسة عرفت فيما بعد باسم الكنيسة البروتستانتية ..

وحاولت الكنيسة فى روما إيقاف هذا المد ففتحت محاكم التفتيش تنكل وتحرق وتقتل كل من رفع راية العصيان فى وجهها أو حاول التخلص من سيطرتها فعرف الاوربيون حينذاك أبشع عصور الاضطهاد الدينى والفكرى ..

ورغم بطش الكنيسة فإنها عجزت عن ايقاف التيار فاضطرت إلى أن تدافع

عن نفسها بطريقة أخرى "[١] وهي أنها قد جندت " كتابا ليكتبوا ضد الاسلام ليدفعوا خطره عن اوروبا بتشكيكهم الناس فيه لا سيما القرآن الذى يقولون عنه بانه ليس من عند الله وانما من عند محمد ، وبشتمه صلى الله عليه وسلم ورميه بأفزع انواع السباب الى غير ذلك من صور التشويش والتزوير فى الحقائق "[٢]

ومن ثم فقد كانت " طلائع المستشرقين من القسس والرهبان فانكبوا على دراسة اللغة العربية . وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة فى أوروبا ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها .. ومن هنا بدأ الاستشراق فى الانحراف ..

وانشىء أول مركز لدراسة اللغة العربية فى الفاتكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ..

ورحل أول فريق من الرهبان الى المغرب للغاية نفسها فقتل منهم[٣] هناك عدد كثير ورحل آخرون الى المشرق الى سوريا ومصر وأمر الفاتكان بادخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى فى مدارس الاديره والكاتدرائيات وعمل على انشاء كراسى لهذه اللغات فى الجامعات فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا

---

(١) من محاضرة الدكتور عبد العزيز القارىء المستشرقون فى الميزان التى نشرتها الجامعة الاسلامية فى كتب بعنوان محاضرات الموسم الثقافى للعام الدراسى ١٣٩٣ — ١٣٩٤ هـ ..

(٢) انظر محمد قطب فى محاضرته فى المستشرقين بمجلة المجتمع العدد ٣٤٠ السنة السابعة بتاريخ ١٨ ربيع أول سنة ١٣٩٧

(٣) ومن هؤلاء الأوائل الراهب الفرنسى (جربرت) الذى انتخب بابا لكنيسة روما سنة ٩٩٩م بعد تعلمه فى معاهد الاندلس وعودته الى بلاده و(بطرس المحترم ١٠٩٢ —١١٥٦م) (وجيراردى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧) انظر حمد سنوزه الخطيب : لمحات فى الثقافة الاسلامية ص ١٨٧ .

واصبحت جامعة باريس تشكل أهم مراكز للدراسات العربية والشرقية .. واستعين بعدد من علماء اللاهوت ، وبعدد من المستشرقين اليهود عن اجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسها فى تلك المدارس ولتولى تلك الكراسى فى الجامعات ..

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس[1] فى أوائل القرن الرابع عشر بانشاء كراسى للغات : العربية والعبرية والكلدانية فى عدد من الجامعات الرئيسية فى اوربا وهى :

جامعة باريس ، واكسفورد ، وبولونيا ، وجامعة الفاتكان نفسه مع تنصيب استاذين لكل من هذه اللغات فى كل كرسى ، وتكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكلدانية للرد على منتقدى الدين المسيحى "[2]

ومن خلال ما ذكرنا يتبين لنا — وينبغى أن لا ننساه أبدا — ان الاستشراق بدأ من الكنيسة ورواده الاوائل هم الرهبان والقسس وقد كان هدفهم الدفاع عن الكنيسة ضد المتمردين عليها بسبب تأثير الحضارة والثقافة الاسلامية فيهم ويتبين لنا كذلك أن تاريخ الاستشراق وان لم يعرف بالضبط فهو قديم ..

ففى عام ١٣٥٤[3] انشئت أول مدرسة عربية فى اشبيليه من أرض الاندلس وفى القرن السابع عشر ظهر أول كتاب لمستشرق فى قواعد اللغة العربية لاربانيوس سنة ١٦١٣م ثم طبع كتاب المجموع المبارك فى التاريخ لابن العميد سنة ١٦٢٥ مع ترجمة لاتينية كما نقل القرآن اليها وطبع فى ذلك الوقت ..

---

(١) عندما قضى مجمع فينا سنة ١٣١١ برئاسته بقيام ذلك وانظر مجلة المجمع العلمى دمشق ٢٣ ص٢٤٧ مقالة محمد كرد على.

(٢) عبد العزيز القارىء من محاضرته فى الموسم الثقافى للعام الدراسى ١٣٩٣—١٣٩٤هـ وانظر نجيب العقيقى المستشرقون ١/١٣٤.

(٣) مجلة المجمع العلمى دمشق مج ٢٣ ص٢٤٧ مقاله محمد كرد على .

وأقدم المستشرقين المستعمرين (بوكوك) الانجليزي الذى توفى ١٩٦١م واعقبه مستشرق شهير آخر اسمه (دربلو) فى أواخر القرن السابع عشر وهو صاحب معجم المكتبة الشرقية الذى طبع للمرة الثانية سنة ١٧٨٣ م (١).

ودافع الاستشراق ..

مما تقدم يظهر لنا أن دافع الاستشراق فى أصله دافع دينى لارتباطه بالكنيسة والمبشرين فى الغالب ولكن هناك اسباب أخرى نوجزها فيما يلى حيث لا يسمح المجال لاسهاب فيها :.

١ ـ دافع استعمارى : فقد قصد الاستعمار الغربى احتلال البلاد العربية والاسلامية فاتجه الى دراسة هذه البلاد وشئونها، من عقيدة وتراث وعادات وثروات وغيرها بواسطة هؤلاء المستشرقين وذلك لمعرفة مواطن القوة فيها فيضعفونها ومواطن الضعف فيغتنمونها، مع بث الوهن فى قلوب أهل هذه الأرض وتفكيرهم بتشكيكهم فى فائدة ما عندهم من عقيدة وتراث وقيم فيفقدون الثقة بأنفسهم ويرتمون فى احضان الاستعمار (٢).

ومن هنا نلحظ علاقة الاستشراق بالاستعمار ومن قبل بالتبشير .

فالتبشير والاستعمار والاستشراق كما يقول الدكتور مؤنس اشبه بالحلقات الثلاثة المتداخلة (٣).

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ١٤٦/٤ .

(٢) انظر السباعى : الاستشراق والمستشرقون ص١٧ .

(٣) كتاب الاسلام والثقافة العربية نقله نزير حمدان فى كتابه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص١٥ .

٢ — الدافع التجاري : فلقد كان لرغبة الغربيين في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم وشراء موارد نا الخام بأبخس ثمن وقتل بضاعاتنا المحلية اثرها في تنشيط الاستشراق ..

٣ — دافع سياسي : وهو مقصود به توجيه السياسة نحو ما تريده دولة المستشرق الذي يكون اما سفيرا أو سكرتيرا أو ملحقا ثقافيا يحسن اللغة التي يتكلم بها أهل تلك البلاد المراد توجيه سياستها باستغلال نواحي الضعف لصالحهم ومعرفة الاتجاهات الشعبية التي تهدد تلك المصالح وهم يعلمون أن الاسلام هو مصدر قوة اولئك الناس وهو العقبة الكثيرة أمامهم فيعملون على هدمه ...[1]

٤ — دوافع شخصية " تتصل بالمزاج عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيله لاشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو من الاطلاع على ثقافات العالم القديم، ويبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عند ما ضاقت بهم سبل العيش العادية ، أو دخلوه هاربين عند ما قعدت بهم امكاناتهم الفكرية عن الوصول الى مستوى العلماء في العلوم الاخرى أو دخلوه تخلصا من مسؤولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية ، أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام اخوانهم في الدين ، وتغطية لعجزهم الفكري ، وأخيرا بحثا عن لقمة العيش ، اذ أن التنافس في هذا المجال أقل منه في غيره من أبواب الرزق "[2]

---

(١) انظر السباعي :الاستشراق والمستشرقون ص١٨

(٢) محمد البهي :الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص٥٣٣و٥٣٤

٥ ـ دافع علمي : وان كانت معظم الدوافع تستتر تحت هذا الدافع الا اننا نقصد به نفر قليل من المستشرقين اقبلوا على الاستشراق لهذا الغرض فكانوا أقل خطأ من غيرهم في فهم الاسلام وتراثه لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس فيه والتحريف فكانت كتاباتهم أقرب الى الحق والى المنهج العلمي السليم وبعضهم قد ساقه هذا ٠٠ الى الاسلام والايمان برسالته[1] ولكن هؤلاء لا يوجدون الا حين يكون لهم موارد هم المالية الخاصة التي تغنيهم عن غيرهم فينصرفوا الى البحث بأمانة واخلاص لأن تلك الابحاث النزيهة لاتلقى رواجا عند رجال الدين ولا السياسة ولا عامة الباحثين فلا تدر عليهم من المال والربح شيء لهذا فإن هؤلاء قليلون جدا في أوساط المستشرقين[2] ٠

ونحن لا يهمنا هذا الدافع العلمي النزيه لولا بعض الاخطاء فيه لأسباب سنذكرها ـ وانما يهمنا بالدرجة الأولى غيره ٠٠ تلك التي تختفي في زي العلم ولاسيما الديني ٠٠ وانما ذكرناه هنا للانصاف فان ديننا يأمرنا بذلك ، ومن الانصاف أن نذكر أن دراسات المستشرقين بصفه عامة قد ادت خدمات جليلة في مجالين :

١ ـ استيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع ، وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص والاختصاص الدقيق بحيث يقضي احدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له ٠٠

---

(١) وهؤلاء منهم محمد أسد وناصر الدين دينيه وغيرهما ممن لا يتسع المجال لذكرهم ٠

(٢) انظر السباعي : الاستشراق والمستشرقون ص ١٩.

٢ ـ الترتيب والتنسيق في منهج البحث والتأليف .. والاحصاء والفهرسة وعنايتهم بهما عناية كبيرة وكان ذلك شيئا جديدا على الدارسين في الفترة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء ...

وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون في العالم الاسلامي الى هذا المنهج المنسق الذي ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم "(1)

وهذا نورده بغض النظر عن نواياهم واهدافهم ... ولكن الذي نجده منه متأكدون أن هناك استشراقا علميا شبوها هو الغالب على كتابات المستشرقين وأصحابه هم الذين تولوا كبر الطعن في القرآن الكريم وقبل أن نعطيك أيها القارئ امثلة لانحرافاتهم العلمية وخروجهم عن المنهجية نقدم اليك قائمة بأسماء أخطر من عرفوا بتحاملهم على الاسلام وكذلك أخطر كتبهم ومؤلفاتهم التي طعنت في الاسلام حتى تكون على علم منها وبينة لتحترز منها ـ وكذلك تعريفا موجزا عن وسائلهم وامكاناتهم .. ولا نفرق في هذا بين التبشير والاستشراق فقد تقدم لنا أن الاستشراق بدأ من الكنيسة فهما سواء " والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الاكاديمي بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية ..

استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجالات العلمية ، وكرسي التدريس في الجامعة ، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة .

---

(1) محاضرات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في موسمها الثقافي للعام الدراسي ١٣٩٣ ـ ١٣٩٤هـ محاضرة الدكتور عبد العزيز القارئ المستشرقون في الميزان ..

أما التبشـــير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة وريا ض الاطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والاناث على السواء • كما سلك طريق العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات ، ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى واللقطاء ولم يقصر التبشير فى استخدام النشر والطباعة وعمل الصحافة فـى الوصول الى غايته " (١) واذا أردت تفصيلا فى هذا الشأن فعليك بكتاب التبشير والاستعمار لعمر فروخ والخالـــدى.إن الاستشراق لون من الوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة ••

واذا كان الاستشراق نوعا من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفســه يعطينا بالتالى صورة عن هدف الاستشراق " (٢) وكلا هما متمم ومكمل للآخر•

وهذه قائمة بأسماء اخطر من عرفوا من المستشرقين حسب مايحضرنــــا منهم الآن على أن نوافيك فى الخاتمة بملحق يشمل عددا كبيرا منهم ان شاء الله •

* ١ — ج — آربرى A·J·Arberry انجليزى من محررى دائـــرة المعارف الاسلامية وله مجموعة كتب منها الاسلام اليوم الذى صدر فى عام سنة ١٩٤٣ وترجمته للقرآن الكريم صدرت عام سنة ١٩٥٠ م

* الفـرد جيوم A·Guillaume انجليزى تغلب على كتاباته وأرائـــه الروح التبشيرية ومن كتبه (الاسلام) ••

* هـ — ١ — ر • جب H·A·R Gibb انجليزى من محررى وناشرى دائرة المعارف الاسلامية له كتابات كثيرة منها (الاتجاهات) الحديثة فى الاسلام صدر عام سنة١٩٤٧ والمذهب المحمدى) صدر فى نفس العام •

---

(١) البهـى : الفكر الاسلامى ص٥٢١

(٢) المرجع نفسه ص٥٢٥ •

* بـــارون كارادى Baron Carra de Vaux فرنسى من محررى دائرة المعارف الاسلامية •

* لــــوى ماسينيون : L. Massignon أكبر مستشرقى فرنســا مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال افريقيا ، من كتبــه (الحلاج الصوفى الشهيد فى الاسلام) صدر سنة ١٩٢٢ وهو من محـــرى دائـــرة المعارف الاسلامية •

* هــنرى لا ماس اليسوعى H. Lammens فرنسى من محررى دائـــرة المعارف ومن كتبه (الاسلام) و (الطائــف)

* جون ما ينارد J. Maynard امريكى محرر فى (مجلة جمعيةالدراسات الشرقية الامريكية)

* س • م • زويمر S. M. Zwemer امريكى مبشر وهو مؤســس مجلة (العالم الاسلامى) الامريكية التبشيرية ومن كتبه (الاسلام تحـــد لعقيـــدة) صدر عام سنة ١٩٠٨ م

* يوسف شاخت J. Schacht المانى له كتب كثيرة أشهرها (اصول الفقـــه الاســلامى) وهو من محررى دائرة المعارف الاسلامية) ودائرة معـــــارف العلوم الاجتماعية •

* غ • فـــون جرونباوم G. Von Grunbaum من اصل المانى يهودى له كثير من الكتب منها (اسلام العصور الوسطى) و (الاعيـــــاد المحمديـــة الأول صدر عام سنة ١٩٤٦ م والثانى عام سنة ١٩٥١ م

* هارفلى هول : H. Hull : امريكى رئيس تحرير مجلة الشرق الأوســط الامريكيـــة •

* ر ٠ ا ٠ نيكولسون R.A.Nicholson. انجليزى من محررى دائرة المعارف الاسلامية ومن كتبه (متصوفو الاسلام) صدر سنة ١٩١٠م ٠

* د ٠ س ٠ مرجوليوس : D.S.Margoliouth. انجليزى من محررى دائرة المعارف ومن كتبه (محمد ومطلع الاسلام) صدر ١٩٠٥م

* د ٠ ب ماكدونالد D.B.Macdonald امريكى من محررى دائرة المعارف ومن كتبه (الموقف الدينى والحياة فى الاسلام)

* كينث كراج K.Cragg. امريكى رئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد ومتعهد مبشرين ومن كتبه (دعوة المئذنة) صدرعام ١٩٥٦م

* ا ٠ ج ٠ فينسينك A.J.Wensinck. كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ولما ظهرت انحرافته اخرج وله كتاب بعنوان (عقيدة الاسلام) صدر فى ١٩٣٢م

* جولد زيهر Goldziher. مجرى من محررى دائرة المعارف وله كتب كثيرة منها (مذاهب التفسير الاسلامى) و(العقيدة والشريعة فى الاسلام)

أما أخطر الكتب التى ينبغى الاحتراز عما فيها منها ما يلى وهو الذى تيسر وفى الخاتمة كذلك ان شاء الله سنوافيك بملحق يضم عددا من الكتب المشبوهة :٠

الموسوعات:

* دائرة المعارف الاسلامية

The Encyclopaedia of Islam.

صدرت بعدة لغات

* موجز دائرة المعارف الاسلامية

Shorter Encyclopaedia of Islam.

* دائرة معارف الدين والاخلاق (المقالات المتعلقة بموضوعات اسلامية)
Encyclopoedia of Religon and Ethics.

* دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالاسلام ورسوله) تأليف ارنولد توينبي
A. Toynbee.

الكتب ..

* (حياة محمد) سير وليام موير W. Muir ظهر بالانجليزية —
* (الاسلام) الفرد جيوم A. Geom. ظهر بالانجليزية
* دين الشيعة: د. م. رونالدسون D.M. Donaldson صدر ١٩٣٧ م
* الاسلام: هنري لامانس H. Lammons ظهر بالفرنسية
* الاسلام متحد العقيدة: ذويمر S. Mzweimer بالانجليزية ١٩٠٨
* دعوة المتذنه: كينث كراج K. Cragg " " ١٩٥٦ م
* الاسلام اليوم: ا. ج اربري A.J. Albrry صدر عام ١٩٤٣ م
* تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي: جولد زيهر Goldziher
مترجم الى العربية تحت العنوان نفسه
* اليهودية في الاسلام: ابراهام كاش ظهر بالانجليزية
* عقيدة الاسلام: ا. ج فيسينك I.G. Wensink صدر عام ١٩٣٢ م
* الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام: لوي ماسينون L. Massignon صدر عام ١٩٢٢ م
* الاتجاهات الحديثة في الاسلام ه. ا. ر. جب H.R. Gibb صدر عام ١٩٤٧ م
وترجم الى العربية تحت العنوان المذكور
* طريق الاسلام: ه. ا. ر. جب
وترجم الى العربية تحت العنوان المذكور .

* التصوف فى الاسلام : ر٠ا٠ نيكلسون R.A. Nicholson صدر فى عام ١٩١٠م

* مصادر تاريخ القرآن : آرثر جيفرى Arthur Jeffry صدر بالانجليزية ١٩٣٧م

* أصول الاسلام فى بيئته المسيحية : ر٠ بل R. Bell صدر عام ١٩٢٦م

* التطورات المبكرة فى الاسلام : د٠ س٠ مرجوليوث D.S. Margoliouth صدر عام ١٩١٣م .

* محمد ومطلع الاسلام د٠ س٠ مرجوليوث - - - - - - صدر عام ١٩٠٥م

* الجامعة الاسلامية د٠ س ,, - - - - - صدر عام ١٩١٢م

* اسلام العصور الوسطى ج٠ فون جرونباوم G. Von Grunebaum صدر عام ١٩٤٦م

* الاعياد المحمدية : ,, ,, ,, - - - - صدر عام ١٩٥١م

الدوريـــات :

* مجلـة العالم الاسلامى : The Muslim World تبشيريـة تصدر بالانجليزية فى هارتفورد بأمريكا .

* مجلـة العالم الاسلامى Le Monde Musulman تبشيريـة بالفرنسية فى فرنسـا .

* مجلـة الدراسات الشرقية : انشأها المستشرقون بولاية أوهايو بأمريكا ولهـا فـروع فى اوروبا وكنـدا .

* مجلة شستون للشرق الأوسط : انشأها المستشرقون تصدر بالانجليزيـة فى امريكا وهى تهتم بالسياسة

* مجلـة الشرق الأوسط امريكية تتعرض للاسلام من وقت لآخـر .

ان وسائل المستشرقين كما رأيت تعتمد على تأليف الكتب، واصدار المجلات ، وانشاء الموسوعات بجانب ارساليات التبشير الى العالم الاسلامي لتزاول اعمالا انسانية في الظاهر كما سبق أن أشرنا إضافة الى إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ٠ كما يكتبون مقالات في الصحف المحلية وفي الصحف التي يستغلونها في البلاد الاسلامية ، علاوة على عقد مؤتمراتهم فما زالوا يعقدون المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣ م الى هذا الوقت ٠ ولقد انشأوا جمعيات استشراقية كثيره منها واحدة في لندن ١٨٢٣ م قبل الملك أن يكون ولي أمرها واصدرت (مجلة الجمعية الاسيوية الملكية) وقبلها واحده في فرنسا سنة ١٧٧٨ م والحقوها بأخرى سنة ١٨٢٠ م ثم اصدروا (المجلة الاسيوية) وفي سنة ١٨٤٢ م انشأ الامريكيون جمعية باسم (الجمعية الشرقية الامريكية) واصدرت مجلة باسمها وفي نفس العام اصدر الالمان مجلة خاصة بهم وكذلك في النمسا وايطاليا وروسيا ٠ الى غيرها من المجلات الى اشرنا اليها في القائمة المتقدمة ٠ (١) والآن لنا أن نعرض للاخطاء التي يقع فيها المستشرقون فاليك بعض الأمثلة في ايجاز شديد ٠٠ ولنقدم أولا بقولنا ان من المعلوم في ميدان البحث العلمي أن الباحث المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد بحثه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها وبعد التمحيص والمقارنة تكون ما أدت اليه النتيجة هو الحقيقة التي ينبغي اعتقادها ولكن هؤلاء المستشرقون يضعون في اذهانهم فكرة معينة ، وأمرا مقصودا يتصيدون له الادلة ايا كانت لاثباته فلا تهمهم صحتها بقدر ما يهمهم

---

(١) السباعي : الاستشراق والمستشرقون ص ٢٦ - ٣٠

امكان الاستفادة منها بحق أو باطل (١) ... انهم فى الواقع اكثر الناس مطالبة بالحيدة وعدم التعصب ومطالبة بالتزام المنهج العلمى وهم ابعد الناس عن ذلك وأكثرهم خروجا عليه وهم أكثر الناس تعصبا . ومن امثلة بعدهم عن العلم وجهلهم ما جاء فى كتاب التبشير والاستعمار للدكتورين (٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ " أنهم اذا بحثوا فى الدين لم ير احدهم لغير مذهبه هو فضلا ولا حقا فى الوجود ثم هم يحبون أن تلقى أقوالهم بالاذعان والتسليم ومما نذكره هنا ما اتفق لاحدنا لما كان فى اوربا : قال : لقيت نفرا مثقفين كانوا يحبون شيئا من المناقشة فى الدين ولقد اتفق مرارا أن تناول البحث صاحب الرسالة الاسلامية — صلى الله عليه وسلم — فكنت أقول محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وربما احب احدهم أن يتهكم فيقول لى : وأنت الرجل المثقف تريد أن تبحث بحثا علميا ثم تدعى أن محمدا رسول الله بلا دليل عقلى علمى .... فكنت أقول له ولكن يا أخى اتنكر على فى باب البحث العلمى أن اقول محمد رسول الله بينما أنت تقول : ان المسيح هو الله فيبهت صاحبى . اهـ

وخروج القوم عن روح البحث العلمى ومنهاجه فى كتاباتهم عن الاسلام ظاهر فى كل مطاعنهم التى وجهوها الى الاسلام ولاسيما القرآن الكريم وفى مواضعها عند الرد عليها سنسوق الدليل على المقول وسوف تجد أنها جميعا من هذا القبيل " الى حد أنهم احيانا يرسلونها دعاوى ساذجة ربما اضحكت

---

(١) المرجع نفسه

(٢) ص ٤٠

وبعثت على السخرية أكثر مما تحفز على مناقشتها وابطالها بالحجة والبرهان

لأنها بلغت من السخافة درجة لا يحق معها أن تأخذ صفة الكذب الذكي

أو الادعاء الملفق الذى يجوز على بعض العقول أو يستهوى بعض النفوس"[1]

ناهيك أن نأخذ الجانب العلمى المنهجى وروح الحيدة فيه بل تجدهم

دائما متعصبين مقيدين لأهوائهم، ومذاهبهم الباطلة وليس أدل على هذا

التعصب المجافى لروح العلم من ما أورده السباعى عن احدهم وهو البروفسور

(اندرسون)[2] قائلا عن نفسه "أنه اسقط أحد المتخرجين من الأزهر

الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه فى التشريع الاسلامى من جامعةلندن

لسبب واحد هو أنه قد مأطروحته عن حقوق المرأة فى الاسلام، وقد برهن فيها

على أن الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة فعجبت من ذلك وسألته هذا

المستشرق وكيف اسقطته ومنعته من نوال الدكتوراه لهذا السبب وانتم

تدعون حرية الفكر فى جامعتكم ؟! قال : لأنه كان يقول : الاسلام يمنح

المرأة كذا ، والاسلام قرر للمرأة كذا فهل هو ناطق رسمى باسم الاسلام؟

هل هو ابو حنيفة أو الشافعى حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الاسلام؟

ان آراءه فى حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الاسلام الاقدمون فهذا رجل

مغرور بنفسه حين ادعى أنه يفهم الاسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفه والشافعى"[3]

فهل هذا منطق ؟ ولا احسب أنه اسقطه الا لأنه قد جاء بالحق

الذى لا يتفق و مصالحهم وذلك ما تفضحه القصة التالية التى يرويها السباعى

---

(١) مجلة رابطة العالم الاسلامى العدد العاشر السنة الرابعة عشرة عدد شوال ١٣٩٦ مقالة توفيق محمد ص ٣٨

(٢) مستشرق انجليزى معروف بتطرفه

(٣) السباعى : الاستشراق والمستشرقون ، ص٥٢

نفسه فيقول " حدثنا الدكتور أمين المصرى — وهو خريج كلية اصول الدين فى الازهر وكلية الآداب ومعهد التربية فى جامعة القاهرة — عما لقيه من عناء فى سبيل موضوع رسالته التى اراد أن يتقدم بها لأخذ شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعات انجلترا . لقد ذهب اليها ..... فقرر أن يكون موضوع رسالته هو نقد كتاب شاخت فى تاريخ الفقه الاسلامى .. وتقدم الى البروفسور اندرسون ليكون مشرفا على تحضير هذه الرسالة ، وموافقا على موضوعها فأبى عليه هذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب شاخت وعبثا حاول أن يوافق على ذلك ، فلما يئس من جامعة لندن ذهب الى جامعة كامبردج وانتسب اليها وتقدم الى المشرفين على الدراسات الاسلامية فيها برغبته فى أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو ما ذكرناه فلم يبدوا رضاهم عن ذلك ، وظن أن من الممكن موافقتهم اخيرا ، ولكنهم قالوا له بصريح العبارة اذا اردت أن تنجح فى الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت فان الجامعة لن تسمح لك بذلك "(1) فانظر كم هم بعيدون عن روح البحث العلمى والحرية فيه ... الى جانب اخطائهم المقصودة أو الراجعة الى عدم فهمهم للغة العربية وجهلهم بأساليبها وغيره وفيما يلى امثلة لهذه الاخطاء :

" زعم (فردريك بلس) أن القرآن لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران اخت موسى وهارون — ويقول بلس خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى ولم يكن لها زوج بقوله (يا أخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء و ماكانت امك بغيا) مريم / ٢٨ ثم انه قال كيف

---

(1) السباعى : الاستشراق والمستشرقون ، ص٥٨و٥٩

تكون مريم أخت موسى التي عاشت قبل المسيح بالف واربعمائة سنه هي أم المسيح ولكن بلس لم يعرف ان هذا من باب الكناية في علم البلاغة ومؤداه : مريم التي تشبه في العفة ابنة عمران اخت هارون كما نقول نحن مثلا يا أخا العرب مدحا لرجل لا صلة له بالعرب احيانا . وكذا ساء ادولف فيزما ر وهو دكتور في الفلسفة فهم قوله تعالى يخاطب رسوله الكريم (فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ولم يفهم المعنى الصحيح البسيط وأن الجملة استفهام انكاري لاستفهام عادي كأن نقول لانسان الا تحب أن تكون من الناجحين .[1] "

ومثل ذلك ما وقع فيه : بروكلمان) في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية (حيث يقول) واذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الاعاجم من الجهة الثانيه هم الرعية أي القطيع (وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان مألوفا عند الاشوريين "

فهذا المستشرق قد أعرض عن جميع الوثائق التاريخية التي تؤكد عدالة الفاتحين المسلمين ومعاملتهم افراد الشعب على السواء من غير تفرقه بين عربي وغيره وتعلق بلفظ الرعية تعلقا لغويا واستنتج منها أن المسلمين نظروا إلى الاعاجم نظر القطيع من الغنم ولو رجعنا الى مادة (رعى) في قواميس اللغة وجدناها تقول كما في القاموس المحيط : والراعي كل ولي أمر قوم والقوم رعية ، وراعيته لاحظته محسنا اليه ، وراعيت أمره حفظته كرعاة . فالراعي في اللغة يطلق على راعي الغنم وعلى رئيس القوم وولي أمرهم والرعية تطلق على الماشية وتطلق على القوم ومن معاني الرعاية (الحفظ والاحسان فلما اطلقها الاسلام على القوم لم يخص بها الأعاجم لأنه يراهم كالقطيع من الغنم

---

(١) فروخ الخالدي : التبشير والاستعمار ، ص٤٠ و ٤١

وانما اطلقها على الشعب عامة، والاحاديث فى ذلك كثيره معروفة ومنها قولـــه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره (الاكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ...) .... فكيف اغمض بروكلمان عينيه عن هذا كله واستجاز لعلمه أن يدعى بأن المسلمين نظروا الى الاعاجم نظرة القطيع وأنهم اطلقوا عليهم وحدهم لفظ الرعية "(١)

ومثل ذلك وقع فيه (جولد زيهر) " فى كتابه (مذاهب التفسير الاسلامى) فى حديثه عن تأويلات المعتزلة عند تفسيرهم للقرآن حسب ما تمليه عليهم آراؤهم فى الاعتقاد فقد ضرب مثالا بالشريف المرتضى فى محاولته فى كتابه الـ فى تأويل قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن حرف — الى — هو كلمة بمعنى النعمة .. يقول جولد زيهر فالمرتضى فى قوله (وجوه الى ربها ناظرة) يستبعد اعتراض المشبهة بتجريد لفظ الى من طابعه الحرفى وتفسيره على أنه جمع مفرده الا أى نعمة أى ناظرة نعم ربها ...

هكذا فهمها المستشرق الذى استعرض عضلاته العلمية كثيرا فى كتابه هذا متطفلا على علم التفسير : بأن لفظه — الى — بمعنى النعمة جمع مفرده الا بينما أصغر طالب علم عندنا يستطيع بمراجعة القاموس أن يعرف أن إلى والا مفردان يجمعان على آلاء " (١)

ومن ذلك أيضا ما يقوله المستشرق جب فى كتابه بنية الفكر الدينى

---

(١) محاضرات الجامعة الاسلامية لموسمها الثقافى عام سنة ١٣٩٣ — ١٣٩٤ هـ محاضرة الدكتور عبد العزيز القارى المستشرقون فى الميزان ص ٢٨٤ .

في الاسلام من أن الاسلام جاء ليضفي الصبغة الدينية على تلك الاحائية العربية القديمة التي نسجتها الاعراف والبيئة بعد أن لم يستطع محمد — عليه الصلاة والسلام — التخلص منها ، ويدعي جب ان هذا الذي ذهب اليه ليس من بنات أفكاره كما جاء في مقدمة كتابه المذكور وانما سبقه اليه فدل عليه جماعة من المفكرين المسلمين بل من اقطابهم ، وأنه سيكتفي بذكر أحدهم هو (ولي الله الدهلوي) فينقل عن كتابه حجة الله البالغة هذا النص : " ان النبي — صلى الله عليه وسلم — بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى ، فالأولى انما كانت الى بني اسماعيل ٠٠ وهذه البعثة تستوجب أن يكون مادة شريعتهم ماعندهم من الشعائر وسنن العبادات ووجوه الارتفاقات اذ الشرع انما هو اصلاح ماعندهم لا تكليفهم بما لا يعرفونه أصلا "(1)

وهذا الكلام أيها القارئ انما مرتبط بما قبله وما بعده ولكن الرجل بتره لغرض في نفسه معلوم وتلك خيانة علمية فقد جاء بعد ذلك في نفس الصفحة ما يلي تفصيلا لما تقدم ونقله جب دون ذلك ٠ " اعلم أنه — صلى الله عليه وسلم — بعث الحنيفية الاسماعيلية لاقامة عوجها وازالة تحريفها واشاعة نورها وذلك قوله تعالى (ملة ابيكم ابراهيم) ولما كان الأمر على ذلك وجب أن تكون اصول تلك الملة المسلمة وسننها مقررة ٠ اذ النبي اذا بعث الى قوم فيهم بقية سنة راشدة فلا معنى لتغييرها وتبديلها بل الواجب تقريرها لأنها أطوع لنفوسهم وأثبت عند الاحتجاج عليهم وكان بنو اسماعيل توارثوا منهاج أبيهم اسماعيل فكانوا على تلك الشريعة الى أن وجد عمرو بن لحي فأدخل فيها أشياء برأيه الكاسد فضل وأضل وشرع عبادة الأوثان وسيب السوائب وبحر البحائر فهنالك بطل الدين : واختلط

---

(1) انظر ص ٥٨ ٠

الصحيح بالفاسد ، وغلب عليهم الجهل والشرك والكفر فبعث الله سيدنا محمدا — صلى الله عليه وسلم — مقيما لعوجهم ومصلحا لفسادهم فنظر — صلى الله عليه وسلم — فى شريعتهم فما كان منها موافقا لمنهاج اسماعيل عليه السلام أو من شعائر الله أمر ببقائه وما كان منها تحريفا أو فسادا أو من شعائر الشرك أو الكفر أبطله وسجل على ابطاله) (١) وهذا واغلاط القوم كثيرة نكتفى فيها بهذا القدر وقد تولوا كبر الطعن فى القرآن ولقد سبقنا فى الفقرة قبل هذه امثلة للمطاعن كان لهم فيها الضلع الاكبر وسيأتى فيها بعد فى صلب الرسالة فبعث كذلك أكثر لقد حملوا راية الخيانة والافك بجدارة ولننتقل الآن الى الفقرة التالية ..

---

(١) حجة الله البالغة للدهلوى ١/٩٧ و ٩٨ .

لماذا الهجوم على القرآن ؟..

سؤال قد يجول فى أذهان الكثيرين فلا يهتدون إلى الاجابة عليه أو قد يجدون اجابة ولكن لا تكون مقنعة أو مكتملة ، فيظلون متطلعين الى الجواب الشافى ... فالى هؤلاء أسوق الاجابة — كما تصورتها عساها تكون وافية تفضى بهم إلى الاقتناع بها ، أو على الأقل تسير بهم خطوة الى الحقيقة ليس ذلك فحسب ، وانما رميت قبل هذا الى كشف الاعداء وتعريتهم من خلال الاجابة ، وبيان زيفهم وخداعهم بواسطتها — فيما يزعمون من أن الدافع لديهم ليس الا الحقيقة ، وأن رائدهم وحده هو البحث العلمى الحر ، فينهار ذلك الستار الزائف الذى يقفون خلفه ، ويقع ذلك اللثام القذر من على وجوههم البغيضة ، فتبدو ملامحهم الكريهة من ورائه فلا يغتر بهم أحد بعد ذلك عرف دوافعهم على حقيقتها ..

كذلك رميت من وراء هذا الى إزالة الدهشة والعجب التى تبدوا على وجوه الكثيرين من جراء مسلك بعض ابناء الاسلام المنتسبين اليه ، وكيف ساق لهم الطعن فى الكتاب العزيز ..

كما قصدت أيضا اظهار عذر بعض أهل الملة ، الذين أدى بهم الاجتهاد وغيره الى الخطأ من حيث لا يشعرون مع سلامة نيتهم — كما تبين فيما بعد — على أن ذلك العذر لا يعفيهم من مسؤولية الخطأ وما ترتب عليه من اضرار بليغة ، حيث اتخذها الاعداء ذريعة كم استفادوا منها قائلين : وشهد شاهد من أهلها أو قائلين : الاعتراف سيد الأدلة ، وغير ذلك مما يستشهدون به على باطلهم .. هذا وسأحاول فى هذه الفقرة استخلاص الاسباب والدوافع من خلال أقوال الأعداء وتصريحاتهم التى جعلتهم يركزون الهجوم على القرآن

ولـــن نتعرض الا للا سباب البارزة فليس المجال واسعا للحصر وانما اذكـــر
طابدا لى منها مهما بحيث يتضح للقارئ النقاط التى حددتها اعلاه ..
كما سنحاول أن نستخلص من آيات القرآن الكريم نفسه ما نعتقد أنه دفعهـم
إلى محاربته ، ولا بد لنا أن نقدم القول هنا قبل الاسترسال مكررين ذلك فقـد
سبقت اليه الاشـارة (١) بأن الاعداء فى غالبهم اما يهود أو نصارى أو ملحديـن
وهـم صنيعة اليهود ــ لما بينا ــ أو خارجين عـن الاسلام بانطلاء جيـل
اليهود والصليبين . أو غيرهم من الوثنيـين وعباد البقر ونحوهم من اعـداء
الاسلام ... وفيما يلى أقوال من أصحاب تلك النحل نستشف منها دوافـع
عدائهم للاسلام وحرصهم على تدميره واسقاط راية القرآن ... وليـس أدل
على هذا الحرص من أن أحدهم فى الحروب الصليبية عندما كان يريد الخـروج
الى القتال من بلاده ينادى منشـدا :

أمـــاه ....

اتمى صلاتـك .. لا تبكـى ... بـل اضحكـى وتأملـى ..
أنا ذاهب الـى طرابلـس ... فرحــا بســـرور ا ..
سأبـذل دمى فى سبيـل سحق الأمـة الملعونـة ..
سأحـارب الديانـة الاسلاميـة ...
سأقاتـل بكـل قوتـى لمحـو القـرآن ... (٢)

---

(١) انظر الفقرة السابقة .

(٢) جلال العالم : قادة الغرب يقولون ص٨ نقلا عن القومية والغزو الفكرى ص٢٠٨

فما أشده من حقد !! ذلك الذى تصدر عنه مثل هذه الكلمات .. هذا .. والقوم يعلمون أن الاسلام انما أساسه هذا القرآن ولذا فهم حريصون على محوه لو استطاعوا ...

إن القوم لم ينسوا الحروب الصليبية بعد فما زالوا يعتبرونها قائمة فها هو (ابوجين روستو)[1] يقول

" يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة "[2]

ان الحملات الصليبية فى القرون الوسطى كانت سبعا ولكن القوم يعتبرون حملة (اللنبى)[3] على القدس فى الحرب العالمية الأولى هى الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة[4] . كذلك لما انتصر (   )[5] ودخل دمشق توجه فورا الى قبر (صلاح الدين الايوبى) وركله بقدمه وقال : " ها قد عدنا يا صلاح الدين "[6] !!

---

(١) رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الامريكية ومساعد وزير الخارجية ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الاوسط ، عام ١٩٦٧ ، انظر المصدر السابق ص ٢٤

(٢) معركة المصير ص ٨٧ .

(٣) الجنرال اللنبى قائد القوات الانجليز فى الحرب العالمية الاولى فى الشرق الأوسط .

(٤) مجلة الطليعة المصرية عدد ديسمبر ١٩٦٦ ص ٦٤ مقال وليم سليمان

(٥) قائد القوات الفرنسية التى احتلت دمشق .

(٦) القومية والغزو الفكرى ص ٨٤ نقلا عن قادة الغرب يقولون ص ٢٧ .

أما اليهود فانهم لم ينسوا بعد يوم خيبر وحروبهم مع المسلمين أيام الرسول — صلى الله عليه وسلم — فعندما دخلت قوات اسرائيل القدس عام ١٩٦٧ م هتف موشى ديان وجنوده :

هذا يوم بيوم خيبر ... يالثارات خيبر

حطو المشمش عالتفاح ... دين محمد ولى وراح ..

محمد مات .. خلف بنات ... !![1]

من هذا وما قبله وما سيأتي يظهر حقد القوم الدفين ... الذى ينمو مع الايام لأن الاسلام وكما يقول (لورنس براون)[2] " هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الاوربى "[3] فهم يطمعون فى استعمار الارض ولكنه يحول بينهم ومعلوم أن الاسلام (لم يستمد هذه القوة الا من هذا القرآن الذى هو عمادة الاساس لذلك يقول (غلادستون)[4] " مادام هذا القرآن موجودا فى أيدى المسلمين فلن تستطيع اوربة السيطرة ولا أن تكون هى نفسها فى أمان على الشرق "[5] فالقوم يخافون من القرآن ويحقدون عليه لانه يقف امام اطماعهم ..

---

(١) المرجع نفسه ص٢٨

(٢) أحد القسس المشهورين وكان له دور كبير فى التجسس فى الشرق الاوسط لصالح امته .

(٣) فروخ والخالدى : التبشير والاستعمار ص١٨٤

(٤) رئيس وزراء بريطانيا سابقا

(٥) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ص٣٩

يؤكد ذلك قول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر :

" اننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن . ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم "(١)

حتى الشيوعيين يرونه الحاجز الصلب أمام انتشار نفوذهم فلقد جاء في افتتاحية عدد ٢٢ أيار عام ١٩٥٢ من جريدة (كيزيل أزباخستان) الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الاوزباخستاني في كلمة المحرر مايلي :

" من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام نهائيا "(٢)

ومعلوم أن القضاء على الاسلام لا يتم الا بعد القضاء على القرآن الكريم فهو القوة الكامنة في الاسلام والاعداء يعرفون ذلك حق المعرفة .. لذلك يقول أحد المبشرين " ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي اخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية "(٣) وهي قوة جبارة بحيث " لم يتفق قط أن شعبا مسيحيا دخل في الاسلام ثم عاد نصرانيا "(٤) كما يقول اشعيا بورمان أحد المبشرين ..

---

(١) مجلة المنار عدد ٩ نوفمبر ١٩٦٢ م

(٢) اورد ذلك جلال العالم في قادة الغرب يقولون : ص ٣٢ نقلا عن جاك اوستري في كتابه الاسلام والتنمية الاقتصادية ص ٧٦ .

(٣) عبد الله التل : جزور البلاء ص ٢٠١ .

(٤) فروخ الخالدي : التبشير والاستعمار : ص ١٣١ ط ٤ .

والصهاينة يرونه الخطر الوحيد أمام استقرارهم فى فلسطين وهذه حقيقة يقررها (بن غوريون)[1] حيث يقول "ان اخشى ما اخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد "[2]

والقوم يعلمون ان ليس هناك من نبى جديد ولا كتاب جديد ولكن يخشون رجل من أمة محمد يخرج اليهم بهذا القرآن الذى جاء به محمد فيحطمهم بما فيه من مبادىء لا تقبل الذل ولا الانكسار وترفض الاستعمار رفضا باتا وتنادى بالجهاد . وعندما يحكم هذا الكتاب ويعمل بما فيه حقا سيرون ليس محمدا واحدا وانما محمدون تحت راية هذا القرآن الذى جاء به محمد بن عبد الله — عليه افضل صلوات الله وسلامه — لهذا فهم يخافون منه اشد ما يكون الخوف " فان القوة التى تكمن فى الاسلام هى التى تخيف اوروبا "[3] وينبغى لهم أن يخافوا ويسيطر عليهم الخوف وليس شيئا منه كما يقول (اشعيا بومان) الذى علل سبب الخوف بقوله " ان الاسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا ، بل ان اتباعه يزدادون باستمرار (... وأ ن هذا الدين من اركانه الجهاد "[4]

والقوم على كل حال معترفون بهذا الخوف ويعللونه فهذا احدهم يقول " ان الخوف من العرب ... ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الاسلام .... ان الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الافريقية "[5]

---

(١) احد رؤساء وزراء اسرائيل السابقين .
(٢) جريدة الكفاح الاسلامى فى الاسبوع الثانى من نيسان عام ١٩٥٥
(٣) كما يقول المستشرق (غراند ر) ... التبشير والاستعمار ص٣٦ ط/٤
(٤) المصدر نفسه ص١٣١ .
(٥) موروبير جر فى كتابه العالم العربى المعاصر اوردته مجلة روزاليوسف فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٩ .

ولعل أحقد كلمة هي التي قالها المستشرق الفرنسي (كيمون) من كتابه (باثولوجيا الاسلام) انها كلمة بمثابة من الحقد حيث يقول " ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض سريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل الا ليدفعه الى سفك الدماء ، والادمان على معاقرة الخمور ، وارتكاب جميع القبائح ، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي الى ما لا نهاية ويعتادون على عادات تنقلب الى طباع اصيلة ككراهة لحم الخنزير ، والخمر والموسيقى ، ان الاسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات ... اعتقد أن من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر "(١)

وظاهر هنا أيها القارئ حقد الرجل وجهله وتناقضه فهل الاسلام يدفع الى الادمان على معاقرة الخمور وهو الذي يحرمها ويكرهها باعترافه في آخر كلامه وهل هناك فجورا في اللذات أكثر من الخمر والموسيقى ولحم الخنزير الذي حرمه الاسلام وباعترافه ! نكتفي بهذا مع هذا المحموم الذي يكاد يتفجر غيظا أماته الله بغيظه ...

ونعود فنكرر أن القوم يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين لهذا لابد من محوه حتى يجردوا المسلمين من تلك القوة ويأمنوا من غزوة لهم في قصر دارهم ، وحتى ينفتح لهم الطريق أمام اطماعهم ويسهل لهم

---

(١) قادة الغرب يقولون : ص٤٦ نقلا عن القوميون والغزو الفكري ص٢٢٢

قيـــادة أهله والمذكر قول (غلادستون) السابق " ما دام هذا القـــرآن موجودا فلن تستطيع أوربــه السيطره على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمـان "[1] ويقول المبشر (ولهم جيفورد بالكنراف) " متى توارى القـــرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريـــق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابـه "[2] وهذا هو المبشر (تاكلـــس) يقـول " يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الاسلام ضد الاسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماما يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا "[3] وينبغي أن لاننسى قول حاكم الجزائـــر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها " يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ... حتى ننتصر عليهم "[4]

وقد حاولـــوا ذلك وهذه قصة في هذا الصدد تورد ها جريدة الأيـــام السودانيـة جاء فيها أن القوم من أجل القضاء على القرآن في نفوس الشبـــاب في الجزائر قامت بتجربـة عملية هي انتقاء عشر فتيات مسلمـات ادخلتهـــن الحكومـة الفرنسية في مدارسها والبستهن الثياب الفرنسية ولقنـهن الثقافـــة الفرنسية ولغتها فأصبحت بذلك كالفرنسيات تماما وبعد احد عشر عاما من هذه الجهود هيأت لهذه حفلة تخرج رائعة دعي اليها الوزراء والمفكرين والصحفيين ... ولما ابتدأت الحفلة فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهـن

---

(١) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ص٣٩.

(٢) عبد الله التل : جزور البلاء ص٢٠١.

(٣) فروخ والخالدي : التبشير والاستعمار ص٤٠ ط/٤.

(٤) المنار عدد ٩ نوفمبر ١٩٦٢.

الاسلامى الجزائرى ، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت ماذا فعلت فرنسا فى الجزائر اذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما ؟!!

فأجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسى : وماذا اصنع اذا كان القرآن أقوى من فرنسا (١) ؟!!

فالقوم يعرفون القرآن جيدا ، ويدركون مدى قوته ، ومن هنا جاءت محاربتهم له لأنه مصدر قوى المسلمين ووحدتهم التى يخشونها (٢) ، وقد ألوا على أنفسهم أن يحولوا بين المسلمين وبين هذه الوحدة بهدم هذا القرآن ولذلك فهم يهاجمونه ولماذا لا يهاجمونه وهو يعطى المسلمين الروءيا الصادقة التى تكشف عن حقيقة الاعداء وأهدافهم ونواياهم وتصلح أن تكون منطلقا لاحباط كل موءامراتهم ومكرهم ، تلك الروءيا الربانية الممثلة فى هذا الوحى

---

(١) عدد ٧٧٨٠ الصادر بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢م

(٢) يقول المبشر لورنس براون : اذا اتحد المسلمون ... امكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا أو أمكن أن يصبحوا ايضا نعمة له . أما اذ بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ويجب أن يبقى العرب والمسلمين متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير ... جذور البلاء : ص ٢٠٢

ويقول القس (سيمون) ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية والتبشير عامل لهم فى كسر شوكة هذه الحركة من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية . قادة الغرب ص ٥٥ نقلا من كتاب " كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠ ...

التى يتحرك على ضوئها المسلمون لاحباط ذلك المكر والخداع والمؤامرات

وهناك آيات كثيرة فى هذا الصدد منها قوله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)(١)

وقوله تعالى (ودّ كثيرا من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)(٢) وقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(٣) وقوله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ...)(٤) وقوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم)(٥)

هذه هى الحقيقة الساطعة فالقوم يريدوننا أن نضل السبيل ونرتد على اعقابنا ونرضى سلاماً منا، ويخافون من الخير الذى ينزل، وهو هذا الوحى الذى يخيفهم عقيدة ومنهجا وأشد ما يرعبهم هو منهجه فى بناء الشخصية الجهادية للمسلم وتكوين الأمة المجاهدة وغرس روح المقاومة فيها لكل ظلم وتربيه روح الفداء فيهم لكل شر ومنكر . استمع الى قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٦) فكيف لا يخافون من دين يخبر أن الحياة

---

(١) البقرة : الآية ٢١٧ .

(٢) البقرة : الآية ١٠٩ .

(٣) البقرة : الآية ١٢٠ .

(٤) النساء : الآية ٨٩ .

(٥) البقرة : الآية ١٠٥ .

(٦) آل عمران : الآية ١٧٠ .

الطيبة الكريمة الحقيقية فى عرفه انما تنال بالاستشهاد وأنه ما من مؤمن حقيقى الا بينه وبين الله عقد بيع وشراء يتنازل بموجبه عن روحه وماله مقابل جنة عرضها السموات والأرض حيث يقول تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)[(١)] فكيف لا ترتعد فرائصهم من هذا ... وكيف لايخاف المشركون من كتاب يأمر اتباعه بقتالهم وملاحقتهم وحصارهم والتضييق عليهم استمع الى قوله تعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)[(٢)] وكيف لايخاف اليهود والنصارى وفى الكتاب العزيز أمر بمقاتلتهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون يقول الله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[(٣)] وكيف لايخاف اعداء الاسلام من هذا الكتاب وهو يحرر اتباعه لن العبودية للدنيا وزينتها وشهواتها وجاذبيتها التى تثقلهم عن الجهاد حيث يقول تعالى مناديا عبادة المؤمنين (ياأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل)[(٤)] وكيف

---

(١) التوبة، الآية ١١١ .
(٢) التوبة، الآية ٥ .
(٣) التوبة، الآية ٩ .
(٤) التوبة، الآية ٣٨ .

لا يخافون من القرآن وهو يحرر من يؤمنون به من الموت ومن الهلع على الرزق ويحطم كل الحواجز النفسية وكل ما من شأنه أن يحول بين المؤمن ويثبطه عن الاقدام ، حيث يبعث في نفسه أن الاجل والرزق موكول أمره الى الله تعالى بدلالة قوله عز وجل (أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (١) ويقول (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (٢) وكيف لا يرهب الاعداء تقرير القرآن للمؤمنين أن الهرب في المعارك كبيرة من أكبر الكبائر تستدعي غضب الرب وتستوجب عذابه لفاعليها في نار جهنم . يقول عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (٣) وكيف لا يخافون من قرآن لا يقر اليأس ولا يعترف بالقنوط بل يبعث في قلوب اتباعه كل رجاء إنه يقول (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) (٤) وكيف لا يرهبهم قرآن يأمر اتباعه بأنه لا محاباة ولا مجاملة ولا مودة على حساب الاسلام والعقيدة ولو كانت مع أقرب الاقربين حيث يقول عز وجل (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) (٥) وكيف لا يرهب القوم ويحقدون على كتاب يأمر أتباعه بالاستعداد الكامل لقتال اعداء الله واعدائهم حيث يقول عز من قائل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) (٥) إنه يأمرهم أن يكونوا على استعداد دائم وفي تأهب متصل

---

(١) النساء : ٧٨ .
(٢) الذاريات : ٢٢ .
(٣) الانفال : ١٥ .
(٤) آل عمران : ١٣٩ .
(٥) المجادلة : ٢٢ .
(٦) الانفال : ٦٠ .

ويقول لهم (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)[١]

هـذا وفى القرآن أشياء كثيرة تخيفهم واخرى كثيره تغيظهم وهى التى تناولت كشف فضائحهم وجرائمهم وتولت بيان حقيقتهم كيهود ونصارى وسنذكر طرفا من ذلك كما أن فى القرآن أمور كثيرة تخالف اعتقادهم[٢] ..

والقرآن لما كان كله حق وعدل لا تشوبه شائبه من باطل ولا يعتريه تناقض ولا يوجد فيه ما يغمز بعكس ماعندهم من كتب محرفه[٣] فان ذلك ولا شك يثير حسدهم ويحرك النقص فيهم يجعلهم يرمونه بالباطل ويدعون ظلما وعدوانا وجورا وبهتانا بنقائص وشبهات تلبية لنداء قلوبهم السوداء التى اعماها الحسد ... ومن فضائحهم التى سجلها القرآن وعنفهم عليها مايلى على أننا سنوجز فى ذلك لأن التوسع فى هذا له مكان آخر من هذه الرسالة يقول تعالى مخبرا عنهم (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[٤] وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)[٥] وقال تعالى (من الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه)[٦] وقال (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا أنه لا يكلمهم

---

(١) النساء : ٧١
(٢) سنرد عليهم في الباب الرابع .
(٣) [illegible]
(٤) المائدة : ٦٤ .
(٥) آل عمران : ١٨١ .
(٦) المائدة : ١٣ .

ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) [1] وقال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا لبئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) [2] وقال تعالى فى حق النصارى (وقالت النصارى المسيح بن الله) [3] وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) [4] وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) [5] وقال (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) [6] وقال (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) [7] ولا حاجة بنا أن نذكر بأن القرآن قد حارب الشرك بأنواعه ونبذ من أول يوم الوثنية وكل ما يعبد من غير الله فالقرآن حافل بالآيات التى تحكى حرب القرآن ضد هؤلاء بما يكاد يبلغ ثلثه ولا أرانا مضطرين الى ذكر شىء منها هنا فى هذه العجالة والمقام مقام ايجاز فالأمر معروف ولا يحتاج الى بيان ويكفى فى ذلك مجرد النظر فى القرآن ... هذا بالنسبة لهؤلاء ...

---

(١) الاعراف : ١٤٨ .

(٢) الجمعة : ٥ .

(٣) التوبة : ٣٠ .

(٤) المائدة : ١٧ .

(٥) المائدة : ٧٣ .

(٦) التوبة : ٣١ .

(٧) التوبة : ٣٤ .

أما لماذا نرى أناسا يعدون من المسلمين وهم يطعنون فى القرآن بقصد وبغيره فذلك ما سنختتم به هذه الفقرة وأيضا فى ايجاز وينبغى أن نعلم مسبقا أن العامل الأول فى هذا يرجع إلى اعداء السلام وحيلهم ومكرهم الذى جاز على هؤلاء وانطلى عليهم فالشيعة مثلا فى اصلهم ليس الا فصيلة يهودية بدلالة أن (عبد الله بن سبأ)(١) منشىء هذه الجماعة كما يقول بعض أهل العلم ليس الا يهوديا اسلم ووالى (عليا) رضى الله عنه وكان يقول على يهوديته فى يوشع بن نون وصى موسى بالغلو فقال بعد اسلامه فى على مثل ذلك وكان أول من أشهر بالقول بفرض امامة على وأشهر البراءة من اعدائه فكاشف مخالفيه وكفرهم ومن هنا قال من خالف الشيعة أن أهل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية(٢) . ومعلوم أنه هو الذى اشعل نار الفتنة التى أدت الى استشهاد (عثمان) رضى الله عنه ومازال الناس يكوون بنارها حتى اليوم فبرهن الرجل على يهوديته لا رحمه الله وهو الذى روج كذلك للعقيدة اليهودية بين المسلمين فمثلا فى الوصايا والولاية والرجعة وعدم الموت وملك الارض والقدرة على اشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق واثبات ال لله عز وجل وغيره من العقائد الدخيلة على الاسلام .. ولما كانت كل هذه ال ليست موجودة فى القرآن وأنه ضد ذلك كله لجأ القوم الى الطعن فيه لتثبيت هذا المذهب ولأن القرآن يثنى على الصحابة والرعيل الأول وهم قد كفروهم وانكروا فضلهم وهم يعلمون أن هذا القرآن انما حفظ بمجهودات الصحابة

---

(١) من يهود صنعاء .

(٢) انظر رجال الكشى : ص ١٠١ طبعة العراق . وانظر تنقيح المقال ص ١٨٤ جـ ، ط طهران ويلاحظ ان المصدرين شيعيان .

رضوان الله عليهم لهذا فقد ساق لهم أن يطعنوا فيه وكذلك قد طعنوا فيه الاباحية وعدم التقيد بأحكامه فهم اذا اثبتوا أنه محرف و[illegible] فكيف يمكن التمسك بأوامره والاجتناب لنواهيه ؟ لأنه محتمل في كل آية أو كلمة أو حرف منه أن يكون محرفا وبهذا يمكن الخروج عن الحدود الشرعية ويمكن الانطلاق والاباحية [1] وعلى هذا يمكن القول بأن القوم اقرب الى الشيوعية منهم الى الاسلام — اعنى الذين يقولون بهذا منهم فهم فرق شتى وبهذا نثبت أن الاعداء هم السبب الأول والاخير في هذا (فالقاديانية) [2] عملية الاستعمار الصليبي في القارة الهندية ، والبهائية وليدة الروس والانجليز وفي السودان اخرج الاعداء الى الوجود من يدعي الرسالة اسمه محمود محمد طه وهؤلاء كلهم قد طعنوا في القرآن بمجيئهم بمبادىء ضد مبادئه وبادعائهم النبوة التي اخبر بختمها [3] ومن حكام المسلمين اليوم من طعن في القرآن الكريم

---

(١) انظر السنة والشيعة : احسان الهي ظهير ص ٩٩ — ١١٩

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

وطعن في احكام المواريث التي جاء بها القرآن ، ومنهم من انكر السنة[١] فطعن بذلك في القرآن شاء أم أبى فالسنة كما بينا لا تنفك عن القرآن[٢] وكل حكام المسلمين قد فتحوا المجال للطعن الا ليقولوا الذين لا يحكمونه قد طعنوا فيه لأن ذلك يعني عدم اقتناعهم بصلاحيته وهؤلاء جميعا كما هو معلوم في الغالب واقعون تحت قبضة الماسونية[٣] التي هي في الحقيقة منظمة يهودية تتسلط على كثير من البارزين في المجتمعات فيفعلون ما يؤمرون به من جانبها وبعض الناس قد طعنوا في القرآن ويحسبون أنهم مسلمون وقد اشتهر من هؤلاء (طه حسين) الذي طعن في القرآن الكريم كثيرا ومن قوله في هذا نذكر مايلي :

" للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لوجود هما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة "[٤] ويقول " ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى "[٥]

---

(١) ... نور الإسلام في عددها العاشر الصادر في شوال ١٣٦٩ هـ .

(٢) في بداية هذه الفقرة .

(٣) الماسونية منظمة يهودية سرية توقع في حبائلها الأفراد تارة بالإغراء وتارة أخرى ..

(٤) في الشعر الجاهلي ص٢٦ .

(٥) نفس المصدر .

وواضح طعن الرجل في القرآن الكريم وهو كما يقول كثير من أهل العلم قد تابع المستشرقين ونقل عنهم [١] ولا عجب في ذلك فقد تربى الرجل في احضانهم وكان يثني عليهم كثيرا وقد كرموه كما يقول واحسنوا اليه [٢] اذن فالرجل طعن في القرآن وفاء لهم وطعن في احسانهم وارضاء لعيونهم وهناك كثير مثل طه حسين لايسع المجال ذكرهم وكلهم كان يطعن في شيء ومنهم أناس كما يقول (السباعي)

" اندفعوا الى الاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة اطلاعهم ظانين أنهم لا يقولون الا الحق وأنهم فيما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا — اصح حكما واصوب رأيا لأنهم يسيرون وفق منهج علمي دقيق لايحيدون عنه ومن هنا نشأت الثقة ببحوث هؤلاء الغربيين والاعتماد على آرائهم ولم يتح لهؤلاء المثقفين أن يرجعوا الى المصادر الاسلامية التي استقى منها المستشرقون وغيرهم من الباحثين الغربيين ، اما لصعوبة الرجوع

---

(١) انظر محمد الخضر حسين : نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ٧٧.
وانظر أنور الجندي : طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام ص ٣٧ وما بعدها ..

(٢) المصدر السابق : ص ٣٧ و ٣٨ .

السنى صادرنا ، أو للرغبة فى سرعة الانتاج العلمى ، أو لشهوة الاتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد فى أوساطنا العلمية والدينية "(١)

وآخرين قد ساقهم الاجتهاد الخاطىء الى الطعن فى القرآن نذكر منهم محمد احمد خلف الله فى كتابه الفن القصصى فى القرآن الذى حاول فيه اثبات أن القرآن مشتمل على أساطير ولكنها نزلت من عند الله ...

هذا وكثيرون ادى بهم جهلهم باللغة العربية وبالقرآن الى الطعن فيه مسلمين كانوا أو مستشرقين لا يسع المجال ذكرهم الآن ولكن سيأتى بيان لذلك فيما بعد ... ان شاء الله .. الآن يمكننا أن نحصر الاسباب التى أدت الى الطعن فى القرآن من خلال ما ذكرنا فيما يلى :

١ ــ الحقد ٢ ــ الحسد ٣ ــ اختلاف الدين

٤ ــ الخوف ٥ ــ نصرة مذهب بعينه ٦ ــ الطمع

٧ ــ الجهل ــ الاجتهاد الخاطىء

وهذه هى ابرز الاسباب وتكون بذلك قد اجبنا على السؤال ..

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ، ص ٦٣ .

[illegible] تحت عنوان الاستشراق ..

لماذا ترد الهجوم على القرآن ...؟

بدا لى أن أطرح هذا السؤال فى مقابل الذى تقدم وأجبنا عليه فى الفقرة السابقة، جاعلا هذه الفقرة وقفا على الاجابة عن هذا الذى بين أيدينا ... فأقول :

ان القرآن لا شك هو أغلى من كل شىء عندنا نحن المسلمين ، اذ هو أصل عقيدتنا وروح شريعتنا ... و [illegible] بمن عنده شىء عزيز وتعيس أيا كان هذا الشىء أن يضن به على الاعداء ، ويأبى أن يمسه السوء وبدهى أن من كان يملك عرضا ثمينا تعرض للنهب أو السلب فانه — ولا ريب — سيدافع عنه مستبسلا ان كان حريصا عليه حقا ... ومن باب أولى من تعرض شرفه وعرضه للطعن ... وكرامته للانتهاك ، فانه ولا شك سيستميت فى الدفاع عن ذلك العرض وتلك الكرامة ، ان كان حقا ذا مروءة ، ونخوة ، وشجاعة وكم رأينا اناسا بذلوا ارواحهم ، وكل مرتخص وغال لديهم فى سبيل الزود عن التراب لما اعتدى عليه ... وان ذلك ليستحق ، ولا غرو فى ذلك ولا عجب فللأوطان حبها الذى لا يلام عليه ، ولها الوفاء اللائق بها ..

ولكن العجب أن رأينا أقواما يدافعون عن الباطل لا يألون فى ذلك جهدا ولا يدخرون وسعا فى سبيل ما آمنوا به من مبادىء هى فى الحقيقة لا تساوى شيئا فى قيمتها بجانب هذا الذى نؤمن به ... فكيف نلام نحن ان دافعنا عن كتابنا العزيز وهو أقدس مقدساتنا وقد تعرض للطعن فى تلك القدسية من جانب اعدائه الذين تطاولوا على مقامه الكريم على مشهد منا نحن أهله يحاولون بذلك أن يسلبوه من قلوبنا وأفئدتنا فلا بارك الله فينا ان لم لهذا ولا خير فينا ان لم ندفع عنه وقد علمنا أنه الحق ...

واذا كانت الأشياء التافهة والرخيصة تستحق تلك التضحية من أصحابها وذلك الفداء ! واذا كان الباطل ينال حظا وافرا ونصيبا طيبا من الدفاع عنه حتى لا يمسه أحد بشيء ، فكيف بنا نحن أهل الحق ؟! .. لا جرم أننا أولى منهم وأجدر أن لا نقصر دونهم إن لم نفقهم في حماية ما آمنا به .. هذا أولا .. أما ثانيا فاننا نرد عليهم حتى لا تنفرد كتاباتهم في الساحة فتجد من يستمع اليها فتستهويه تخوفا من هذا .. وخوفا من اغترار الجهلة بمحدثات الأمور ، واسراعهم الى خطأ المخطئين ، والاقوال الساقطة عند من يظن أنهم علماء رأينا الرد عليهم والكشف عن فساد أقوالهم " صحيح أن فيها كذبا وتضليلا .. وصحيح أنها صادرة عن حقد عميق ولكنه ليس كلاما فارغا ولا يخدمنا في شيء أن نلقيه بعيدا ثم نجر اللحاف وننام .. لأن هذا الكلام الفارغ هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما اعداؤنا والحديد والنار لا يقابلان الا بالحديد والنار .... اذا كان هذا كلاما فارغا فلنشمر عن سواعدنا ولنكتب نحن الشيء المليان "[1] فلا يليق بنا اذا رأينا شيئا لا يعجبنا أن نلقيه بعيدا ونقول كلام فارغ .. وماذا نعمل أمام " عشرات الكتب التي تنشر هنا وهناك كل شهر ، كتب كثيرة يكتبها الاعداء والخصوم ... انها اسلحة تنفعهم في المعركة لا مجرد فقاقيع يلعب بها في الهواء ثم تتلاشى ... إننا قد نسخر منها ولكنها في النهاية تؤذينا ... إنها سم يستقر في الجسد فماذا نفعل نحن لنتقي هذا السم ؟ هل نتجاهله ونقول كلام فارغ ؟! أم هل نكتفي بمقال ننشره في صحفنا نطمئن به أنفسنا

---

(١) محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : ص٥٧٦ـ٥٧٧

على أن كل شيء بخير ؟ إن هذه الكتب تنشر في الدنيا كلها على نطاق واسع والرد عليها لا يكون إلا في الدنيا كلها وعلى نطاق واسع ... وهذا بالضبط هو واجبنا اليوم[1] " لأن الأعداء قاتلهم الله " لا ييأسون من هذا التكرار ، لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلا جديدا غير الذي سمعهم من قبل وقد ينجحون في اغواء بعض من ضاقت بهذه حيلهم من قبل وهم يعتمدون مع ذلك كله على افراد عصاباتهم ممن وصلوا الى مراكز تسمح لهم بمد يد العون في ترويج هذه الدعاوى ، وفي وضعها موضع التنفيذ وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والاذاعة ووزارات التعليم والجامعات لذلك كان فرضا لازما على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم وركونا الى أنه قد اذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل سمومها "[2] وهذا ما نحن بصدده ولهذا نرد عليهم وليس هم بالذات في حسابنا عند ما نرد عليهم ، وانما في حسابنا طائفة من الشباب المخلص المفكر المستنير . لهم رغبة صادقة في الوصول الى الحقيقة ولكن هذه الشبهات تعترضهم فلا يعلمون لها ردا ونخشى مع مرور الايام أن تحجب النور عن عيونهم فيجلسوا في الظلمات حائرين .[3]

ولم يكن من قصدنا في الرد عليهم اقناع هؤلاء الطاعنين في الدين والقرآن كلا فان أكثر هؤلاء دعاة وليسوا بطلاب حق ولا يخرجهم من ضلالهم الا أن

---

(١) المصدر السابق ص٥٦٥ .

(٢) محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ص٢١٢ .

(٣) انظر محمد قطب : مقدمة الطبعة الحادية عشرة لكتاب شبهات حول الاسلام .

يرزقهم الله الهداية ويشرح صدورهم للايمان ، ولا حرج عن فضل الله ولا ييأس من رحمته ولكن اكثر قصدنا في هذه الكلمات التي نوجهها على هؤلاء الى الشباب خاصة لننبههم الى ما قد يخفى عليهم من حيل الهدامين وأساليبهم ولسنا نبالي أن يكون المنتفعون قليلين ولكن المهم لدينا أن يكون التحذير موجودا وأن الساحة ليست خالية من ترياق مضاد لتلك المفتريات[(١)] .. أعود فأكرر القول بأننا لا نهتم بالطاعنين لذاتهم " ولا لأن ما يقولونه في ذاته عظيم الخطر، ولا لأنهم يثيرون قضايا عميقة ،أو مشكلات عميقة ،أو لأن دراساتهم دراسات منهجية — كما يزعمون — ليس هذا هو الذي يجعلنا نهتم بهم انما الذي يجعلنا نهتم بهم مع التفاهة البالغة لما يقولون أن لهم تلاميذ ينتشرون في كل بقاع العالم الاسلامي هم في الحقيقة دعاة ولكنهم دعاة ضد الاسلام ""[(٢)]

فهل ترى أهل العلم ومن هم أقدر منا على تهديد تلك الشبهات ونسف المطاعن مواصلين كفاحهم في هذا الشأن اننا بعملنا هذا نثير أما مهم القضية من جديد فهل تراهم فاعلين ... أو على الأقل هل هم راضون عن مثل هذا العمل ؟ ذلك ظني أم يقولون في انفسهم كما قال لي أحدهم وجدته في مجلس أحد المشائخ تعودت أن استفيد منه بالسؤال عن أشياء تخص بحثي وغيرها فقد كان الرجل ذا علم ،وكان جزاه الله خيرا نعم الرجل الذي اذا سئل أجاب ، وكان أن اكثرت من السؤال في ذلك اليوم

---

(١) انظر محمد محمد حسين: المصدر السابق : مقدمة الكتاب .

(٢) محاضرة الاستاذ محمد قطب في قاعة المحاضرات بالجامعة الاسلامية عن المستشرقين ، أوردتها مجلة المجتمع عدد ٣٤٠ بتاريخ ٨ مارس ١٨١٩٧٧ / ربيع الاول ١٣٩٧ هـ :

بالبحث فيه ، ولعلى قد أخذت من الوقت ما جعل أخانا يضجر — هكذا ظننت ابتداءا — اذ كانت نبرته تنم عن ذلك حين قال لى : انك وكثيرون غيرك تتعبون السكم ايما تعب ، وتضيعون جهودكم فى غير موضعها الذى ينبغى أن تبذل فيه ، وتصرفون أوقاتكم فيما لا يستحق أن تصرف فيه وذلك عين السفه ، وسعيكم فى تحصيل شىء حاصل لهو عين العبث ومنتهاه ، أما علمتم أن للقرآن ربا يحميه ؟ وقد تكفل بحفظه وبقائه الى يوم البعث ؟ ففيم هذه الضجة الكبرى التى تحدثون ؟ وعلام هذه الزوبعة التى تثيرون ؟ الا تؤمنون بوعد الله ؟ أم أنتم أشد غيرة منه على كتابه ، قلت له عندها : يا أخى رفقا بى وحلما على ، ان كنت قد سكت انت وغيرك فدعنى وغيرى لنتكلم وان كنت لا تريد أن تحمل فاتركنا — على الأقل — أن نعمل . بلى يا اخانا اننا نؤمن بهذه الحقيقة وربما أكثر منك ولسنا بأشد غيرة من الله على كتابه بل القليل الذى عندنا مستمد من فضله ، وانا لنرجوه أن يرزقك من تلك الغيرة ويزيدنا منها ، وانى قبل أن استرسل فى الاجابة عما قلت لأشكرك على صراحتك وانى لأحمل ذلك منك المحمل الحسن ولكن ما يدريك يا أخى .... ؟ فقد يكون عملنا هذا ومثله من دواعى ذلك الحفظ ومن اسبابه ، وقد جرت سنة الله فى الكون أن يرتب المسببات على اسبابها مع كونه قادرا على ذلك دون عمل منا (انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (1)

لا شك أنه هو الحافظ فى الحقيقة ، ونحن فقط علينا أن نعمل ونسعى جادين فى اتخاذ الاسباب التى نراها بنظرتنا البشرية ونقدرها

---

(1) يس : الآية ٨٢

فى حسابنا كخلق أنها اذا توفرت كان ذلك الحفظ وكل ما فى الأمر — فيما أعلم — أن الله عجل بهذه النتيجة ليشحذ منا العزائم والهمم لمثل هذا العمل ونحن متهيئون من ثمرته فتطمئن منا القلوب ، وتلك ميزة خص الله بها هذا الكتاب العزيز ولو كان الأمر كما قلت لما دافع القرآن عن نفسه فى كثير من آياته أمام مطاعن الاعداء فيه وفيمن أرسل به ، ولا ريب أن فى ذلك الاشارة الكافية لشرعية العمل الذى نقوم به وما هو مثله ، ولو كان الأمر كما فهمت لما كتب القرآن ابتداء ا ولما جمع بعد ذلك فى تلك الصحف ثم نسخ بعدها فى تلك المصاحف العثمانية ، ولما تولى علماء الاسلام من قديم الزمان الدفاع عنه ولقالوا مثل قولك ...

ان الله قد حفظ كتابه لاشك فى ذلك والواقع يؤكده فلا ريب أن النص القرآنى فى حصن حصين ، وتلك مرحلة تخطاها القرآن أعنى أن يضيع منه شىء أو يزاد فيه أو يدخله أى تحريف فى نصه ، فذلك مالا نخشى من جهته ، وذلك مالا سبيل اليه لا نقلا لما سبق ذكره ولا عقلا (١) وقد توفرت الدواعى الكثيرة الى ذلك منها : أنه قد طبع منه بلايين البلايين من النسخ على مختلف الروايات واصولها محفوظة فى أماكنها الحصينة والأمنية ، علاوة على ملايين الملايين من الحفظة فى شتى بقاع العالم وكل يوم يطبع منه المزيد ويطالب بطبعه ، وفى كل يوم يزيد حفاظه وتشيد منشآته ومؤسساته ، وتقام المسابقات فيه على مستوى العالم ... اننا فى الحقيقة لا نخاف أن يضيع القرآن بمعنى أن يضيع نصه فذلك ما لا نقصده ، فتلك مرحلة تخطاها

---

(١) فى قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر ٩ .

القرآن كما قلنا ونكرر ذلك مؤكدين ... فأسرع صاحبي قائلا : يا أخي مالك تلف وتدور لتأتي في النهاية وتقول نفس الذي سبق أن قررداه (فمثلك كمن ابحر في (ينبع) يريد اروبا وأمامه (قناة السويس) أقرب الطرق البحرية اليها فاذا به يعرض عنها ليصل الى هدفه عبر رأس الرجاء الصالح وما كان اغناه عن ذلك ... وها أنت بعد جهد فسرت الماء بالماء فما عليك وماذا يضيرك لو سلمت لما قلنا ابتداء ، ووفرت علينا وعلى نفسك الوقت الذي ضيعته في تلك الفلسفة وها أنت تقول أخيرا انك لا تخشى من ضياع القرآن فحكمت على نفسك بنفسك ... فعجلت في الاجابة قائلا : أجل يا أخانا لا نخشى من صيانة بالمعنى الذي ذكرته فذلك لن يكون وحتى الاعداء انفسهم قد يئسوا من ذلك فما عادوا يحاولون الدس فيه والتزييف ، بل وما عادوا يصرفون الناس عنه صراحة .. وانما لجأوا الى أسلوب آخر في حرية الا وهو الطعن فيه والتشكيك فيمن أرسل به وهذا ما نحن بصدد دفعه في هذا العمل فاننا في الحقيقة نخشى أن يضل الناس عن القرآن فيضل سعيهم في الحياة الدنيا والآخرة وذلك هو الذي عين الضياع ، وأن يتركه أهله وحملته و يعرضون عن توجيهاته وتعاليمه فذلك هو الخسران المبين ، فمن أجل ذلك يا أخانا ندافع عن القرآن فكن عونا لنا في هذا الواجب ، فقال انني في الحقيقة اسلم لكم بشرعية عملكم هذا ، ولكن لست معكم فيه بل لا احبذه لأنه يعطي الطاعنين من الأهمية ما لا يستحقون ومن هم حتى نعتبر القرآن كلام الله متهما أمامهم فندافع عنه فقلت له يا أخي : اننا في الواقع نهتم بهم — وهذا أمر كثيرا ما اكرره — وليس ذلك لذاتهم ومكانتهم ولا لأنهم من أهل العلم ولا لأنهم يثيرون قضايا ذات بال تحتاج منا الى كبير جهد في الرد عليها وليس لأنهم — كما هو شاع بالباطل —

اصحاب منهج فى الدراسة فما اتفه ما يكتبون — فى — معظمه — وخطرهم ليس فى ذاتهم ولا فى ذات تلك الشبهات وانما لأنها تجد سبيلها الى قلوب ابناء الاسلام فتعطل سيرهم فى طريق الايمان ، كذلك قد تغزوا قلوبًا غيرها فتصدها عن هذا السبيل ، فشرهم كما ترى ليس مقصورًا عليهم ، بل تعداهم الى كثيرين غيرهم . فلذلك نهتم بهم ، ولا ينبغى أن نهون فى أمرهم ونحتقر شأنهم اذ النار من مستصغر الشرر وقديما قيل :

فلا تحقرن عدوا رماك — وان كان فى ساعديه قصر

فان السيوف تجز الرقاب — وتعجز عما تنال الابر [(١)]

ولو تتبعنا تاريخ الدعوة الاسلامية منذ انبلاج فجرها لوجدنا أن امثال هؤلاء ما كانوا يتركون على حقارتهم بل القرآن كان يدافع والرسول كان يدافع وكان له من اصحابه شعراء وغيرهم يدافعون عنه وعن الاسلام اذا ما هجاه الاعداء أو طعنوا فيما جاء به ، وكذلك التابعون من بعدهم كانوا يدافعون عن الدين ولو تتبعنا كتابات السابقين لوجدناها حافلة بالردود على امثال هؤلاء هى من الكثرة بمكان بحيث لا تخلو منها مكتبة اسلامية ، [(٢)] فـ حينما نقوم بهذا العمل لسنا والحمد لله بدعا فيه وانما بهم نقتدى وعلى دربهم نسير وليس القرآن بمتهم وهم وأولئك قضاته ندافع عنه أمامهم كلا ولكنهم اعداوءه وخصومه ونحن ندافع عنه ونخاصمهم أمام الحاكم العادل الذى انزل هذا القرآن وبراءه من كل عيب ثم أمام ذوى العقول اينما كانوا فهم المتهمون بالاساءة الى القرآن فى الحقيقة ... فقال لى صاحبى : اننى على كل حال قد سلمت لك

---

(١) ابن حزم : الرد على ابن النغريلة اليهودى ص المقدمة .

(٢) ولنا فى هذا المدخل فقرة نبين فيها هذه الجهود .

ولو أن فى نفسى شيئا فقلت وماذاك ؟ قال اذا كان لابد من الرد والاهتمام بالطاعنين فينبغى أن يقوم به من هم ضليعون فى العلم وقد طال باعهم فيه وعلا كعبهم ولست أدت من أولئك ، انما أنت طالب علم مازلت فى أول الطريق وانى لا أخاف أن تسىء من حيث تحسب انك تحسن صنعا فتثير الشبهة ولا تقوى على سحقها وقتلها فتكون قد اعنت على انتشارها وذلك ما يريده الاعداء ، وكان غرضى من المحاورة التى دارت أن اثنيك عن هذا العمل اشفاقا عليك وامثالك من طلاب العلم المتحمسين لكنى امام اصرارك لا يسعنى الا أن ادعو لك بالتوفيق وأرجوك الا تسىء بى الظن فقلت له انى اشكرلك الحرص ، وتلك النصيحة القيمة وغفر الله لك اذ اثرتنى ولكن لابد من أن ابين لك حقيقة هنا وهى :

أن اكون عونا فى انتشار تلك الشبهات ليس واردا ابدا فالاعداء امكاناتهم أوسع منا وأكبر لدرجة أن هذه المفتريات صارت تصل الى أناس بالبريد (1) فهى موجودة فى كل الاوساط فى كل بقاع العالم لتحكمهم كما اسلفنا فى كثير من اجهزة الاعلام ، ثم حتى تطمئن فانى أوكد لك ان تلك الردود انما يقوم بها فى الحقيقة أهل العلم بطريق غير مباشر وما انا فى ذلك الا وسيلة — فقط — وما هى ذى كتابات العلماء بين يدى ، وما أنت ترانى لا اقصر فى سؤال أهل العلم وأخيرا لا يغيب عن بالك أننى اسير فى هذا العمل يرافقنى فيه توجيها وارشادا من أحسبه أهلا لذلك وهو حريص بأن لا يدعنى أقع فى الخطأ المشين ثم بعد ذلك كله فانى أستمد من الله العون واستلهمه التوفيق فيما أنا مقدم عليه وهو ولى ذلك والقادر عليه .. هذه قصة واحد من بين كثيرين التقيت بهم يحملون مثل هذا المفهوم وكلهم بين رافض أو مشفق فاستدعى ذلك ايراد هذه المحاورة على طولها لأنه قد يكون فيها ردا على الكثيرين، وان انسى فلا انسى

قول احدهم لى بعد أن علم بما أنا مقدم اليه : أما سمعت بقصة (الاعمش) الذى جفته زوجته لعيوب فيه فأرسل أحد تلاميذه أو اصدقائه ليبين لهــــا مكانته وفضله وعلمه بما يجعلها تتغاضى عن تلك العيوب وتنساها ، ولم يكــــن الرسول حصيفا أو كان خبيثا فأراد أن يوسع هوة الخلاف فقال لها لايضــيرك عمش عينيه ودقة ساقيــه و ... وعدد لها كل عيوبه ثم قال فإنه عالم جليــل الى آخـــر — فكأنــك تريد أن توقف القرآن هذا الموقــف ؟! فقلت لــه معــاذ الله وأين هذا من ذاك فإنه القياس مع الفارق الكبير جدا فا ن الاعمش معيب حقــا ، ولكن هل هذه الطعون موجودة حقيقة فى القرآن ؟ حتى نخاف من ذكرها وماذا فى ذلك مادمنا سنكر عليها بالـــرد ؟ وقد كان لنا سابــق كلام فى افتتاحه هذه الرسالة [1] فارجع اليه .. وأحسب أن القارىء قـــد أدرك لماذا نقوم بالرد على هؤلاء .. وأن الأمر قد صار واضحا لديه ..

---

(١) فى ردنا على منتقدى المنهج ..

من مجهودات علماء الاسلام في الدفاع عن القرآن ..

هذه الفقرة نذكر فيها بعض المؤلفات التي تعبر عن جهاد أهل العلم من

هذه الامة في الدفاع عن كتاب الله قديما وحديثا ..

وقد قسمتها الى اقسام اربعة وهي :

أ — كتب ألفت في بيان اعجاز القرآن ، وهذه تعتبر مدرسة قائمة بذاتها في الزود عن الكتاب العزيز باظهار وجوه اعجازه وبلورتها بما يؤكد ربانية هذا القرآن ... ويدعو الى أنه لايمكن أن يكون الا من عنده عز وجل .. وفي هذا رد مباشر على من يزعمون أن القرآن من عند محمد — عليه الصلاة والسلام — ، من انتاجه الذاتي أو بتعليم من الغير لاسيما أن تأليف هذه الكتب في الغالب هو طعن الاعداء في القرآن ، فاضطر هؤلاء الى وضع هذه الكتب في الرد عليهم ، وهذا ما نجده مكتوبا في بعض مقدماتهم لتلك الكتب ، حيث يشيرون فيها — الى أن دافعهم الى ما كتبوا هو ما ذكرنا ، وسندلك عليه ان شاء الله ...

ب — كتب لم يقصد بتأليفها رد المطاعن عن القرآن ، ولكنها خدمت الموضوع ضمنا ، حيث اشتملت على دفع كثير من الشبهات التي اصطنعها الاعداء ...

ج — كتب افردت بالرد على من طعنوا في الكتاب العزيز ، افرادا أو هيئات ((

د — كتب في العقيدة : ونقصد بها التي تثبت وجود الخالق الذي انكره الجاحدون ، الخالق الذي نزل هذا القرآن فلا ريب أن الطعن في وجوده طعن في القرآن مباشر — ولذلك تفصيل في تمهيدنا للباب الأول — ولا ريب أن المثبتين له مدافعون بحق عن القرآن الكريم أمام جحد أولئك وانكارهم

هـــذا ... ولقد سبقنا القول فى التمهيد للمدخل ببيان غرضنا مـــن عرض هذه الجهود، ونريد أن نذكر هنا بجانب ماذكرنا هناك، أننا أحببنـــا أن يجد من يبتغى التوسع فى هذا الموضوع بغيته فى هذه الكتب، فيجد أمامـــه ما يمكنه من الرجوع إليها بيسر، ثم لمعرفتها كمراجع قد تنفعه فى بحثه واطلاعه غير أن المجال لايسعنا لذكر كـل ما نعلمـه منها فى هذه الفقرة، ولكننـــا سنمثل لكل نوع من هذه الكتب على أن نوافيك فى الخاتمة – باذن اللـــه – بقائمـة تضـم الكثير ..منها، بغض النظر عن أن يكون قد ورد لها ذكر فـــى ثنايا هذه الرسالة أم لا لان الهدف الأساسى هو بيان جهود أهل العلـــم على أننا حتما قد استفدنا منها، وهذه الفائـدة قد تكون بالايحاء بفكرة مـــن بعضها، أو التقليـد فى خطة، فى بعضها، أو الارشاد الى مصدر من بعضهـــا أو ربط تكون فى مـادة مرجوءة الى الرسالة القادمة – ان شاء الله – والآن نورد الأمثلة للاقسام الاربعة التى ذكرنا بذلك الترتيب الذى تقدم .. فنستهلهـــا بكتـب فى :

** اعجـاز القـرآن الكريـم ..

* اعجـاز القـرآن : (للباقلانـى)[2]

والنسخة التى بين يدى منه هى طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق الاستاذ السيد أحمد صقـر وهى طبعته الثالثة . يقول صاحبه فى مقدمتـه بعد كـــلام " فالناس بين رجلين، ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد، وآخر مصدود عن نصرتـه مكدود فى صنعته، فقد أدى ذلك الى خوض الملحدين فى اصول الدين، وتشكيكهم

---

(١) انظر الصفحات ١ – ٣ .

(٢) هو ابو بكر محمـد بن الطيب الباقلانى توفى سنة ٤٠٣ هـ .

أهل الضعف في كل يقين ، وقد قل الضارة واشتغل عنه اعوانه ، وأسلمه أهله فصار عرضه لمن شاء أن يتعرض فيه حتى عاد مثل الأمر الأول على ماخاضوا فيه عند ظهور أمره فمن قائل قال : انه سحر وقائل يقول : انه شعر ، وآخر يقول وانه اساطير الأولين ، وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التى حكى الله عز وجل عنهم أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به ، فصرفوه اليه .

وذكر لى عن بعض جهالهم أنه جعل يعدله ببعض الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه (

وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم الى عظيم مايقولونه اخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم . الا أن أكثر من كان طعن فيه أول أمره استبان رشده وابصر قصده فتاب وأناب ، وعرف من نفسه الحق بغريزة طبعه ، وقوة انقاده لا لتصرف لسانه ، بل لهداية ربه وحسن توفيقه . والجهل فى هذا الوقت اغلب والملحدون فيه عن الرشد ابعد وعن الواجب اذهب .(١)

وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة فى معانى القرآن ، وتكلم فى فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول فى الابانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه ، فهو احق بكثير مما صنعوا فيه ... فالحاجة الى هذا أمس ، والاشتغال به أوجب ، وقد قصر بعضهم فى هذه المسألة حتى أدى ذلك الى تحول قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها ورأوا أن عجز أصحابهم عن نصرة هذه المعجزة يوجب أن لا مستنصر فيها ولا وجه لها .... وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التى تعرض للجهال ، وتنتهى الى مايخطر لهم ، ويعرض لأفهامهم : من الطعن فى وجه المعجزة فأجبناه الى ذلك "(٢)

---

(١) هذا فى زمان الباقلانى فكيف بهذا العهد

(٢) مقدمة اعجاز القرآن ص ٩٢ .

أوردنا هذا الجزء من كلام الباقلانى للاشارة الى الدافع الذى حداه لتأليف كتابه وهو يغنينا عن الاستشهاد بغيره فى هذه العجالة وسنعرض ما بقى من الكتب فى هذا القسم بايجاز شديد ...

* بيان اعجاز القرآن : (للخطابى)[1]

وهذا كتاب يفند فيه صاحبه بعض ما أورده المعترضون من شبه ضد اسلوب القرآن .

* الرسالة الشافية فى الاعجاز : (للجرجانى)[2]

وهذا الكتاب وسابقه ضمن ثلاث رسائل فى الاعجاز بتحقيق الاستاذ محمد خلف الله أحمد ود . محمد زغلول سلام . طبعة دار المعارف بمصر والتى اطلعت عليها هى الطبعة الثالثة . وهو كسابقه يعنى ببيان الاعجاز فى الاسلوب القرآنى .

* النكت فى اعجاز القرآن (للرمانى)[3]

والكتاب هو الرسالة الثالثة المكملة لسابقيه ، وهو فى مجالهما ايضا .

* معانى القرآن : (للفراء)[4]

والتى أمامى هى نسخة من طبعته التى اخرجتها دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ وقد غلب على الكتاب اتجاهه اللغوى فهو يهتم غاية الاهتمام بهذا الجانب الاعجازى فى القرآن .

---

(١) هو أبو سليمان محمد بن ابراهيم الخطابى البستى (٣١٩ — ٣٨٨ هـ) .

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى توفى على الراجح سنة ٤٧١ .

(٣) هو أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (٢٩٦ — ٣٨٦ هـ) .

(٤) تقدمت ترجمته انظر تعريف القرآن ص٤ .

* كتاب الفوائد المشوق الى علم القرآن وعلم البيان : (ابن القيم)[1] ولقد اطلعت على طبعته بتصحيح محمد بدر النعساني سنة ١٣٢٧ هـ وهي الاولى على نفقة محمد أمين الخانجي — وغاية هذا الكتاب الحديث عن بلاغة القرآن ، وهو مشوق حقا ..

* اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : (الرافعي)[2] ولقد اطلعت على طبعته التاسعة سنة ١٩٧٣ م من نشر دار الكتاب العربي ببيروت ، والكتاب عرض للقديم باسلوب جديد كما أنه لا يخلو من الجديد وبيان صاحبه لا يشق له غبار ..

* بلاغة القرآن : (محمد الخضر حسين)[3] ولقد طبع بتحقيق علي الرضا التونسي سنة ١٩٧١ م في المطبعة التعاونية بدمشق ومن عنوانه يظهر للقارئ أنه يعتني ببيان الاعجاز البلاغي للقرآن .

* التفسير العلمي للآيات الكونية : (حنفي أحمد)[4] ولقد اطلعت على طبعته الثانية التي اخرجتها دار المعارف بمصر .

* مع الطب في القرآن : (للدكتورين :عبد الحميد دياب ، واحمد قرقوز)[5] ولقد اقتنيت نسخة من طبعته الأولى سنة ١٩٨٠ م من نشر مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، والكتاب بيان للسبق القرآني في كثير مما جاء به في مجال الطب أي ما فسر من آياته بما يتفق مع حقائق علمية طبية .. وقيمة الكتاب تزيد اذا ما علم أن مؤلفيه من المختصين في هذا الميدان .

---

(١) شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٧هـ

(٢) مصطفى صادق الرافعي من علماء مصر وكتابهم المشهورين في القرآن الهجري الماضي

(٣) احد علماء الازهر المشهورين ودرس ايضا في جامع الزيتونة بتونس كذلك بدمشق

(٤) من كتاب مصر المعاصرين

(٥) من المعاصرين العاملين في مجال الطب البشري

* القرآن والعلوم العصرية : (طنطاوى جوهرى) [١] رأيت نسخة من طبعته دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه ، وقصد صاحبه بيان اعجاز القرآن العلمى وكشف السبق القرآنى فى هذا المضمار .
* الاعجاز العددى فى القرآن : (د . محمد رشاد خليفه) [٢] طبع مكتب دار الشئون الجامعية فى حمص بدون تاريخ للطباعة يثبت فيه صاحبه اعجاز القرآن بطرق حسابية وهو فريد فى استدلاله .
* الاعجاز العددى : (لعبد الرزاق نوفل) [٣] وهو كسابق يعنى بالاعجاز العددى ولكن فى الكلمات بينما الأول فى الحروف المقطعة فى أوائل السور وبين يدى نسخه من طبعته .
* بينات من المعجزة الخالدة : (حسن ضياء الدين عتر) [٤] والكتاب جزء من رسالة دكتوراه فى التفسير من جامعة الازهر سنة ١٩٧١ م تعرض فيه لدراسة اسلوب القرآن البيانى ، واعجازه العلمى والتشريعى والخلقى وغيرها — ونقض فيه بعض مزاعم المستشرقين، وبين يدى طبعته الأولى سنة ١٩٧٥ الصادره من دار النصر بسوريا .
* التصوير الفنى فى القرآن : (للشهيد سيد قطب) [٥] والكتاب ابراز لاعجاز القرآن فى تعبيره وسحر معانيه وتأثيره فى نفوس سامعيه باسلوب فريد لا نظير له فى هذا المجال لاسيما ، والكاتب قبل أن يكون داعية الى الاسلام : اديب معروف بعمقه فى كتاباته كلها ، ولقد اظهر هذا

---

(١) من أهل العلم المشهورين فى القرن الماضى الهجرى .
(٢) كاتب مصرى معاصر له جهود مشكورة فى الدعوة الاسلامية بامريكا .
(٣) عالم مصرى شهير معاصر .
(٤) من علماء الشام وهو أزهرى يحمل دكتوراه فى التفسير .
(٥) من شهداء الاسلام فى القرن الهجرى الماضى وهو كاتب مصرى معروف رحمه الله .

الجانب الساحر في القرآن أيما اظهار ، فصدم بذلك كل من ينكر هذه الخصيصة في الكتاب العزيز .. والطبعة التي بين يدى ليس لها تاريخ ولا ذكر للناشر ، فقد تكون طبعت من غير علم أصحاب الحق . فلقد جرت عادة بعض دور النشر طبع كتب أناس تعلم أن لها رواجا لقيمتها أو لمكانة كاتبيها وتنشرها لغرض تجارى وهذا كثيرا ما يحصل كما أخبر بذلك الاستاذ محمد قطب .(١)

هذا ما أحببت أن أتعرض له بالذكر هنا من كتب الاعجاز وهو غيض من فيض والآن ننتقل الى نوع آخر من مجهودات أهل العلم وهو: كتب لم تفرد للدفاع عن القرآن ولكنها قد خدمته ضمنا ..

فاليك منها ما يلى :

* مناهل العرفان فى علوم القرآن : (للزرقانى)(٢) وظاهر من عنوانه أنه فى علوم القرآن ، الا أن صاحبه قد عالج فيه ما يزيد عن الخمسين شبهة ومطعن حامت حول الوحى ، والقراءات واسلوب القرآن وجمعه ، وكتابته ورسمه ، وتواتره ، وقد أبلى الرجل بلاء حسنا وجهد جهدا عظيما فى دفع تلك الشبهات رحمه الله رحمة واسعة ، والذى بين يدى نسخة من طبعته الثالثة بتاريخ سنة ١٩٧٢م مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

* المدخل الى دراسة القرآن الكريم: (د . محمد محمد ابو شهبة)(٣) وقد فند فيه صاحبه كثيرا من المطاعن والشبهات بحجج قوية وبراهين ساطعة ، وهذه نسخة من طبعته الثانية بدون تاريخ وهى طبعة دار الكتب الحديثة للطباعة بالقاهرة .

---

(١) انظر مقدمة شبهات حول الاسلام لمحمد قطب .
(٢) من علماء الازهر المعروفين توفى فى القرن الهجرى الماضى .
(٣) من علماء الازهر المعاصرين يعمل فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة

* مباحث في علوم القرآن: (د • صبحي الصالح)[1] وقد عالج فيه بعض الأوهام والشبه حول القرآن افتعلها الاعداء بأدلة قوية: وهذه نسخة من طبعته الحادية عشرة بتاريخ سنة ١٩٧٩ من مطبعة دار القلم للملايين ببيروت •

* فصل الخطاب في سلامة القرآن: (للدكتورين الكومي والقاسم)[2] وان كان عنوان الكتاب يوحي بأنه قد افرد للدفاع عن القرآن من حيث سلامته الا أنه لا يختلف عن سابقيه لكونه تعرض أيضا لعلوم القرآن وضمنا رد على بعض الشبه والمطاعن وجهت إلى تواتر القرآن من جانب الرافضة وشنع بها المستشرقون وكذلك دفع شبها حامت حول رسم القرآن، وهذه نسخة من طبعته الثانية التي اخرجتها دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه بدون تاريخ •

* التبيان في علوم القرآن: (محمد على الصابوني)[3] وبين يدى نسخة من طبعته على نفقة (الشربتلي) وهو ايضا في مجال علوم القرآن كما هو واضح من عنوانه وتعرض لمطاعن حول القرآن ردها ضمنا في خاتمته ••

* مدخل الى القرآن الكريم: (د • محمد عبد الله دراز)[4] والكتاب عبارة عن عرض تاريخي وتحليل مقارن وقد افرد فيه صاحبه بابا كاملا هو الثالث للرد على ما وجه الى القرآن من مطاعن حامت حول مصدره وقد ناقش فيه

---

(١) من علماء الشام المعاصرين يعمل في جامعة دمشق

(٢) مصريان ازهريان معاصران يعملان بأصول الدين بالازهر

(٣) معاصر يعمل بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وهو مشهور

(٤) من اعلام الفكر الاسلامي في القرن الهجري الماضي رحمه الله الذين اثروا المكتبة العربية والاسلامية •

كل الفروض المحتملة بأن يكون الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد اخذ منها القرآن مقتبسا أو متأثرا ، فلم يجد فيها مايمكن أن يكون مصدرا للقرآن فسقطت مزاعم الاعداء ... وبين يدى نسخة من طبعة دار القلم بالكويت ، ولا يفوتنا التنويه بأن الرجل قد اتخذ من كتابته منهجا علميا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

* اظهار الحق : (رحمة الله الهندى)(١) وهذه نسخة بتحقيق د . احمد حجازى السقا من نشر دار التراث العربى للطباعة والنشر بمصر . ولقد ألف الكتاب صاحبه فى نقد دين النصارى وبيان تحريفه وان كان هذا فى حد ذاته يعتبر دفاعا عن القرآن لكون هؤلاء أكثر الناس تعرضا له ولكنه بطريق غير مباشر غير أنه قد أفرد فيه بابين هما الخامس والسادس دفع فيهما كثيرا من شبهات القسيسين ومطاعنهم بحجج فى درجة عالية من القوة . وحقا لقد جاء الرجل بطريقة فى علاج الشبهات لم أرها عند غيره الا ابن تيمية(٢) ، وقد ابلى الرجل فى هذا بلاء حسنا فجزاه الله عن الاسلام كل خير .

* تحت راية القرآن : (الرافعى) وهو مجموعة مقالات تشتمل ردودا على على مجموعة افكار خطره تطعن فى الدين أو تؤدى الى الطعن فيه ومن خلاله قام بالرد على طه حسين فى طعنه القرآن فيما أورده فى كتابه الشعر الجاهلى ، فكان ردا بليغا ومفحما ولا زعا لم أر مثله فى لزاعته وشدته على الخصوم فى الاحياء الا مايرد به (الغزالى)(٣) على اعداء الدين

---

(١) من علماء الهند (١٢٣٣—١٣٠٨) له باع طويل فى الدفاع عن الاسلام
(٢) فى كتابه الجواب الصحيح وابن تيمية شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)
(٣) محمد الغزالى السقا من علماء الازهر المشهورين المعاصرين الذين لهم جهد مشكور فى الدعوة الاسلامية ..

في كتاباته ولاسيما كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة الذى سيأتى ذكره ، وكتاب الرافعي هذا طبع عدة طبعات والتى بين يدى هى السابعة سنة ١٩٧٤ نشر دار الكتاب العربى ببيروت ٠٠

* ذ ائف الحق : (للغزالى) وهو أيضا يعالج عدة قضايا ، يكشف فيها أعداء الاسلام ويفضحهم بأسلوبه اللاذع المتميز ، وفيه رد بعض الشبهات عن القرآن ، والكتاب من منشورات المكتبة العصرية بصيدا ببيروت ٠ والطبعة بدون تاريخ ولا أعلم طبعة غيرها ٠٠

* دراسات اسلامية : (محمد عبد الله دراز) والكتاب خصص لدراسة العلاقات الاجتماعية والدولية ، وهو من منشورات دار القلم بالكويت ، افرد فيه صاحبه أكثر من ثلاثين صفحة دفع فيها مطاعن عن القرآن بأسلوبه الفريد المعروف الذى لا تقف أمامه شبهة ومنهجه العلمى المتميز الذى درج عليه فى جميع كتاباته التى اطلعت عليها ٠٠

* الاحرف السبعة فى القرآن : (حسن ضياء الدين عتر) رسالة ماجستير صدرت من جامعة الازهر سنة ١٩٦٨ م تحدث فيها صاحبها عن ماهية الأحرف السبعة وعالج ضمنا كثيرا من المطاعن وجهت الى القرآن من هذه الناحية ٠٠

* رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات : (د ٠ عبد الفتاح شلبى[(١)]) ونسخته التى بين يدى من طبع ونشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٦٠م تناول فيه كثيرا من القضايا التى تتعلق بالرسم وعالج فيه كثيرا من الشبهات

---

(١) من علماء مصر المعاصرين العاملين فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ٠٠

والمطاعن حامت حول الموضوع باسلوب علمي رصين .

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : (ابن تيمية) وهو اربعة اجزاء في مجلدين كلها رد على النصارى في معتقداتهم ، تخللها رد كثير من مطاعنهم في الرسول والقرآن وابن تيمية هو ابن تيمية ويكفي أن يعرف بشيخ الاسلام ، وكتاباته واسلوبه متميز ومعروف فلا يحتاج منا الى تعليق ، وهذه نسخة من طبعة الكتاب التي اخرجتها مطابع المجد التجارية بدون تاريخ ..

* المؤامرة على الاسلام : (أنور الجندي)[1] وكتابه عبارة عن مواجهة لتلك المؤامرة التي تتمثل في احياء بعض الأفكار الخطرة التي البثت ثيابا براقه لتخدع الشباب ، مثل القديانية ، والبهائية ، والقرامطة ووحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها فقد قام الكاتب بكشف هذه الافكار ودحض كثيرا من الشبهات الزائفة وتناول عرضا بعض مطاعن وجهت الى الوحي والقرآن وردها ... وبين يدي نسخة من الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م الصادرة من دار الاعتصام ..

* الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : (د . محمد البهي)[2] والكتاب يدور حول كشف هذه الصلة بين الفكر الاسلامي المعاصر والاستعمار يفضح الحركات التي ظاهرها اسلامي وهي عالة للاستعمار وكذلك بعيان الحركات الاسلامية المقاومة له ، وضمنا تعرض الرجل لرد كثير

---

(١) معاصر من البارزين في مجال الدعوة وكشف الاعيب الأعداء .

(٢) مصري معاصر ذا كتابات قيمة وهو مشهور من اعلام الازهر الذين جمعوا بين الثقافتين .

من الطعون والشبهات أوردها الاعداء على القرآن وفندها بحجج دافعة وبرهان ساطع — والتى بين يدى نسخة من طبعته السادسة بتاريخ سنة ١٩٧٣ م الصادرة من دار الفكر ببيروت ..

* حصوننا مهددة من داخلها : (د . محمد محمد حسين)(١) والكتاب مجموعة مقالات كان قد نشرها فى مجلة الازهر وكان أكبرها تحت هذا العنوان ثم جمعها لتكون هذا الكتاب ، وهو كشف لأوكار الهدامين فى بناء الاسلام من الداخل وفضح لأساليبهم واهدافهم ، وضمنا رد على بعض مطاعن وجهت الى القرآن الكريم باسلوب رصين ومنهج علمى نزيه وهذه نسخه من طبعته الرابعه سنة ١٩٧٧ الصادرة من المكتب الإسلامى ببيروت ..

* محمد رسول الله : (آتين دينيه)(٢) ترجمه وقدم له د . عبد الحليم محمود ود . محمد عبد الحليم(٣) وهو كتاب فى السيرة فند فيه صاحبه ضمنا بعض مطاعن وجهت الى شخص الرسول — صلى الله عليه وسلم — والوحى وقد سبقه المترجمان كذلك بتمهيد ابطلا فيه كثيرا منها والنسخة التى أمامى من منشورات المكتبة العصرية بصيدا بيروت من دون تاريخ

---

(١) من العلماء المعاصرين العاملين فى جامعة الاسكندرية

(٢) مستشرق مسلم عاش فى القرن الهجرى الماضى دفن فى الجزائر وهو فنان مشهور . .

(٣) شيخ الازهر الاسبق [illegible] رحمهما الله تعالى ..

* دراســـة حول ترجمة القرآن : (د • أحمد ابراهيم مهنا)(١) والنسخة التى أمامى من مطبوعات الشعب بمصر وهو دراسة شاملة لأقوال مجموعـــة من أهل العلم فى فترة من الفترات حول ترجمة القرآن الكريم وهـــذه نجدها فى قسمه الأول فهو عبارة عن حصيلة لهذه الدراسة بجانب رأى الكاتب الذى وصل اليه ، وفى القسم الثانى قام الكاتب بعرض مجموعة مـــن الترجمات المختلفـــة للقرآن بين بعض ما جاء فى كل منها من اخطاء فـــى صلب الترجمـــة أو التعليقات وبجانب ذلك فقد قام برد كثير من المطاعن وجهت الى القرآن والرسول = صلى الله عليه وسلم ــ فى مقدمات تلـــك الترجمات فأبلى فيها بلاء ا حسنا وقد افاد الرجل كثيرا من معرفته باللغة الانجليزيـــة فى هذا الصدد •••

هذا ما تيسر عرضه فى هذا النوع من الكتب وننتقل الى الذى يليه وهو :
كتـــب افردت بالرد على من طعنوا فى القرآن افرادا أو هيئات •• فنذكـــر منها يأتى :

* الـــرد على ابن النغريلة اليهودى : (ابن حـــزم)(٢) وقد قام فيه بالرد على هذا اليهودى الذى ادعى التناقض فى القرآن فأفحمه وقطع عليه الطريـــق بحجج وبراهين لا ترد • وبين يدى طبعة الكتاب•

* دفـــاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين : (لمحمد الغزالى) رد فيه على جولد زيهر لطعنه فى القرآن فى كتابه العقيدة والشريعة ردا

---

(١) مدير البحوث العلمية بالازهر الشريف سابقا ويعمل بالدراسات العليـــــا بالجامعة الاسلامية بالمدينة وهو من علماء الازهر الذين جمعوا بين الثقافتين •

(٢) أى محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى [٤٥٦ هـ]

مفحما وقويا استند فيه على ادلة دافعة ، وأما من الآن طبعته الرابعة سنة ١٩٧٥ الصادرة عن دار الكتب الحديثة بمصر .

* نقض مطاعن القرآن (محمد احمد عرفه)[(١)] وقد تناول فيه الرد على طه حسين لتجنيه على القرآن الكريم ، فكان ردا بليغا اسقط فيه مزاعم الرجل وأبطلها بالعقل والنقل وهذه نسخة من طبعته الصادره من

* مزاعم حول قراءات القرآن : (محمد الصادق عرجون)[(٢)] وقد قام فيه بالرد على الطالبة تفريد السيد ... في رسالتها للماجستير من جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٥ ردا علميا باسلوب منطقي ، وهذه نسخة من الكتاب من طبعته الأولى مجهولة التاريخ والناشر ..

* القراءات في نظر المستشرقين والملحدين : (عبد الفتاح القاضي)[(٣)] قام فيه بالرد على جولد زيهر لطعنه في القراءات في كتابه العقيدة والشريعة ردا باسلوب المختص والخبير المتمكن في هذا المجال فانتصر للقرآن بما يليق به اطال الله عمره .. وقد طبعته دار الشعب بمصر ولقد رأيت منه طبعته الاولى غير المؤرخة ..

* دفاع عن القرآن ضد مطاعن النحاة والمستشرقين : (محمد مكي الانصاري)[(٤)] وهذه نسخة من طبعته الاولى بتاريخ الصادرة ... ولقد رأيت منه جزأه الأول فقط ..

---

(١) من علماء الازهر المشهورين توفي في القرن الهجري الماضي .

(٢) ازهري معاصر من المشهورين .

(٣) رئيس لجنة المصاحف بالازهر الشريف واستاذ القراءات وعلوم القرآن بالجامعة الاسلامية من المعاصرين اطال الله بقاءه ..

* تنزيه القرآن من المطاعن : (للقاضي عبد الجبار)(١) وبين يدي طبعه قديمه من دون تاريخ ولا جهة النشر واسم الكتاب كاف في الدلالة على مضمونه .

* دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب (للشنقيطي)(٢) طبع بالرياض سنة ١٣٧٥ هـ ذكر فيه صاحبه أوجه الجمع بين الآيات التي يظن بينها التعارض والتي اتخذها الاعداء مدوحة للطعن في القرآن ورميه بالتناقض وقد الفه تلبية لرغبة تلميذه الشيخ عطيه محمد سالم ..

* شبهات مزعومة حول القرآن والرد عليها : (قمحاوي)(٣) صدرت منه الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ من دار الانوار للطباعة بمصر تناول فيه الرد على كثير من الشبهات والكتاب مقرر على طلاب السنه الرابعة من كلية القرآن الكريم بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

* مفتريات على الاسلام : (أحمد محمد جمال)(٤) وبين يدي طبعته التي صدرت من رابطة العالم الاسلامي وقد دافع فيه صاحبه بحرارة عن الاسلام ولاسيما القرآن ..

* مفتريات اليونسكو على الاسلام : (محمد عبد الله السمان)(٥) وهذه نسخة من طبعته الاولى سنة ١٩٧٦ م وهي صادرة من دار المختار الاسلامي للطباعة والنشر بالقاهرة وهو رد على هيئة اليونسكو العالمية في موسوعتها تاريخ الجنس البشري على ماورد فيها من مفتريات وطعون وقد أبلى في ذلك الرجل وأحسن ..

---

(١)
(٢) محمد الامين [illegible] الشنقيطي من علماء القرن الهجري الماضي المشهورين ، رحمه الله .
(٣) محمد صادق قمحاوي من المعاصرين مفتش بالازهر كان استاذا مساعد بكلية القرآن بالمدينة ،
(٤) من معاصري علماء المملكة المشهورين عضو رابطة العالم الاسلامي .
(٥) من المعاصرين له نشاط جم في الدعوة الى الله .

* الاســلام والمستشرقون: (د. عبد الجليل شلبي)[(١)] وهو كسابقه يرد على هيئة اليونسكو على مطاعنها فى الموسوعة المذكورة، وبين يدى طبعته الاولى ..

* القرآن والملحدون: (محمد عزت دروزة)[(٢)] وهذه نسخة من طبعته الصادرة فى المكتب الاسلامى بدمشق سنة ١٩٧٣ م وفيه يرد على الملحدين الذين طعنوا فى القرآن لاسيما صادق العظم فى كتابه بنية الفكر الدينى ..

* شبهات حول الاسلام: (محمد قطب)[(٣)] وأما من نسخه من طبعته الحادية عشرة سنة ١٩٧٨م الصادرة من دار الشروق، وقد دفع فيه كثيرا من مطاعن الاعداء باسلوب وحجج فى درجة من الوضوح والقوة لا توجد الا عند قليل من أهل العلم وهو من أقدر الناس على صد تلك المطاعن فى هذا العصر . حفظه الله زخرا للاسلام ..

* الاسلام فى قفص الاتهام: (شوقى أبو خليل)[(٤)] وبين يدى طبعته الرابعة من دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٠ م ولقد سمعت أنه ظهر فى طبعه جديدة بعنوان (الاسلام فوق الاتهام) ولقد انتهج فيه الباحث اسلوب القضاء والمرافعات فهو يعقد محكمة يوجه فيها الاتهام الى القرآن والنائب العام فى كل جلسة يكون مستشرقا والقاضى هو العقل والفكر. انظر فى ذلك مقدمته وقد رد فيه مطاعن جمة .

---

(١) من علماء الازهر المعاصرين .

(٢) من علماء الشام المعاصرين .

(٣) من الدعاة الى الله البارزين يعمل بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ..

(٤) من علماء الشام المعاصرين

* حقائق الاسلام واباطيل خصومه : (للعقاد)[1] أورد فيه كثيرا من أباطيل الاعداء ثم كر عليها بحقائق الاسلام فسحقها سحقا ، وبين يدى نسخة من منشورات المكتبة العصرية ببيروت بدون تاريخ ..

* النبأ العظيم : (د . محمد عبد الله دراز) لقد ترددت كثيرا بين جعل هذا الكتاب فى قسم كتب الاعجاز وبين هذا القسم فهو صالح للاندراج تحت كل فهو كتاب اعجاز بحق وهو رد على من زعموا أن هذا القرآن من عند محمد أو غيره كأنه افرد فى هذا ولما كانت هذه النسمة فيه اكبر أوردته هنا ، وهذه نسخة من مطبوعات دار القلم بالكويت سنة ١٩٧٠ م فى طبعته الثانية .

وهذا ماتيسر ايراده فى هذا المجال ونتقل الآن الى القسم الرابع والأخير الخاص بكتب العقيدة فنورد منها ما يلى :

* قصة الايمان (للشيخ نديم الجسر)[2] سلك فيه اسلوب الحوار بين شيخ وتلميذه وهذه نسخة من طبعته . الثالثة سنة ١٩٦٩ عن دار الكتب الاسلامية ببيروت ،

* الله جل جلاله (لسعيد حوى)[3] طبعة مجهولة الناشر والتاريخ

* وجود الله (د . يوسف القرضاوى)[4] الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة ،

* العقيدة فى الله (للشيخ عمر سليمان الأشقر)[5] الطبعة الثانية الصادرة عن مكتبة الفلاح بالكويت سنة ١٩٧٩ م .

---

(١) من علماء مصر المعروفين الذى كان له صدى فى القرن الهجرى الماضى رحمه الله .

(٢) من علماء الشام المشهورين فى القرن الهجرى الماضى — رحمه الله .

(٣) من علماء الشام المعاصرين وكتابها المشهورين ودعاتها البارزين .

(٤) [illegible]

(٥) من علماء الكويت المعاصرين ..

* عقيدة المسلم : (الغزالى السقا) طبع دار القلم بيروت .
* عقيدة المؤمن : (الجزائرى)[1] طبعة النهضة الجديدة .
* كبرى اليقينات الكونيه : (البوطى)[2] طبع دار الفكر .
* العقيدة الاسلامية وأسسها : (عبد الرحمن حسن حبنكه)[3]
* الاسلام يتحدى : (وحيد الدين خان)[4]
* توحيد الخالق (الزندانى)[5] طبعته [illegible]
* التوحيد : (الزندانى) كذلك " " " "
* تفسير (الرازى)[6] : مفاتيح الغيب ، وهو كما ترى من كتب التفسير ولكنه لما اشتمل على كثير من الردود على الجاحدين الخالق المنكرين له عددته فى هذا القسم ، وقد دافع الرازى عليه رحمه الله فيه بحجج دافعة وبراهين قاطعة ، والكتاب فى الجملة من اوسع التفاسير التى اعتنت بموضوع بعلم الكلام ، وبين يدى نسخه من طبعته بتاريخ ١٣٥٧ بتصحيح محمد محيى الدين عبد الحميد من مطبعة البابى الحلبى بمصر .

---

(١) ابو بكر جابر الجزائرى : من اعلام المدينة وعلمائها يدرس بالحرم النبوى ثم الجامعة الاسلامية

(٢) محمد سعيد رمضان البوطى من علماء الشام المعاصرين

(٣) من علماء الشام المعاصرين ، والكتاب طبع دار القلم بيروت

(٤) من علماء الهند المعاصرين

(٥) عبد المجيد الزندانى من علماء اليمن المشهورين وهو معاصر له جهد مبذول فى الدعوة الى الله .

(٦) فخر الدين الرازى من [illegible] (٥٤٤ — ٦٠٦)

كلمة لابد منها ..

أحدد فيها ما سيعالج — بعون الله — في هذه الرسالة من طعون لها أمام القارئ ، قبيل الرد عليها ، وقد بدا لي ذلك لازما لوضع القضية في اطارها العام تحت المجهر ، وفحصها في الجملة تمهيدا لتشريحها ..

أبدأ هذه الكلمة فأقول : انني أكاد اجزم بعدم وجود انسان اليوم لايعلم ان هذا القرآن قد جاء به (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) — عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — وهو ذلكم الرجل العربي الأمي الذي ولد في الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي (١) بأرض الحجاز ، هذا الجزء الغربي من جزيرة العرب حيث مكة المكرمة ، وقد خرج الى الناس بهذا الكتاب وأسمعهم آياته في أوائل القرن السابع الميلادي (٢) ..

ذلك ما يعترف به العالم أجمع مؤمنه وكافره (٣) . الا بعض المغرضين سيأتي ذكرهم ، فلا يوجد انسان يجهل ذلك حقيقة ، ولا اخال هذا الواقع غائبا عن أحد فعلا ، إلا إذا كان جاهلا بالتاريخ تماما بحيث يخفى عليه فلا يعلم بأهم حدث وقع على سطح الكرة الارضية !

وذلك ما يصعب تصوره الا إذا كان ذلك الشخص طفلا صغيرا ، أو كان معتوها لايعي من أمره شيئا ، أو أصم — ولد بهذه العاهة — فلم يسمع بهذا النبأ العظيم ، الذي دوّى في رحاب المعمورة ، فردد صداه الكون كله ..

---

(١) عام الفيل (٥٧١ م) يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول انظر ابن هشام تهذيب السيرة ص ٤١ .

(٢) عام (٦١١) بعد أن بلغ الاربعين من عمره كما يقول بن هشام في المصدر السابق ص ٥٧ .

(٣) قارن بالنبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز ص ٢٠ .

وقد تواتر عبر القرون نقله ، وبه شهد التاريخ شهادة لايعد لها فى الثبوت ما شهد به لغيره (١)

وسجلها على صفحات الخلود بمداد لايدانيه قوة وسطوعا ماسجل به لسواه ... الأمر الذى لايترك مجالا للجهل به ، أو عذرا للشك فيه من أحد اللهم الا ان كان من أولئك الذين تقدم ذكرهم ..

ولا أعلم من ينكر تلك الحقيقة أو يجحد شيئا منها الا شرذمة من المكابرين قليلة أبت الا العناد بدافع من أهوائها ..

ولا جرم أن من كان مكابرا يرمى إلى غرض ما فى نفسه ، سيعمل كل شىء فى سبيل تحقيقه ، حقا أكان أم باطلا ! ومعلوم أن من كان هذا حاله من الخلق السىء ، فإنه مستعد للمغالطة فى كل شىء .. ومهيأ لمجادلة الناس جميعا بما فى ذلك نفسه ! .. فمثله لا يلتفت الى حق ولا عدل ، بل يرفض كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين مايريد ، ولو قدمت اليه ألف دليل ودليل .. ضاربا بعقله عرض الحائط وتجاهلا لكل القيم ودائسا عليها بالنعال ! .. كل ذلك يفعله بغية الوصول إلى ذلك الهدف المأمول !

وهذه هى حال المكابرين فى كل زمان ومكان كما دلت عليها التجارب ..

مثال ذلك من جاء مؤخرا يشكك فى أمية الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعد أن تواتر هذا الوصف ، ونقل فى كتب معظم المؤرخين الذين تناولوا حياة النبى بالذكر — وفيهم بعض مؤرخى الغرب ، وهم من غير المسلمين ، بل

---

(١) انظر دراز نفس المحل .

ومن المتحاملين على الاسلام (١) ، بجانب وروده في كثير من الآيات القرآنية التي سمعها القرشيون وكل اعداء الاسلام الأول ، وقد كانوا حريصين كل الحرص على تكذيبه ، فلو لم يكن الوصف صادقا عليه لما سكتوا عنه بل ولكفر به من آمن اذ كيف يقول بما يعلمون غيره ؟ ! ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ولو حصل لنقل الينا لتوفر الدواعي على نقله ، فدل ذلك على أن هذا الوصف حقيقة لا ريب فيها ...

ومن المؤكد أن هذا لم يغب عن علم هؤلاء الاعداء المتأخرين الذين انكروا هذه الحقيقة ولكنهم لما كانوا يعلمون خطر هذا الوصف على كثير من مزاعمهم ومفترياتهم ، ووقوفه سدا منيعا أمامها ، بدا لهم أن يشككوا فيه ليصلوا بهذا الى غرضهم ذلك الرخيص ، وهيهات وأنى لهم ؟ ! !

وعلى كل حال فليس هنا مجال الرد على المنكرين ذلك على وجه التفصيل وانما اكتفيت في هذا المقام بالاشارة عن العبارة — كما يقولون — على أمل استيفاء الرد عليهم في مكانه المناسب من هذه الرسالة ان شاء الله — ولكن لا يفوتني أن أنوه هنا بأن هذا الزعم قد ورد على لسان كثير من المستشرقين وغيرهم ممن سار على دربهم (٢) .

هذا ... ومن صور المكابرة ايضا من جاء يزعم بأن ليس لمحمد — عليه الصلاة والسلام من علاقة بهذا القرآن ، وانما تم وضعه — فيما يدعون — بأيد أخرى —

---

(١) والتي سنورد بعضا منها فيما بعد عند حديثنا المفصل عن أمية الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

(٢) منهم على سبيل المثال (لوبولو) أحد مستشرقي فرنسا فقد أورد عنه ذلك دراز في المدخل لدراسة القرآن ص ١٤٠ في الهامش .

فيما بعد عهده صلى الله عليه وسلم ... وأصحاب هذه الفرية هم الشيوعيون السوفيت حيث ورد في دائرة معارفهم ما نصه :

" القرآن الكتاب المقدس الأساسي عند المسلمين مجموعة من المواد الدينية والاسطورية القانونية ، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب (عثمان) ثم ادخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن وفق ما بلغنا من معلومات بعض التغييرات "(١)

وقبل هؤلاء الملحدين كان هناك من سبق قول في هذا .. وأولئك هم اخوانهم من غلاة الشيعة الذين يقولون بأنه " كان لأمير المؤمنين عليه السلام (يعنون عليا رضي الله عنه) قرآن مخصوص جمعه بنفسه .. وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور والآيات بل والكلمات "(٢)

ويشهد عليهم مؤكدا ذلك رواية الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله الذي قال : " وان عندنا لمصحف فاطمة ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد "(٣)

وهؤلاء الاخيرون وان كانوا يؤمنون بأن هناك قرآنا قد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم الا أن جريمتهم لا تقل عن أولئك ، بل هي أكبر وخطورتهم أوغل لكونهم يزعمون بأنهم مسلمون .. الأمر الذي يتشبث به اعداء الاسلام

---

(١) ج ١٢/ص٥٦٤ والنص من المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها لعبد الرحمن عميره ص١٤٧ .

(٢) حسين الطبرسي : فصل الخطاب ، ٩٧/٩٨ .

(٣) الكليني : الكافي في الأصول ، ص٢٤١ .

قائلين: وشهد شاهد من أهلها يؤكدون بذلك طعنهم في القرآن ولكن الحق أن الذى يقول بهذا ليس بمسلم ، وليس الاسلام منه فى شىء مهما تزيا بـه وتمسح فالاجماع قائم على كفره[1] بين المسلمين .

أما ردنا على الاولين وهم أهل الالحاد أن نقول لهم: يكفينا تناقضكم فى القول ، حيث نجد بعد عبارتهم تلك مباشرة ما يلى :

" ووفقا للتراث الاسلامى للتاريخ الدينى يعتبر محمد هو شـارع القرآن على أنه وفقا للتحليل الموضوعى للقرآن هناك نظرية تقول ان جزءا معينا منه فقط ينتمى لعصر محمد أما الاجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بد أنها تنتمى لعصور متقدمة أو متأخره عنه "[2]

وهـذا لعمر الله تخبط عجيب ! حيث لا يقطع الكاتب برأى معين ثابت فيما يكتب بل ولم يستطع أن يرجح فى كل ما كتب رأيا على آخر، وهذا الاضطراب فى القول كاف لاسقاط الزعم ولا ريب ، علاوة على أنه لم يأت بأى دليل على المقول ومع ذلك نريد أن نسألهم فنقول : اذا كان ما تزعمونه صحيحا من أن القرآن وضع فيما بعد عصر النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو القدر الذى يهمنى الرد عليه هنا فى هذا المقام لأنه يعنى نفى العلاقة بين القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام فما هو دوره فى التاريخ — عليه الصلاة والسلام ولماذا احتفظ الزمان باسمه حتى الآن ؟ وكان الأولى أن يحتفظ باسم مـن وضع القرآن فى زعمهم .. هـذا ..

---

(١) انظر عبد العزيز بن باز : حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض [illegible]

(٢) دائرة المعارف السوفيتية ١٢ / ٥٦٤ والفكر العربى فى المذاهب المعاصرة لعبد الرحمن عميره ص ١٤٧ .

واذا كان القرآن من السهولة بحيث يستطيع انسان أن يضع مثله فلماذا عجز البشر حتى الآن عن أن يقبلوا التحدى بالاتيان بمثله أو بجزء منه والتحد به كما هو معلوم - هذا القرآن لا غيره (؟ فأى هزيان هذا الذى يقولون ؟!

أما القائلون بهذه المقولة من غلاة الشيعة فيكفى فى الرد عليهم أن يعترف بهذا القرآن بعض كبار أئمة الشيعة ، وفيما يلى نصوص تؤكد هذه الحقيقة

يحكى الكاشانى عن ابن بابويه القمى أنه قال : " اعتقادنا أن القرآن الذى انزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - هو ما بين الدفتين وما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك . قال : ومن نسب الينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كذاب "(١)

وقد أورد أبو على الطبرسى فى تفسيره هذا النص " أما الزيادة فمجمع على بطلانه أما النقصان فقد روى جماعة من اصحابنا وهم من حشوية العامة أن فى القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح فى مذهب اصحابنا خلافه "(٢)

وهذا أبو جعفر الطوسى يقول : " أما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ... وقد ورد عن النبى - صلى الله عليه وسلم - رواية لا يدفعها أحد انه قال : انى مخلف فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى(٣) وهذا يدل على أنه موجود فى كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به "(٤)

---

(١) القمى : الاعتقادات ، باب الاعتقاد فى مبلغ القرآن ..

(٢) مجمع البيان : ١/٥ .

(٣) الذى اعلمه وهو الثابت عندنا هو لفظ وسنتى بعد كتاب الله وأهل بيت النبى على الرأس والعين ..

(٤) الطوسى : التبيان ، ١/٣ والكاشى : تفسير الصافى ص ١٤ .

وعقب كلامه السابق يذكر أبوعلي الطبرسي " أن هذا هو الذى نصره المرتضى — قدس الله روحه — واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى (جواب المسائل الطرابلسيات) وذكر فى مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت ما لم يبلغه فيما ذكرناه ... وذكر أيضا رضى الله عنه أن القرآن كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبى — صلى الله عليه وسلم — وان جماعة من الصحابة مثل (عبد الله بن مسعود)، (وأبى بن كعب) وغيرهما ختموا القرآن على النبى — صلى الله عليه وسلم — عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث وذكر أن من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم "(١)

وأهم ما نقوله فى هذا الصدد هو أن الامام عليا رضى الله عنه والذى يزعمون التشيع اليه قد تولى الخلافة، وظل هذا القرآن بعينه ليس غيره يتلى فى مشارق الارض ومغاربها، ولو كان مايزعمون صحيحا لبين ذلك وأعلنه والحال أنه الحاكم صاحب السلطان فلا يقال أنه اكره على السكوت، بل وفى صفين، يوم حربه مع معاوية رضى الله عنه قد ترك القتال وأغمد سيفه

---

(١) الطبرسى : مجمع البيان ٦/١ .

لما رفع خصومه المصاحف على الرماح منادين بالتحاكم الى كتاب الله ، وقد كان جيشه قاب قوسين أو أدنى من النصر[١] بعد هذا يقال إن هناك قرآنا غيره ؟!

وقد أورد البخارى حديثا عن عبد العزيز بن رفيع " قال : دخلت انا وشداد بن معقل على ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال له شداد بن معقل اترك النبى صلى الله عليه وسلم من شىء ؟ قال ماترك الا ما بين الدفتين قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ماترك الا ما بين الدفتين"[٢]

ومحمد بن الحنفية هذا — كما هو معلوم — من أئمة الشيعة الذين يدعون امامته ولو كان هناك شىء يتعلق بأبيه لكان هو أولى الناس بمعرفته وكذلك ابن عباس الذى كان أكثر الناس لزاما له واطلاعا على حاله .

ولنا بعد ذلك أن نتساءل فنقول : ما الفائدة من قرآن غائب والمفروض أنه مادام نزل الى البشرية لتسعد به وتتعبد فينبغى أن يكون معلوما لديهم" فان كان هذا المعلوم كافيا فى الشرع فلا حاجة الى المنتظر وان لم يكن كافيا فقد اعترفوا بالنقص وسلب السعادة عنهم لانها متوقفة على أوامر من أمر لا يعلمون بماذا أمر، فاصل دينهم مبنى على مجهول بل معدوم فلا فائدة فيه اصلا لا بعقل ولا بنقل "[٣]

---

(١) وهذا ثابت فى التاريخ .

(٢) صحيح البخارى ٦ / ٢٣٤ .

(٣) الذهبى المنتقى ص٢٥ .

ولقد طال الزمان بهذا الغائب أكثر من أربعة عشر قرنا دون أن يخرج ليستفيد منه الناس خلال تلك القرون ، ومحال على الله الحكيم أن يحرم كل تلك الاجيال والقرون ويهملها كل هذا الاهمال فيتركها من غير هدى ولا كتاب منير)

ومن مفتريات المغرضين أيضا ما نقل عن المستشرق (سيرنجر)(1) أنه زعم أن لفظ (محمد) لم يطلق على الرسول — صلى الله عليه وسلم — قبل الهجرة وانما اتخذه بتأثير من قراءته للانجيل واتصاله بالنصارى(2) .

ونحن نقول : لو افترضنا أن محمدا — عليه الصلاة والسلام — كان يقرأ فمن حقنا أن تساءل : هل كانت هناك نسخة عربية للانجيل(3) ولو سلمنا أيضا أن النصارى العرب هم الذين علم بواسطتهم أهمية هذا الاسم فما هو اسمه قبل الهجره ؟ ولو سلمنا جدلا أيضا أن اسمه قثم أو قثامة كما يقول (جولد زيهر)(4) ومن معه(5) فلماذا لم يؤخذ عليه ذلك في وقته من احبار يهود ورهبان النصارى وهموا من علمتم أكثر تربصا به وأشد حرصا على تكذيبه ؟! بل ولماذا سكت عن ذلك مشركوا قريش ، والمفروض أنهم أول

---

(١) مستشرق فرنسي من المتحاملين على الاسلام .

(٢) انظر جواد علي : تاريخ العرب في الاسلام ٧٨/١ .

(٣) لم يظهر الكتاب المقدس بالعربية الا بعد ذلك بقرون وأبعد تاريخ لترجمته بالعربية يرجع الى القرن الحادي عشر كما يقول شهد ال في دراسته عن الغزالي في الفصل السابع انظر دراز ص٤١ الهامش .

(٤) مستشرق مجري من محرري دائرة المعارف وهو عدو لدود للاسلام . يعتبر من أخطر المستشرقين .

(٥) انظر بكري شيخ أمين : التعبير الفني في القرآن ص١٨ .

من يثور على هذا ويستنكره وهموا الباحثون عن أية نقصه فيه يتخذ ونهاذ يهمة لتكذيبه ، ويجعلونها مندوحة لصد الناس عنه ؟ ! ثم كيف اشتهر بهذا الاسم دون اسمه الحقيقى ؟ ثم بعد ذلك كله أين محمد هذا المنتظر الذى بشرت به كتب العهدين القديم والجديد وماقبلهما من كتب ؟ (١)

وايضا قد وجد فى هذا العالم الغريب من يشكك فى نسبه — صلى الله عليه وسلم — ذلك الطاهر النقى ، وتلك فرية تقيأها (مرجليوث) (٢) ذلك المستشرق الحاقد ، حيث يذكر عنه أنه قال : ان نسبه — صلى الله عليه وسلم — مجهول : لأنه ينادى بابن عبد الله ، وقد كان من لا يعرف نسبه عند العرب يطلق عليه (ابن عبد الله) فذلك فى زعمه علامة مجهول النسب عندهم . (٣)

"وذلك من التفاهة بحيث لا يلتفت اليه ، فى قريش .. فى بلاد العرب التى كان همها حفظ الانساب يقوم محمد — صلى الله عليه وسلم — يسفه احلامهم ويكفر آباءهم ولا يعلمون فى نسبه مطعنا حتى يأتى (مرجليوث) بعد ثلاثة عشر قرنا ليبعه فيقول انه كان مطعونا فى نسبه !"(٤)

اللهم ان هذا بهتان عظيم ! وان تعجب من هذا فهنالك ما هو أعجب: فقد اخبرنى مسلم من جنوب السودان أن المبشرين (٥) كانوا يقولون لهم ان هذا الدين الاسلامى دين وهمى وما محمد الا شخصية خرافية ليس لها وجود فى التاريخ على الحقيقة !

---

(١) انظر عماد الدين خليل دراسة فى السيره ص١٩ وسنورد فيما بعد طرفا من تلك البشارات .

(٢) من المستشرقين المشهورين وأحد محررى دائرة المعارف .

(٣) ذكر ذلك عنه محمد قطب فى محاضرته له عن المستشرقين نشرتها مجلة المجتمع فى عددها ٣٤١ السنه السابعة بتاريخ ٢٥ ربيع الاول ١٣٩٧ هـ مايو ١٩٧٧ م ص٣٣

(٤) نفس المكان

(٥) هذا اللفظ فيه تجاوز كبير والا فالتبشير منهم براء ..

ولا ريب أن هذا لا يقبله عاقل يحترم انسانيته وهو مدفوع كذلك بالمتواتر الذى لا يقبل الجدل والذى لا يعاند فى الاعتراف به الا مكابر، والا فخبرنى بربك كيف يثبت التاريخ وجودا للمسيح عيسى عليه الصلاة والسلام - ولا يثبته لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذى بعده بخمسة قرون !؟ وهو قد اثبت وجودا لأناس عاشوا قبل ذلك بملايين السنين ولم يقل أحد بأن وجودهم كان خرافة فكيف بمحمد وعهده قريب جدا بالنسبة لأولئك ؟! ان هذا - لعمرو الله - لا يقول به من الناس عاقل ولكن هؤلاء المغرضون يقولون وما يرمون اليه معلوم وفى سبيله قد تخلوا عن كل مثل واخلاقيات يتميز بها الانسان ، ومن ثم فاننا لا نأبه لأقوالهم بأكثر من أن نشير اليها لخطورتها على البسطاء من الناس فلا اعتبار لها عندنا - اذ لا قيمة لها فى ميزان العلم لكونها لا تستند الى دليل - كما بينا - وعليه فانها لا تنقض ما سبق تقريره لكونه حقيقة متفقا عليها بين ذوى العقول من البشر المجردين من الاهواء وذلك هو المعتبر ..

أما من أين جاء محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذا القرآن فذلك ما اختلف فيه الناس :

أ * فمن قائل انه من النتاج الذاتى !

ب * وآخر يدعى انه أخذه من غيره من الخلق أو اقتبسه من الديانات القديمة !

ج * وثالث ينكر وجود الخالق الموحى الذى هو الله تعالى وهذا ما يعنى استحالة الوحى وعدم امكانه ويلزم منه أحد الزعمين السابقين !

د * ومثله من ينكر الدين والوحى والنبوة وان آمن بالله تعالى الخالق لهذا الكون وقد وجد هذا الصنف الغريب من الناس ، فكم فى الكون من عجب !

هـ * وهناك من يقول بأن المعنى فقط من الله تعالى أما اللفظ فمن عنده عليه الصلاة والسلام أو من عند جبريل عليه السلام كما يقول غيرهم أو من عند غيرهما كما يقول آخرون !

و * وفريق يقول — كما قدمنا — بأن ما بين أيدينا من القرآن ليس هو عين ما نزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — وإن ليس هذا منه في شيء وإنما له مصدر آخر كما يفيد زعمهم، وغيرهم يرى ذلك ولكن لا يعترف البتة بقرآن غائب او حاضر كما تقدم بيانه !

ز * وغير أولئك من يرى أن مصدر القرآن الحقيقي هو الله تعالى ولكن فيه ما هو دخيل عليه من مصادر بشرية سموها ! بل لا يستبعد فريق منهم أن يكون فيه تخليطا مصدره الشيطان، بل ويجرؤ بعضهم على القول بأنه كانت آيات شيطانية حذفت بعد تلاوتها الى آخر ما يفترون .. !

ح * وهناك — كما سبقنا القول — من يطعن في شخص النبي صلى الله عليه وسلم — ويرميه بهتانا بما يفقد فيه الثقة ويستدعي الشك في مصدر هذا القرآن، كذلك قد وجد في هذه الدنيا من يجحد سنته المشرفة ويطعن فيها وهي التي خرجت مع القرآن من مشكاة واحدة وهي التي تبينه للناس وتفصله كما اوضحنا .. وذلك طعن في صميم القرآن ..

ط * ومن الناس من يقر بأن هذا القرآن مصدره الخالق سبحانه وتعالى ولكن ليس بكلامه على الحقيقة ولا هو بوحي منه وإنما هو مخلوق من خلقه وما اضافته اليه الا للتشريف كبيت الله وناقة الله فهو في زعمهم

ليس كلامه حقيقة لانه تعالى ليس بمتكلم ولا يوصف بذلك الى آخر ما يدعون .

ى * وجماهير المسلمين يقولون بأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى هو وحده مصدره ومن لدنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحيا من عنده بواسطة امين الوحي جبريل عليه السلام وهو كلام الله حقيقة غير مخلوق .

تلك هي ابرز اختلافات الناس حول مصدر القران وهي مبلغ علمي في هذا الصدد ..

وهذا القول الأخير هو ما نعتقده ، فاننا نجزم في يقين صادق لا يشوبه شك ولا يعتريه تردد بأن محمدا – عليه الصلاة والسلام – قد تلقى هذا القرآن، ولكن ليس من أحد سوى الله – عز وجل – وقد تلقاه عنه بواسطة جبريل أمين الوحي عليه السلام بكامل لفظه ومعناه " ولم يكن له فيه من عمل الا الوعي والحفظ ، ثم الحكاية والتبليغ ، ثم البيان والتفسير، ثم التطبيق والتنفيذ "(١)

أما تلك الاقوال المزعومة قبله فانها تطعن فيه جميعا ، ومهمتي هنا في هذه الرسالة هي تأكيد صحة هذا المعتقد وتفنيد كل تلك المزاعم الموجه ضده ولقد سبقت الرد على النقطة (و) لكون المناسبة قد اجبرتني على ذلك من جهة ولكون الرد عليها لا يستغرق كثيرا فلا يحتمل أن نجعله بابا أو فصلا ضمت ابواب الرسالة وفصولها من جهة أخرى ...

أما الذين يقولون بأن في القرآن ما هو دخيل عليه من مصادر أخرى بشرية أو شيطانية فهذه وما يتبعها وان كانت ترد على المصدر ولكن آخرتها الى الرسالة القادمة إن شاء الله لتعالج تحت عنوان دفع مطاعن عن القرآن من حيث

---

(١) النبأ العظيم د راز ص ٢٠ .

سلامته وأحسب ذلك أنسب لها وأرجو أن أكون موفقا فى هذا الاجتهاد .

أما المطاعن التى وجهت الى شخص النبى — صلى الله عليه وسلم وان كانت كما بينا ترد على المصدر الا أنها أكبر وأكثر من معالجتها فى بـاب أو فصل ضمن هذه الرسالة فآثرت تأخيرها لتعالج فى الرسالة القادمة أو فى كتاب منفصل بهذا العنوان نفسـه ..

أما الطعن فى السنة النبوية الصحيحة وانكارها فقد كفانا رجال الحديث وخبراء هذا العلم واساطينه مهمة الرد على هولاء الطاعنين " فانى اكتفى فى هذا الصدد بأن اوجه فى هذا المقام الى بعض كتبهم فى الدفاع عـن السنة المطهرة . فمن تلك الكتب مايلى :

* السنه ومكانتها فى التشريع الاسلامى : د . مصطفى السباعى . طبع بمصر سنة ١٩٦١م .
* تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة اليها : للسيد سليمان الندوى طبع بمصر
* الاضواء الكاشفة لما فى كتاب اضواء على السنه من الزلل والتضليل والمجازفة : للشيخ عبد الرحمن بن يحى المعلمى اليمانى من المعاصرين . طبعته السلفية سنة ١٣٧٨ هـ بمصر .
* ظلمات أبى ريـة : لمحمد عبد الرزاق حمزه من المعاصرين طبعته السلفية بمصر .
* السنه قبل التدوين : لمحمد عجاج الخطيب من المعاصرين طبعته دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩١ م
* أبو هريرة راوية الاسلام : لمحمد عجاج الخطيب وفيه رد على الشبهات التى اثارها بعض الاعداء حول أبى هريرة ومروياته طبع بمصر سنة ١٩٦٣م

* دفاع عن السنه ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين :د • محمد محمد أبو شهبه طبعه مجمع البحوث الاسلامية بمصر •

* بحوث فى تاريخ السنه المشرفه :د • اكرم ضياء العمرى طبع ببغداد سنة ١٩٧٢م

* دفاع عن أبى هريرة : د • عبد المنعم صالح العلى :من المعاصرين .

* الروض الباسم فى الذب عن سنه أبى القاسم : للامام ابن عبد الله محمد ابن ابراهيم الوزير اليمانى سنة ٧٧٥ طبع فى جزئين بمصر •

الى غير ذلك من الكتب التى لا يسع المجال ذكرها ••• كما نناشد المختصين من هذا المنبر أن يوالوا دفاعهم عن سنة رسولهم ويسقطوا كل ماحوم حولها من الشبه المزعومة والمصطنعة من الاعداء•••

أما الزعم بمعنوية القرآن فهذا يفيد أن الالفاظ مصدرها غير الله وهذا يرد على المصدر من هذه الناحية فهو جزئى فى هذا الباب ، ولما كان بعض الناس من أهل الملة يرى ذلك فهو فى نظرنا اعتقاد فاسد ومثله الزعم بخلق القرآن ومايجرى مجراها من مزاعم تدعوا الى القول ببشرية القرآن أو تفتح الباب الى القول بذلك فهذه كلها معتقدات فاسدة ولكونها لم تكن مباشره فى ورودها على المصدر أو لكونها لا ترد عليه من جميع نواحيه فقد أخرتها الى الرسالة القادمة لتعالج تحت عنوان (دفع اعتقادات فاسده عن القرآن) ولكن بقى ثمة أمر لابد من توضيحه هنا بخصوص مسألة خلق القرآن •••

وهو أننى : أقسم غير حانث بأننى قد ترددت كثيرا — والله على ماأقول شهيد — قبل الاقدام على ايراد هذه المسألة وتناولها بالذكر فى الرسالة فذلك أمر قديم قد ترتبت عليه فيما مضى فتنة كبيرة قد انقذ الله منها الاسلام والمسلمين من خطر الافتراق فلم تقم لها الى حين بعد ذلك قائمة وهذا أمر

ماكنت لأقدم على بعثه من جديد ، وفتنه نائمه ماكنت لأوقظها من رقدتها لولا أن المستشرقين قد بدأوا من قريب الثناء على مبتدعيها ووصفهم بالنزاهة والعلم والحرية فى الرأى الى آخر ما يتحججون به ...

ولولا أن كتابات المعتزلة مازالت تطبع وتخرج الى هذا اليوم وكثير منها فيه هذه البدعة ولولا أن بعض الكتابات الحديثه بقصد أو بغيره بدأت تسود فيها مثل هذه الآراء ومن هنا فقد وجدت لنفسى عذرا فى طرق هذا الباب ..

أعود فأقول ان أصحاب هذه البدعة لم ينكروا — كما قدمت — أن هذا القران مصدره الله تعالى ، ولكن ليس من الطريق التى نعتقدها نحن أهل السنه والجماعة فهو يطعن فى معتقدنا فى القرآن من هذه الناحية فهم لا يرونه كلام الله على الحقيقة — كما اسلفنا — وهو بهذا المفهوم ليس بوحى كذلك فيطعن فى معتقدنا فى هذه الناحية ايضا لأن القرآن عندهم كلام ، والكلام عرض يفتقر الى حركة وهى حادثة فلا يقوم الا بجسم [1] فاذا كان كذلك وبناءا على منطقهم فان هذا الجسم لا يخلو أن يكون محمدا — عليه الصلاة والسلام أو غيره ، ومحمد عليه صلوات الله وسلامه عليه — له كلامه الخاص كالغيره ولا خلاف فى أن كلامه وكلام سواه من الخلق مخلوق ، اذن فقد اختلط القرآن بغيره من الكلام اذ الجميع مخلوق ، وهذا طعن فى قدسية القرآن وهيبته من جهة وفى مصدره من جهة ثانية وبيان ذلك — فيما أرى — اذا كان الكل مخلوقا ، القرآن ، والكلام البشرى اذا فقد استويا فهما فى درجة واحدة وهذا بعينه مايريده الاعداء من وصف القرآن بالبشرية : ولا يغيبن عن البال أن أصل هذه البدعة هم اليهود وكم يكن اليهود للاسلام من عداء ومن هنا كان لا بد من الرد على هذه البدعة [2] ..

---

(١) انظر منهاج السنه : ٢/١٦٩ .
(٢) انظر موقف المعتزلة من السنة النبوية : أبو لبابه حسين ص ٥٧ وانظر اليهود واليهودية ص ٣٥ .

المزاعم الباقية فهى التى سنعالجها فى هذه الرسالة ولقد جعلت الرد على كل زعم منها بابا علاوة على باب خامس يضم مجموعة ادلة على أن هذا القرآن ليس الا كلام الله رب العالمين ولقد عقدناه امحانا فى الرد على تلك المزاعم اذ كلها تدعوا الى بشرية القرآن الكريم تصريحا أو تلميحا فكان لابد من عقده ..

فهذه الابواب الخمسة مع مدخلها وخاتمتها هى قوام الرسالة كما رأيت فى خطوطها العريضة ..

هذا ولم يبق ما يمكن أن يندرج تحت هذا الاطار الا ما زعمته بعض الشيعة من أن الرسالة كان مقصودا بها سيدنا على رضى الله عنه ، ولكن الوحى قد اخطأ أو خان الأمانة، فجاء بها الى النبى — صلى الله عليه وسلم — وذلك اذا صح هذا القول فانى فى الحقيقة لم اجده مكتوبا فى كتبهم ولا كتب غيرهم مما اطلعت عليه ولكن رأيت بعض الشيعة فى أحد مواسم الحج داخل الحرم النبوى الطاهر يضربون بأيديهم على افخاذهم ضربات متتابعة ، ويتمتمون بكلمات لا يعلم معناها الا الله ثم من يعرف لغتهم ، فكان أن سألت أحد الزملاء ذو علم بالفارسية يجيدها كأهلها ... فيما علمت — عن هذا الذى يفعلون ويقولون (فأخبرنى والعهدة عليه أنهم يقولون : خان الأمين (خان الأمين (خان الأمين هكذا .. ثلاث مرات عقب كل صلاة ويضربون افخاذهم تحسرا على ذلك (

واخبرنى أن ذلك شأن فريق من الشيعة وهم فى الغالب من العوام فقلت فى نفسى ، لهذا لم اجده مكتوبا فيما اطلعت عليه من كتب .(١)

---

(١) الى أن اطلعت اخيرا على مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى فوجدته قد اورد عنهم ذلك فى (٦) ولا يغير هذا من موقفى تجاههم فى شىء ..

وعليه لما كان القول قول العوام والفعل فعلهم فانى لا اكترث له وكنت لولا الخطورة فيه أربأ بنفسى أن أجعل للعوام زكرا فى هذه الرسالة فأهتم بالرد عليهم، ولكن وجدتنى مضطرا لأن أقول كلمة فى هذا الشأن، أقولها وأنا فى عجب، متسائلا كيف يخون الأمين وقد سموه امينا ؟! وكيف يخطئ وهو موجه ممن لا يخطئ ؟! وكيف يخطئ فى مرات كثيرة لو فرضنا أنه اخطأ مرة ؟! ولماذا لم يسدده المولى عز وجل ؟! الا يعلم ؟! أم أنه قد بدا له ذلك كما هو مذهب بعض الشيعة[1] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ثم بعد ذلك من أخبرهم بأن الأمين قد خان ؟ ايعلمون الغيب ؟ اذا لكانوا هم أنفسهم آلهة اذ لا يعلم الغيب الا الله، فلا حاجة لهم فى وحى ولا رسالة !! أم علموا ذلك باخبار من الله تعالى، اذن لكانوا هم أيضا رسلا فلا حاجة بهم إلى رسول ولا إمام ماداموا فى هذه الدرجة من العلم وفى هذا المقام العالى !!!

وعليه فان هذا الهراء ساقط من حسابى تماما .. غير أنه بقى شىء لا بد من بيانه وهو: لعل قائلا يقول : وأين هذا من الطعن فى القرآن ؟ لولا بينت لنا يرحمك الله ؟! فأقول : إن الذى يخون فى مجمل الأمانة ويغير اتجاه الرسالة كلها من السهل عليه ولا ريب أن يغير ويبدل ويخون فى تفصيلها وان خان واحدا فلا يصعب عليه خيانة الثانى، فهو ليس بمأمون على ذلك، فينفتح بهذا باب الشك على مصراعيه فى القرآن من حيث مصدره، اذ المعهود أن الخائن غير مؤتمن ومن هنا جاءت خطورة هذا الزعم..

---

(١) أى أن الله بعد أن يقدر شيئا يبدو له غيره فينقض الأول ! وانظر..
الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٦٣.

وأخيرا فان سقوط تلك الدعاوى الكاذبة ، والمفتريات الباطلة لهو البرهان الساطع والدليل القاطع ، الذى يؤكد سلامة معتقدنا وفساد غيره .. وبين يدى والحمد لله — من الحقائق ما هو كفيل بهذا الغرض مثلا فى كتابات أهل العلم السابقين والمعاصرين منهم ، ثم بما يفتح الله به على من فضله ، ولا أخال تلك المزاعم الاساقطة أمام هذه الحقائق الصامدة ولا أكاد أراها الا متهافتة ، وقد خرت صرعى بسيف الحق ، والحق يعلو ولا يعلى عليه ..

هذا ما اردت تقديمه بين يدى الرسالة والله هو الهادى الى سواء السبيل ...

الباب الأول

في الرد على المنكرين وجود الخالق الذي هو الله، سبحانه وتعالى عما يقولون..

ويشتمل على الفصول التالية :

* توطئة
* الرد على القول بقدم العالم.
* الرد على القول بأن الطبيعة هي التي أوجدته.
* الرد على القول بأنه وجد صدفة.
* الرد على من قال بأن الأدلة على وجوده ليست شافية
* الرد على القول بأنه مادام لا يرى الله فهو ليس موجودا.
* مجموعة أدلة مختارة على وجود الخالق.

توطئـــة

كان لا بد من أن نبدأ بهذا الباب لأننا نبحث عن حل جزئي لمسألة منبع القرآن ومصدره فإن الأمر يبدأ من هنا حيث نقول نحن إن هذا القرآن من عند الله تعالى ويقول غيرنا بأن هذا الاله الذى تنسبون إليه القرآن ليس موجودا ! فاثبات وجود الخالق هو الحجر الأساسى فى هذه المسألة الذى ينبنى عليه غيره ..

وقضيـــة إنكار الخالق فيما أرى ، تهمنا نحن المسلمين فى المقام الأول وذلك لاعتبارات كثيرة لا يسع المجال ذكرها ... ولكنها لاتخصنا وحدنا وانما تهم كل من يعتقد بوجود الله ، نعم ... هناك خلاف بين المتدينين فى صفة ذلك الخالق، وفى كيفيـة عبادته ، وهو خلاف جوهرى لا يمكن تجاهله ولكن الجانب المشترك المتفق عليه بين الجميع ليس معدوما على كل حال .. وهو الاعتراف بوجود الله ... وذلك الرب فى اعتقادنا نحن المسلمين هو الله — عز وجل — ليس من اله غيره .. له الأسماء الحسنى والصفات العلى التى تليق بجلاله، المنزه عن كل عيب يخل بتلك العظمة — كما ورد فى قرآنه وفى سنة نبيه ، وعلى النحو الذى أخبر به السلف الصالح وبه يعتقدون .. ومن ثم فعلاج هذه القضية سيكون — ان شاء الله — بهذا الاعتبار .. ولا أشك أن جميع الأنبياء وكل الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم قد جاءت بهذا الاعتقاد ليس غيره ، ونحن نؤمن بهم جميعا ، وبتلك الكتب قبل أن يدخلها التغيير

والتبديل أما وقد حرفت فلا .. وألف لا .. الا فيما أقره كتابنا — القرآن — منها .. ولا شك أن الاله الذى تصفه تلك الكتب المحرفة لا تؤمن به نحن المسلمين ، ولا نؤمن بتلك الصفات لالهنا الذى نعبد ، اذ لا سبيل للاتفاق معهم عليها أبدا " فنحن نختلف كل الاختلاف مع النصرانية التى تصف الخالق بأن له ابنا أو أنه ثالث ثلاثة، أو أنه المسيح ابن مريم الى آخر مايزعمون (١) وكذلك لا نتفق مع اليهود فى قولهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه وان أرواحهم جزء منه وغير ذلك مما ينسبون الى الله تعالى بالباطل .(٢)

ومن باب أولى لا نتفق مع غيرهم ممن لم ينزل عليهم كتاب من السماء الذين يصفون الله بالحلول والتجسد وغيره (٣) فلا بد توجد فى الحقيقة نقطة للالتقاء معهم الا فى نطاق ضيق هو ما أشرت اليه آنفا ، من اعتقاد الجميع بوجود اله — وهو القدر المتفق عليه بيننا فحينما يستدلون على وجود اله ، ونستشهد نحن بأقوالهم أو نستأنس بها فانما نثبت على الوجه الذى نعتقد وقد سبقت اليه الاشارة فلا يضر ذلك الخلاف — فيما أرى — فى ذلك الاستشهاد والاستدلال .. هذا ما أردت أن أنبه اليه مسبقا ..

---

(١) وهم يعترفون بذلك ولا يحتاج ذلك منا الى اثبات تحكى ذلك أناجيلهم.

(٢) حيث يدعى اليهود ذلك ويزعمون أنهم شعب الله المختار وهو لا يحتاج منا الى اثبات

(٣) كالبراهمة وغيرهم من الملل والنحل ..

أما المنكرون لوجود الخالق — جل شأنه — فلا يكاد عصر من عصور التاريخ يخلو منهم، فليس ذلك الجحود بوليد اليوم ولا بنبتة هذا الزمان — كما يعتقد أهله في هذا العصر ويرونه ضربا من التقدم والمدنية وسبقا إليهما — وما هو بذاك، وانما هو في الواقع قديم العهد موغل في القدم. فقد قال اخوان لهم من قبل: ان الايجاد والعدم والموت والحياة كل أولئك من صنع الدهر) وقد سجل عليهم القرآن الكريم ذلك في آيات منها قوله تعالى (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر..)(١). أما زنادقة اليوم وملحدوا العصر فقد قالوا ان الطبيعة هي مصدر الحياة) فأشبهوا في ذلك سلفهم، حيث أسند كل الخلق لغير الله فأثبت هؤلاء بحق أنهم رجعيون في منتهى التأخر وقد قلدوا في أمر يرجع تاريخه الى قرون بعيده تزيد على الأربعة عشر قرنا) ولا أحسب أن المنهج العلمي الذي أسلكه في هذا البحث يتسم بالنقص اذا اعتمدت على القرآن في هذه الناحية التاريخية، ولكن حتى يسلم لي الاستدلال عند غير المؤمنين به كان لا بد من دليل آخر يعززه، وألتفت فأجد أمامي كتب السلف الصالح من هذه الأمة ولا سيما كتب العقيدة، وكتب علم الكلام، وهي مليئة بالمناظرات مع أمثالهم في عصور مختلفة متفاوته في البعد، ومن تلك المناظرات والمواقف ما دار بين بعضهم وبين الامام أبي حنيفة(٢) وحكاة الرازي(٣)

---

(١) سورة الجاثية: آية ٢٤.

(٢) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ولد بالكوفة وأحد الائمة المشهورين.

(٣) فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ).

في تفسيره[1] ولا يخفى أن أبا حنيفة قد عاش بين القرن الأول والثاني الهجري من (٨٠ هـ) - (١٥٠ هـ) على الصحيح[2] وكذلك الغزالي[3] الذي لم يرد على الملحدين في زمانه فحسب وانما رد على كثير من كتابات منكري الصانع من الفلاسفة اليونانيين وغيرهم عاشوا قبل الميلاد[4] وليس أدل على ذلك من كتابه تهافت الفلاسفة . وكذلك ، ثم ابن تيمية[5] ومن بعده كثيرون من علماء الاسلام ذادوا عنه ضد أولئك حتى هذا الزمان الذي نرى فيه الملحدين ونسمعهم ، فها هي كتبهم ، ومقالاتهم ، ومؤتمراتهم وخطبهم تطفح بهذا الالحاد شاهده عليه ، وهي من الكثرة بمكان ، ومنتشرة في معظم البلدان ، الأمر الذي يغنيني أو لا يحوجني كثيرا الى إثباته ، غير أن الموضوعية التي أتوخاها في هذا البحث تلزمني أن أشير إلى بعض هذه الآراء في مظانها المختلفة بالقدر الذي يثبت على الزاعمين الدعوى علميا .

وفيما يلي طائفة من أقوالهم المختلفة :

يقول (لينين)[6] في خطاب له ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي في اكتوبر سنة ١٩٢٠م " اننا لا نؤمن بالاله ... اننا ننكر بشدة

---

(١) [illegible]

(٢) انظر مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٤٠١ .

(٣) هو أبو حامد محمد بن احمد الغزالي سنة ٤٥٠ هـ - سنة ٥٠٥ هـ [illegible]

(٤) منهم على سبيل المثال : افلاطين وغيره ..

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) .

(٦) نوكلاي لينين : رئيس أول حكومة شيوعية في روسيا سنة ١٩١٧ ويعد المنفذ الأول للفكرة الماركسية مات سنة ١٩٢٧م .

هذه الأسس التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة "[١] ولقد أنكر الفيلسوف الألماني (كانت)[٢] فكرة الإله قائلا : انه لا يجد أدلة كافية على وجوده[٣] .

ونشرت جريدة (بالنسكي بايوشسي) الروسية في ١٧ كانون الأول سنة ١٩٥٨م العبارة التاليـة : " لو كان الله موجودا لما سمح أن تنبذ الدين "[٤] وهـذا (هيوم)[٥] يقول : " لقد رأيت الساعات وهي تصنع في المصانع ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا "[٦] ويقول (هكسلي)[٧] : " لو جلس ستة من القرود على آلة كاتبة وظلت تضرب على حروفها ليلا بين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق التي كتبوها قصيدة من قصائد (شكسبير)[٨] فكذلك كان الكـون الموجود الآن نتيجة عمليات عمياء ظلت تدور في المادة ليلا بين السنـين "[٩]

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص/ ٣٠ .

(٢) عمانوئيل كانت ـ الفيلسوف الألماني المشهور ـ ١٧٢٤م ـ ١٨٠٤ ـ انظـر ترجمته في زكريا ابراهيم : كانت والفلسفة النقدية ٣٢ ـ ٥٤ ـ وانظر تاريخ الفلسفة ل ـ ١ ـ ومن ص/ ١٧٢

(٣) وحيد الدين خان ـ المصدر السابق ـ ص ٩٨ :

(٤) نقلا عن فتحي يكن : حركات ومذاهب ميزان الاسلام ص ١٧ .

(٥) دايفيد هيوم: من الفلاسفة الانجليز مات سنة ١٧٧٦م انظر : المصدر السابق ص ١٧٢

(٦) وحيد الدين خان المصدر السابق ص ٢٧

(٧) جوليان هكسلي : فيلسوف انجليزي مشهور صاحب كتاب الانسان يقوم وحده الذي زعم فيه أن العلم ينكر وجود الإله .

(٨) شاعر انجليزي مشهور .

(٩) وحيد الدين خان المصدر السابق ، ص ٧٢ .

وأخيرا يقول (لينين): "ان المكان بلا نهاية والزمان سرمدى لذا كان العالم أيضا ينبسط فى جميع الجهات بلا نهاية الى أعلاء والى أدنى والى اليمين والى اليسار، وفى الزمان أيضا لم يكن له بداية ولن تكون له نهاية"(١)

والذى أخلص اليه من تلك الأقوال السابقة هو انكارهم الصريح لوجود الخالق واستغناؤهم المطلق عنه، أو عزوهم الخلق الى غيره، هذا فى الجملة واذا ما فصلت أكثر فانهم يرون:

أ — أن هذا العالم قديم ليس له بداية ومن ثم فهو قائم بنفسه.

ب — أن الطبيعة قد أوجدته.

ج — أنه وجد صدفة.

د — أنهم لم يجدوا أدلة شافية على وجوده تعالى.

هـ — وبعضهم يشترط رؤيته تعالى دليلا على وجوده.

والرد على هذه الفقرات الخمس علاوة على ايراد بعض الأدلة المثبتة — سيكون هو فحوى هذا المبحث الستة، وسيكون الكلام فى هذا المبحث موجزا ومقصورا على الأهم وذلك لأن مجال التوسع فيه هو كتب العقيدة، وكتب علم الكلام والفلسفة وتلك [illegible] لا أريد الخوض فيها، ولكنى أغترف منها بالقدر

---

(١) لينين الدفاتر الفلسفية فى ص٧٧، [illegible]

الذى نقوم به على الزاعمين الحجة وينهض به ضد هم الدليل وقد يما قالوا : خير

الكلام ما قل و دل — لــذا فسيلحظ القارىء ايجازا شديدا فى الحديث

كما ذكرت من قبل ، ومن أراد التوسع بعد ذلك فعليه بكتب العقيدة وسنوجهه

ما أمكن الى [illegible] ....

والله ولى التوفيق !

الفصل الأول

في الرد على من زعم أن هذا العالم قديم ..!

أي أنه قائم بذاته ، مستغن عن الله — عز وجل — غير محتاج اليه في شيء

فهو في زعمهم أزلي أبدي ..!

وللرد على هذه الأكذوبة رأيت من الأفضل أن أنقل الى القارئ الكريم

مجموعة من أقوال أهل العلم المختصين في علوم الطبيعة المختلفة، كلها تنص على

حدوث هذا الكون وتجرده من تلك الصفة المزعومة .

بدا لي أن أعتمد عليها بشكل أساسي في هذه القضية، وظني أنها

أدعى الى التسليم والقبول من جانب من يعتقد بقدم العالم ، لاسيما أن هذا

الزعم يروج له باسم العلم ، وهؤلاء الذين انقل عنهم من كبار الأساتذة الذين

ينتسبون الى هيئات وجهات علمية معترف بها دوليا ، ومن ثم فهم من المصادر

الموثوقة التي يعتمد عليها في هذا المجال .. وما يدلون به هو نتاج خبرات

كثيرة ، وتجارب عديدة ، في سنوات طويلة فأقوالهم ليست الا حقائق علمية ثابتة

لا تقبل الجدل .. الأمر الذي يجعلني أفضل الاستشهاد بها في كثير من

المسائل ستأتي وقد أعتمد عليها كما في هذا المبحث ..

وأستهل ايراد النصوص هنا بحديث الدكتور (فرانك ألنى) (١) حيث يقول : نحن

---

(١) ماجستير ودكتوراه في جامعة كورنل ، أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا من سنة ١٩٠٤ – سنة ١٩٤٤ ، أخصائي في ابصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وانتاج الهواء السائل وحائز على وسام تودى الذهبي للجمعية الملكية بكندا . نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى في عصر العلم ص ٥ .

امـا أن تنسب صفة الأزلية الى عالم ميـت ، واما أن ننسبها الى الله حي يخلق ..

وليس هناك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثـر مما في الآخر ، ولكن قوانين (الديناميكا) الحرارية تدل على أن مكونات هـذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها صائرة حتما الى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئـذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحيـاة ..

ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عند ما تصل درجـة الحرارة للأجسام الى الصفر المطلق بمضي الوقت .

أمـا الشمس المستعرة، والنجوم المتوهجة، والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون ، أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظـة معينة ، فهو اذن حدث من الأحداث ، ومعنى ذلك أنه لابد لأصل الكون مـن خالق أزلي ليس له بداية ، عليم محيط بكل شيء ، قوي ليس لقدرته حدود ، ولا بـد أن يكون هذا الكون من صنع يديـه "(1)

ويؤكـد هذه الحقيقة الدكتور (جون كليفلاند كوثران)(2) حيث يقول :

" وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفنـاء

---

(1) نخبة من العلماء الأمريكين : الله يتجلى في عصر العلم ص٩

(2) دكتوراه من جامعة كورنيل ، رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث ، أخصائي في تحضير التترازول وفي تنقية التنجستين . المصدر السابق ص٢١ .

ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة ، والآخر بسرعة ضئيلة ، وعلى ذلك فان المادة ليست أبدية ، ومعنى ذلك أيضا أنها ليست أزلية ، اذ أن لها بداية .

وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، بل وجدت بصورة فجائية ، وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه المواد (١) . وعلى ذلك فان هذا العالم المادى لا بد أن يكون مخلوقا ، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان " (٢)

ويمكن تعزيز هذه الحقيقة أيضا بما أورده الدكتور ادوارد لوثر كيسل (٣) بقوله " قد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه ، على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد فى أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد بوجود اله أزلى . ولكن القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأى الأخير فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا فهناك انتقال حرارى

---

(١) لقد بدأ الكون دفعة واحدة منذ خمسة بلايين سنة انظر المصدر السابق ص ٢٧ غير أن الظروف الحالية قد وجدت واستمرت منذ ثلاثمائة مليون سنة على الأقل أنظر أ . كريس موريسون : العلم يدعو الى الايمان ص ٨٩

(٢) نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٥

(٣) أخصائى فى علم الحيوان والحشرات ، حاصل على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا استاذ علم الأحياء ورئيس قسم بجامعة فرانسيسكو ، متخصص فى دراسة أجنة الحشرات ، والسلاحف وره والحشرات ذات الجناحين : المصدر السابق ص ٢٦

مستمر من الأجسام الحارة الى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة الى الأجسام الحارة ومعنى ذلك أن الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير في طريقها، فاننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا والا لا ستهلكت طاقته منذ زمن بعيد، وتوقف كل نشاط الوجود (١)

وهذا هو الدكتور (ايرفنج وليام) (٢) يدلي بدلوه فيقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى أن لهذا الكون بداية قديمة، وأن الكون يسير الى نهاية محتومة، وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقد بأن هذا الكون ليس له بداية، أو أبدي ليس له نهاية، فهو قائم على أساس التغير " (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧ .

(٢) أستاذ العلوم الطبيعية، حاصل على الدكتوراه من جامعة ايوا متخصص في الحياة البرية في الولايات المتحدة، أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميتشجان منذ سنة ١٩٤٥، متخصص في دراسة النباتات، ودراسة شكلها الظاهري المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٣ .

وللدكتور (بول كلارنس) كلمة فى هذا الصدد يقول فيها :

" ان الأمر الذى نستطيع أن نثق به كل الثقة هو أن الانسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل أن لهما بداية ولا بد لكل بداية من مبدئ ، كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعقد الذى يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الانسان وأن معجزة الحياة فى حد ذاتها لها بداية، كما أن وراءها توجيها وتدبيرا خارج دائرة الانسان . انها بداية مقدسة وتوجيه مقدس، وتدبير الهى محكم "(١) .

هذه بعض أقوال علماء الغرب تنطق بالحق، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، وهؤلاء أوصلهم علمهم بقوانين الكون الى هذه الحقيقة فأدركوها عن طريق التجربة، ولا يقلل من جهدهم أن الدين قد سبقهم اليها ، فقد أخبر الانبياء فى كتبهم بأن هذا الكون مربوب لله تعالى ، والحق أن الاكتشافات الحديثة تدعم الدين ولا تصطدم به ، وذلك اذا ما سارت فى مسارها الصحيح فلم يوجد ولن يوجد حقيقة علمية واحدة تتعارض مع الدين لذا فقد أيدت العلوم كثيرا من النبوءات التى جاءت بها الكتب السماوية ليس هذا مجال الحديث عنها .

أحسب أن ما ذكر كان لاقناع من يبحث عن الحقيقة وينشدها ، ولكن ليطمئن قلبى رأيت أن أورد فى هذا الصدد أقوال بعض علماء الاسلام، فان لهم

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨

دورهم الذى لا ينكر فى هذا المجال .. ومن المناسب أن أورد كلمة الامام

الغزالى بناء على ملاحظته للحركة والسكون ولنستمع اليه يقول :

" ان دورة من الفلك اما أن تكون شفعا أو وترا ، فان كانت شفعا فقد أتمت

عددا فرديا ، وان كانت وترا فقد أتمت عددا زوجيا ، اذن فالعدد السابق

على كلا الحالين محدود ، ولما كان محدودا فهو حادث قطعا "(١)

ويمكن توضيح هذه الكلمة بأن نفترض أن العدد الفردى هو(٥) والزوجى

هو (٤) فالفردى لم يصبح (٥) حتى سبقه(٤) والزوجى لم يصبح (٤) حتى

سبقه (٣) .(٢)

ولنترك الأستاذ سعيد حوى يوضح لنا كيفية استدلال علماء التوحيد

القدامى فى هذه القضية فيقول :

" نظروا الى الكون فوجدوا مافيه على نوعين : نوع يقوم بذاته ، ونوع لا يقوم

بلا ذات . فمثلا الجسم يقوم بذاته . ولكن المرض لا يقوم بلا جسم

والذرة تقوم بذاتها ، ولكن الحرارة لا تكون بلا ذات ، وسموا ما يقوم بذاته الجوهر

وما لا يقوم الا بالجوهر عرضا ، فالذرة جوهر وحرارتها عرض ، والجسم جوهر

والصحة عرض .

---

(١) تهافت الفلاسفة ص٩٩ .

(٢) أنظر عبد الله عوان : شبهات وردود حول العقيدة ، ص٢٩ .

وقالـــوا : ان الجواهر لاتنفك عن الأعراض فما رأينا جوهرا الا ويلازمه عرض، وكل عرض حادث ، فالظلام حادث ، فمنذ فترة كان قبله نهار، والنهار حادث فمنذ فترة كان قبله ليـل ، وحرارة الذرات مهما كانت فان لها بداية ، وكذلـك برودتها لها بداية وهكذا، واذن فما من عرض الا له بداية واذا كان لا جوهـر الا بعرض فلا جوهر الا وله بداية فالكون جواهره وأعراضه كلها حادثة وليـس أزليـا .[1]

وقبـل أن أورد خلاصة يسيرة لما سبق أحب أن أنبه الى أن الأدلـة فـى هذا الشأن كثيرة، وقد اشترطت على نفسـى فيما مضى الايجاز، ومن أراد أن يتوسع فى هذا الأمر فعليه بكتب العقيدة لاسيما الكتب الحديثة خاصة كتاب قصـة الايمان للشيخ نديم الجسر ، والله جل جلاله لسعيد حوى ، والعلم يدعـو للايمان ... لـكريس مورسون ، والله يتجلى فى عصر العلم لجماعة مـن علماء أمريكا، وموقـف العلم والعقل والعالم من رب العالمين لمصطفى صبرى وغيرها ..

هذا ومما سبق نصل الى النقاط التالية:

أ ــ ان قضية حدوث العالم حقيقة يلتقى فيها العلم والدين .

ب ــ ان القوانين العلمية التى دلت على حدوث الكون كثيرة منها قانـون الالكترون، والطاقة الشمسية ، وقانون الحرارة الذى فصل العلماء القول فيه فيما تقدم .

---

(١) الله جل جلاله ، ص٢٧ ــ ٢٨ .

ج ـ تضافر علم الفلك والكيمياء وغيرها فى الدلالة على حدوث العالم .

د ـ الكون جوهر وكل جوهر لا ينفك عن عرض وكل عرض حادث وكل حادث له بداية اذن فالكون له بداية اذن فهو حادث .

هـ ـ ان الحرارة التى توجد فى الكون الآن من أدلة حدوثه ولو كان أزليا لكان باردا لأنه يفقد من هذه الحرارة باستمرار .

و ـ لقد استطاع العلم تحديد عمر الكون بخمسة بلايين سنة وذلك من أوكد الأدلة على حدوثه .

ز ـ الكون متغير وكل متغير حادث .

والى هنا نصل الى مطلبنا ومرادنا من الحديث فى هذا الموضوع والله هو الأول والآخر ، الأزلى الأبدى وما سواه حادث ..

ـ والله أعلم ـ

الفصل الثاني

في الرد على من زعم أن العالم قد أوجدته الطبيعة

أرى من الواجب قبل دفع هذا الزعم . أن أقوم بتصريف موجز لهذه الطبيعة ليعرف القارئ ماهية هذا الخالق المزعوم ليرى ان كان أهلا لحمل هذه الصفة أم لا ؟ مكتفيا بالاشارة عن العبارة مخافة الطول ... فأقول :

ان الطبيعة كما عرفها بعض أهل العلم — لفظ مشترك يطلق على مدلولات مختلفة، ويشترك بمدلوله العام مع لفظ الكون الذي هو عبارة عن هذه الموجودات المادية بقوانينها، أي من الأجرام السابحة فوقنا، والأجسام المضطربة من حولنا .(١) وهذا المدلول هو الذي يهمني في هذا المطلب دون سواه ، لذلك سأتناوله بشيء من البسط قليل داخل هذا الاطار نفسه على حسب وجوده في عقول الناس اليوم فهو — في علمي — لا يخرج عن مفهومين عندهم على تفاوتهم عمقا وسطحية ..

الأول : أنها عبارة عن ذات الأشياء الموجودة في هذا الكون ، من نبات وحيوان ، وجماد ، كل تلك الكائنات هي الطبيعة .

الثاني : أنها عبارة عن صفات تلك الأشياء من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة، وقابلياتها ، من حركة وسكون، ونمو، واغتذاء، وتزاوج

---

(١) انظر يوسف كرم الطبيعة ومابعد الطبيعة ص٨ ط/دار المعارف بمصر

وتوالـد ونحـوه .. ، كل تلك الصفات ، وهذه القابليات هي الطبيعة.[1] التي أسند اليها الزاعمون صفة الخلق وألبسوها تاجا لا تستحقه ـ كما سيتبين ان شاء الله ـ ، ولقد جانبهم التوفيق فيما ذهبوا اليه ، وان كانوا قد أصابوا حينما أقروا بوجود اله خالق ، ولكنهم أخطأوا خطأ فاحشا حينما جهلوا أو تجاهلوا ذلك الموجد الحقيقي الذي هو الله عز وجل ـ كما سيتأكد بالدليل

والآن أيها القارىء الكريم تعال معي لنأخذ هذين المفهومين لنناقشهما في هدوء :

ان المفهوم الأول القائل بأن ذات الأشياء في هذا الكون هي الطبيعة التي خلقت ودبرت لعجيب (((فان المدقق النظر في تلك الموجودات يلحظ بوضوح أنها لاتخرج في جملتها عن الأوثان السابقة التي كانت تعبدها الجاهلية الأولى ، فليست الطبيعة اذن سوى وثن جديد جامع لكل تلك الأوثان القديمة ، ولا فرق بين هؤلاء وأولئك البتة ـ اللهم الا في كون الأولين اتخذوها زلفى الى الله كما يقولون[2] فأشركوها معه في العبادة ، ولم يقولوا أبدا أنها خلقتهم وأوجدتهم كما يزعم هؤلاء ان كان هذا فرق يذكر .[3]

---

(١) انظر سعيد حوى : الله جل جلاله ، ص١٢٤

(٢) كما أخبر عنهم المولى في كتابه (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر الآية ٣

(٣) انظر عبد المجيد الزنداني : التوحيد ج٣ ص١٠٤

أن هذا الاعتقاد لا يخرج بالطبيعة — بالنسبة لخلق الوجود — عن تفسير الماء بالماء، فالأرض خلقت الأرض، والسماء خلقت السماء، والأصناف صنفت نفسها، والأشياء أوجدت ذاتها، فهي الحادث والمحدث وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت وذلك باطل لتعارضه مع قانون السببية المتفق عليه (١) وهو ينفي أن يقوم الشيء بذاته من العدم وإدماج الخالق والمخلوق في كائن واحد يؤدي إلى الدور (٢) وهو من أبطل الباطل، كمن يقول لك كن غائبا شاهدا أعمى في آن واحد، أو كن متحركا ساكنا في ذات الوقت، إن كان ذلك مستحيلا فمن أبلغ المستحيلات أن يكون الشيء خالقا ومخلوقا في وقت واحد (٣).

أما المفهوم الثاني وهو الاعتماد على خصائص وقابليات الأشياء في الوجود فانه أسقط من سابقه .. لأن الصفة مرتبطة بالموصوف الذي تقوم فيه فكيف تخلقه وهي مفتقرة اليه في وجودها ؟! وكيف يخلقها ذلك الموصوف وقد ثبت حدوثه بالبرهان (٤) فلزم بالضرورة حدوثها . لأنها تابعة له . فلا بد اذن من محدث غيرها — ذلك المحدث هو الله عز وجل .

---

(١) من البديهيات المسلم بها عند كل الناس علما بالضرورة بأنه ما من شيء الا وهو محتاج الى محدث . انظر تفصيلا لذلك محمد سعيد البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٢ وما بعدها ..

(٢) مثاله أن تقول ان زيدا أوجد عمروا أو جد زيدا فيتوقف وجود كل على الآخر فهو سابق ومسبوق في آن واحد والشيء الواحد لا يكون كذلك أبدا !

(٣) سعيد حوى . الله جل جلاله ص ١٢٤ — ١٢٥ بتصرف يسير

(٤) لقد برهن العلماء في المطلب السابق على حدوث العالم وهل العالم الا هذه الطبيعة !؟

واليك فيما يلي أيها القارئ بعض الأمثلة يتضح بها هذا المفهوم الخاطئ - ان الهاتف الذي نستعمله كثيرا في حياتنا اليومية من خصائصه - كما هو معلوم - أن ينقل الينا صوت البعيد ويقربه الينا، وينقل أصواتنا اليه وهو مكون من أسلاك تحمل ذلك الصوت، وأعداد بواسطتها يتم الاتصال وسماعة بها يكون الخطاب بين الطرفين، تلك هي قابلياته وصفاته، فهل يقول عاقل بأنها هي التي أوجدته من العدم وأظهرت له هيكله وجهازه ..؟!(١)

ان للسيارة محركا .. ذلك المحرك في كل سيارة تتحرك أجزاؤه .. يحترق البنزين بالداخل في محصول الانفجار تتولد القوة الدافعة .. تسير السيارة على عجلاتها .. تتحكم فيها عجلة القيادة .. تلك خصائص وقابليات وطبائع السيارة - فهل تجد من يقول بأن قوانين المكنيك تلك هي التي خلقت المحرك وأبدعت السيارة ..؟ (٢) واننا اذا ما وضعنا حبة في التراب وسقيناها بالماء، فان من قابلياتها أن تنتفخ وتنفلق فيخرج منها الزرع فيندفع الساق الى أعلى والجذر الى أسفل وتنشأ الأوراق ثم الأزهار فالثمرة - فهل تلك القابليات خلقت الحبة؟ لا أظن عاقلا يقول بذلك فان الحبة كانت موجودة قبل ذلك كله، ثانيا هل انفلقت تلك الحبة وانتفخت من ذات نفسها؟ الاجابة طبعا بالنفي لأنه ليس للحبة عقل ولا تدبير فهل هو الماء ياترى الذي جعلها

---

(١) انظر عبد الله علوان: شبهات ورد ود، ص٥٨، ٥٩.

(٢) انظر سعيد حوى: الله جل جلاله، ص١٢٧.

تنتفخ ؟ لو كان الماء قادرا على ذلك لأمكن أن يخلق الحديد .. اذن فلابد

من موثر غيره ولقد علمنا أن الحبة لا تملك ذلك والا لماذا لم تجمد .

وتضمر بدلا من أن تنمو .. ؟ وكيف حصلت ثمرة بعينها ، بل كيف

حصلت ثمار كثيرة ، وكيف كمنت الغاية المعينة والصفات المقصودة في صميم كل

بذرة منها ؟ لا ريب أن وراء ذلك كله الله رب العالمين (١) .

ولو سلمنا — جدلا — أن الطبيعة بذاتها أو بصفاتها هي الخالق

لهذا الكون ، فكيف تم ذلك ؟؟

انهم يقولون كان ذلك نتيجة تفاعلات كيماوية بين المواد المختلفة ، وأن

هذه المواد قد حدثت صدفة .. أما الصدفة فقد أفردت لها المطلب التالي

لهذا ، أما هذا التفاعل الكيماوي لو كان الأمر كما يقولون فانه محدد النتائج

محدد أيضا في الزمن .. فلو كان التفاعل مثلا هو الذي جاء بلا نسان الى

الوجود فانا نراه يتكلم عند ما يكون التفاعل الكيماوي قد تم لاحداث ذلك الكلام

ثم يصمت بدون ارادة نتيجة لنهاية التفاعل . كما يقوم بتأثير التفاعل الكيماوي

للقيام ويجلس فجأة عند نهاية التفاعل الكيماوي (٢) وذلك باطل كما هو معلوم

ومشاهد ومعاش فان الانسان يملك الارادة على الكلام وعدمه والسكون والحركة

متى شاء ويملك ارادة كل أفعاله " فيا عجبا لهؤلاء كيف يعطون الطبيعة

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٢٥

(٢) انظر عبد المجيد الزنداني : التوحيد ج٣ ص ١٠٦ بتصرف يسير

هذه الصفة ؟ وهي صماء لا عقل لها ولا تدبير ولا علم ولا ارادة، كيف ذلك ؟

وهذا الانسان مخلوقها في زعمهم يسيطر عليها فها هي مسخرة بكل ما فيها بين يديه، انه أرقى منها فاذا تأمل نفسه وجدها عاقلة وعالمة ومريدة، وسميعة وبصيرة بالقدر الذي يليق بها كبشر وهاهو ذو مشاعر وأحاسيس، وحكمة، وخلق والطبيعة ليست كذلك فهل يصدق عاقل أن المخلوق أرقى من خالقه، وهل يصدق أن العقل الذي فيه ممن لا عقل له . والعلم الذي عنده ممن لا علم لديه، وكيف يكون غير ذلك ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه (١)، اذن لا بد من خالق وغيرها هو الذي وهب الانسان ما عنده مما ذكر فهو وحده الذي يملك كل شيء ... ومن عجيب قولهم أنهم قهروها في الوقت الذي يقولون انها خالقتهم فبئس الاله الحقير الذي يخلق من يقهره ويذله ويتحكم فيه ساء الها ذلك الذي لا يدفع عن نفسه . انها في الحقيقة مخلوقة للخلاق الأعظم ومن يقل بأنها خالقة نفسها فمثله كمثل من يزعم بأن ما بين أيدينا من أثاث وفن وآلات وعمارات وغيرها مما هو مشاهد قام بنفسه وليس ليد الانسان فيه تدبير !!!

وأخيرا نختم هذا المطلب بأقوال أهل الاختصاص في علوم الطبيعة من علماء الغرب مما يؤكد خطأ هذا الزعم ولنستمع الى الدكتور (كريسى موريسون) (٢) يقول : والطبيعة لم تخلق الحياة، فان الصخور التي حرقتها النار، والبحار الخالية

---

(١) قد يقول قائل ان الانسان نفسه جزء من هذه الطبيعة فنقول له هذا دليل عليك وليس لك لأنه لم يدع أحد حتى الآن أنه يخلق أو قد خلق شيئا ولو ... في هذا الوجود

(٢) الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك — ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك وعضو المجلس التنفيذ ولمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة — وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني . من مقدمة كتاب العلم يدعو للايمان ص٥ .

من الملح لم تتوافر فيها الشروط اللازمة "(١)

وها هو الدكتور (كلود م. هاثاواي)(٢) يقول : " ان فلسفتي تسمح بوجود غير المادي لأنه يحكم تعريفه لا يمكن اداركه بالحواس الطبيعية فمن الحماقة ان أنكر وجوده لسبب عجز العلوم عن الوصول اليه وفوق ذلك فان الفيزياء الحديثة قد علمتني أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها .. ان الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها ، لأن كل تحول طبيعي لابد أن يؤدي الى نوع من أنواع ضياع النظام ، أو تصدع البناء العام .. ان هذا الكون الا كتلة تخضع لنظام معين ولا بد له من سبب أول لا يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ، ولا بد أن يكون هذا السبب غير مادي في طبيعته انه هو الله اللطيف الخبير الذي لا تدركه الأبصار .(٣)

وللدكتور (ادوين فاست)(٤) كلمة في هذا الصدد يقول فيها " ان جميع القوانين الطبيعية التي نصفها ونستخدمها ليست الا مجرد وصف لما يحدث

---

(١) كتاب العلم يدعو للايمان ص ٨٩

(٢) مستشار هندسي — حاصل على ماجستير من جامعة كلورادو — مستشار هندسي بمعامل شركة — جنرال الكتريك مصمم الالكتروني للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلي فيلد اخصائي في الآلات الكهربية والطبيعية للقياس . الله يتجلى في عصر العلم ص ٨٨

(٣) المصدر السابق ص ٩٠ — ٩١

(٤) دكتوراه من جامعة اوكلاهوما — عضو هيئة التدريس بقسم الطبيعة فيها سابقا يشتغل الآن بالطاقة الذرية المصدر السابق ص ٩٢

أو يشاهد ، فهى بذلك ليست تدبيرا أو الزاما ، فليس الوصف فى ذاته سببا لحدوث ظاهرة من الظواهر أو توضيحا لأسباب حدوثها .. ومهما بالغنا فى تحليل الأشياء وردها الى أصولها الاول فلا بد أن نصل فى نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون . ويعد ذلك فى ذاته دليلا على وجود اله قادر مدبر هو الذى قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير فى طريقها المرسوم . وقد خلق الله الالكترونات، والبروتينات والنيترونات وجعل لها خواصها المعينة فرسم لها بذلك سلوكها وأقدارها "(١)

وهكذا تسقط الطبيعة الاله المزعوم وتهوى صريعة أمام العلم والعقل والمنطق الحق الممثل فى كلام أهل العلم الذى نقلناه لك فيما تقدم وهكذا بالدليل يثبت أن الخالق لهذا الكون غير الطبيعة وهو اله ذو علم وحكمة وارادة الا وهو الله رب العالمين ...

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٩٣ — ٩٤.

الفصل الثالث

في الرد على من زعم أن هذا الكون وجد صدفة

والمصادفة هي حدوث الشيء اتفاقا بغير قصد أو تصميم ... أي أن هذا

الكون المنظم قد وجد بتلك الطريقة العشوائية، وليس يجد الخالق فيه من عمل

وذلك ما يظهر جليا من خلال كلام (هكسلي) الذي تقدم في التوطئة لهذا

الباب.[١] والحق أن الخلق والايجاد ليس للمصادفة فيه من عمل قل أو أكثر

والقائلون بالمصادفة لا يتصورونها الا من خلال مواد وعناصر موجودة سلفا، وذلك

ما يفسره لنا قول أحدهم[٢]: ... " ائتوني بالماء والهواء والوقت، وسأخلق

الانسان ".[٣]

ولنا أن نتساءل عندها: من خلق تلك العناصر، الماء والهواء والوقت؟!

ومن أوجد تلك المادة التي أشار اليها صاحب القرود فيما تقدم بقوله: ان الكون

وجد نتيجة عمليات عمياء ظلت تدور في المادة لآلاف بين السنين؟!..

سؤال لا اجابة عليه الا أن يقولوا معترفين بأن الله — عز وجل — هو

الصانع لهذا الكون — اذن وبناء على ماقالوا فليس لعنصر المصادفة من دخل

في الايجاد، وذلك لعمر الله سقوط مبكر لهذا الزعم، فالمنطق يقول لو كانت

---

(١) انظر ص ١٠٦.

(٢) هيكل من علماء البلوجيا المعروفين.

(٣) وحيد الدين خان: الاسلام يتحدى ص ٧٨.

المصادفة فاعلة شيئا كان من الأولى أن توجد تلك المادة . والحقيقة أن هناك فرقا بين خلق الشيء وبين تركيبه ، حيث أن فكرة المصادفة لا يمكن أن تدخل في الايجاد بحال ولا يحكمه قانونها أبدا ...[1] أما ترتيب الأشياء وتركيبها فذلك مايمكن أن تدخله المصادفة بقدر ضئيل كما يقول قانون المصادفة حيث أثبت العلماء أن لها قانونا ثابتا لا تخرج عنه بحال من الأحوال ، ومن ثم يمكننا تقسيم المصادفة الى قسمين ، ممكن في حدود ضيقة ، وغير ممكن وهو الأكثر ، هذا بالنسبة لترتيب مجرد شيء فكيف بهذا الكون ونظامه المعقد البديع فلا ريب أن تركيبه مصادفة من أبلغ المستحيلات — كما سيأتي بيانه ان شاء الله —

وقبل أن أورد بعض الأمثلة التي ستوضح — ان شاء الله — ذلك الامكان وتلك الاستحالة التي ستظهر من خلالها — بعون الله — هذه القضية وتتجلى وتبرز لنا بواسطتها قيمة هذه المصادفة في ميزان العقل . أرى أن أقف بالقارىء قليلا لنشرح قانون المصادفة ذلك الذي أشرت اليه آنفا . فأقول — كما أخبر العلماء ... " ان حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة . كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ازداد حظ المصادفة في النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة ، فان كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد اثنين)

---

(١) انظر خالص جلبي : الطب في محراب الايمان ، ص ١٣

لأن كل واحد له فرصة للنجاح مماثلة لفرصة الآخر، بدون أقل تفاضل طبعـــا "[١]

وبمقتضى هذا القانون يمكن القول بامكان المصادفة الى حد ما على حسب المزاحمة فهو بعيد وقريبا حتى ولو كان المتزاحمون مئة أو ألفا ولكن متى تضخمت الأعداد وتضاعفت نسبتها فبلغت مالا نهاية له من الأعداد فان حظ المصادفة يصير فى حكم العدم ويبلغ درجة الاستحالة تماما .[٢]

وأحسب أنه من المناسب الآن أن أورد ماوعدت من الأمثلة : فمثال المصادفة الممكنة جهل ما تم نسفه فكونت الأحجار المتناثرة بسبب التفجير عن طريق الصدفة بيتا صغيرا لم تظهر عليه روعة الهندسة ولا تصميم البناء — فذلك لا ريب يمكن وقوعه والعقل لا ينكره ، كذلك يمكن تصور مثل هذه الحالة فى مطبعة فيها نصف مليون حرف منظومة فى صناديقها فجاءت هزة أرضية قلبت تلك الصناديق فاختلطت مع بعضها فكان أن تألف من اختلاط الحروف فيها بضع كلمات متفرقة غير مترابطة المعنى فلا جرم أن العقل يصدق امكان ذلك ووقوعه .

ذانــك مثالان لصور المصادفة الممكنة وبقى أن نورد الأمثلة للصور المستحيلة ولن أذهب بك بعيدا ولنأخذ نفس المثالين السابقين .. فان من المستحيل فى العرف والعقل أن يتكون من عملية النسف للجهل تلك قصر جميل منظم قائـــم على هندسة وابداع وتصميم فى كل مايتعلق به ، ترتيب غرفة ، ومواقع الشرفـــات

---

(١) نديم الجسر : قصة الايمان ص٢٩٣ — ٢٩٤ .

(٢) انظر نفس المصدر ص٢٩٤ .

وتماسك البناء فيه .. الخ .. فذلك لا يستقيم مع العقل ومن يقول به فمتهم بالجنون والهوس ان لم يكن كذابا (كذلك الحال بالنسبة لما حدث للمطبعة اذ من المستحيل أن يتكون من جراء تلك الهزة كتاب كامل مؤلف من خمسمائة صفحة تقريبا يشتمل على موضوع كامل في وحدة وترابط تام للأفكار والاسلوب والمعاني مقسم الى أبوابه وفصوله كأحسن مايكون ([1] فذلك غير ممكن بداهة فان اسما لـ(عمر) مثلا اذا وجدناه مكتوبا في ورقة قرب آلة كاتبة واستبعدنا أن يكون كتبها خبير بالكتابة فان حدوث ذلك مصادفة يكون بنسبة (١ ــ ٢٨) وهو عدد حروف الهجاء العربية وسقوط العين مع الميم تباعا يجوز بنسبة (١ ــ ٢٨×٢٨) وجواز نزول حروف الاسم الثلاثة تباعا يكون بنسبة (١ ــ ٢٨×٢٨×٢٨) أي بنسبة ١ ــ ٢١٩٥٢ .[2] وذلك مالا يعقل فكيف بذلك الكتاب في تلك المطبعة، قد يقول قائل ان مثل ذلك ممكن مع الزمن بأن تنثر تلك الحروف المطبعية على سطح فسيح أملا في أن يتشكل منها ذلك الكتاب وتكررت المحاولة سنوات طويلة تقدر بالملايين فقد يحصل في كل مرة أو مرات أن يتكون قدر من ذلك الكتاب ثم جزء آخر وهكذا ... حتى يكتمل عبر ذلك المدى الطويل .[3]

ولعل في تعقيب الاستاذ مصطفى حيري في كتابه موقف العقل والعلم من رب العالمين على مثل هذا التصور مايكفي للرد عليه حيث يقول :

" ان عدم الانتظام لا يتحول بنفسه الى نظام ولو دام ألف ألف عام بل يزيده

---

(١) انظر عبد الله علوان : شبهات وردود ص ٤٧ــ٤٩

(٢) انظر : محمد الغزالي :عقيدة المسلم، ص ١٨

(٣) انظر محمد سعيد البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ، ص ٧٨

الزمان تشوشا وارتباطا . ولا يجد بينهم نفعا تصور احتمال تشكل جزء من (ذلك الكتاب) في كل فترة . اذ لا يكون من حقهم أن يفرضوا حفظ الجزء المتشكل ونشر ماعداه في المرة الثانية حتى يتشكل جزء آخر، وهكذا الى أن يتم (الكتاب) .. بل يلزم أن يفرض في كل مرة نثر جميع الحروف المنثورة في المرة الأولى الشاملة لحروف الجزء المتشكل ، فينقض في المرة الثانية ماانتظم في المرة الأولى ، وان كان في الامكان تكوين جزء آخر فسينقض هو الآخر في المرة الثانية، ولو لم تفرض هكذا لكان حفظ الأشياء المتشكلة في أي مرة وحصر تكرار النثر في الباقي بعد تلك الأجزاء نظاما مقصودا ، فيلزم خلاف المفروض الذي هو عدم القصد والنظام "(١)

واليك الآن أيها القارئ مثالا أحسب أنه جامع يوضح لنا هذه المسألة أكثر بطرفيها الممكن والمستحيل وذلك يتمثل في ..

" لوح غرزت فيه إبرة ، ثم في ثقبها وضعت أخرى ، ورآها عاقل على هذه الحال فسأل : كيف وبيد من تم إدخال الابرة الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان معروف بالصدق أن شخصا ماهرا قذف بها من مسافة عشرة أمتار . وأخبره آخر معروف بالصدق أيضا أن صبيا صغيرا مكفوف البصر قد ولد بهذه الحالة هو الذي فعل ذلك عن طريق المصادفة (فأي الخبرين يصدق ؟ لاريب أنه يميل الى تصديق الخبر الأول ولكنه أمام صدق المخبرين

---

(١) نفس المرجع ص ٣٤٨/٢ .

يــــرى امكان المصادقة فلا يجز بترجيح خبر على الآخر، ولكنه اذا رأى ابــره ثالثة منتظمة فى ثقب الثانية فلا جرم أنه سيرجح جانب القصد عن المصادفـــة ولكنه ليس ترجيحا قويا على كل حال . ولكنه اذا رأى عشرابر كل واحدة منتظمة فى ثقب الأخرى فلا ريب أن ذلك الترجيح سيكون قويا جدا حتى لتكاد فكـــرة المصادفة تتلاشى ، ولكن حتى نسقطها نهائيا فلنتصور تلك الابر العشر مرقمـــة من واحد الى عشر وقبل أن تعطى الى ذلك الصغير الكفيف كانت داخل كيسهـا مشوشـــة غير مرتبة فكان يستخرجها على ترتيبها الصحيح حتى غرزها جميعها بتلك الصورة . فلا ريب أن المصادفة فى هذه الحالة بعيدة جدا وان لم تكـــن مستحيلة ولكنها فى الأعداد الكبيرة تصبح بداهة مستحيلة[1] كما سبـــق أن ذكرنا فى الأمثلة السابقة حيث أن حظ المصادفة بالنسبة الى هذه الابر العشر بأخذها مرتبة وغرزها بنسبة واحد ضد عشر مليارات[*] ومثل هذا المثال أيضــا أورد (كريس مورسون) فى كتابه العلم يدعو الى الايمان[2] . وعلى ذلك نـــس غيره . والذى ينبغى أن أقوله الآن قبل الاسترسال فى هذا الحديث أن المصادفة انما يقول بها الانسان اذا جهل السبب حتى اذا عرفه أنكر أن يسميها صادفة

---

(١) انظر نديم الجسر : المصدر السابق ، ٢٩٢ـ٢٩٣

(٢) انظر ص ٥١ ، وص ١٩٣ ومابعدها .

(*) ومثال ذلك بعملية حسابية كمايلى :

$$\frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} \times \frac{١}{١٠} = \frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$$

وسماها باسمها الذي يفسره السبب ولذلك تجد دائما التعليل بالمصادفة عند غير العلماء . أما العلماء (**) فانهم يبحثون دائما عن السبب وينشدون الحكمة ولا يتجاهلون دقة النظام وقوة الاحكام وذلك مايقول به العلماء والفلاسفة فهم يعتبرون المصادفة لا وجود لها في الحقيقة (١) .

أعود الى ماسبق أن تقرر من ضآلة حظ المصادفة في ترتيب شيء ما ناهيك عن ايجاده فذلك ماليس للمصادفة فيه من دخل كما سبق أن تقرر أيضا ، ولقد رأينا بالمثال كيف أن أمر تركيب شيء ما مصادفة صعب جدا ولنتجاوز ولنقل ايجاده أو حصوله وقد أعيينا في مسألة المطبعة ومسألة الابحر فكيف بهذا الكون الواسع المعقد ؟ أيمكن وجوده مصادفة ؟ ؟ وكم من الزمان استغرق حتى تكون ؟! " ان الأجسام الحية تتركب من خلايا .. ومن الاجزاء التي تحتوي عليها هذه الخلايا البروتين وهو مركب كيماوي من خمسة عناصر (٢) ويشتمل الجزئي البروتيني الواحد أربعين ألفا من ذرات هذه العناصر !! وفي الكون أكثر من مائة عنصر كيماوي ... أيمكن أن تتكون خمسة عناصر من هذا العدد الكبير لايجاد (الجزئي البروتيني) بصدفة واتفاق محض ؟! اننا نستطيع أن نستخرج من ذلك القدر الهائل من (المادة) الذي سنحتاجه لتحدث فيه

---

(١) حسن هويدي : الوجود الحق ، ص ٩١ بتصرف يسير

(*) الا من شذ منهم واتكأ على هذه المسألة لغرض ما في نفسه

(٢) هي : الكربون ، والهيدروجين ، والنتروجين ، والاكسجين ، والكبريت

الحركة اللا زمة على الدوا م ،كما نستطيع أن نتصور شيئا عن المدة السحيقة التى سوف تستغرقها هذه العملية • لقد حاول رياضى سويسرى شهير، هو الاستاذ (تشارلز بوجين جواى) أن يستخرج هذه المدة •• فانتهى فى أبحاثه الى أن الامكان المحض فى وقوع الحادث الاتفاقى الذى من شأنه أن يؤدى الى خلق كون، اذا ما توفرت المادة • هو واحد على ١٠^١٦٠ (أى ١٠×١٠= مائة وستين مرة) وبعبارة أخرى نضيف مائة وستين صفرا الى جانب عشره [وهو عدد هائل لا يمكن وصفه فى اللغة [1] أما المادة التى تحتاجها تلك العملية فانها تزيد بليون دورة عن المادة الموجودة الآن فى سائر الكون • ومثل ذلك قال (الكونت دى نواى) •• وهو أحد علماء فرنسا [2] اذا ثبت هذا فان نظام الكون والاحكام الدقيق فيه ليعزز هذه الحقيقة ، ولكن قبل أن نأتى بالأمثلة نستمع كما تعودنا الى أقوال علماء

---

(١) وحيد الدين خان: الاسلام يتحدى ص/٧٤ • ويحدد مترجم الكتاب المدة هذه فى نفس الصفحة فى الهامش بقوله "أى مئتان وثلاثة وأربعون صفرا أمام عشر سنين •• وهى نتيجة — كما حددها كريس موريسون فى كتابه العلم يدعو الى الايمان الطبعة الانجليزية تحت اسم

(٢) انظر وحيد الدين خان، المصدر السابق ص/٧٥ .

الكون عساها توضح المسألة أكثر وفيما يلي طائفة منها : يقول الدكتور (توماس دافيد باركس)[١] : " انني أقرأ النظام والتصميم في كل مايحيط بي فحص العالم غير العضوي ، ولا استطيع أن اسلم بأن يكون كل ذلك قد تم ، بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتألف بهذه الصورة العجيبة ان هذا التصميم يحتاج الى مبدع ، ونحن نطلق على هذا المبدع اسم الله "[٢]

ولنستمع كذلك الى الدكتور (جون وليام كلوتس)[٣] يقول : " ان هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة انه ملىء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج الى مدبر ، والتي لا يمكن نسبتها الى قدر أعمى ، ولاشك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة ، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده ".[٤]

ولنستمع الى الدكتور (كرسي موريسون)[٥] وهو يقول : " ان الأوكسجين والهيدروجين وثاني اوكسيد الكربون ٠٠ هي العناصر البيولوجية الرئيسية ٠ وهي عين

---

(١) استاذ الكيمياء — حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة الينوى — رئيس قسم الكيمياء ٠ بمعهد بحوث ستانفورد سابقا — مدير البحوث بشركة كلوركس الكيموية — متخصص في النظريات الكهربية والأشعة السينية ٠ نخبة من العلماء الأمريكيين الله يتجلى في عصر العلم ص/ ٤٢ ٠

(٢) نفس المصدر ص/ ٤٢ — ٤٣

(٣) عالم في الوراثة — حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بيتسبرج — استاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة ١٩٤٥ — عضو جمعية الدراسات الوراثية متخصص في علم الوراثة والبيئة — الله يتجلى في عصر العلم ص/ ٤٦

(٤) نفس المصدر .

(٥) تقدمت ترجمته أنظر ص/

الأساس الذي تقوم عليه الحياة. غير أنه لا توجد مصادفة بين عدة ملايين تقضي

بأن تكون كلها في وقت واحد، وفي كوكب سيار واحد بتلك النسب الصحيحة اللازمة

للحياة!! وليس لدى العلم إيضاح لهذه الحقائق أما القول بأن ذلك نتيجة

المصادفة فهو قول يتحدى العلوم الرياضية "(١) ولنختم هذه الطائفة من

أقوال العلماء بحديث العالم الطبيب العربي المشهور (مصطفى محمود)

حيث يقول: " اذا سلمنا بصدفة واحدة في البداية فكيف يقبل العقل سلسلة

متلاحقة من المصادفات والخبطات العشوائية "(٢).

أما الآن فاليك أيها القارىء الأمثلة التي وعدتك بها وهي تدل على

الاحكام والنظام في هذا الكون الذي يدل على القصد والتصميم وينفي وجود

صدفة وكلها أو معظمها في كتاب العلم يدعو للايمان (لكريس موريسون):

أ — لو كانت الأرض كعطارد لا يدير الا وجها واحدا منه نحو الشمس

ولا يدور حول محوره الا مرة واحدة في خلال الدورة الكاملة للشمس —

لما على أحد حيث الليل الدائم أو النهار الدائم ولا كانت حياة"(٣)

---

(١) العلم يدعو للايمان، ص/٧٣.

(٢) رحلتي من الشك الى الايمان /ص٩٨.

(٣) العلم يدعو للايمان ص/٥٣.

ب — ونفس النتيجة لو كان محور الأرض معتدلا بدل هذا الميل بمقدار (٢٣) .. "[١] ولو لم تكن قوانين الجاذبية موجودة فمن أين تلتقى الذرات وجزئيات الذرات ، ومن أين تكون الشمس شمسا والأرض أرضا ؟ ولو كانت فمن أين تبقى فى مكانها الحالى ، ولو بقيت فكيف تكون الحياة وكيف يسير الانسان "[٢]

ج — ولو كانت الأرض صغيرة كالقمر أو لو كانت على الأقل ربع قطرها الحالى لعجزت عن الاحتفاظ بالغلافين الجوى والمائى الذين يحيطان بها ولكانت حرارتها بالغة الى حد لا تقوم معه الحياة .[٣]

د — ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه بمقدار بضع أقدام لامتص ثانى اكسيد الكربون والاكسجين ولما أمكن وجود حياة .[٤]

هـ — " ولو أن شمسنا أعطت نصف أشعاعها الحالى لكنا تجمدنا ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رمادا منذ زمن بعيد "[٥]

و — " ولو كان قمرنا يبعد عنا (٢٠) الف ميل بدلا من بعده الحالى .. لكان المد يبلغ من القوة بحيث أن جميع الأراضى تغمر مرتين فى اليوم بماء متدفق يزيح الجبال نفسها "[٦]

---

(١) انظر ص/٥٦ نفس المصدر السابق
(٢) سعيد حوى : الله جل جلاله ص/٤١
(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين : المصدر السابق ص/٨
(٤) كريسى موريسون : المصدر السابق ص/٦٥ .
(٥) المصدر نفسه ص/٥٦ .
(٦) المصدر نفسه ص/٥٧—٥٨ .

ز — ولو كان ليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات لأحرقت شمس الصيف الحار نباتاتنا في كل نهار . وفي الليل يتجمد كل نبت في الأرض — (١)

ح — ولو كانت مياه المحيطات حلوة لتعفنت وتعذرت بعد ذلك الحياة على الأرض حيث أن الملح هو الذي يمنع حصول التعفن والفساد ولولا أن الكلور يتحد مع الصوديوم لما كان ملح وبالتالي لما كانت حياة . (٢)

فإذا كان كل واحد من تلك المخلوقات الذي ذكرت يمكن وجوده على ملايين الأشكال غير ما هي عليه ولكن وضعا واحدا مما هي عليه هو الذي اختير فهل يكون ذلك صدفة بدون ارادة ؟! لا أحسب عاقلا يقول بذلك بعد كل هذا الذي ذكر ليس ذلك فحسب بل أن هذا الوضع المختار هو الأفضل والأكثر نظاما واحكاما ولو كان غيره لكانت الفوضى والخلل في كل شيء ومن ثم فلا بد من ارادة سامية عليا رجحت ذلك الوجه الأمثل من وجوه الامكان والاحتمالات المتعددة . فلزم بداهة أن ننفي الصدفة ونكون بذلك قد رددنا على القائلين بأن هذا الكون ثمرتها . والحقيقة أن هذا الزعم قد ولد ميتا وشهدنا سقوطه من أول هذا المطلب ولكن مع ذلك رأيت أن أواصل الكتابة امعانا في الرد لكثرة من يقول به من الناس لاسيما العوام منهم فكان لزاما علينا الاتيان بأقوال أولئك المختصين من أهل العلم بالكون لنقطع عليهم الطريق — والله ولي التوفيق ...

---

(١) المصدر السابق : الله يتجلى في عصر العلم ص/٥٥ .

(٢) نديم الجسر : قصة الايمان ص/٣٣٦ .

الفصل الرابع

فى الرد على من اشترط رؤية الله تعالى حتى يؤمن بوجوده

ان أمر هولاء لعجيب ! يقولون : طالما أن الله - عز وجل - لا يرى فهو غير موجود ... وأنهم قد رأوا الساعات وهى تصنع فى المصانع، ولم يروا هذا الكون يصنع ! فكيف يؤمنون بأن له صانعا ؟! .. ذلك زعمهم وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وتلك قريتهم التى خلصوا اليها، يظنون أنهم لن يحاجوا فيها ولن يغلبوا اذا حوجوا ... فوضعوا بذلك عقولهم فى التراب، وساروا عليها بأقدامهم، متجاهلين كل الأدلة التى هى أظهر من الشمس ومضوا مغمضين أعينهم عنها - وعن كل ما من شأنه أن يفضى بهم الى الايمان بوجود الخالق، وراحوا لا يلوون على شىء يلتمسون لهم غير ذلك دليلا !.. لا ليثبتوا به وجوده تعالى - ولكن لينفوه ! حتى طلعوا علينا بهذا الزعم - الذى يشبه كثيرا تمخض الجمل عن فأر ! - يظنون أنهم قد حصلوا بذلك على مايعجزون به من آمن بالله وأثبت وجوده ...، ولكنهم فى الحقيقة - أثبتوا عجز أنفسهم وافلاسها فى سوق العلم، وفى ساحة المنطق، وميدان مقارعة الحجة بالحجة ...، باتكائهم على مسألة الرؤية هذه

وذلك أمر ليس بجديد ...، ولكنه دأب العاجزين المعاندين فى كل زمان - فقد قال اخوان لهم من قبل مثل ما قالوا، وطلبوا ذات الطلب ..

... وقد سجل عليهم القرآن ذلك فى بعض آياته .(١)

انهم يعلمون — ولا ريب — أن رؤية الله ليس اليها من سبيل — ولو علموا أنه من الممكن رؤيته لما تمسكوا بهذه القضية، ولبحثوا عن غيرها — كما هو رأيهم — هربا من الايمان ، ولكنهم لما تيقنوا من عدم رؤيته تشبثوا بها تشبث الأعمى بعكازه ..

ونحن معهم أن الله — تعالى — لا يرى .. ونقولها على أفواهنا " انهم لم ولن يروه أبدا(٢) — ان شاء الله — لأنه لا تدركه الأبصار كما جاء

(١) منها ما أخبر به عن بعضهم طلب منهم الايمان فقالوا (لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الفرقان : ٢١ وكذلك ما أخبر به عن يهود وقولهم لموسى (لن نوءمن لك حتى نرى الله جهره) البقرة : ٥٥ — وأيضا ما أخبرنا به عن فرعون لما نادى (ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب — اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانه لأظنه كاذبا) المؤمن "٣٦—٣٧
وهذه الآيات لا تدل كلها على أن القوم ينفون وجود الله مالم يروه الا آيتى المؤمن ولكنى أتيت بها لأدلك على أن هذا الطلب هو حجة العاجزين من قديم وأنه ليس جديدا — نعم ان نبى الله موسى قد طلب رؤية الله ولكنه طلبها وهو مؤمن ومطيع له غير معاند وقد حظى موسى بتكليم الله من غير واسطة وسعد به فمنى نفسه بأن يسعد برؤيته تعالى لهذا لم يعب عليه الله طلبه ولكنه أراه استحالة ذلك الطلب وقصته فى القرآن أنه قال (رب أرنى انظر اليك — قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) — الأعراف : ١٤٣

(٢) الا اذا آمنوا فانهم سوف يرونه يوم القيامة — كما هى عقيدة السلف خلافا للمعتزلة الذين يرون عدم رؤيته أبدا .

في القرآن الكريم[1] ولكنه رغم ذلك موجود ... وتلك حقيقة سيؤكدها الدليل ـ ان شاء الله ..

أما أنه غير موجود ، فتلك دعوى لايقبلها العقل ولا يقرها العلم وبيان ذلك فيما يلي متمثلا في الاجابة عن بعض اسئلة أطرحها ، وهي :

أ ـ ما مدى قدرة البصر على الرؤية ؟

ب ـ هل تعطى العين الحقيقة دائما ؟

ج ـ ما هي وسيلة المعرفة الحقيقية وما مداها ؟

د ـ ما هي قيمة الحقائق التي تثبت خارج نطاق البصر ؟

هـ ـ هل كان أولئك المنكرون وجود الخالق صادقين مع أنفسهم فلا يؤمنون حقا الا بما يشاهدون ؟!

والآن نبدأ في الاجابة فنقول :

ان البصر محدود المدى والقدرة على الرؤية فهو لا يرى الحركات البطيئة كحركة عقرب الساعة أو حركة الكواكب ونحوها ، وكذلك لايرى الحركات السريعة جدا كحركة محرك الطائرة مثلا فانها تدور بسرعة يصعب تمييزها ، كذلك المروحة الهوائية حيدما تكون في أقصى سرعتها . والعين لا ترى الماء الرائق في القدح ولا الزجاج الـ... في الأبواب والنوافذ الزجاجية، وأيضا البصر عاجز عن رؤية الاشياء الصغيرة جدا ، فهو لا يرى الا الى حد معين لا يتعداه ، قد يزيد حتى

---

(١) (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) الانعام ١٠٣

يتضاعف باستعمال النظارة ، ولكنها أيضا لها مدى لا تتعداه — ان العين لا ترى الجراثيم ولا الحيوان المنوى مثلا ولكنها بواسطة (الميكروسكب) ترى ذلك ولكن أشياء كثيرة لا تراها — كما سأذلك — ولوجىء بأعظم (ميكروسكب) في الدنيا • وهى كذلك لا تخترق الحواجز، ولكنها بواسطة الأشعة ترى العظام في البدن وكذلك الامعاء والأعضاء الداخلية، ولكنها لا ترى كل شيء، كما أنها لا تستطيع رؤية تلك الأشعة (١) وهناك أشياء كثيرة لا تراها العين مطلقا ولوجىء بأعظم منظار في العالم، فهذه هى الجاذبية الأرضية وقانونها الذى يلاقى قبولا علميا عظيما ومع ذلك فهذا القانون لا يمكن ملاحظته ابدا كل ماشاهده العلماء لا يمثل فى ذاته هذا القانون ، وإنما أشياء أخرى اضطروا لأجلها أن يؤمنوا بوجوده • كذلك الحال بالنسبة للذرة • (٢)

هذا الماء الذى نشربه فى كل يوم يشتمل كل جزىء منه على ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين وليس من الممكن مشاهدة هذه الحقيقة • (٣)

وكذلك الحال فى أرواحنا التى تحملها أو التى تحملنا فى الحقيقة

---

(١) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٤٩، ٥١

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٤٦ .

(٣) انظر وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص ٤٦ .

حيث لايستطيع أحد أن يقول انه رأى روحه أو روح غيره • وكذلك الحال فى عقولنا هذه التى نتمتع بها وتفرقنا عن المجانين لايجرؤ انسان على القول أنه قد رأى ذلك العقل • وهذا الهواء الذى يحيط بنا من كل مكان ، وغير ذلك كثير، أمواج الأثير ، المغنطيسية ، الكهرباء، الرصاصة عند انطلاقها •••الخ ••

هذا هو البصر قدرته ومداه وأكون بذلك قد أجبت عن السؤال الأول •

أما السؤال الثانى فاجابته كما يلى :

ان العين فى الواقع لاتعطى الحقيقة دائما ، ولكنها تخطىء كثيرا فانها قد ترى من البعد البنايات المتنائية البعيدة عن بعضها بجنب بعضها وقد ترى الطريق ذا العرض المستوى ضيقا فى نهايته ، والعصاة المغمورة بالماء تبدو كأنها مكسورة، والخطوط المتوازية التى تفصل بينها خطوط أخرى تبدو غير متوازية، والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء اذا ماكتبتا أو أو اجتمعتا فى مكان واحد ، ورؤيتنا أنفسنا ونحن نسير ورؤسنا الى أعلى على الدوام ! ورؤيتنا للسراب كأنه ماء، والعين ترى الطائرة فى الجو كأنها لعبة أطفال ، وغير ذلك كثير من الأخطاء التى يقع فيها البصر، اذن فالعين لا تعطى الحقيقة كاملة وقد تعطى نتائج خاطئة فى كثير من الحالات ،كما بينا بالدليل ونكون بهذا قد أجبنا عن السؤال الثانى ، وجاء الدور لنجيب عن الثالث فنقول :

لقد ثبت عجز البصر عن ادراك كثير من الحقائق وثبت خطوءه فى أمور كثيرة وكذلك كل الحواس فى الانسان محدودة المدى والقدرة وتخطىء أيضا فى كثير

ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل لبيان هذا العجز فى تلك الحواس فالذى يهمنى بها هنا فقط هو البصر، واذا كان قد ثبت عجزه فليس هو اذن الوسيلة الحقيقية للمعرفة وليس ادراك الأشياء مقصورا عليه، ولا على غيره من الحواس فهى أيضا محدودة القدرة وتعطى نتائج خاطئة فى بعض الأحيان كما سبق أن ذكـــرت وليس المعرفة فى مجموع الحواس لأن اضافة الخطأ الى الخطأ يساوى مجموعة أخطاء، فلم يبق غير العقل فهو وسيلة المعرفة الحقيقية وهو المصحح لأخطـاء الحواس تلك وهى التى تخدمه بقدراتها المختلفة، وليس معنى ذلك أنـــه يحيط بكل شىء ولكنه يدرك الكثير (١) فهو أول وسائل المعرفة وأهمها وكـل تلك الحواس بما فيها البصر خاضعة له. الذى أريد أن أخلص اليه هو أن البصر ليس مقياس المعرفة وبذلك تكون قد انتهينا من الاجابة عن هذا السؤال • ولننتقل الى الذى يليه فنقــول :

أمـا قيمة تلك الحقائق التى تثبت خارج نطاق البصر فانها مساوية تماما للتى تثبت عن طريق الرؤية فقد آمنا بتلك الجاذبية وآمن بها العلماء ولم يغض من شأن هذه الحقيقة أننا لم نراها •• وذرات الهيدروجين والأوكسجين تلك التى يحتوى عليها الماء لم يمنع عدم رؤيتنا لها كذلك من الاقرار بأنهـا حقيقة ثابتة، والذرة هذه بأنواعها على الرغم من عدم رؤيتنا لها فاننا لا نؤمن بها كحقيقة ثابتة فحسب بل ونحن نستخدمها ونستفيد منها فى الحرب والسلم

---

(١) وهو يخطىء أيضا كثيرا أو يعجز عن كثير أيضا

وأرواحنا تلك لم يمنع عدم رؤيتنا لها من الاقرار بوجودها ، كذلك الحال بالنسبة الى العقل وغيره لم يمنع عدم رؤيتنا له من الايمان به كحقائق ثابتة لا تقبل الجدل ، وكل ذلك لأننا رأينا الآثار التى تدل وبواسطتها آمنا ، فللروح أثرها فى البدن حركة وسكونا ، وللعقل أثره فى التصرف والادراك ، والهواء نجد أثره على الثياب وبضغطه على الأجسام ، والمغنطيس رأينا أثره فى انجذاب الحديد نحو الحديد وهكذا .. أشياء كثيرة آمنا بها عن هذه الطريق ولا يغض من هذا الايمان أنه ليس عن البصر فكلا الحالين سواء وكلا هما حقيقة وقد جاء فى كتاب الاسلام يتحدى ما يلى :[1]

" ان الحقائق التى نتعرفها مباشرة تسمى الحقائق المحسوسة ، بيد أن الحقائق التى توصلنا الى معرفتها لا تنحصر فى الحقائق المحسوسة ، فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة ، ولكنا عثرنا عليها على كل حال ووسيلتنا فى هذه السبيل هى الاستنباط ، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه بالحقائق المستنبطة ، والأهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين ، وانما الفرق هو فى التسمية من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة ، وعلى الثانية بالواسطة والحقيقة دائما هى الحقيقة سواء عرفناها بالملاحظة أو بالاستنباط " وجاء أيضا فى نفس الكتاب ، " ان حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل ، فكيف يمكن أن نعرف شيئا عن الكثير الآخر ؟ .. هناك وسيلة هى الاستنباط أو التحليل .

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٤٧

وكلاهما طريق فكري، يهتدى به بواسطة حقائق معلومة، حتى ننتهي بنظرية أن الشيء الفلاني يوجد هنا ولم نشاهده مطلقا." [١] وهذه هي الاجابة عن هذا السؤال . والآن لنجيب عن السؤال الأخير فنقول : ان أولئك المنكرون لم يكونوا واقعيين ولا صادقين مع أنفسهم حيث اشترطوا رؤية الله تعالى للايمان بوجوده، وقد آمنوا بكل تلك الأشياء ولم يشترطوا فيها ذلك . ولو جاز لهم أن ينكروا ذلك لجاز للأعمى أن ينكر كل شيء لأنه لم يره، ان الانسان قد يرى النور ولا يرى مصدره ، انه قد يرى ظل الرجل ولكن لا يرى الرجل فهل يعني ذلك انكار وجوده ، فهم وان لم يروا الله تعالى ولكن قد رأوا له من الآثار مالا يحصى في أنفسهم ناهيك عن الكون ومافيه . واذا كان البصر عاجزا عن رؤية بعض مافي الكون فكيف برب الكون ؟ ان الذي يريد رؤية الله تعالى فكأنما يريد مشاهدة الأرض كلها في ثقب باب بيته — ولله المثل الأعلى — والذي ينكر وجوده تعالى مثله كمن :

" رأى تمثيلية في مسرح فاعجب بها لروعة فنها وجمال عرضها، وحسن اداء أدوار الممثلين فيها .. ثم أنكر المخرج الذي أخرجها، وكاتب المسرحية الذي كتبها لكونه لم يبصر في التمثيلية المخرج ولم يبصر الكاتب ! والحقيقة التي لاشك فيها لولا المخرج لما كانت التمثيلية ، ولولا الكاتب لما اعجب الجمهور . وكذلك [illegible] لولا وجود الخالق لما كان هذا الكون .." [٢]

والى هنا نكون قد أجبنا عن كل الاسئلة ..

---

(١) نفس المكان [illegible]

(٢) عبد الله علوان : شبهات ورد ص ٢٤

الفصل الخامس

في الرد على من زعم أنه لم يجد أدلة شافية على وجود الله ..

وتلك مقولة عجيبة (... لقد تأملتها جيدا ... واستطيع في بداية الرد عليها أن أقول - وبكل تأكيد - أنها مجرد زعم لا يستند الى شيء ... ولعل الناظر يلحظ ذلك من أول وهلة، غير أني مع ذلك سأسوق - بعون الله - الدليل على ما ذكرت ناشدا الايجاز ما أمكن ..

أولا : ان هذا المنكر لم يأت ولو بدليل واحد ينفي به وجود الخالق - عز وجل - وكان المقام يستدعي ذلك لخطورة الأمر .. فلو كان هناك من دليل لما توانى في الاعلان به اذ ليس من السهل أن يقول قولا كهذا دون دليل، أو على الأقل دون أن يفند تلك الأدلة التي بدت له غير شافية بعرضها مناقشا ..)

ثانيا : ان قوله أنه لم يجد أدلة شافية مفهومه أنه قد وجد ثمة أدلة على الوجود في مقابل لاشيء ينفي هذه الحقيقة الأمر الذي يرجح - على الأقل جانب الوجود .

ثالثا : كونه لم يجد أدلة ليس حجة على من وجد، فليست الحقيقة محصورة على علمه ومعرفته، فان احاطته بالمعارف كلها مستحيل، فانكاره هذا مجازفة وحكم يتحمله لوجده، والعلم منها براء - كما سيتبين -

رابعا : ان الأدلة التي وجدت وتوجد كل يوم في درجة من الكثرة بحيث لا تغيب عن الانسان البسيط ، ناهيك عمن يوصف بالعلم ويعد من النابغين فيه . وفي درجة من القوة لا أبالغ ان قلت انها من المسلمات . ومن ثم فاني أتهم صاحب هذا الزعم ومن سار على دربه بالقصور في النظر في الأدلة وفي بذل الجهد بحثا عن هذه الحقيقة مع كونها لا تحتاج الى كبير جهد ولا تكلف عناء ، ولو فعل لأغنى نفسه وأغنانا عما نحن فيه ، اللهم الا اذا كان مكابرا يرفض الحق من بعد ما تبين ويجادل من أجل الجدل (أوشكاكا (١) لا يغني الدليل ولا ينفع معه فتيلا

(١) لا تقف شكوكه عند حد اذا سألته هل هو موجود ؟ قال لا أدري (هل يشعر بنفسه ؟ قال لا أدري (أهذا الأمر خير أم شر ؟ قال لا أدري ؟ فهو في ظلمات بعضها فوق بعض ، لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، انها فكرة لا معنى لها في ذاتها وليست مفهومة لدى جمهور الناس كما أنها لم تحظ بقبول العلم وهي منقوضة من ذاتها لأن صاحبها اذا حكم حكما فقد أثبت حقيقة واذا أثبتها فقد هدم الريبة المطلقة لقد وجد هذا الصنف من الناس ، على أن فريقا من المكابرين يصطنعونها ويقلدون لمجرد التفلت من الحقيقة وهؤلاء كما قلت لا يلتفت اليهم ولا يشار اليهم بأكثر من التنبيه على خطرهم حيث يؤدي ذلك الى الفوضى المطلقة فلا معرفة ولا فضيلة ولا خير ولا شر ولا عدل ولا ظلم .. ولا غيره على أننا لو طالبنا هذا الوعي أن يلج النار لامتنع اعترافا بحقيقة الاحراق ولو قلنا له اشرب السم لرفض اقرارا بأذاه ، ولو طلبنا منه أن يأكل القذارة والعفونة لغضب لمعرفته الفرق بين الطيب والخبيث وهكذا نجده متناقض القول مع الفعل — انظر حسن هويدى : الوجود الحق ص ١١ — ١٣ ثم انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٥٢ — ٥٣ بتصرف يسير في كل .

فهو يشك فى وجود الكون وفى وجود صانعه ، بل وفى وجود نفسه (كما هو حال فئة من الناس قليلة — فجوابى له ان كان من هؤلاء الأخيرين أن يبحث عن نفسه أولا ، فان وجدها فانه واجد فيها لا ريب ملايين الأدلة على وجود الله وأما ان كان من أولئك المكابرين فلا جواب له عندى .. لأن هؤلاء لايحترمون [illegible] وليس لى من وقت أضيعه معهم ...

أما ان كان يريد الأدلة الشافية فبين يدى — والحمد لله — منها الكثير .. وانى لأعجب من انسان يقول تلك المقالة — وهذه هى الأدلة ملء السموات والأرض وما بينهما .. وكلها قد تضافرت — العقلية والعلمية — على اثبات ذلك الوجود الالهى — وها هم أولاء أفذاذ علماء الكون الذين عنوا بدراسة الظواهر المختلفة فيه يشهدون بهذه الحقيقة وفيما يلى مقتطفات من أقوالهم فى هذا الصدد أكتفى بها فى الرد على أولئك الزاعمين . فلنستمع فى البداية الى الدكتور (جورج ايرل دايفز) يقول :

" ان كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وانها تدل على وجود [illegible] حاجة الى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن [illegible] "(٢)

---

(١) عالم الطبيعة — حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا — رئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية ببروكلين ، متخصص فى الاشعاع الشمسى والبصريات الهندسية والطبيعية ، نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى فى عصر العلم ص/ ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ .

وهذا هو الدكتور (كريسى موريسون)(١) يقول : فى كتاب العلم يدعو للايمان — " ان وجود الخلق تدل عليه تنظيمات لانهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة "(٢)

وللدكتور (براين أولت)(٣) كلمة يقول فيها :

" هناك ظواهر لا يمكن تفسيره أو ادراك معناه الا اذا سلمنا بوجود الله "(٤)

ولا يفوتنا أن نستمع الى نصيحة الدكتور (ادوارد لوثر كيسل)(٥) حيث يقول : " ولو أن جميع المشتغلين بالعلوم نظروا الى ماتعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق، بنفس روح الأمانة والبعد عن التميز الذى ينظرون به الى نتائج بحوثهم ، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم فانهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله وهذا هو الحل الوحيد الذى يفسر الحقائق ، فدراسة العلوم بعقل متفتح سوف تقودنا — بدون شك — الى ادراك وجود السبب الأول الذى هو الله "(٦) ولقد نقلت مجلة العربى فى عددها ٢٠٤/ص٣٧

---

(١) تقدمت ترجمته انظر ص . . . من هذه الرسالة

(٢) ص/٤٦ .

(٣) حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كولمبيا — زميل بحوث بالمعمل الكيماوى بنيويورك — عضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية نخبة من العلماء الأمريكين :
المصدر السابق ص/١٤٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص١٣٢ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر ص . . . من هذا البحث

(٦) نخبة من العلماء الأمريكيين : المصدر السابق ص/٢٨ .

عن (توماس هكسلى)[١] مايلى : ... " ان الله والعلم لا يفترقان ...
انهما دائما على موعد ، وفى لقاء فى كل تجربة فى كل بحث يقوم به العلماء
للكشف عن أسرار هذا الكون " ..[٢]

ولا يفوتنا أن نستمع الى (هرسل)[٣] يقول :

" كلما اتسع نطاق العلم ، ازدادت البراهين الدافعة القوية على وجود
الخالق الأزلى لا حد لقدرته ولا نهاية ، فالجلوجيون ، والرياضيون ، والفلكيون
والطبيعيون ، — قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده "[٤]

ولقد استفتت مجلة (كوليزر)[٥] المعروفة عددا كبيرا من علماء الذرة
والفلك ، وعلوم الأحياء (البلوجيا) ، والرياضة ... فأكدوا أنه لديهم أدلة
وقرائن تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود "[٦]

---

(١) العالم البرطانى الشهير ، كان من المتحمسين لنظرية دارون (النشوء والارتقاء)
ولكنه رجع وتجسد ايمانه فى كتابه (مكان الانسان فى الطبيعة) عاش بين
(١٨٢٥م — ١٨٩٥م) انظر كريسى موريسون : المصدر السابق ص/٣٨ مقالة
أحمد زكى ثم انظر عبد الله علوان : شبهات ورد حول العقيدة ص/٤٥ .

(٢) نقلا عن عبد الله علوان : نفس المكان .

(٣) أحد علماء الفلك الانجليز المشهورين .

(٤) نقلا عن عبد الله علوان : المصدر السابق : ص/٤٢ .

(٥) احدى المجلات المشهورة بنيويورك .

(٦) نقلا عن محمد الغزالى : عقيدة المسلم ، ص/٢٥ .

ولقد حان الوقت لنستمع الى الدكتور (ميريت ستانلى) يقول :(١)

" ان جميع مافى الكون يشهد على وجود الله — سبحانه — ويدل على قدرته وعظمته .. وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية . فاننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادى الله وعظمته ، وذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى انفسنا وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم الا دراسة خلق الله وآثار قدرته "(٢)

ويحدثنا الدكتور (كريسى موريسون) قائلا :

" أفرد مبلغ (٤٨٠٠٠) دولار للجمعية الملكية البريطانية لتقوم ببحوث فى مختلف ميادين العلم، لتثبت بها بوجه قاطع، وجود الله — وكانت النتيجة نحو اثنى عشر مجلدا، كتبها أعضاء تلك الجمعية وآخرون غيرهم . وقد بينت هذه الدراسات بشكل جازم فى الظاهر وجود تصميم فى الخلق ، ودلت فلاسفة ذلك العهد على وجود الكائن الأعلى "(٣)

---

(١) دكتوراه من جامعة تورنتو — استاذ سابق بكلية تومبكنز بفلوريدا عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية أخصائى فى الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم والبحوث الانجيلية . نخبة من العلماء والأمريكيين المصدر السابق ص١٦ .

(٢) نخبة من العلماء الأمريكيين : المصدر السابق ص/٢٠ .

(٣) كريسى موريسون : العلم يدعو الى الايمان ، ص٤٤ .

وأخيرا لنترك الدكتور (اند وكونواى)(١) ليحدثنا فى هذا الصدد حديثا طويلا نختم به هذه السلسلة من أقوال العلماء فيقول: "ان أحدا لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التى تقول "ان الله موجود" • وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل • وأحيانا يشك الانسان فى وجود شىء من الأشياء ، ولا بد فى هذه الحالة أن يستند شكه على أساس فكرى — ولكننى لم أسمع ولم أقرأ فى حياتى دليلا عقليا واحدا على عدم وجود الله تعالى — وقد قرأت وسمعت فى الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده • كما لمست بنفسى بعض مايتركه الايمان من حلاوة فى نفوس المؤمنين ، وما يخلقه الالحاد من مرارة فى نفوس الملحدين "(٢)

وينعى على أولئك المنكرين مستنكرا مساواتهم للخالق فى طلب البرهان على وجوده مع الأشياء العادية المحسوسة قائلا: " والبرهان الذى يتطلبه

---

(١) من العلماء الطبيعيين ذوى الشهرة العالمية، من سنة ١٩٢٥م الى سنة ١٩٤٦م رئيس قسم الدراسات الفسيولوجية والصيدلية بجامعة نورث وسترن — من سنة ١٩٤٦م الى سنة ١٩٥٣م • استاذ فى كلية الطب ووكيل الكلية فى جامعة الينوى — فى الوقت الحاضر استاذ الفسيولوجيا ورئيس قسم العلوم الاكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاجو •

نخبة من العلماء الأمريكيين : المصدر السابق ، ص/ ١٤٤

(٢) المصدر السابق ص/ ١٤٥

الملحدون لاتيان وجود الله هو نفس البرهان الذى يطلب كما لو كان الله تعالى شبيها بالانسان أو شيئا ماديا أو حتى تمثالا من التماثيل ، أو صنما من الأصنام • ولو كان الله مثل هذا الوجود المادى لما وجد هنالك مجال للشك فى وجوده ، ولكن الله أراد ضمن ما أراد أن يختبر عقولنا حول الايمان به فترك لنا حرية الاختيار لكى يؤمن من به من يؤمن وينكره من ينكر فالانسان يستطيع اذا شاء — بخداع نفسه — أن ينكر وجود الله ، وعليه أن يتحمل النتائج ••

ومعظم الملحدين والمارقين من الأديان ينظرون الى الله كما لو كان بشرا يمكن التعامل معه تعامل الأنداد فيقولون مثلا :

سوف أعتقد بوجود الله اذا •••• قضى حاجتى ••• أو اذا محا الشر والظلم من الكون •••الخ وقد يقول بعضهم اذا كان هناك اله عادل ما أصابنى وجع ••• ومعنى ذلك بعبارة أخرى أننى أومن بالله اذا بنى الكون أو عدله تبعا لخطتى الخاصة التى تقوم على الأنانية وتبعا لصالحى الشخصى "(١)

ويسترسل الدكتور العلامة واخطابه موجها لأولئك المنكرين فيقول :

" ولا ... من الوصول الى الله ، ولكى يفكر الانسان فيه تفكيرا مستقيما الاعوج فيه ولا نفور، عليه أن يحرر عقله من الأنانية ومن الأحقاد ومن كل ما يعوق التفكير الصافى السليم حتى يتسنى له أن يصل الى الله ويحبه ، وبذلك يسهم فى

---

(١) المصدر السابق ص/١٤٦

محاربة الشرور والظلم الذى يتحدث عنه من يشكون فى أمره ووجوده تعالى فلقد اقتضت حكمة الله أن يستخدم الانسان عقله وارادته وحريته فى اتخاذ القرارات اللازمة لمحاربة هذه الشرور حتى يصير حكم الله فى الأرض مثل حكمه فى السماء"(١)

فانظر أيها القارىء الكريم ... أين هذه الأقوال من ذلك الزعم؟!

وأين اجماعهم هذا من ذلك الشاذ ؟!

ان هذه الأقوال فى ظنى من أقوى الأدلة على وجود الخالق وهى تصدر فى جملتها عن عصبة من العلماء بينا لكم مكاناتهم العلمية وتخصصاتهم المختلفة فى علوم الكون وأحسبها كافية فى رد ذلك الزعم بعدم وجود أدلة شافية على وجود الخالق — سبحانه وتعالى — ولكنى مع ذلك سأركز على بعض الأدلة أتناولها بشىء من التفصيل فى مبحث مفصل على هذا — ان شاء الله — ولايغيبن عن بال القارىء الفاضل أن ماسبق تفنيده من مزاعم فى المطالب التى مضت قبل هذا ، من الزعم بقدم العالم ، والزعم بأن الطبيعة أوجدته أو أنه وجد صدفة يشكل فى حد ذاته دليلا قويا على وجود الخالق ، وقد سقطت تلك الآلهة المزعومة وتبين عدم أهليتها للخلق والايجاد فلم يبق الا الاله الحق ، الله رب العالمين وكان ذلك بمقتضى الدليل والبرهان ...

---

(١) المصدر السابق نفس المكان .

الفصل السادس

بعض الأدلة المختارة على وجود الخالق

ولن أتعب — والحمد لله كثيرا — فى هذا الصدد فما أكثر الأدلة ولكنى أرجو من الله تعالى أن أكون موفقا فى هذا الاختيار ..

ولقد وقع اختيارى على مايلى من الأدلة ظنا منى أنها كافية فى هذا المقام، وسأتناولها فى ايجاز شديد . استهلها :

بالدليل الفطرى ... فلا ريب أنه :

" وجود الله تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ويهتدى اليها بطبيعته، وليس من وسائل العلوم المعقدة ،ولا من حقائق التفكير العويصة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد "(١)

فلا يوجد أحد فى هذا الوجود الا وعنده شعور داخلى أقوى من أى شعور عنده بأنه مخلوق، وأن هناك موجدا ذا قوة يهيمن على هذا الكون ويدبره بعلمه وحكمته . وما من أحد أنكر ذلك الموجد بتأثير من أهل الزيغ الا مرت عليه لحظات سمع فيها نداء ضميره يهتف فيه صارخا بهذه الحقيقة .

وتأتى عليه أوقات يتحول فيها ذلك الشعور الى نداء حى مسموع ترتفع فيه

---

(١) محمد الغزالى : عقيدة المسلم ، ص/١٢ .

الأيدي إلى الله في ضراعة وخضوع ، وذلك في الشدة عند الكرب العظيم يوم تحيط به المخاطر ويفتح له الموت ليأكله فتجده من حيث لا يشعر يستغيث بذلك الخالق بوحي من فطرته وبدافع من داخله الذي استيقظ فجأة "(١)

ولعله من المناسب أن أترك المسيو (بوشيت)(٢) ليحدثنا في هذا الصدد فيقول : " ان اعتقاد الافراد والنوع الانساني بأسره في الخالق اعتقاد اضطراري ، قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده ، ومهما صعد الانسان بذاكرته في تاريخ طفولته ، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة ، وصار لها أكبر الآثار في حياته فقد حدثت هذه العقيدة في انفسنا ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا "(٣)

أجل من غير علم منا ... لاشك في ذلك والا فخبروني أيها العقلاء من ذا الذي علم (سوتيلانا) بنت (ستلين)(٤) من علم تلك الفتاة العقيدة في ذلك البيت الملحد ؟! لو لم يكن ذلك أمرا فطريا . وما هي قصتها كما ترويها مجلة الحج المكية :

" ان السبب الحقيقي لهجر وطنها وأولادها هو الدين ، فقد نشأت في بيت ملحد لا يعرف أحد من أفراده الرب ، ولا يذكر الرب عندهم عمدا ولا سهوا

---

(١) انظر حسن أيوب (مع الله ، ص ٣١ — ٣٢

(٢) أحد علماء الغرب .

(٣) بوشيت : التذكرة في تاريخ البرهان على وجود الخالق ، نقلا عن محمد فريد وجدي : دائرة المعارف وجدي ، جا ص/٤٨٤ .

(٤) [illegible] هو أحد رواد الشيوعية البارزين الضالعين في الالحاد .

ولما بلغت سن الرشد ، وجدت فى نفسها — من غير دافع خارجى احساسا قويا بأن الحياة من غير الايمان بالله ليست حياة ... وشعرت فى قرارة نفسها أن الانسان فى حاجة الى الايمان كحاجته الى الماء والهواء "(١)

لقد عرفت طريقها ... ان لم يعترض سيرها لصوص الطريق وقطاعه . فيصدونها عن جادته ، على أن كفة الاسلام هى الراجحة لأنه دين الفطرة وغيره ليس كذلك . وكم ياترى فى العالم مثل (سوتيلانا) ممن زاد هم ذلك الشعور فلم يقووا مثلها على اعلانه ولكنهم ظلوا يتصنعون الالحاد ظاهرا ويجاحدون ومكابرين أو خائفين فيقعون فى تناقض بين أنفسهم مع واقع الحق الذى تدلهم عليه تلك الفطرة . كم هم معذبون أولئك الناس ولا خلاص لهم الا بالتسليم لما فطروا عليه اذ (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)(٢)

ولم يجرؤ على الخروج عن هذه الفطرة فينكر وجود الله غير الانسان وأكثر الناس جرأة على ذلك أهل هذا الزمان فهذا هو التاريخ يخبرنا أن الامم السابقه التى بعث فيها الأنبياء كلها ما فيها من أمة أنكرت وجود الله فانشغل الرسول فيهم باثبات وجوده تعالى بل الثابت المعترف به أن الجميع يؤمنون بأن الله هو الخلاق العليم وانما اشركوا معه غيره فى العبادة كواسطة يتزلفون بها اليه كما أخبر الله عنهم فى كتابه(٣) وذلك شرك وظلم عظيم والالحاد

---

(١) السنة الثالثة والعشرون ، العدد الثالث ،: [illegible]

(٢) الروم : الآية : ٣٠ .

(٣) حيث قالوا كما أخبر عنهم فى سورة الزمر (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الآية ٣

أعظم ظلما .

ان وجود الله تعالى من القضايا المسلم بها فى الفطرة وليست محتاجة فى ذاتها الى دليل أو برهان غيرها فهى من أبلغ الأدلة على اثبات وجود الخالق . ولكن رغم الاعتراف بهذه الحقيقة سأظل أورد من الأدلة ما يطمئن به قلبى ... وهذا هو الدليل الثانى دليل الاجابة وهو لصيق بالذى تقدم ومرتبط به حتى ليبدوا للناظر أنه دليل " من نوع واحد . ولا حرج على من يرى ذلك فانه — فيما أرى — متمم له ، فلقد ذكرت فى الذى سبق أن الانسان بفطرته يعترف بوجود الخالق ، وأنه بدافع من تلك الفطرة يلهج بالدعاء الى الله — عز وجل — عندما تقع عليه المصائب وتشتد الأيام فلا يلبث أن تأتى الاجابة السريعة بنجدته والاغاثة العاجلة للهفته من المولى — عز وجل — وذلك دليل قاطع على وجوده تعالى فها هو قد سمع الدعاء فأجاب ولا يقدر على ذلك الا موجود لأن العدم لا ينتج الا العدم اذن فهو موجود لاشك فى ذلك ولا مراء .

وفى الحقيقة ان لكل انسان منا تجربته الخاصة ، فما منا الا وقد ذاق تلك الشدة وعاش تلك اللحظات من الاضطرار والقلق ارتفعت بعده يداه الى السماء أن اغثنى يا رب واذا بالكرب قد زال وتبدل العسر يسرا .(١)

وهكذا قد جرت سنة الله أن يجيب المضطر أيا كان مادام قد توجه اليه وقد كانت لى تجربتى الشخصية ، حيث كنت أرفع يدى بالدعاء فى مناسبات

---

(١) انظر سعيد حوى : المصدر السابق ص٧ .

كثيرة فى أمور قد تبدو مستحيلة فى حساب البشر ولكنها عند الله لا تساوى شيئا فى أسرع ما كانت تأتى الاجابة وكان ذلك والحمد لله فى مرات كثيرة لا استطيع لها عدا .

وأنت يا أخى ...

" هل أصاب احدا تعرفه أو اصابتك أنت نكبة احسست ازاءها أن الاحياء كلهم أعجز من أن ينقذوك ؟ وأضعف من أن يرحموك ، وقد يكونون هم أيضا يريدون بك الشر ، ويحيكون لك حبال الدواهى ، فلما يئست من الناس ويئست من الأمل نفسه ، اذا شعاع يطل عليك ، وأمل يبرق فى قلبك ، وراحة تستكين اليها نفسك ، وأنت لا تدرى مصدر ذلك كله ... ثم بعد ساعات أو أيام أو أشهر يتبدد اليأس كله ، وينسلخ الظلام وتتواكب أمام عينيك الوان الأمل تطارد فلول اليأس وأنوار النصر تكتسح ظلمات الهزيمة ، وترى من وراء ذلك قدرة حولت دفة الحياة من أجلك ، فاذا بك تشفق على عدوك وطاغيك ، وقد كان بالامس القريب أو البعيد سبب يأسك وشقائك ، من الذى غير وبدل ؟ مع أن العجز الكامل كان ملازما لك ، والقدرة والبطش كانتا فى يد عـدوك ؟ من نصرك ؟ من أحياك وأعزك ؟ من رد اليك الأمل الشائع والحياة المطمئنة ؟ قل ولا تنتظر : انه الله"(١) الذى يجيب المضطر ويكشف السوء ، وقد كانت تلك اجابته ونجدته سواء أعلنت دعاءه أو اسررت به فانه سميع مجيب ولا يكاد يوجد مخلوق على وجه الأرض

---

(١) حسن أيوب : مع الله ، ص٨٠ .

لا ينطوي على شعور داخلي مبهم بأن هناك قوة يتوجه اليها بفطرته وفي كل حالة يجد لطفا غير متوقع، واستجابة غير عادية فان الانسان الفطن يلمح آثار قدرة الله واستجابته ويلمح في كل حادثة من هذا النوع دليلا على وجود الله .(١)

ان الأمثلة في هذا الصدد لكثيرة وجمة لا يسعها المجال ولكن أورد طرفا منها بالقدر الذي يؤكد هذه الحقيقة ويسلط الضوء على هذه الظاهرة اجابة السماء لاستغاثة الأرض ..

لقد نشرت مجلة المختار (ريدرز دايجست) تحت عنوان (الاتوءمين بالصلاة والدعاء ما يلي :

" حدث لما اضطر المأجور (الن لندبرج) ـ من وستفيلد بولاية نيو جرسي ـ وهو يقود احدى القلاع الطائرة للنزول في البحر في طريقه الى استراليا أن ساء الاعتقاد بأنه هو والتسعة الذين معه قد فقدوا، وفي هذا القول المأجور :

تمكنا من الخروج على طوقين من المطاط وكدنا لا نفعل، ولم تكن معنا كسرة من خبز أو قطرة من ماء ، وكان رجال الطائرة كلهم قلقين الا الشاويش (البرت هرناندز) المدفعي الخلفي وقد عكف من فوره على الدعاء والابتهال وسرعان ما راعنا بقوله : انه يعرف أن الله قد استمع اليه وأنه سيساعدنا، وظلوا يهيمون تحت شمس محرقة، وقد تشققت شفاههم وورمت ألسنتهم، فعجزوا

---

(١) انظر سعيد حوى : الله جل جلاله ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

عن مجاراة (هربادر) فى التهليل والتسبيح ، ولكنهم كانوا يدعون من ذلك

وبعد ثلاثة أيام وقبل دخول الليل عدوا معالم جزيرة صغيرة ، وما لبثوا أن شاهدوا

مالم يكن يجرى لهم فى . فاقبلت عليهم ثلاثة زوارق فيها رجال عراة

الاجسام واتضح أن منقذيهم من أهل استراليا الاصليين ، وهم صيادون سود

الاجسام منفوشو الرؤس ، وقد جاءوا من داخل البلاد على مسافات مئات الاميال

وقالوا انهم دفعوا بدافع غريب الى تغيير اتجاههم ، فجاءوا بزوارقهم الى هذا

الشاطئ المرجانى الذى لا سكان فيه وهناك لمحوا (لندبرج) وزملاءه (١) .

ولاشك أن القارئ قد لاحظ حالة الاضطرار التى عاشها أبطال تلك

الحادثة وكيف أدركهم اللطف الخفى لما دعوه تعالى مخلصين ، وكذلك الله جل

جلاله ، دائم الاجابة لا يرد يدا ترتفع اليه . واليك فيما يلى مزيدا من

الأمثلة تؤكد هذه الحقيقة ..

" اذاع راديو دمشق فى ١٩٦٥/١/١٠ الساعة الثالثة الا ربعا بعد

الظهر نقلا عن مجلة الابحاث الطبية الصادرة فى انجلترا ، حادثة نشرتها المجلة

المذكورة بتوقيع الطبيب الذى جرت معه الحادثة ، والقصة أن شابا بقى مريضا

بمرض مزمن مدة ثلاثة عشر عاما وأعيا الاطباء دون أن يصل الى نتيجة وقد

دخل عليه كآخر طبيب ، الطبيب الذى يروى القصة ، وبعد أن أتم فحصه رأى أن

لا أمل منه ، وهناك سأله المريض بلهجة .. اليائس : لا أمل يا دكتور ؟ فقال الدكتور

---

(١) عدد اكتوبر سنة ١٩٤٤ نقلا عن سعيد حوى : المصدر السابق ص٧٣ ؛

هنـــاك أمـل واحد فى السماء ، فجرب أن تدعوه الا تعرف أن تصلى ؟ ولأول مـرة يدعو الشاب الذى دام مرضه ثلاثة عشر عاما ، وعندما زاره الطبيب بعد اسبوع وجد المريض معافى ، وقد شفى من مرضه الذى لم يستطـع الاطباء أن يعالجوه "(١)

" وحدثنا شاب مصـرى ممـن شاركوا فى المقاومة السرية التى جرت فى مصر فى قناة السويس من ١٩٥١ - ١٩٥٤ عن ثلاثة مـن المقاولين خرجـــــوا لينسفوا سكة الحديد فى منطقة مكشوفة ... وكانت الليلة مقمرة والسمـاء صافيـة والأرض صحراوية ترى حركات من فيها عن بعد ، ويعرضهم هذا لنيران العـــدو ومطاردته ، فقال أحد الثلاثة وهم ماضون : يا رب ولا غيمــة ، فلم يلبثوا أن شاهدوا سحابة تجلل وجه القمر فانتشر الظلام مما ساعدهم على القيام بمهمتهم ورجعـــوا بســــلام "(٢).

" وكلنا سمـع ما حدث يوم الهجوم على مصر اثناء العدوان الثلاثـــى اذ اشتعلت النيران فى مدينة (بورسعيد) وضاق الأمر بالناس ، ودعوا ربهم مخلصين فكان المطر الذى اطفأ الحرائق يومذاك "(٣).

وغير ذلك كثير من تجارب الناس مما لا يسع المجال ذكره ولننتقل الـــى الدليل الثالث وهو دليل السببية : ومعلوم أن كل قضية علمية أيا كان موضوعها ومهما كان دقيقا ومعقدا فانها لابد منتهية أخيرا بالاستناد على بدهية لا يحتاج

---

(١) سعيد حوى : المصدر السابق ص/ ٧٤

(٢) نفس المكان .

(٣) " " .

معها الى دليل ، والا لطفق المرء يطلب البرهان تلو الآخر فيدخل فى دوامة لا تنتهى ، وسلسلة لا تنقضى الأمر الذى لا يتأتى معه العلم فيظل الجهل قابعا فى مكانه .(١)

ومن تلك البديهيات التى تحمل برهانها فى ذاتها ، والتى يمكن أن تكون دليلا مباشرا على وجود الخالق : مبدأ السببية فهو بلا ريب حقيقة فطرية تجرى من الانسان مجرى الدم . ولا مراء أن البشرية قد جبلت على التساؤل عن الاسباب التى ترجع اليها المسببات أيا كانت ، تافهة أم ذات قيمة ، ولقد امتزجت روح التحرى بالنفس البشرية منذ اشراقها وهكذا دأبها ، لاسيما أن الانسان لم يشاهد بل ولم يسمع بأن شيئا وقع بلا سبب أو حدثا جرى بدون مؤثر ، فأضحى ذلك قاعدة مسلما بها لا يتصور العقل خلافها ، ولا النفس تطمئن الى غيرها ، ولم يشذ عنها الا مخبول أو قاصر غير مميز يغفل الشئ ثم يقول : انه حدث من تلقاءه بلا سبب كأن يحطم ذلك المعتوه أو الطفل شيئا ما قابلا للكسر ثم يقول عند سؤاله عنه ـ انه انكسر بنفسه وقد يفعل الطفل ذلك بدافع عن الخوف خشية العقاب ولكنه يعرف أن ذلك حدث بسببه فلم يبق خارجا عن هذه القاعدة الا المجنون وليس العاقل من يصدقه لأن حدوث الشئ بنفسه من المستحيلات وقد ثبت بالبرهان فساد المصادفة (٢) أذن فلا بد لكل حادث من محدث وانكار ذلك تناقض

---

(١) انظر محمد سعيد رمضان البوطى : كبرى اليقينيات الكونيه ، ص/٦٦ .

(٢) انظر الفصل الثالث من هذا الباب حديثا عن المصادفة .

مع العقل أو ضرب من الجنون لان السببية حقيقة شاهدة في كل ما حولنا ، وفى كل ما بأيدينا ، نلمس ذلك ونحس به فى حياتنا كلها . وعليه بمقتضى هذه القاعدة المسلمة لابد أن يكون لهذا الكون من يوجد ولقد ثبت بالبرهان كذلك أن الكون حادث [١] وأن الطبيعة لم تخلقه [٢] فلم يبق الا الله وهو الأولى والاحق به خلقا وايجادا .

ان مبدأ السببية من أول الأدلة المؤدية الى وجود الخالق ومن أقربها الى الفطرة لذا فقد كان أول ما تبادر الى ذهن ذلك الاعرابى الذى سئل عن الدليل على وجود الخالق فقال :

" البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع العليم القدير ؟ " [٣]

ولاشك أن برهان ملزم استفاده الرجل من واقع بيئته فلم يذهب بعيدا ولم يتعب فى البحث ولم يتفلسف بل بداهة من فطرته أجاب بذلك الجواب المقنع .

وهو كذلك مسلم به كما اسلفت عند الفلاسفة وغيرهم من أهل المنطق لأنه أساس الاحكام العقلية والمحاكمات المنطقية ، ولو نظر الانسان الى كلماته

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا الباب حديثا عن حدوث العالم .

(٢) انظر الفصل الثانى من هذا الباب حديثا عن الطبيعة .

(٣) فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب ، جـ١ ص٢١٤ .

التى يخاطب بها الناس صباح مساء لتنظيم شوئن حياته لوجدها لاتخلو فى أى مرحلة من المراحل من الاستناد على هذا المبدأ اذا كان ذلك فى كل شىء مهما بلغ حجمه فكيف بهذا الكون العظيم وما تهده من عوالم كثيرة جدا فى الأرض برها بحرها ، وفى السماء ، نجومها بحيواتها ، وما بين ذلك من الهواء وما يحمله من كائنات حية دقيقة شتى ، ثم الانسان والحيوان والطيور والوحوش وكل ما نعلمه وهو القليل ناهيك مما لانعلمه وهو الأكثر لايمكن أن يقوم بذلك قطعا بدون موجد • ومناسب جدا أن أذكر فى هذا الصدد قصة الأمام أبى حنيفة رحمه الله كما حكاها الرازى فى تفسيره •

" كان أبو حنيفة — رحمه الله — سيفا على الدهرية ، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه ، فبينما هو يوما فى مسجده قاعد ، اذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة ، وهموا بقتله فقال لهم : اجيبونى عن مسألة ثم افعلوا ماشئتم قالوا له هات فقال : ماتقولون فى رجل يقول لكم : انى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الاثقال قد احتوشها فى لجة البحر امواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها • هل يجوز فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لا يقبله العقل ، فقال أبوحنيفة : يا سبحان الله اذا كان لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف احوالها ، وتغير اعمالها وسعة اطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ وما زال بهم حتى يكونوا

جميعا وقالوا : صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا "(١)

لقد اشترطت على نفسى الايجاز وكان من الممكن ايراد الكثير من الأدلة المختلفة علاوة على أن المجال لايحتمل وأحسب أن ماذكر كان فى هذا المقام على أنه لايفوتنى فى الختام أن اشير الى مجموعة أخرى قد نستفيد منها فى مكان آخر من هذه الرسالة .

فمن تلك الأدلة : دليل الحكمة، ودليل الهداية، والابداع فى الكون والنظام فيه، ودليل العناية، ودليل الوحدة فى الكون، والتصميم والارادة، وغير ذلك كثير .... [illegible] ...

---

(١) جـ١ ص ٣١٤ .

البَابُ الثانى

الباب الثاني

وقفات مع منكري الوحي والنبوة ..

ويشتمل على :

* توطئة ..
* نقض بعض حجج منكري الوحي ..
* بيان عجز العقل وعدم كفايته ..

ومسيس الحاجة الى الوحي ..

* من الأدلة المقربة للوحي مايحدثه ومايحدث لهم من العجائب
* ومنها عجائب بعض الحيوانات ..
* ومنها المخترعات الحديثة ..
* بيان الدليل العقلي على امكان الوحي ووقوعه فعلا ..

***
*

توطئـــــة

أن مواقف الناس تجاه الوحي لا تخرج في جملتها عن ثلاثة أقسام — فيما يظهر لي — وهي :

١ — الاثبات المطلق للوحي .

٢ — اثباته في حالة ونفيه في أخرى .

٣ — انكاره مطلقا .

واذا ما أردت أن اتناول هذه الاقسام الثلاثة بشيء من التوضيح قليل، فانني أجد موقف المثبتين للوحي مطلقا تتدرج تحته صور ثلاث :

أ — مثبتون له من حيث الزمان ، ومن حيث الاشخاص، فهو شاع بين الجميع مدى الدهر (١) وهو موقف اختلط فيه الحابل بالنابل والانبياء وغيرهم ، فلا يدري النبي من سواه طالما أن الكل يوحى اليه ومثله موقف من يقصرون الوحي على الالهام(وهو تفسير عجيب (يفتح للحيوانات مدخلا الى النبوة لأنها ايضا تلهم فلماذا لا تطمع في هذا الشرف ايضا ! ويرد هذا الزعم على القرآن من ناحية اعجازه ، فيجعل القرآن — وهو وحي — بهذا التفسير شيئا عاديا فلا اعجاز فيه اذن !

---

(١) ومن هؤلاء : مرسون الذين يقول : (يتحدثون عن الوحي كأنه قد أوحى به وانتهى من عهد قديم كأن الله قد مات) ص٧١ من كتاب مختارات من امرسون نشر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية، ويقول في ص٧٥ (من واجبي أن اقول لكم ان الحاجة الى الهام جديد لم تكن في أي وقت من الاوقات أشد مما هي عليه اليوم، ويقول في ص٨٣ (ان جمود الدين والزعم بأن عصر الالهام قد ولى يدل في وضوح كاف على خطأ علمنا بالدين) ويقول في ص٨٩ (تشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب)

ب — مثبتون له من حيث الزمان ولكنه مقصور على الانبياء فكل من يوحى اليه فهو نبى الى أبد الدهر وهذا هو موقف منكرى ختم النبوة أو المفسرين له تفسيرات أخرى .(١)

ج — مثبتون له من حيث الزمان ولكنه مقصور على الانبياء ، ومن هم أفضل من الانبياء فى زعمهم (٢)

وهذا الزعم بصورة الثلاث يرد على القرآن من حيث عالميته ، وليس هنا فى هذه الرسالة من مجال للرد عليه وانما له مكان آخر .

أما الحالة بين النفى والاثبات (أى اثباته على صورة ونفيه فى أخرى ، واثباته لشخص دون الآخر فتندرج تحته صورتان :

أ — موقفنا نحن المسلمين ، حيث نثبته للانبياء جميعا وقد ختموا بمحمد — صلى الله عليه وسلم — فلا وحى بعد ذلك ولا نبوة وهذا بالطبع نقره ولا نرده وكل هذه الرسالة ليست الا له اثبات له وتوكيد ..

ب — موقف من يثبتون الوحى للأنبياء ، ولكن ينكرون الوحى المحمدى — وهذا هو موقف غالب أهل الكتاب وهذه الرسالة فى جملتها ما هى فى الحقيقة — الا عبارة عن الرد عليهم ولكن لا يفوتنا هنا أن نستغرب لهذا الموقف العجيب منهم [illegible] أنكل بشريعة سابقة [illegible] الذى جعل ما نسخ وحيا وهذا غيره !!.

---

(١) كالقديانية والبهائية من قبلهم وغيرهم وهذا موجود فى كتبهم ولا ينكرونه [illegible]

(٢) كما يعتقد الشيعة فى أئمتهم — راجع الكافى فى الاصول ص/٢٥٨ وما بعدها و١٩٦/١ وما بعدها ..

أما المنكرون للوحي مطلقا وهم الذين يهمنا الرد عليهم هنـــا
فينقسمـون الى مايلي :

أ ـ منكرين وجود الخالق، وهؤلاء لايعترفون بداهة لا بوحي ولا نبـوة
طالما أنهم لايقرون بوجود الخالق الموحي الذي هو مصدر الوحـى
وأساسه ، فهم ينكرون ذلك بالتبعيـة ..

ب ـ آخريـن ملحقون بهم ، وان زعموا أنهم مؤمنين بالخالـــق
ولكنهم ينكرون الوحي ، وهذا يجعلهم في مصاف أولئك المنكريـن
الخالق، شاءوا أم أبـوا ، لأن الأمرين متلازمـان ، اذ يقعـان
كلا هما وراء المادة وكلاهما غيـب ، اذن فالشك في هذا يؤدى
بهم لا محالة الى الشك وهم لم يؤمنوا بالخالق الا عن طريق الآثار
الدالة عليه ، فلماذا لا يؤمنون بالوحي كذلك عن طريق تلـــك
الدلالة نفسها ؟ وما أكثر الآثار التي دلت عليه ! فلا داعـى
لايمانهم بالخالق ولا معنى له ، ماداموا ينكرون الوحي ! ان لـم
يكونوا يرمون من وراء ذلك ، الى نقض ايمانهم بالله ذلك الـذى
زعموه عن هذه الطريق المشبوه ، وبواسطة هذا التحايـل ، لأن
الامرين مرتبطين ـ كما قدمت. والقضية في نظري ـ واحـدة
لا تقبل التجزئـة ، ذاك صلبها وهذا من أعضائها الضرورية التي هي
بمنزلة الرأس أو القلب أو الروح من الجسد ، والتي اذا ما قطعـت
أو تعطلت ، فقد البدن الحياة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخـرى
فان انكارهم الوحي فيه طعن في قدرة الخالق ، وتصوير له في صورة
الانسان العاجز ، الذي ليس في مكنته أن يوحي ، وهل يسمى الهـا

ذلك العاجز الذى لاقدرة له ؟ ! - وحاشا لله أن يكون كذلك - لهذا وذاك وكما يقول ابن تيمية عن هؤلاء أنهم لم يؤمنوا اصلا (١)

ج - ومثل هؤلاء ايضا من يقولون بوحدة الوجود (٢) : فهذا الاعتقاد لا ريب يفيد استحالة الوحى وعدم امكانه لأنه لا يتأتى اذا كان الخالق والمخلوق شيئا واحدا فلا ريب أن الوحى من والى الكيان الواحد ممتنع لذاته . بل وليس من حاجة اليه أصلا اذا كان الجميع آلهة ! وليس الناس فقط وانما كل الموجودات كما يفيد الزعم ! وهذا فى الحقيقة ليس الا قول بقدم العالم وانكار للخالق عن هذه الطريقة الملتوية وقد اثبتنا حدوث العالم وانفصاله عن الذات الالهية فيما تقدم ولقد كانت لنا جولات فى الفصل الأول مع المنكرين الخالق الزناهم فيها الحجة بوجود الخالق ، ويلحق بذلك تبعا امكان الوحى ، لو كانوا يعقلون .. (٣)

ولاشك أن الحديث عن الوحى فرع عن ذلك الذى تقدم من الباب الأول وما دام الاصل قد ثبت فالفرع تابع له فى الثبوت

ولكن قد بقيت بعض الأقوال فسروا بها ظاهرة الوحى والنبوة على هواهم فكان لابد من الرد عليها امهانا من نسف هذا الاعتقاد الباطل الذى ليس ابطل منه الا من يدعى أنه يؤمن بالله ولكن لا يؤمن بالوحى ، وهؤلاء ايضا لهم تعليلات وتفسيرات نجمعها

---

(١) انظر النبوات ص٢٥ .

(٢) كما هو اعتقاد بعض الفلاسفة كافلطين والصوفية كابن عربى والحلاج وغيرهم انظر المؤامرة على الاسلام لأنور الجندى ص٥٠ .

(٣) انظر الفصل الأول من الباب الأول الصفحات ص

لنرد عليها كلها فى هذا الباب تحت فصل بعنوان نقض بعض حجج منكرى الوحى • ولكن لا يفوتنا كما هو منهجنا أن نقيم الدعوى عليهم فنسوق طرفا من كلامهم :

" فمن الناس من يقول " لو كان الوحى ممكنا لأوحى الله الى افراد البشر عامه ولم يخص به شرزمة قليلين يجعلهم واسطه بينه وبين خلقه "[1] وقالوا لو كان هناك وحى لرأى الناس ذلك الملك ولسمعوه [2]

وبعض الناس يرى النبوة ليست الا أمرا كسبيا ومشروعا ذاتيا لشخص ما فمثلما أن شخصا ما قد يصبح مصارعا بجهوده الشخصية فى الرياضة البدنية كذلك فبامكان شخص آخر ينبذه الملذات وبالعبادة ان يصل الى المعرفة الروحية •[3]

ويرى النبوة آخرون بأنها ليست الا [illegible] اظهارا للتفوق بهذه الطريقة الشاذة ••[4]

وقالوا " انها اظهار غير عادى لأساطير الاطفال المكبوته "[5]

وقالوا ان العقل يغنى عن الوحى •[6] [illegible]

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان ص٧٧ ·
(٢) انظر دراز : النبأ العظيم ، ص٧٤ ·
(٣) انظر هذا المعنى فى كتاب الدين فى مواجهة العلم لوحيد الدين خان ص١١٤ و١١٥ ، [illegible]
(٤) ذلك ما يقوله جوليان هسكلى انظر الاسلام يتحدى ص٤٣ ·
(٥) المصدر السابق ص٢٨ [illegible]
(٦) وهذا مذهب العقلانيين فى كل مكان وهذا هو احدهم يقول لم يتق حاجة أو نفع للوحى •••طالما أن الله اعطانا وسائل طبيعية أكثر يقينا لنتوصل بها الى معرفة الأمور" تكوين العقل الحديث لجون هرمان راندال ١٤٤/١ وانظر الصفحات من ٤٣٣/١ ـ ٤٦٤ فكلها انكار للوحى وتمجيد للعقل ••

الفصل الأول

في نقض بعض حجج منكري الوحي ..

وما أضعفها من حجج هذه التي ساقوها وما أوهنها من خيوط تشبثوا بها، وذلك ما سيلحظه القارئ ـ ان شاء الله ـ عند بيانه بعد حين، ولاشك أننا نتجاوز كثيرا حينما نسميها حججا، فما هي ـ في الحقيقة ـ الا أقوال ألقيت على عواهنها تبريرا لانكارهم الوحي، هربا عن الحق ..

يقولون لو كان الله ـ عز وجل ـ موحيا لأوحى الى الناس كلهم، ولرأى الناس وسمعوا ذلك الوحي ـ عند نزوله ـ اذا كان قد حصل فعلا ..

ونحن نقول : لا ريب أن الله قادر على ذلك وأكثر منه اذ هو على كل شيء قدير، ولكن حكمته البالغة اقتضت الا يكون ذلك، مع كونه ليس ممتنعا في ذاته ..

ولكن الناس في عامتهم ليسوا في درجة من الاستعداد تؤهلهم لتلقي الوحي من الخالق ـ لا مباشرة ولا بواسطة الملك، لذا فقد قيض الله طائفة من البشر ممتازة هيأ لها من الاستعداد ما يمكن أن تتلقى به عن الله الوحي ثم بدورها تؤدي الأمانة الى اخوانهم في البشرية ..

وقد وضع الله في أيديهم الكثير من الشواهد الداعية الى تصديقهم من قبل الذين كتب الله لهم السعادة والتي تجعلهم يطمئنون الى أن هؤلاء هم رسل الله حقا قد جاؤوا لانقاذهم وارشادهم الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ..

ثم ان اختصاص تلك الطائفة دون غيرها من الناس بهذا الوحي والنبوة فيه من الابتلاء والاختبار الشيء الكثير، الأمر الذي بني عليه الله هذه

الحياة الدنيا ، تمييزا بين الطيب من عباده والخبيث منهم ثم بعد ذلك لا غضاضة في أن يختص الله برحمته من يشاء من عباده . والله ذو الفضل العظيم (١)

ومن ثم فلا يمكن أن يكون الناس كلهم انبياء ، ولا يمكن كذلك أن يكونوا بدون نبي فتضيع تلك المزية التي خلق الله من أجلها العباد ، هذا ولو جاز لهم ما قالوا لجاز أيضا أن يقال لو كان الله واهبا عقلا لأحد من خلقه لوهب الى الخلق كلهم بما فيهم الحيوانات والحشرات عقولا ! ولكن حكمته اقتضت أن يختص بذلك العقل الانسان وحده مع تفاوت بين افراد البشر مع كونه قادرا على أن يهبها جميعا وان يساوي بينهم فيه ، وكذلك الحال بالنسبة للوحي فقد اختص الله به بعض عباده دون غيرهم وكل ذلك لحكمة يعلمها ظهر لنا منها ما ظهر وخفي علينا ما خفي ، والتفاوت بين الناس موجود في كل شيء ، في الارزاق والآجال والاخلاق ، والسعادة فلماذا لا يقولون مثلا لو كان الله رازقا لرزق الناس كلهم السعادة ؟ ! لماذا لا يشترطون المساواة في كل شيء ؟ ! ولكنها حكمة الله ، يرفع بعضهم فوق بعض درجات ..

هذا ردنا على الشق الأول من زعمهم .

أما لماذا لم ير الناس ذلك الوحي ولم يسمعوه ؟

فالاجابة عليه فرع عن اجابتنا في الشق الأول وهي كونهم ليسوا في درجة كافية من الاستعداد تسمح لهم برؤيته وسماعه ، كذلك قد سبق أن قلنا ان الحديث عن الوحي واثباته فرع عن الحديث عن اثبات وجود الخالق ، وقد اثبتنا هناك أن عدم رؤيتهم له ـ تعالى ـ ليس دليلا على عدم وجوده ، وكذلك الحال هنا ، وأحسب أن الأدلة التي سقناها هناك كافية وتغني عن ذكرها هنا ولكن امعانا

---

(١) انظر الزرقاني : مناهل العرفان ، جـ١ ص٧٨

في السرد لنعززها بأخرى ٠٠

ان رؤية الملك ممتنعة لما في ذلك من اللبس ، لأنهم لو جاءهم الملك فما هم بطايقين رؤيته الا في صورة انسان ، وهناك يكون اشكال كبير فلا يحصل من الفائدة ما هو مراد[1] ٠٠

ولو وقع للناس مايتمنون من رؤيته لما استقام للناس معه أمرولا صلح لهم معه حال ، لأنهم سيفتنون به ، ويزهلون عن رسالته وكيف يستقيم للملائكة مقام بين الناس ولو رأوه وسمعوه لكانوا كلهم انبياء وما عادت هناك حاجة الى نبي ولتعطلت الحكمة التي ذكرناها آنفا ٠٠

ان الملك لايمكن أن يظهر للناس في أي صورة غير الانسان الا كان مبعث فتنة للناس ، يتدافعون اليه تدافع الفراش الى ضوء المصباح يحوم حوله حتى يهلك ـ(ويحصل لهم من الابتلاء اضعاف مايقع لهم من الرسول البشري ٠)

واذا جاءهم في صورة انسان فانه لايغير مما في نفوسهم ٠٠ شيئا من أمر الرسول البشري لأنهم في تلك الحالة لا يرونه الا انسانا وذلك لا يختلف عما ألفوه ، وكيف يقنعهم أنه ملك مرسل وكيف يقنعهم من ارسل اليه بهذه الحقيقة ؟ (

ان هذا لايجعل له شأنا بين الناس غير شأنهم مع الرسول الآدمي ، وسيدخل عليهم من أمره مثل ما لو كان المرسل بشرا اذن فلا معنى لأن يظهر لهم الملك الذي يأتي بالوحي في أي الصورتين لهذا فقد امتنعت رؤيته[2] ٠

علاوة على ذلك فانه من الثابت الذي لاينكره أحد أن للأحياء من الناس والدواب والانعام ارواحا ومع ذلك لايقول أحد بأنه قد رأى هذه الروح

---

(١) انظر الزرقاني : المرجع السابق ، ص ١/٧٨

(٢) انظر عبد الكريم الخطيب : النبي محمد ص ٤٩ ـ ٥١

ونحن نقول ان هذا الوحى نزل به الروح الأمين واذا كانت الارواح لا ترى فكذلك الملائكة ...

ولقد اثبت العلم الحديث أن هذا الكون ملىء بالأرواح[(١)] ولقد دلت الشواهد أن هناك ارواحا غير ارواح البشر كالجن مثلا ... والآثار الدالة عليها كثيرة جدا حسبنا منها مايلى :

أ ـ "الصرع : الذى لايكاد يخلو منه زمان ولا مكان ...ونعنى بالصرع ماكان سببه الارواح الخبيثة، وهى أرواح الشياطين، وأما ماكان سببه الاخلاط الرديئة فذاك شىء آخر، فانه قد يعالج بالأدوية المادية .... وانما نعنى بالصرع الدال على وجود الجن والشياطين ...ذاك الصرع الذى وقف الطب ـ حتى فى أيام تقدمه ـ ... حياله لايبدى ولايعيد ، فانه أثر من آثار الجان والشياطين، ودليل قاطع على وجودهم

٢ ـ تكلم الجان على لسان الشخص الذى يحل فيه، ويتلبس به، واخباره بأمور لم يكن الانسان المصاب به يعرفها حتى ان بعضهم ليتكلم بلغات لم يكن ... يعرف منها حرفا واحدا .

٣ ـ خروج الجان من الانسان الذى حل فيه، ... بواسطة الرقى من ذوى الارواح الطيبة، والنفوس الزكية، أو بواسطة ـ الأرواح الخبيثة من البشر ممن يوالون الشياطين، ويتعاونون معهم، وتصريح الجن بالخروج وعدم العودة بالمصروع، وذلك بعد تخويفه وتهديده من الراقى، وهذه المسألة قد يستغربها البعض ، أو ينكرونها، غير أن الواقع اثبتها بما لا مجال للشك فيه بحال من الأحوال[(٢)] .

---

(١) ستأتى ادلة على ذلك فيما بعد خلال الفصول التالية

(٢) الجزائرى : عقيدة المؤمن ، ص ٢٠٤ـ٢٠٥ .

٤ ـ ظهور بعض الجان لبعض الناس، ومخاطبتهم اياهم وهذا ايضا متواتـــر الاخبار بحيث يعد انكاره غباء وجهالة، أو مكابره وجحودا، لا يرضاهمـا العاقل لنفســه •

٥ ـ الجرائـم التي يرتكبها الانسان بين الناس، من لواط وزنا، وقتل نفـس وسرقة ••• (الخ •••) ••• كل هذه الجرائم التي تتنافى مع الفطـر البشرية، والشرائع الالهية والقوانين الدولية هي بدون شك آثـار للشياطين اذ هي التي تحسنها للانسان وتزينها له " (١)

٦ ـ ولم يخل زمن من الازمان من وجود السحرة والمشعوذين، والكهنـة والعرافين، وأفعال أولئك جميعا ـ لا ريب ـ نتاج اتصال ارواح خبيثـة بهم هي ارواح الشياطين يسمعهم ويكلمهم ويراهم فقط من اتصلوا به ••

اذا كان كذلك فما المانع من وجود ارواح طيبة هي أرواح الملائكـة ؟!

وهي التي تأتي بالوحي الى الانبياء حيث أعمالهم وخصالهم كلها خير ويروهـم وحدهم يرونهم ويسمعونهم ويكلمونهم من دون الناس • وكما لا ترى تلك الارواح البشرية ولا أرواح الجن وكذلك الملائكة •

وليس أدل على وجودهم من ملك الموت هذا الذي ترى آثاره في الناس كل لحظة وكم من مريض أخبر به قبيل وفاته الأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة • (٢)

وهـذه الرؤى التي تحصل لكثير من الناس ثم تتحقق فيما بعد كفلـق

---

(١) الجزائري : عقيدة المؤمن، ص٢٠٤ـ٢٠٥

(٢) انظر الجزائري : المرجع نفسه، ص١٨٩

الصباح ليس لها من تفسير الا أن هناك ذاتا تعلم الغيب وسجلته وهى تطلع من تشاء من عبادها على بعض هذا الغيب عن طريق الرؤى أو عن طريق آخر" (١)

وهذه الرؤى - كما هو معلوم - لا يراها غير صاحبها وهو يسمع فى المنام ويرى ويتخاطب دون غيره ممن كان معه فى نفس المكان الذى هو نائم فيه . اذا كان كذلك فما الغرابة فى أن يعلم الله انبياءه بطريقة لا يراها الناس ولا يسمعونها ؟!

وننتهى بهذا من هذه العلة الواهية لننقض زعم الذين قالوا : بأن النبوة أمر يكتسب اكتسابا فهؤلاء ردنا عليهم كما يلى :

على لسان الاستاذ محمد فريد وجدى حيث يقول :

" وكما أننا مرتبطون بعالم المادة بآلات وأعضاء تمكننا من الاحساس به وادراكه ، ولا حظ لنا من التمتع بالشعور به الا على قدر ما وهبنا الله من قوى تلك الأعضاء والآلات ، فكذلك لنا ارتباط بعالم ماوراء المادة من جهة روحنا التى هى نفحة منه ، ولا نصيب لنا من التمتع بالشعور به الا على قدر ما منحنا الخالق من نقاء جوهرنا وصفاته ، وكما أن القصير النظر ، والكليل الاعصاب لا يستطيع أن يغتر فى خلقه فيهب بصره وأعصابه قوة فوق قوتها لزيادة متاعة بالعالم المادى ، فكذلك ليس فى حولنا أن نزيد فى نقاء معنانا الانسانى وأن نذهب به الى أبعد مما خلق مستعدا له لزيادة تمتعنا بلطائف ذلك العالم ، فكل انسان مرغم على الوقوف حيث وقف به استعداده الفطرى . (٢)

---

(١) السامرائى : نبوة محمد من الشك الى اليقين ص٣٢ .

(٢) ولا يقصد الكاتب أنها أمر فطرى وجد فيهم ابتداءً بدليل قوله فيما بعد أنها هبة من الله تعالى جاءتهم على وجه الخصوص.

وانتهى عنده مبلغ قوته — فان قلنا بعد هذا أن الانسان بتجريد نفسه عن الشواغل يستطيع أن يعلم علما لا دخل لحواسه الظاهره فيه ، هو مثل قولنا أن الانسان لو راقب الكواكب ، وتأمل فى حركاتها يستطيع أن يوجد لنفسه بذلك علما لأن الانسان ممتع بكلتا الخاصتين على السواء، ولكن لما كان الانسان برصده الكواكب لا يستطيع أن يزيد فى موهبة تصوره الفطرى فيذهب به الى أبعد مما أعد له عقله ، فكذلك لا يستطيع ذلك المشرف على عالم ماوراء المادة أن يتجاوز المقام الذى قيس على استعداده ، فالانبياء عليهم الصلاة والسلام افراد من النوع الانسانى ، يهبهم الله استعدادا خاصا للسبح فى عالم ماوراء المادة، يشرفون به على ما تنقطع دونه أنفاس أكبر العزائم ، وتحسر أمامه عين أعظم البصائر ، وليس أمر هذا الاختصاص بعجيب ، فان أمام اعيننا رجالا متعهم الله بقوة عضلية لا يكاد يتصورها الا من يراهم ، فان كان لا يمكن التردد فى أن هذه القوة الهائلة موهبة خاصة لا يستطاع كسبها بوجه من الوجوه فأى غرابة فى أن أمر النبوة وهى قوة روحانية من المواهب الخصوصية التى يمتع الله بها افرادا من النوع الانسانى لهدوهم الى أقصد المناهج ، وليحملوا اليهم انوار الحقائق واسرار الشرائع ؟! ولا ندرى كيف غفل عن مثل هذه المحسوسات أولئك الذين زعموا أن النبوة مكتسبة ؟ "(١)

انه لو كان الأمر كما يزعمون لوصل اليها الملايين فى وقت واحد فكيف يكون الاقتداء بهم اذن ؟! لأنه ستكون هناك مشكلة الاختلاف فى الافكار عند كل لكونها مكتسبة وليست منحة من الله . — ومعلوم أن الانبياء بحق وصدق

---

(١) وجدى : الاسلام فى عصر العلم ، ص ٧٧ و ٧٨

على رغم اختلاف ازمانهم قد جاءوا بالدين الواحد ولو كان الأمر كما يقولون لظهر عبر التاريخ من يدعو الى غير الفضيلة (لأنه ليس هناك من اختيار) من الله واصطفاء ومعلوم أن الانبياء لم يأتوا بشيء غير الفضيلة . ولو كانت تكتسب لنالها الكهان في الصوامع والرهبان في الأديرة وغيرهم ولأصابها (أمية ابن أبي الصلت)[1] الذي انتظرها طويلا وقصته في التاريخ مشهورة . ثم " بماذا يعلم أن الساعي لاكتساب منصب النبوة قد بلغ مسعاه وأصبح نبيا من انبياء الله ؟ بماذا يعلم الناس ويعلم هو نفسه قبلهم ؟ وليس لنبوته علامة يقتنع بها في نفسه كنزول الوحي ، ولا علامة تقنع الناس مثل ظهور معجزة على يده "[2] وكذلك فانها لنفس الاسباب لا يمكن أن تكون فطرية ، بل لا بد أن تكون هبة واختيار من الله ـ عز وجل ـ ..

وأما الذين قالوا بأنها ليست الا اظهارا للتفوق بهذه الطريقة الشاذة فيما يزعمون ، وأفهم من ذلك أنهم يقصدون ذلك النبوغ والتفوق العقلي ما يسمى بالعبقرية .

ولا ريب نحن معهم في أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متوفر فيهم التفوق والنبوغ في كل شيء ولكنهم مع ذلك مزودون بالمعجزات التي لا دخل للعقل فيها أبدا كعصا موسى ، وناقة صالح وغيرها وغيرها من الانبياء بالغيب واحياء الموتى ..

ولو كانت النبوة نتاج ذلك التفوق العقلي لنالها الملايين ايضا ولنالها الفلاسفة والعلماء ذو والعقول الجبارة فما أكثر الاذكياء في هذا العالم ولو كان

---

(١) يقال انه عمل لها وانتظرها طويلا كما هو مشهور انظر هداية الحيارى ص ٩٧.

(٢) مصطفى صبري : موقف العقل والعلم ، جـ٤ ص١٥٤ .

كذلك لما جاءت افعال وأقوال الانبياء كلها بر وخير لاختلاف الناس وميولهم الى اهوائهم لولا العصمة للانبياء .

أما الذين قالوا انها اظهار غير عادى لاساطير الاطفال المكبوته فما علتهم بأمسك من سابقاتها بل هى أوهى ... فاذا كانت النبوة عبارة عن تلك الاساطير المكبوتة التى يزعمونها — ومعلوم اختلاف سماع الناس بحكم الزمان والمكان والبيئة واختلاط مايسمعون من خير وشر فلماذا جاءت الانبياء بالدين الواحد الذى يشتمل على الخير ... ون غيره ؟ ولماذا جاءوا بالدعوة اليه كلهم مع الاختلاف فى ذلك كله ؟ والمفروض أن ذلك صادر من اللاشعور بحيث لا يتكلف أحدهم أن يكون ماجاء به طبقا لماسبقه ، ثم ماموقفهم بعد ذلك من المعجزات التى لا بد أن يأتى بها النبى شاهدا على صدقه — وقد جاء بذلك الانبياء جميعا — فهل تلك الاساطير المكبوتة تشتمل على معجزات ؟!

أما القائلون بوحدة الوجود فانه — فى الحقيقة — ليس الا قول بقدم هذا العالم ولكن بطريق ملتو وقد دللنا — والحمد الله — فى الباب السابق (١) على حدوث هذا العالم، ومادام العالم مسببا وحادثا فلا بد له من سبب محدث ولا يعقل أن يكون السبب هو ذات السبب كما سبق أن بينا حيث لا يستقيم أن يقوم بنفسه ، والقائلون بهذا يدعون ولا ريب الى انكار الله تعالى وان لم يصرحوا بذلك والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلول فى مخلوقاته أو الاتحاد بها ناهيك عن أن يكون هو عين مخلوقاته ! . إن هذا القول تأليه لكل هذه

---

(١) انظر الفصل الاول .

الموجودات الأمر الذى لا يتفق مع اقامة الاخلاق على أساس وثيق ويحول دون المسؤولية والجزاء ، حيث لا فرق بين الخير والشر ولا التقوى ولا الفساد التى هى مناط الثواب والعقاب فلقائل أن يقول مادمت الها فمن ذا يعذبنى ؟! فهو — فى الحقيقة — تكأة لكل اباحى يلتمس السبيل الى نيل شهواته تحت هذا الستار أو ليتفلت من التكاليف ، ولكن يالِلعجب من هذا القول !

فكيف يكون الله هو زيد الصالح وفى نفس الوقت هو عمرو الطالح ؟! وكيف يكون هو عمرو القاتل وفى نفس الوقت هو زيد المقتول ؟! كيف يكون هذا الظالم والمظلوم فى آن واحد ؟! ثم بعد ذلك هو المنصف لنفسه من نفسه ؟ فيعذب الظالم فى الدنيا والآخرة ذلك الصالح على الرغم من أن الكل هو . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ![1]

ان العالم كما بينا من قبل حادث وقد نص على ذلك العلماء ، والعقل لا يقبل غير ذلك فمحال اذن أن يكون الشىء الواحد قديما وحديثا فى وقت واحد وكذلك لا يمكن أن يكون بعضه قديما والبعض الآخر حديثا لأن القول بهذا ففيه تناقض بين[2]. والذى لا ريب فيه أن الله واحد فى ذاته مباين لخلقه وهكذا قد تم بعون الله نسف تلك المزاعم من قواعدها ..

وبقى لنا أن نؤكد امكان الوحى واثبات حصوله فعلا وهذا هو مضمون المطالب الباقية فى هذا المبحث ..

---

(١) انظر : مصطفى صبرى : موقف العقل والعلم ، ج ٣ ص١٦٧ .

(٢) انظر : الجزائرى : عقيدة المؤمن ، ص٥١ .

الفصل الثانى

فى بيان عجز العقل وعدم كفايته لتسيير أمور الحياة ومسيس الحاجة الى الوحى ..

ومعلوم أن الحواس هى وسيلة العلم لدى الانسان فالعقل يستند على ما تعطيه من معلومات يحكم بموجبها فى كل مايعرض للانسان من أمور.

ولما كانت تلك الحواس تخطئ من جهة، ومداها محدود من جهة أخرى[1] كان العقل كذلك.

" الا ترى أنه قد تأتيه مسائل يصعب عليه معرفة وجه الحق فيها ويدخل فى الظن والتخمين ، وذلك دليل نقصه اذ لو كان كاملا لعرف وجه الحق فى كل مسألة ولما احتاج الى الظن والتخمين ..

ودليل نقصه ايضا أنه يزداد علما ومعرفة بمرور الوقت بالتجارب والمطالعات ، وكلما ازداد تجربة واطلاعا ازداد علما ومعرفة وهذا دليل نقصه اذ لو كان كاملا ما احتاج الى ذلك وما ازداد علما ومعرفة لأنه كامل "[2]

ثم بعد ذلك فانه مهما بلغ من علم ومعرفة فان له مدى لا يتعداه فهناك اشياء لا دخل له فيها البتة ، فهو لا يعلم الغيب ، بل ويعجز عن ادراك كثير من الاشياء منها الروح والعقل نفسه وغيرهما ..

" كما يعجز عن الاحاطة (مثلا) بأكبر عدد فاذا سألته ماهو أكبر عدد ؟ اجاب أكبر عدد مالانهاية (٥) . فاذا قلت له اجمع مايلى : ٥ +٥ وكم النتيجة ؟

---

(١) لقد سبق أن بينا بالمثال عجز البصر: انظر الباب الأول الفصل الخامس .. وكذلك بقية الحواس .

(٢) السامرائى : نبوة محمد من الشك الى اليقين ، ص٤٠ و ٤١ .

كانت الاجابة مضحكة = ٥ مالانهاية ((واذا قلت له ٥×٥ كم النتيجة أجاب اجابة مضحكة (ايضا) = ٥ مالانهاية واذا قلت له ٥ + ٢٠ مليون كم النتيجة ؟ اجاب (كذلك) اجابة مضحكة = ٥ مالانهاية واذا قلت له ٥ ـ ٣٠٠ كم النتيجة ؟ اجاب (ايضا) اجابه مضحكة =٥ مالانهاية .

كما يعجز العقل عن ادراك بداية الزمان أو يحيط بنهايته، وكذلك يكل ويعجز عن ادراك نهاية المكان "[١]

" هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا فى العلم بما فى الغيب ... وهل فى طرق الفكر مايوصل كل واحد الى معرفة ماقدر له فى (الـ) الحياة؟"[٢]

ان العقل البشرى غير قادر للوصول الى الحكم الصحيح فى كثير من المسائل الرئيسية ولهذا اختلف مفهوم الحق عند الناس واظهر دليل ... ماتراه فى كل وقت من اختلاف ارباب العقول فى اتجاهاتهم فمنهم من يرى أن الاتجاه المادى فى الحياة هو الصواب، ومنهم من يرى عكس ذلك، ومنهم من يرى طريق الرأسمالية هو الصحيح، وآخر يذهب الى الشيوعية، وآخر الى الاشتراكية وآخر الى غيرها، وقسم يدعو الى القومية، وآخر الى الانسانية وقسم يدعو الى الحرية، وآخر يدعو الى الديكتاتورية، وقسم يدعو الى التحفظ وآخر يدعو الى الانطلاق وهكذا ... ولا شك أن الحق لايمكن أن يكون مع هؤلاء ؟ وهم بلاشك ارباب عقول "[٣]

---

(١) الزندانى : توحيد الخالق ج٢ص٩و٢٠

(٢) محمد عبده : رسالة التوحيد ، ص٩٣

(٣) السامرائى : نبوة محمد من الشك الى اليقين ، ص٤١و٤٢

" ان عقول الناس تختلف باختلاف الاعصار والامصار وكم من أمر يعد فضيلة لدى أمة هو ارذل الرذائل لدى غيرها ، وكم من أمر يعده عصر من الاعصار حقا يجيء عصر فيعتبره باطلا صرفا . بل ان عقل الشخص الواحد ليختلف باختلاف اطوار عمره ، وتغير تجاربه وتقلب الاحوال الطارئة عليه .

هناك بعد ذلك كله الاهواء والميول والنزعات الشخصية، والاسرية والاقليمية والقومية ، التى تقلب على عقل الانسان واعيا حينا وغير واع احيانا وتؤثر فى حكمة على الاشياء والاشخاص والأعمال شاء أم أبى . فأين العقل الانسانى الذى يعرف عنده الحق المجرد ؟ عقل أى فرد أو أى جماعة أو أى بلد وفى أى عصر " (١)

" ثم ستخرج بمرور الزمن عقليات متباينة وأفكار متضاربة يزداد معها الاختلاف والتباين ، فمتى يصل الناس الى الحق ؟ ! .. ان التشريعات (البشرية) مهما كانت صالحة فى نفسها لايمكنها أن تؤدى الى المطلوب منها الا اذا ظفرت بقدر كبير من الاحترام لها والخضوع الذاتى والنفسى لواضعها على نحو يحمل الافراد على طاعتها طاعة اختيارية فى السر والعلن ، وبدون ذلك لايمكن لأى تشريع مهما كان صالحا فى نفسه أن يجد طريقة فى التطبيق، لأن سبل التفلت منه كثيرة ، ولا تستطيع القوة والارهاب حمل الناس على طاعته الطاعة المطلوبة ، وحتى اذا نجحت فى ذلك حسب الظاهر ، فان ذلك لايكون الا الى حين ، وبالتالى يسقط التشريع أو يبقى قائما ولكنه ميت ، والشواهد على ذلك كثيرة منها ماحصل فى الولايات المتحدة الامريكية فى عصرنا الحالى

---

(١) القرضاوى : الناس والحق ، ص٢٩ و٣٠

فقد حاولت أن تمنع مواطنيها من شرب الخمر عن طريق التشريع ، فأصدرت قانونا بتحريم الخمر صنعا وبيعا ... وشربا ... وصدرت بالعقوبات القاسية لمن يرتكب شيئا من ذلك وقد مهدت للتشريع بكل وسائل الاعلام واستعانت بالمختصين من اطباء واجتماعيين واساتذة لبيان مضار الخمر ... وانفقت في سبيل ذلك ملايين الدولارات ثم شرعت القانون فماذا كانت النتيجة ؟ ... ان المواطنين لم يكفوا عن شرب الخمر والمتاجرة به لأن الهوى كان أكبر من هذا القانون و... نفوسهم خالية من الاحترام والهيبة لوا ضعيه وخالية من الخضوع الذاتي لهم .... وبخلاف ذلك كان تحريم الخمر في الاسلام مانعا لأولئك المسلمين الاولين الذين عاصروا الجاهلية وتعودوا على شرب الخمر من شربها لأن نفوسهم كانت عامرة بالخضوع لله رب العالمين وممتلئة هيبة واحتراما ." (١)

و" لم يتمكن الامريكيون لادخال مشروع قرار الخمر لأن الشعب لم يرض عنه ... كما اضطر البرطانيون الى ادخال تعديلات هامة في قانون عقوبة القتل واضطروا الى اباحة انواع محرمة من العلاقات الجنسية على الرغم من ضجيج المثقفين واحتجاج علماء القانون ."

وهكذا لن يصلوا الى العدل ماداموا ناكبين عن منهج الوحي .

ويحاول كثير من الناس اليوم للوصول الى العدل " أن يقوم البالغون من افراد المجتمع بانتخاب ممثلين لهم وهؤلاء بدورهم يصدرون التشريعات باسم الشعب . ومن الممكن أن ندرك [illegible] هذا الحل الوسط .

---

(١) السامرائي : نبوة محمد من الشك الى اليقين ص٢٤٢و٢٤٣ .

حين نجد أن حزبا سياسيا لايتمتع الا بأغلبية ٥١ ٪ من مقاعد البرلمان يحكم على حزب الاقلية الذى يمثل ٤٩ ٪ من افراد المجتمع البالغين ، والأمر لايقف عند هذا الحد ، بل ان هذا الحل يحتوى على فراغ كبير جدا تنفذ منه اقلية لتحكم على اغلبية السكان • وعلى سبيل المثال فان الحكومة التى تحكم الهند الآن (اقبلت وجاء غيرها) قد وصلت الى تقاليد الحكم عن طريق الانتخابات العامة ••• التى اجريت فى البلاد عام ١٩٦٢ وقد فاز حزب المؤتمر القومى بنسبة ٧٠ ٪ من مقاعد البرلمان فى حين أن نواب هذا الحزب لم يحصلوا الاعلى ٤٠ ٪ من اصوات الشعب ••• وهذا هو ماحدث فى الانتخابات الاولى والثانية التى اجريت قبل ١٩٦٢م وحصل حزب المؤتمر فى كليهما على أقل من ٥٠ ٪ من مجموع الاصوات ولكنه رغم ذلك كان له الحق فى تشكيل الحكومة لأن اصوات الناخبين الأخرى كانت موزعة بين نواب الاحزاب (المعارضة) ولم تكن بطولة حزب المؤتمر الا فى أنه احرز اصواتا أكثر من أى جزب آخر على حده " (١) ومثل هذا يحصل فى معظم البلدان فأين العدل فى هذا ؟!!

" ثم ان الذين يشرعون للناس يجيئون الى السلطة ••• عن طريق القوة (احيانا) أو عن طريق الانتخابات التى تشترى فيها الاصوات ولنفترض أنهم جاءوا عن طريق صحيح لم يشترفيه ضمير ولكن اليس فى المجتمع نظائرهم أو من هم أكفأ منهم ، أو أعلم منهم بالتشريع ؟

فقد يكون فى المجتمع من هو أعلى منهم كعباً فى العلم ••وأنأى عن المصلحة الضيقة و أبعد عن الهوى ولكن لم يستطيعوا الوصول الى سدة التشريع

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص ١٥٩ و ١٦٠

فهؤلاء لهم وجهات نظر وملاحظات على القانون المشترع وبهذا لا يكون في نفوسهم احترام له أو تقدير وبهذا يتعالون على التشريع، ويهونون من شأنه ولا يلزمون أنفسهم بتطبيقه، لأن اولئك ليسوا أولى من هؤلاء بالتشريع ولذلك نرى أنه اذا جاءت حكومة فى اعقاب حكومة ثانية أو فئة فى اعقاب فئة ثانية تهدم كثيرا من القوانين والانظمة بحجة أنها مصلحية أو غير عادلة أو بادعاءات أخرى قد تكون صحيحة أو باطلة. ثم إن الذين يشرعون لا يكون فى إنفسهم ذلك الإحترام العالى للنظام لأنهم يعرفون كيف شرعوه ويعلمون أنهم قادرون على ابداله متى شاءوا أما اذا كان الشارع هو الله فالجميع أمامه سواء ولا يحدث من جانب أحد تعال عليه أو ترفع عنه أو ادعاء أن عليه ملاحظات جديرة بالقبول ""[(١)] وعليه فالوحى ضرورى لحسم مثل هذه الأمور ولم يهمل الوحى العقل بل ترك له امورا كبيرة فى عدة مجالات.

أ مجال العقيدة ليهتدى الى وجود الله وتوحيده، وثبوت الوحى نفسه فالعقل هو أساس النقل وترك له مجال التشريع ويحول فى فهم النصوص والقياس على الاحكام وكذلك ترك له ميدان الاخلاق فى الأمور التى يشبه منها الحلال بالحرام والخير والشر. ثم بعد ذلك ترك له أن يبتكر ويخترع وأن يستفيد من تجارب الآخرين[(٢)]. ونكون بهذا قد حطمنا آخر قلاع المنكرين للوحى.

---

(١) السامرائى : النبوة محمد من الشك الى اليقين، ص٤٣و٤٤.

(٢) انظر القرضاوى : الناس والحق، ص٦١ــ٢٧.

الفصل الثالث

من الادلة على امكان الوحى مايحدثه بعض الناس ومايحدث لهم من العجائب

ان من العجائب التى تعد بحق من أوضح الأدلة العلمية التى تكاد تمثل للناس الوحى تمثيلا ، وتريهم اياه من الطريق التى لا يؤمن بعضهم الا بها وهى طريق التجربة والمشاهدة والحس (اعجوبة التنويم المغنطيسى) التى أمكن بواسطتها اتصال النفس الانسانية بأخرى مثلها ، حيث تحدث القوية منهما فى الثانية ظاهرة تقرب لنا ظاهرة الوحى كثيرا ..

نعم ... فقد أصبح ذلك الانسان القوى الارادة يستطيع أن يتسلط بقوتها على ذلك الذى هو أضعف منه نفسا وارادة حتى يجعله ينام بأمره نوما عميقا لا يشعر فيه بوخز الابر وهو فى تلك الحالة يكون رهن اشارته حيث تذوب تماما ارادته فى ارادته ، فلو شاء أن يمحو من نفسه رأيا أو عقيدة لمحاها بكلمة واحدة ، بل لو شاء أن يمحو من صدره اسم نفسه ويلقنه اسما آخر يعتقده بأنه اسمه ، لما وجد منه الا ايمانا وتسليما (١)

والتنويم المغنطيسى من المقررات العلمية التى ظهرت فى أوربا سنة ١٧٧٥ م بواسطة الدكتور الالمانى (مسمر) الذى قرر أن فى الانسان سيالا مؤثرا سماه (المغنطيس الحيوانى) لا يعرف كنهه ، ينبعث من الانسان بارادته ويؤثر على الاشياء والاشخاص تأثيرا خاصا وقرر أن كل الناس يتمتعون بهذا السيال المؤثر ولكن على اختلاف فى الدرجات . (٢)

---

(١) د راز: النبأ العظيم ، ص٧٥ بتصرف يسير .

(٢) وجدى: الاسلام وعصر العلم ، ص٧٥٤ .

وقد أصبح من الحقائق العلمية الثابتة التى لا جدال فيها بعد أن اختبره العلماء الآلاف من البشر ، فاطمأنوا الى تجاربه ، وله فى الغرب انصار من علماء وطلاب ، وله دور وكتب ، ومستشفيات يرتادها الناس وهو بحق وصدق صفقة كبيرة ولطمة عنيفة على وجوه الطبيعيين الذين ينكرون ما وراء المادة ، حيث اثبتت تجاربه أن للانسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا ، وأنه فى تلك الحالة من التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع ، ويقرأ من وراء حجب ويخبر عما سيحدث مما لا يوجد فى عالم المادة والحس أقل علامة لحدوثه ، وغير ذلك مما لا تسلم جميع تفاصيله تقليدا ولكن نسلم به فى الجملة لثبوته فى الجملة بواسطة التجارب العديدة ، والمشاهدات الكثيرة ، والسماع من الثقات . على أنه — فى الحقيقة = سلاح ذو حدين ، فيه ضرر كثير ومنافع كثيرة أيضا حسب استعماله ، فانه يمكن استخدامه سلاحا مسموما لتغيير عقيدة الشخص ودينه كما تسفل الى ذلك بعض المبشرين حيث فتن بهذا السلاح — وذلك عدوان خبيث وعمل خسيس ولا شك — شابا من خيرة الشبان المسلمين حول سنة ١٣٥١ هـ فى حادثة مشهورة مروعة .(١) وخطره ماثل متوقع فى كل لحظة فيما لو استعمله فاسق فى الفجور بالأعراض وغواية من يريد بتأثيره ، لا سيما وقد علمنا أن المنوم مطيع لا يعصى أمرا لمن يتسلط عليه مغنطيسيا وهو فى تلك الحالة من التأثير عليه — الا فلينتبه الغافلون ... وليستيقظ النائمون ... وليحذر اولياء الأمور فلا تخرجن امرأة الا ومعها محرم ...

أما فوائده فانه يعد بحق قلبا لنظرية الطبيعيين رأسا على عقب —

---

(١) انظر الزرقانى : مناهل العرفان ص ٦٦ و ٦٧

كما سبق أن ذكرنا — وله فوائده في الطب العلاجي البدني والنفسي — كما سبق أن بينا — وها نحن نتخذه مثالا نقرب به حقيقة الوحي، لأن المنوم لا بد أن يكون فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط، وهو كذلك فيه استعداد للتأثر به ، فالأول قوى النفس والثاني ضعيفها حتى يمكن أن تتم العملية الناجحة — كما قدمنا وكما سيأتي تفصيله فيما بعد ...

وذلك لما لا شك فيه يقرب الوحي علمياً، فالوحي عن طريق الملك عبارة عن اتصال الملك بالرسول اتصالا يؤثر فيه الأول على الثاني فيتأثر، وذلك باستعداد خاص في كليهما، فالأول فيه قوة الالقاء والتأثير لانه روحاني محض والثاني فيه قابلية التلقي عنه لصفاء روحه، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك وعند الالتقاء ينسلخ الرسول عن حالته العادية، ويظهر أثر التغيير على وجهه فيأخذ عنه، فيطبع ماتلقاه في نفسه، حتى اذا انجلى عنه وعاد الى حالته الأولى وجد ماتلقاه ماثلا في نفسه حاضرا في قلبه.(١)

وحوادث التنويم المغنطيسي وآثارها البدنية والنفسية أكثر من أن تحصى "(٢) ولكني سأورد هنا بعض الحوادث نقلت عن بعض علماء الغرب، ثم تجربة وقعت في مصر كان شاهد العيان فيها أحد علماء الأزهر المشهورين وهو فضيلة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الذى تنبه الى العبرة منها وسنستمع اليه يرويها بنفسه في كتابه مناهل العرفان ولكن سنسبقها بغيرها ..

فاليك الآن أيها القارئ هذه المحاورة التي جرت بين منوم ومنومة نقلها الاستاذ وجدى عن أحد علماء الغرب..

---

(١) الزرقاني : المصدر نفسه ص٦٨ و ٦٩ بتصرف.

(٢) د راز: النبأ العظيم، ص٧٥ الهامش

" قالت المنومة : هل تسمح ما يأمرني به ؟ فقال الدكتور من هو الذى يأمرك ؟ فقالت : هو ، الست تسمعه ؟ فقال : كلا ، ولم أسمع شيئا ولم أر احدا . فقالت : حقيقة ، لانك نائم ، أما أنا فيقظى . فقال لها الدكتور كيف ذلك ؟ اتدعين أنى نائم وأنك يقظى مع أنك تحت تأثير ارادتى فى الحالة المغنطيسية ، انك تتوهمين أنك يقظى لكونك تكلمينني وأنك متمتعة بنوع من الارادة ولكنك فى الحقيقة لا تستطيعين أن تفتحى جفنيك . فقالت : انى اكرر لك القول بأنك أنت النائم ، وأنا بالعكس اليقظى تماما على مثل الحالة التى ستكون عليها جميعا يوما ما . لافسر لك ذلك : وان كل الذى تستطيع أن تراه أنت ليس الا اشكالا غليظة مادية لا يمكنك أن تميز الا اشكالها الظاهرة ، ولكن جمالها الحقيقى محجوب عنك تماما . أما أنا فى حالة وقوف وظائف أعضائى الآن وفى حالة حرية روحى من علائقها الاعتيادية فانى أرى ما هو مستور عنك ، واسمع ما لا يمكنك سماعه ، وأفهم كل ما هو غير مفهوم عندك . الى أن قالت : وانى بمجرد الارادة استطيع أن اسمع الاصوات البعيدة عنى ولو كان بينى وبينها مائة فرسخ ، وبالاختصار فانى لا احتاج أن تأتى الاشياء الى بل أنا اذهب اليها حينما كانت وأحكم على حقيقتها بطريقة اضبط مما يحكم به عليها أى انسان آخر لا يكون فى الحالة التى أنا عليها "(1)

" هذا ... " ونقل الاستاذ (اكزاكوف) فى كتابه (المذهب الروحى وفن استحضار الارواح) أن زوجة الاستاذ الانجليزى الشهير (د. ومورجان) معتادة على تنويم سيدة ، وجعل روحها تخرج من جسدها وتذهب الى المحل الذى تعينه لها ..

---

(1) وجدى : الاسلام فى عصر العلم ، ص ٧٥٥ و ٧٥٦

فقالت لها يوما وهى تحت تأثير المغناطيسى : اذهبى الى منزلى الذى كنت اسكنه سابقا . فقالت المنومة : قد فعلت وطرقت الباب بشدة . قالت زوجة الاستاذ : فذهبت فى اليوم التالى لأتأكد من صدقها ، وسألت عما حصل فى تلك اللحظة ، فأجابنى السكان بأنهم سمعوا طرقا شديدا على الباب فذهبوا اليه فلم يجدوا أحدا ، فعلموا أن ذلك فعل [illegible] الاطفال . يقول الاستاذ (اكزاكسوف) ان هذه الحادثة وأمثالها تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجودا مميزا عن المادة وأنها تستطيع أن تعمل مايعن لها بنفسها " (١)

وأيضا نقلت المجلة الروحية التى صدرت فى ديسمبر عام ١٩٠٤ تحت عنوان (قهقرت الذاكرة وخاصية معرفة المستقبل بعض تجارب الكولونيل العلامة (د وروشاش) ناظر مدرسة الهندسة فى باريس ومن كبار المشتغلين بفن التنويم المغناطيسى فى العالم وله فيه من التجارب نتائج بديعة وغايات بعيدة . (٢)

نسوق اليك منها هنا تجربتين :

الأولى مع المدعوة مدام لمبير .

" ذكر أنه بدأ تجاربه مع مدام لمبير (هذه) ونجح فى قهقرة ذاكرتها تدريجيا حتى مر بها على جميع أدوار حياتها السابقة الى أن أوصلها الى الحين الذى كانت فيه جنينا فى بطن أمها ، ثم صعد ذاكرتها حتى تذكرت نفسها لما كانت روحا مجردة على هيئة كرة من نور سابحة فى الفضاء ، ثم عكس الأمر، فأثر عليها بالاشارات العرضية بقصد التغلغل بروحها فى حوادثها

---

(١) وجدى : الاسلام فى عصر العلم : ، ص٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ص٤٩٣ .

المستقبلة ، فمازالت روحها تنتقل بها من دور الى دور حتى وصلت سن الهرم وشعرت بما تكون عليه قبل أن تصل اليه . فطلب منها الاستاذ أن يهرمها حتى تصل لدور الموت المنتظر لترى كيف يكون حالها فيه فأبت ".(١)

ولكنه في محاولته الثانية مع المدعوة (جوزفين) التي وصفها بأنها خادمة عمرها ١٨ سنة يقول انه استطاع أن يصل بها الى مرحلة مابعد الموت وكانت له معها جلستان ، وفي الجلسة الأولى بعد التنويم الأولى سألها عما اذا كانت لم تزال عند المسيو (س) — وهو سيدها الحالي — فأجابت بالسلب قائلة أنها تركته من منذ ثلاث سنين لترجع الى بلدها في (م).... وأنها الآن لدى أهلها ولها من العمر ٢٥ سنة ، مع أنها الآن لا تجاوز ١٨ سنة ، ولكنها ترى مستقبلها ، فأثرت عليها باشارات عرضية ولم تمض الا قليلا حتى لاح عليها ألم شديد جدا ، فأدارت وجهها وخبأته بيديها وبكت بكاءا مرا .. فلما وصلت الى الدور التالي .... ظهرت كئيبة حزينة ولفت وجهها حياءا من شيء ، فأعملت الظن والحدث في سبب اكرامها وقلت لها لعلك تزوجت الآن ، فقالت لا . انه لم يرد مع أنه وعدني .... فقلت لها : خبريني عن اسمه وأنا اجتهد في .... اقناعه ، فأجابتني قائلة انك لن تصل الى غاية منه واني قد بذلت استطاعتي فلم انجح ... فعلمت منها أنها لم تزل في بلدتها ، وأن سنها بلغ ٣٠ سنه وأنها اصيبت بما اصيبت به من سنين ... ثم اعدتها الى حالتها

وفي الجلسة الثانية اعدت اعمالي السابقة واقنعتها بأن تثق بي فلفظت باسم معشوقها بارتباك .... وأنها قد جاءت منه بولد ، فزدت التأثير عليها .

---

(١) المصدر نفسه ص٤٩٥

ثم استيقظت فى سن ٤٠ سنه ساكنه بلدتها م ... وهى فى غاية الحزن ، وعلمت منها أن ابنها مات قبل قليل وأن (أوجين فا)(١) تزوج بأخرى . فزدتها تأثيرا فاذا هى فى سن ٤٥ سنه ، معاشها خياطة القبعات لأحد الخياطين . ووجدتها مكتئبة جدا وليس لها علم بسادتها الأولين ، وأن احدى صديقاتها كتبت لها ثلاث خطابات ثم قطعت المكاتبة . فزدتها تأثيرا وسألتها عما اذا كانت قد تقدمت ادوارا عديدة الى الأمام ، فأجابت بأنها الآن فى غاية الشيخوخة والهم وأنها عائشة بجهد جهيد بفضل خياطتها ، ولكن الآن نسيت شيئا من آلامها السابقة ، فكلمتها عن الموت وسألتها عما اذا كانت تريد أن تعرف ما سينالها متى تركت هذه الحياة . فأجابت بالايجاب ... ونمتها فظهرت عليها كل علامات الموت ثم ذدتها فاجتازت المرحلة ، وأمكنتها أن تتبع جنازتها ودفنها وتسمع ماصار يقوله الناس عنها كقولهم : الموت أولى بهذه السكينة فليس لها ما تقيت به نفسها ، فلما وصلت الى هنا اعدتها .(٢)

وقبل أن أورد المثال الأخير لا بد أن أنوه بأننى اتحفظ كثيرا ولا اسلم تفصيلا بكل ماجاء فى الأمثلة السابقة وان كان بعضها يحزر بعض غير .... الجملة أن للروح قدرات هائلة ولكن لا احسبها فى درجة تبلغ الحلم بالغيب ! ولكن المهم أن يعترف هولاء وأمثالهم بما هو وراء المادة

---

(١) يقول الاستاذ وجدى أنه بحث فى تلك البلدة (فوارون) فوجد ت أن هذا الشاب موجود بها الآن و... سنة ١٨٥٨ من عائلة فلاحة .

(٢) وجدى : الاسلام وعصر العلم ص٤٩٩–٤٩٧ بتصرف يسيرفى بعض العبارات

أما الآن فقد جاء الدور لنستمع الى الشيخ الزرقانى يحكى مشاهداته فيقـول :

" قـام المحاضر وهو استاذ فى التنويم المغناطيسى وأحضر الوسيط وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالاستاذ ، والاستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط (كذلك) ... نظر الاستاذ فى عينى الوسيط نظرات عميقة نافذة ، وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات ، فما هى الا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم ، وقد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، وفقد احساسه المعتاد حتى لقد كان احدنا يخـزه بالابرة وخزات عدة ، ويخزه كذلك ثان وثالث فلا يبـدى الوسيط حراكا ، ولا يظهر أى عرض لشعوره واحساسه بها ، وحينئذ تأكدنا أنـه قد نام ذلك النوم الصناعى ... وهناك تسلط الاستاذ على الوسيط يسألـه : ما اسمك ؟ فأجابـه باسمه الحقيقى . فقال الاستاذ : ليس هذا هو اسمك : انما اسمك كذا (وافترى عليه اسما آخر) ثم أخذ يقرر فى نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق ، بواسطة اغاليط يلقنهـا اياه فى صورة الادلة ، وبكلام يوجهه اليه فى صيغة الأمر والنهى ..

وهكذا املى عليه هذه الاكذوبة املاء : وفرضها عليه فرضا حتى خضع لها ... واذعن (ثم أخذ الاستاذ وأخذنا نناديه باسمه الحقيقـى المـرة بعد الأخرى فى فترات متقطعة ، وفى اثناء الحديث على حين غفلـة كل ذلك وهو لا يجيب ، ثم نناديه كذلك باسمه الموضوع فيجيب دون تـردد ولا تلعثم . ثم أمر الاستاذ وسيطه أن يتذكر دائما أن هذا الاسم الجديـد هو اسمه الصحيح حتى الى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته ثم ايقظه وأخذ

يتم محاضرته ، و [illegible] نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقى فلا يجيب ، ثم نفجوء ه باسمه الثانى فيجيب ، حتى اذا مضى نصف الساعة المضروب : عاد الوسيط الى حالة الأولى من العلم باسمه الحقيقى ! وبهذه التجربة اثبت الاستاذ أن المنوم بكسر الواو يستطيع أن يمحو من نفس وسيطه كل أثر يريد محوه مهما ثابتا فى النفس كاسم الانسان عينه ومهما كان مقدسا فيها لعقائد الدين"(١)

" فذلك مثل حامل الوحى ومتلقيه عليهما السلام : هذا بشر مطواع ذو روح صاف يقبل انطباع العلوم فيه ، وذاك ملك شديد القوى ذو مرة يحمل اليه رسالته ويقرئها اياه ، فلا ينسى الا ماشاء الله !!!

.... بيد أن بعدا شاسعا بين هذا الوحى النبوى ووحى الناس بعضهم الى بعض ، فالناس — كما عرفت — قد يوحون زخرف القول غرورا ، وكثيرا ما يترك وحيهم فى نفس متلقية اعراضا عقلية أو بدنية يصعب علاجها ، فأين هذا من الوحى بين رسولين مؤمنين اصطفاهما الله لرسالته ، رسول من الملائكة ورسول من الناس ؟ فأما الرسول الملكى فانه كما علمت لا يوحى إلا الحق ولا يأمر الا بالخير • وأما الرسول البشرى فانه لا يزال من بعد كما كان من قبل ثابت الفؤاد كامل العقل قوى النفس والبدن (الله اعلم حيث يجعل رسالته)(٢)" الانعام الاية ١٢٤ ..

وبعد ذلك نعود لنتساءل : كيف يستطيع ذلك المخلوق أن يفعل بأخيه الانسان ماقد مربك فى تلك القصة الماضية و [illegible] قبلها ، ويؤثر فيه ذلك التأثير الذى علمت ، ولا يستطيع الله القوى العزيز أن يؤثر فى نفس

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان ، ص٦٧و٦٨ .

(٢) دراز : النبأ العظيم ، ص٧٦ .

من شاء من عباده ، بواسطة ذلك الوحـــى ؟ كلا انه على كل شىء قدير ان ذلك مالا يستقيم فى العقل غيره ، وان من ينفى ذلك أقل ما يوصف به أنه مكابر ، كيف لا وهذا هو الدليل ماثل بين يديه وأمام ناظريه فى وضوح وتجلـى أو أن فى عقله قصر لا يرتفع الى فهم هذا الدليل وملاحظته وعند ما لا يؤمه لنه لانه لا يعقل مثل ذلك الا ألوا الالباب ..

هذا هو التنويم المغنطيسى ولكن هناك ما هو أعجب وهو ما يحدثه عامل الاشراق ... فهذا المنوم والمنوم فى عملية التنويم المغنطيسى كلا هما فى مكان واحد ، ولكن عامل الاشراق — يستطيع أن يجعلك تنام وتضحك أو تبكى كما يستطيع أن ينقل اليك كلمات أو خواطر لست على علم بها ، انها عملية لا تستعمل فيها اية وسيلة من الوسائل ولا يشعر بها غير عامل الاشراق وصاحبه (١) . واليك قصة فى هذا الصدد " (ل) قد حدث سنه ١٩٥٠ أن المسوءولين فى (بافاريا) رفعوا قضية ضد أحد النمسويين ، واسمه (فرنتر ستروبيل) ، بتهمة التدخل فى برنامج الاذاعة عن طريق الاشراق .. وكان (فرنز ستروبيـل) يستعرض أعماله فى فندق (ر...) بميونخ عند ما ناول أوراق الكشينة الى أحد المتفرجين ، وطلب اليه اختيار ورقة ما ، وادعى أنه سوف ينقل اسم تلك الورقة ، واسم الفندق مع ترتيبهما ، كما هما فى ذهن المتفرج ، الى المزيع الذى كان يقرأ الاخبار من اذاعة ميونخ المحلية ، ذلك دون أن يعرف المزيع نفسه شيئا من هذا !!!

بعد ثوان سمع الناس صوت مذيع مرتعش ، وهو يقول : " فندق ريجينات

---

(١) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص ١٠٨

ـ بنت البستونى " وكان الترتيب واسم الورقة صحيحين، كما أراد المتفرج •

وكـــان الارتعاش والرهبة واضحين فى صوت المزيح ، ولكنه واصل قراءة الاخبار•

استغرب الكثيرون من المستمعين من سكان ميونـخ ، واتصل مئـات منهم تلفونيـا

بالاذاعة يسـألون عن السر الغامض ••• فكان من الصعب عليهم ادراك علاقـة

الاخبار " بفندق ريجينـا ـ بنت البستونى " وحضر طبيـب الاذاعة للكشـف

على المزيع ، فوجده فى حالة اضطراب خطيرة ، وأولـى المزيع ببيانه قائلا : انـنى

شعرت بصداع شديد فى رأسـى ، ولا اعرف ماذا حدث بعد ذلك ! ••••

ونحن نقـول : انه لما كان الانسان يستطيع تحويل الافكار بأكملهـا

الى انسان آخر على بعد غير عادى وبدون استعمال أى واسطة مادية ظاهريـة

فلمـاذا يستحيل نفس العملية بين الاله وعبـاده ؟•••

ان الاشـراق أمر معروف لدى الناس ، وهو يدلنا على فهم ذلك النظام

الاشراقى العظيم بين الاله والعباد والذى يكون فى أكمل صورة حين يبلـغ

درجة الوحى ، وهذا الوحى لايعدو أن يكون اشراقا كونيا من نوع الاشراقـات

التى عهدناها فى حياتنا على مستويات محدودة " (١)

ولو أردنـا أن نعزز هذه القصة من تاريخنا الاسلامـى بما هو أعجب

فأمامنا ماتواتر نقله وثبتت صحته من أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنـه

رأى فى المنام وهو فى المدينة المنورة أن الجيش الذى أرسله الى فارس بقيـادة

ساريـة رضى الله عنه ، يتعرض لكمين من الاعداء خلف الجبل وهم لايعلمون•

ولما اصبح جمع الصحابة وأخبرهم ، ونادى من على المنبر محذرا سارية بقولـه :

ياساريـة الجبل ياسارية الجبل فكان أن سمعه بقوة قادركل الجنود هنـاك ـ

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص١٠٩ و١١٠

الأمـــر الذى يقطع بتواتره لكونه يصعب تواطؤهم على الكذب — فكان أن انحاز سارية بالجيش الى إلى الجبـــل فنجوا من الكمين ، وبعض الروايات تقـول وهذا مايجعله قريبا من الحادثة في فرنسا في موضع — أن عمركان يخطـــب وفى اثناء الخطبة حدث منه هذا التحذير فلما سئل قال لقد اجراه الله علـى لسانـى[1] : اولا من الذى أعلم عمر بخبر الجيـــش ؟!!

ثانيا : كيف اسمعهم عمر صوته عبر الاف الاميـال ؟ انه ليـس الا اشراق الا هى ولكنه دون درجة الوحى على أنه من أقوى الادلة على امكانـه وقد هيأ الله مثل ذلك لعمر وهو من عباده الصالحين الذين يؤمنون بالوحـى فكيـــف لايحدث مثل ذلك على نبى من انبيائه ؟!

وأخـــيرا لم يبق أمامى ما اعزز به الدليل على امكان الوحـــى فى هذا المجال وتقريبه الا مايسمونه (باستحضار الارواح) وغرضى بجانب ذلك :

" هـــو مطاردة الالحاد المتفشى الآن فى كثير من أفراد النشىء الجديد المغترين بالعلوم المادية التى تعلموا شيئا منها ، ... ، (على) اننا لليوم لم نحصل البرهان النهائى على أن مايظهر فى أوربا للمشتغلين بمسائل ماوراء المـــادة هى ارواح الموتى حقيقة، ولكنا نعتقد ولا نتردد بأن شيئا (مــا) يظهر لهم من وراء هذا العالم ، فلا ندرى ان كان هو روح من عالم الارواح أوعالم الجن أو عالم آخر لانعلمه (وما يعلم جنود ربك الا هو[2])

وسبـب عقيدتنا فى صحة ظهور شىء من هذا القبيل ، هو اجمـاع كل الباحثين من العلماء الثقاة فى كل بلد وبكل لغـة على صحة ذلك ، واعـــادة

---

(١) [illegible] ص ١١٦ .

(٢) المدثر : ٣١ .

بعضهم لتجارب بعض على اختلاف بلادهم ولغاتهم ، مما يدل المطلع من أول وهلة على استحالة اجتماع هؤلاء الالوف المؤلفة من اكابر علماء الأرض على ضلة عقلية ، أو العوبة سحرية ، ولو توهمنا أن يضل عامة علماء فرنسا المشتغلين بهذه المسألة ، فلا يسهل علينا أن نزعم أن يحمل مثلهم علماء انكلترة ، ولو توهمنا ذلك بطريقة فوق التصور ، لما استطعنا أن نتوهم أن يضل مثلهم علماء ايطاليا ايضا والمانيا ، والنمسا ، والروسيا ، وبلجيكا ، وسويسره ، وهولندا ، وكافة ممالك امريكا الجنوبية والشمالية ، ثم لو تسنى لنا أن نتهم علماء ايطاليا مثلا بأنهم وهموا في جلسة من جلسات التحضير، وانخدعوا للمحضر أو اغتروا بما ليس بموجود ، فلايتسنى لنا أن تهتم سائر علماء الارض بأنهم وقعوا كلهم في احابيل الخداع والتدليس لا سيما وأن مايجريه العالم الفرنسي يعيده العالم الامريكي والانجليزي وغيره ويكرره في كل حين مادام حاصلا على سائر الشروط الضرورية لحصوله .... أما كون تلك الخوارق منسوبة لأرواح الموتى أو للجن أو لعالم آخر فلم نحصل لليوم على البرهان النهائي ... وسواء صح كونها لأرواح الموتى أو للجن فنتيجتها البرهان المحسوس على وجود عالم وراء عالم المادة له شئون غير شئون هذا العالم "[1] وثبوت ذلك العالم الآخر يقرب لنا الوحي ايما تقريب فنحن نقول ان هذا الوحي تأتي به روح طاهرة مرسلة من غير هذا العالم..

---

(١) وجدى : الاسلام في عصر العلم ص ٤٤١و٤٤٢ .

الفصل الرابع

من الأدلة العلمية على امكان الوحي عجائب بعض الحيوانات (

وبالدخول الى عالمها نشاهد أن بعضها يأتي بعجائب من الأنظمة البديعة وخوارق من الأعمال المدهشة تعد من الأمور المستحيلة التي يستبعد جدا أن تكون صادرة عن تفكير لها، أو غريزة ساذجة فيها مما يجعلنا متأكدين أن ذلك ماكان ولا يكون أبدا الا بفضل ارادة عليا توحي اليها وتلهمها تلك الغرائب والحيل الدقيقة، فقد ثبت علميا أن الحيوانات ليس فيها ذرة من عقل، وها هو الدكتور (كرسي موريسون) العلامة المعروف[1] يحدثنا في هذا الصدد فيقول:

" مما يدعو الى أشد العجب أنه في أنواع الحياة الحيوانية التي لا تحصى — سواء بقيت الحيوانات أم انقرضت — لسنا نجد عندها أي مظهر للعقل، ولكننا نجد الغرائز وحدها، حتى نصل الى الانسان فنراه قد استأثر بالعقل وحده.

ان أي حيوان لم يسجل لنفسه قدرة على تربيع حجر، أو العد لغاية عشرة أو فهم معنى عشرة.

في خليج الخلق قد أتيح لكثير من المخلوقات "أن تبدي درجة عالية من أشكال معينة من الغريزة، أو الذكاء أو ما لا ندري[2]...

ان الانسان وحده هو الذي أوتي عقلا بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر به تفكيرا عاليا، والغريزة ليست الا كنغمة واحدة من الناي ولكنها محدودة، في حين أن العقل البشري يحتوي على كل الانغام التي لكل الآلات الموسيقية

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) كريسي موريسون: العلم يدعو للايمان، ص١٢٩

في (اوركسترا)[1] .... ولى أن خلق الانسان لم تخرج العناية الالهية كائنا حيا من بين الصخور الفطرية، وله عقل مرن كعقل الانسان ..

والآن يمكننا أن نتصور امكان تلقى الانسان قبسا من نور الله يجعله سيدا على الأرض، عجيبا فى قدرته، باقيا فى مصيره.[2] "ما دام الحيوان قد أوتى ذلك الالهام ..

والآن أيها القارئ الفاضل تعال لتطلع على صور من تلك الاعمال الحيوانية البديعة وما أكثرها، ولكنى سأتخير لك منها ما أظن أنه أوضح دلالة وأدعى لبيان تلك الظاهرة فى الحيوان بالقدر الذى نستفيد منه فيما بعد كمثال حسى .. يقرب لنا امكان الوحى الالهى الى عباده المرسلين، وشاهد قوى يشكل مع غيره دليلا قويا يؤكد هذه الحقيقة ..

ولعل خير مثال نسوقه (النحل) ونظامه العجيب واتخاذه للمسدسات الهندسية فى تأسيس خليته التى هى — فى الحقيقة — مملكة بكل ما فى الكلمة من معنى الأمر الذى يعجز عنه الوصف تفصيلا .[3]

ان اختيار ذلك النظام[4] الهندسى الرائع وتنفيذه لأمر يحير الالباب

---

(١) الفرقة الموسيقية .

(٢) كريسى موريسون المصدر السابق، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٣) فى هذه العجالة وان اردت ذلك فعليك بكتاب النحله تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع، لمحمد حسين الحمصى وغيرها من الكتب العلمية التى تناولت هذا الشأن .

(٤) اتخاذ المسدسات .

كيف لا وقد يعجز كثير من الناس عن مجرد رسمه على الورق بذلك الاتساق الرائع وقد يخطىء مركونه يستعمل ادوات القياس وغيرها ! ولكن النحلة تستطيع ذلك الابداع دون عون من أحد اللهم الا عون الخالق • وهى تستطيع ذلك دون سابق علم أو معرفة ، وليس ادل على ذلك من أننا لو أخذنا بيضا للنحل — وهذا مجرب — وافقسناه بعيدا عن مملكته ولم يشاهد تلك العملية أبدا من قبل ، فان تلك اليعاثيب لا تلبث أن تقوم بذلك النظام الجميل الدقيق[1] فمن علمها ياترى ؟ !

ومعلوم أنه لا عقل لها به تفكر ، ولا تملك شيئا ما به تخطط وتدبر، اللهم الا تقدير العزيز العليم كذلك الحال بالنسبة للنمل الذى يأتى بأعمال عظيمة يقوم فيها بكل مدهش عجيب ! منها :

أن بعضها فى بنائه يقطع أوراق الشجر متساوية لبعضها ومتطابقة تماما[2] •

والآن لنترك الدكتور (فورسون) يواصل حديثه ليخبرنا بما يأتى :

" فالزنبور مثلا يصيد الجندب (النطاط) ويحفر حفرة فى الارض ، ويخز الجندب فى المكان المناسب تماما بحيث يفقد وعيه ، ولكنه يعيش كنوع من اللحم المحفوظ ••

وأنثى الزنبور تضع بيضها فى المكان المناسب بالضبط ، ولعلها لا تدرى أن صغارها حين تفقس يمكنها أن تتغذى دون أن تقتل الحشرة التى هى غذاؤها فيكون ذلك خطرا على وجودها ، ولا بد أن (الزنبور) قد فعل ذلك من البداية

---

(١) انظر فاضل السامرائى : نبوة محمد ، ص٢٦و٢٧ •

(٢) انظر كريسى مورسون : العلم يدعو للايمان ص١٣٠— ١٣٢ •

وكبروه دائما ، والا مابقيت زنابير على وجه الأرض ، والعلم لا يجد تفسيرا لهذه الظاهرة الخفية ، ولكنها مع ذلك لا يمكن أن تنسب للمصادفة (١) . ان انثى الزنبور تغطي حفرة في الأرض ، وترحل فرحا ، ثم تموت ، فلا هي ولا أسلافها قد فكرن في هذه العملية ، ولا هي تعلم ماذا يحدث لصغارها ، أو أن هناك شيئا يسمى صغارا ... بل انها لا تدري أنها عاشت وعملت لحفظ نوعها " (٢) اعود فأسأل من هداها — وهي كما نعلم ليست من ذوي التفكير ؟! لا بد ان هناك من هداها ووجهها لهذا انه الله الخلاق العليم .

" وسمك (السلمون) الصغير يمضي سنوات في البحر ثم يعود الى نهره الخاص به ، والأكثر من ذلك أنه يصعد جانب النهر الذي يصب عنده النهير الذي ولد فيه ، وقد تكون قوانين الولاية الامريكية التي على أحد جانبي النهر صارمة ، وقوانين الولاية التي على الجانب الآخر غير صارمة ، ولكن هذه القوانين انما تسري على السمك الذي يمكن أن يقال عنه انه يخص جانبا دون الآخر ... فما الذي يجعل السمك يرجع الى مكان مولده بهذا التحديد ؟ ان سمكة (السلمون) التي تسبح في النهر صعدا ، اذا نقلت الى نهير آخر ، ادركت تواً أنه ليس جدولها ، فهي لذلك تشق طريقها خلال النهر ، ثم تحيد ضد التيار قاصدة الى مصيرها ..

وهناك لغز أصعب من ذلك ... وهو الخاص بثعابين الماء التي يسلك عكس هذا السلك ، فان تلك المخلوقات ... متى اكتمل نموها

---

(١) وفي هذا دليل على انتفاء المصادفة اضافة على ماسبق انظر الرد على المصادفة الفصل الثاني من الباب الاول .

(٢) كريسي مورسون : العلم يدعو للايمان ، ص ١٢٩ و ١٣٠ .

هاجرت من مختلف البرك والانهار واذا كانت فى اوربا قطعت آلاف الأميال فى المحيط ، قاصدة كلها الى الأعماق السحيقة جنوبى بومودا ، وهناك تبيض وتموت أما صغارها — تلك التى لا تملك وسيلة لتعرف بها أى شىء سوى أنها فى مياه قفرة — فانها تعود أدراجها وتجد طريقها الى الشاطئ الذى جاءت منه امهاتها ، ومن ثم الى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة ، ولذا يظل كل جسم من الماء أهلا بثعابين البحار . لقد قاومت التيارات القوية وثبتت للامداد والعواصف ، وغالبت الامواج ، وهى الآن يتاح لها النمو ، حتى اذا اكتمل نموها دفعها قانون خفى الى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها . فمن أين ينشأ الحافز الذى يوجهها لذلك ؟ لم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء امريكى فى المياه الأوربية ، أو صيد ثعبان ماء أوربى فى المياه الامريكية .. والطبيعة تبطىء فى انما ثعبان الماء الأوربى مدة سنة أو أكثر لتعوض من زيادة مسافة الرحلة التى يقطعها "(١)

ويمضى الدكتور (موريسون) فى حديثه فيقول :

" ان احدى العناكب (جمع عنكبوت) المائية تصنع لنفسها عشا على شكل (بالون) من خيوط بيت العنكبوت وتعلقه بشىء ما تحت الماء ، ثم تمسك ببراعة فقاعة هواء فى شعر تحت جسمها ، وتحملها الى الماء ، ثم تطلقها تحت العش ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش وعندئذ تلد صغارها وتربيها ، آمنة عليها من هبوب الهواء ..

---

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للايمان ، ص٢٠ او١٢١

فها هنا نجد طريقة التسبح بما يشمله من هندسة وتركيب وملاحة جوية "[١] . وأعود فأسأل من هداها ووجهها ؟ وأجيب بما سبق انه الخلاق العليم . وغير ذلك كثير .

" فعصفور الهزاز الذى عشش ببابك يهاجر جنوبا فى الخريف ولكنه يعود الى عشه القديم فى الربيع التالى ... ومن شهر سبتمبر تطير اسراب معظم طيورنا الى الجنوب وقد تقطع فى الغالب نحو الف ميل فوق عرض البحار، ولكنها لا تضل طريقها . والحمام الزاجل اذا تحير من جراء اصوات جديدة عليه فى رحلة طويلة داخل قفص، يحوم برهة ثم يقصد قدما الى موطنه دون أن يضل ... والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح فى هبوبها على الاعشاب والاشجار كل ذلك دليل بسوى ....

وانت اذا تركت حصانك العجوز وحده فانه يلزم الطريق مهما اشتدت ظلمة الليل ، وهو يقدر أن يرى ولو فى غير وضوح "[٢] والسؤال المطروح دائما من الذى وجه وهدى ؟ والاجابه معروفة ...

هذا ... " وللطيور وقتها المحدد للطيران نحو الجنوب ، وكل فرد منها يقرر الانضمام الى سربه ، ثم تهاجر فى يوم يكاد يكون معينا كل سنه ، وذباب (مايو) يخرج من البحيرات ليطير طيران العرس ، وتسقط ملايين منه فى الشوارع فى اليوم نفسه .

والجراد البالغ من العمر سبعة عشره سنه فى ولاية (نيو انجلاند) يغادر

---

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للايمان ، ص ١١٩

(٢) المصدر السابق ص ١١٣ و ١١٤

شقوقه تحت الأرض، حيث عاش في ظلام مع تغير طفيف في درجة الحرارة.

ويظهر بالبلايين في شهر مايو من سنته السابعة عشرة. وقد يتخلف بعض المتعثر عن رفاقه بالطبع، ولكن الكثرة الساحقة تنضج بعد سنوات الظلام تلك وتضبط موعد ظهورها باليوم تقريبا دون سابقة ترشدها ![1] " والسؤال مطروح والاجابة معروفة " لقد خطر العالم امريكي أن يستفرخ البيض في جهاز خاص للتفريخ، وذلك بوضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جمع البيض ووضعه في الجهاز، نصحه فلاح أن يقلب البيض في كل فترة، اذ أنه رأى الدجاجة تفعل ذلك، فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة انما تقلب البيض لتعطي الجزء الاسفل من حرارة جسمها، أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكل اجزاء البيضة...

واستمر العالم في عمله حتى جاء دور الفقس، وفات ميعاده، ولم يفقس بيضه واحدة، وكرر التجربة بلا جدوى، وأخيرا استمع الى نصيحة الفلاح فصار يقلب البيض، حتى جاء ميعاد الفقس خرجت الفراريج.

وآخر تعليل علمي لهذه الظاهرة أن الفرخ حينما يخلق في البيضة ترسب المواد الغذائية في الجزء الاسفل من جسمه اذا بقي بدون تحريك فيؤدي الى موته، ولولا هذه الهداية التي أودعها الله في الدجاجة لما بقي نوع من الدجاج في العالم."[2]

وللدكتور فاضل السامرائي قصة في هذا الصدد يرويها فيقول " ومن طريف ما مرت بي أن أحد اصدقائي وضع زهاء ثلاثين بيضة دجاج معها بيضة

---

(١) كريسي موريسون: العلم يدعو للايمان، ص١٧٠

(٢) عبد الله علوان: شبهات يردوده، ص٣٥ و ٣٦

واحدة لطائر مائى فى ماكنه تفريخ ، وبعد مرور المدة فقس جميع البيض ونزلت الفراخ من المكنسة، وبعد نزولها توا ذهبت فراخ الدجاج الى الحديقة تبحث فى التراب ، وانفرد عنها فرخ الطير المائى وذهب الى الساقية يسبح ولم تغره الجموع الكثيرة من الفراخ ليذهب معها ، فمن الذى أعلمه أنه طائر مائى ، وأرشده الى ذلك وهو لم يشاهد أمه أو أحدا من جنسه ؟ انه الله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى "(١)

ولا ريب أن قيوم السموات والأرض قد أعطى هذه الحيوانات وتلك الحشرات علما بما يقيمها ويصلحها من غير طريق الحواس التى لا تستطيع أن تكسبه بها ، ومن العبث وضلال الرأى أن يثبت الباحث الطبيعى أو أى ذى عقل الهاما تبعثه القدرة الالهية الى أحقر الحشرات ثم تنفيه عن النوع البشرى وهو أشد مايكون حاجة الى هذا الوحى والالهام فى حياته الفردية والاجتماعية (٢) .

هذا ... وللحيوانات قدرات أخرى نستطيع أن نستدل بها على امكان الوحى كالحاسة السمعية فيها . " وكل الحيوانات تسمع الاصوات التى يكون كثير منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا ، وذلك بدقة تفوق كثيرا حاسة السمع المحدودة عندنا " (٣) . بل وتتفوق كثيرا على المخترعات الحديثة فالتلفون والراديو يوفران لنا اتصالا سريعا ، ولكننا مرتهطون فى شأنهما بسلك ومكان ، وعلى ذلك لا تزال الفراشة متفوقة علينا فى هذه الناحية (٤) .. كما سيأتى بيانه .

---

(١) فاضل السامرائى : نبوة محمد ، ص ٢٧

(٢) الزرقانى : مناهل العرفان ، ص ٧١

(٣) كريسى مورسون : العلم يدعو للايمان ، ص ١١٨

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٢ و ١٢٣

" فلو أنك وضعت حشرة مما يطلق عليه (Moth) ، أو العثة وهى حشرة مجنحة على نافذة مفتوحة ، فستحدث صوتا يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جدا ولسوف يجيبها هذا الزوج أيضا بطريقته "(١) . هذا ما أثبته العلم وقد أثبت أيضا أن " الجندبة (ابو النطيط) الامريكية (Katydid) تحك ساقيها أو جناحيها معا ، فيسمع صريرها هذا فى الليلة الساكنة على مسافة نصف ميل انها تهز بها ستمائة طن من الهواء ، وتنادى رفيقها .

والفراشة التى تعمل فى عالم آخر من عوالم الطبيعة ، وفى سكوت ظاهر تنادى أيضا مثل ذلك النداء المجاب ! وقبل أن يكتشف الراديو ، كان العلماء يقولون : ان الرائحة هى التى تجذب الفراش الذكر الى أنثاه ، وسواء أكان هذا أم ذاك ، فانها معجزة لأنه لابد للرائحة أن تمضى فى كل اتجاه ، مع الريح أو بدونها ، وفى هذه الحالة يكون على الفراش الذكر أن يتلقى هباءة (ذره) وأن يعرف الاتجاه الذى جاءت منه "(٢) وعليه كما قدمنا لا تزال الفراشة متقدمة على المخترعات الحديثة فى هذا الصدد .

" تلك حقيقة من حقائق العلم الحديث الحاضر ... فكيف يستبعد بجانب هذا الكشف العلمى أن يفتح الله على بعض عباده الممتازين من خلقه بانكشافات علمية عن طريق الوحى ، بينما هم من كملة العقول والاخلاق ؟ لقد أسفر الصبح لذى عينين لا " (ولقد تبين الرشد من الغى) البقرة ٢٥٦ " وإذا صح هذا فى عالم الحيوان ، فهو أولى أن يصح فى عالم الانسان ، حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى وأخذه عنه يكون أتم ، ومن ذلك يكون بطريق الوحى "(٤)

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ١٠٨ .

(٢) كريسى مورسون : العلم يدعو الى الايمان ، ص ١٢٢ .

(٣) الزرقانى : مناهل العرفان ، ص ٧٣ .

(٤) الزرقانى : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

الفصل الخامس

من الأدلة العلمية على امكان الوحي، عجائب المخترعات الحديثة

اذا دخلنا في هذا المحيط فاننا نجد بين ايدينا اليوم وأمام أعيننا كثيرا من المخترعات العلمية الحديثة التي تستعملها بأنفسنا، ونستفيد منها كثيرا في شوءون حياتنا، الأمر الذي يقرب لنا حقيقة الوحي ويوضح لنا تلك الظاهرة ايما وضوح . فها هو اللاسلكي . والمايكرفون، والراديو والتلفزيون ، والفوتغراف باسطواناته ، وأشرطة التسجيل بأنواعها المختلفة، وغير ذلك من الأدوات .

حيث أمكن بواسطة أولئك المخترعات العلمية أن يتخاطب الناس عبر القارات ، بل ولو كانوا في أفاق أبعد من ذلك، في القضاء أو في أعماق البحار بل ولو كانوا في كواكب أخرى غير الأرض ، حيث أثبتت التجربة بمالايدع مجالا للشك هذه الحقيقة، وشاهد الناس كل ذلك وسمعوه ولا أحد من الناس عاقل ينكر ذلك .

وهذه الآلات كلها — كما هو معلوم — من صنع الانسان ، فكيف بالله الذي أوجد ذلك الانسان ... ؟ فهل تراه عاجزا عن أن يوحي الى رسوله عن طريق الملك وغيره بما يصلح البشرية بل والخلق أجمعين في الدنيا والآخرة ويسعدهم فيهما ؟ . كلا انه هو القوي القادر العليم الحكيم ... الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . فكيف يعجز أن يملاء نفوس بعض عباده بكلام منه ، وينفث في روعهم وحيا من لدنه عن طريق الملك وغيره ويسجل ذلك على صفحات قلوبهم الطاهرة ... ؟ !! .

كيف لايقدر على ذلك، وقد استطاع الانسان وهو جزء من خلقه ، أن يملاء

تلك الاسطوانات والاشرطة بالمواد المختلفة وتلك الأدوات تحفظها وتحكيهـــا بدقة واتقان (١) !!

لماذا لانستفيد من هذا التقريب وقد جربنا كل ذلك، والتجربـــة كما يقولون — غير دليل وبرهان، وبين يدينا منها الكثير ؟!

ان التلفــون ليكاد ينطق اعترافا بالوحي واقرارا بأن من يقول به صادق فيما أدعاه وأن الوحي قريب ليس بمستحيل ...

وهو من أقرب تلك الآيات الدالة على امكانه الى متناول أيدى النــاس وأكثرها وجودا فى حياتهم اليومية، فحينما يتخاطب الشخصان القاصى منهمـــا والدانى بواسطته من حيث لايسمع الجالسون — ان كان هناك ثمة أحد موجـود فى مكانى الاتصال التلفونــى وأثناءه غير المتخاطبين — الا أزيزا كدوى النحــل الذى فى صفة الوحــى (٢) وغير ذلك كثـــير ..

فلقد استطاع العلم الحديث أن يصنع الطائرة والصاروخ والقمر الصناعــى الذى يدور حول الأرض كلها فى ساعات قليلة ويرسل بالمعلومات من هناك الــى الأرض حيث مركز انطلاقه . أيستبعدون بعد هذا أن تخاطب السماء مــن فى الأرض ؟! بــل لقد استطاعت تلك الاقمار الصناعية والسفن الفضائيـة أن تغزو الكواكب الأخرى فى هذا الكون الواسع وتأتى منها بالمعلومات الــى هذا الانسان فى الأرض وما رحلة (ابولــو ١١) (٣) الى القمر ببعيدة عن الاذهان

---

(١) انظر الزرقانى : مناهل العرفان ، ص٦٩ — ٧٠

(٢) انظر دراز : النبأ العظيم ، ص٧٥

(٣) سفينة فضاء امريكية وهى أول سفينة فضاء تحط على القمر وقد أتت من هنـاك بدليل حسى صورا وصخـــورا ..

وقد كانت تتلقى التوجيهات من الأرض وبدورها ترسل المعلومات الى الأرض من هناك حيث كوكب القمر . فهل يعجز رب الكوكبين ومن عليهما أن يرسل معلوماته وتوجيهاته وأوامره الى الناس في الأرض بأي وسيلة كانت..

وتلك الطائرات الاستكشافية التي يسمع عنها الناس كل يوم لاسيما في مناطق الحروب من العالم ترسل بمعلوماتها عن الفضاء وغيره والعجيب أنها توجه من جانب الانسان بواسطة (الالكترون) حيث لا قائد لها فهي تنطلق وتعود وتقوم بكل ما هو مطلوب آليا ! فكيف يستطيع الانسان أن يوجه ذلك الجماد ويتحكم فيه ذلك التحكم من ذلك البعد ولا يستطيع بعد ذلك الله رب العالمين أن يوجه من يشاء من عباده الممتازين ؟!

وهذه الغواصات ايضا تجرى في أعماق البحار وتخاطب بعضها البعض في تلك الأعماق السحيقة في تلك المياه الغفيرة وتخاطب أخرى نائية عنها في المحيطات البعيدة كما وتخاطب ايضا أخرى على سطح الماء وكذلك مركز انطلاقها على البر وتخاطبها تلك الجهات أيضا أبعد هذا كله يستبعدون الوحي وينفون امكانه وقد أمكن كل ما ذكرنا بعد أن كان يبدو مستحيلا ! فاذا كان ذلك يصعب على السابقين فيما مضى فاننا اليوم لاشك نستطيع فهم هذه المسألة بسهولة تامه بفضل تلك المخترعات العلمية التي نلمسها كحقيقة ونعيشها كواقع ...

حقا لقد استطاع العلم الحديث أن يخدمنا في هذه القضية، وييسر لنا ادراكها بواسطة تلك الاجهزه التي تقدم ذكرها .

بل هناك ما هو أعجب وأقوى دلالة على امكان الوحي ..

لقد ابتكرت جامعة موسكو آلة نموذجية لالتقاط وقياس (الذبذبات تحت الصوتيـــة)

وهذه الآلـة تستقبل وتلتقط أخبار الفيضانات والزلازل ، وما أشبهها من الكوارث قبل حدوثها بمدة تتراوح بين اثنتى عشرة ساعة ، وخمسة عشرة ساعة .وهى أقوى من الآلات المستعملة خمس مرات[١] .

بل هناك من الأجهزة ماتستطيع أن تدل على صوت ذباب طائر علـى بعد بضعة أميال كأنه يطير عند اذنيـك . كما تستطيع تسجيل وقع شعـاع الشمـس[٢] .

بل ومن الاجهزة العلمية ماوصل التقدم فيه الى حد أنها تسجل صداء الأشعة الكونية فى الفضاء كله[٣] . فاذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة فـى ادعاء انسان أنه يسمع صوتا من لدن ربه لا يدركه عامة الناس مادام من الممكن أن توجد فى هذا العالم حركات واصوات لا تسمعها اذن الانسان ولكن تسجلها الآلات وتسمعها الحيوانات ـ كما تقدم تفصيله فى الفصل السابق .

ان الله لحكمة يعلمها يرسل رسله بوسائل خاصة الى الانسان المختار للرسالة ، بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها .

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص٦١ .

(٢) انظر كريسى موريسون : العلم يدعو الى الايمان ، ص١١٨ و١١٩ .

(٣) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص١٠٧ .

فليس من تصادم — في الحقيقة — بين مشاهداتنا (وبين تلك الحقيقة) فهو واقع من الوقائع الكثيرة التى نشاهدها، ونجربها فى أمكنة وطرق مختلفة، فالوحى امكان وجدناه فى شكل الواقع بعد التجربة •

والعلم دائما فى خدمة الدين والوحى يكون ... بحال والحق دائما لا يصطدم مع الحق •(١)

وكم فى هذه المخترعات الحديثة من دليل ودليل على امكان الوحى وصدقه بجانب ماذكرنا، ولعل ماذكرناه كاف فى هذا المقام ولكن امعانا منا من بيان هذه الحقيقة وتوكيدها رأيت أن أزيد فى الامثلة مستفيدا من الخدمة التى تقدمها لنا هذه المخترعات الحديثة فى هذا الصدد فى مجال آخر وهو مجال تصديق تلك الاجهزة لبعض القضايا التى جاء بها الوحى والمختر قضية اثبتها جميع الرسالات السماوية (٢) وهى قضية القيامة واليوم الآخر والثواب والعقاب المترتب على الأعمال الدنيوية حيث جاء العلم يؤكد هذه الحقيقة (الغيبية) وبسط ذلك فيما يلى :

ان أول سائل الآخرة، والطرق الموءدية اليها هى مسألة الموت، ولقد حاول الذين لايوءمنون بما بعده من غيب أن يجعلوا هذا الكون أبديا، ولهذا فقد بحثوا كثيرا عن اسباب الموت حتى يحولوا دون وقوعها ليخلدوا الحياة ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا، وكلما عنوا فى هذا الأمر رجعت اليهم بخوثهم

---

(١) انظر وحيد الدين خان : المصدر نفسه ص١٥٨.

(٢) لا ... عن ذهن القارئ أن التوراة والانجيل والقرآن كلها فيها من النصوص ما ... بقضية الآخرة ومايتعلق بها •ولسنا فى حاجة الى اثبات ذلك •

بنتيجة جديدة بتأكيد حتمية الموت وان ليس منه بد .

ولقد تعرض لبحث هذه المسألة في مقال له طويل (بعنوان الزمن الداخلى) الدكتور (الكسيس كاريل)[1] فذكر اخفاق البحوث التى قدمت والجهود التى بذلت في هذا الأمر ثم قال :

" ان الانسان لن يسأم أبدا من البحث عن الخلود والسعى وراءه مع انه لن يظفر به الى الأبد ، فتركيبه الجسمانى يخضع لقوانين معينة، انه يستطيع أن يوقف الزمن (الفسيولوجى) لأعضاء الجسد ، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة[2] ولكنه لن يتغلب على الموت أبدا "[3] لا يفوتنى أن انوه أن هذه البحوث كلها تجريبية تمت بواسطة الأجهزة لدقة الأمر ..

اما المسألة الثانية من سائل الآخرة فهى نهاية هذا العالم حيث أن الناس لا يموتون فى وقت واحد هكذا موتا طبيعيا كما هو مشاهد ولكنها لم تعد مسألة غير مفهومة على أية حال . فنحن على علم بالقيامات الصغرى التى تقع على سطح الأرض ممثلة فى الزلازل وهى التى ستحدث مرة أخرى على نطاق أوسع حتى تعم الكون كله ، فبطن الأرض يحتوى على مادة شديدة الحرارة نشاهدها عندما يتفجر البركان ، ولا يملك الانسان شيئا يقاوم به هذه الزلازل ، فهى نذير يذكره دائما بأنه يعيش فوق مادة حمراء ملتهبة جهنمية لا يفصله عنها سوى قشرة جبلية رقيقة ، لا يزيد سمكها عن خمسين كيلو مترا وهذه القشرة ليست بالنسبة للكرة الأرضية ، الا بمثابة القشرة من ثمرة التفاح .

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انه لا يؤخر الموت ولكنه العلاج من المرض لأن الانسان قد يموت بدون المرض فى الحوادث المختلفة .

(٣) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص٨١ .

يقول عالم الجغرافيا (جورج جاموف):

" ان هناك جهنم طبيعية تلهب تحت بحارنا الزرقاء، ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان ، وبكلمة أخرى تحت واقفون على ظهر لغم (ديناميت) عظيم ومن الممكن أن يتفجر فى أى وقت ليدمر النظام الأرضى بأكمله "(١)

وهذه الزلازل تجتاح جميع نواحى الأرض ، ولا تخلو وسائل الاعلام فى كل يوم من نقل خبر عنها ، على أنه يكثر وقوعها فى الأماكن التى توجد بها البراكين لأعتبارات جغرافية .

ولعل اسوأ زلزال فى التاريخ هو ما وقع فى اقليم (شنسى) فى الصين عام ١٥٥٦ م ولقى فيه أكثر من ثمانية ملايين نسمة حتفهم ثم زلزال لشبونة عاصمة البرتغال سنة ١٧٥٥م الذى دمر المدينة ومات فيه ثلاثون الفاً فى دقائق وقيل ان هذا الزلزال قد هز اوربا كلها كذلك ماوقع فى ولاية آسام الهندية ١٨٩٧م الذى غير اتجاه النهر العملاق (برهام بوتسرا) وبرزت هضبة (افرست) بجبال الهملايا مرتفعة مائة قدم .(٢)

وليس ببعيد عن الازمان الزلزال الذى وقع فى مدينة اصنام الجزائرية وقتل ثلاثين الفاً من الناس فى هذا العام ١٩٨١ وكذلك الذى وقع فى ايطاليا فى هذا العام نفسه .

ان هذا الزلزال فى الحقيقة ليس الا قيامة ولكن على نطاق غير واسع ان الزلازل لاتقرع الابواب الا ... وسوف تفاجئنا غدا على حين غرة فالكون

---

(١) المصدر السابق ص٨٢

(٢) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص٨٢

فضاء لا حدود له تدور فيه نيران هائلة كثيرة ممثلة في النجوم السيارة التي تدور على سطح معين بأقصى سرعة يمكن تخيلها للانسان وهذا الدوران يمكن أن يتحول في يوم من الأيام الى صدام عظيم لا يمكن تصوره وفي تلك اللحظة الرهيبة يكون ما في الكون أشبه بآلاف من القاذفات النفاثة المليئة بالقنابل النووية وهي تواصل رحلتها في الجو ثم تصطدم كلها مرة واحدة • واصطدامها ليس بغريب مطلقا ولكن الغريب هو عدمه فعلم الفلك يؤكد امكان ذلك • وذلك الامكان بعينه هو ما نسميه بالقيامة وسوف يكون غدا في صورة الواقع (١) •

أما الحياة بعد هذا الموت ولا أرى صعوبة البتة في امكانها وقد أمكن ذلك في البدء فكيف تصعب الاعادة ؟ ! ليس هذا فحسب بل ان نصفه موجود لم يفن وهو الروح (٢) فالانسان كما هو معلوم روح وجسد والذي يفنى فقط هو الجسد ، فكيف يصعب ايجاد بعضه وقد أوجده كله من قبل ، ولنفصل هذه النقطة فنقول :

" من المعلوم ان الجسم الانساني يتألف من اجزاء (ذرات) تسمى الخلايا ، ومفردها خلية (Cell) وهي ذرات صغيرة جدا ومعقدة يزيد عددها في الجسم الانساني العادي على ٢٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ خلية ويبدو أن هذه الخلايا مثل الطوب الصغير، يتبين منه هيكل اجسامنا •

ولكن الفرق بين طوب اجسامنا والطوب الطيني شاسع جدا ••فطوب الطيني الذي يستخدم في العمارات يبقى كما هو •••بينما يتغير طوب هياكلنا

---

(١) انظر المرجع نفسه ، ص ٨٢–٨٣ بتصرف يسير .

(٢) وقد أخبر القرآن بذلك حيث يقول تعالى (وهو الذي خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وغير ذلك كثير من الآيات ••

فى كل دقيقة، وفى كل ثانية، ان خلايا اجسامنا تنقص بسرعة، كالآلات التى تتآكل باحتكاكها واستهلاكها، ولكن هـذا النقص يعوضه الغذاء، ... فالجسم الانسانى يغير نفسه بنفسه بصفة مستمرة، وهو كالنهر الجارى ... لا يمكن أن نجد به نفس الماء الذى كان يجرى فيه منذ برهة ... ومع ذلك فهو نفس النهر الذى وجد منذ زمن طويل ... حتى أنه يأتى وقت لا تبقى فيه أى خلية قديمة فى الجسم ... (و) هذه العملية تتكرر فى الطفولة والشباب بسرعة ثم تستمر ببطء ملحوظ فى الكهولة، ولو حسبنا معدل التجدد فى هذه العملية فسوف نخرج بأنها تحدث مرة كل عشر سنين، .... ولكن الانسان فى الداخل لا يتغير بل يبقى كما كان، علمه، وعاداته، وحافظته، وأمانيه، وأفكاره، ... ولو كان الانسان يفنى بفناء الجسم، لكان لزاما أن يتأثر على الأقل بفناء الخلايا وتغيرها الكامل، .... ولو كان الموت فناء للانسان فمن الممكن أن نقول – بعد كل مرحلة من مراحل حدوث هذا التغيير الكيماوى الذى يجرى فى الجسم – أن الانسان قد مات وأنه يعيش حياة أخرى جديدة بعد موته، ومعناه أن الرجل الذى أراه فى الخمسين من عمره وهو يمشى فى الشارع على رجليه، قد مات خمس مرات فى هذه الحياة القصيرة ... فكيف استطيع أن اعتقد بأنه مات فى المرة السادسة على وجه اليقين ؟ ولا سبيل له الآن الى الحياة ؟ "(١)

لا يفوتنى أن اذكر بأن هذا كله قد اكتشف وعرف بواسطة الاختراعات العلمية الحديثة الممثلة فى الاشعة فان الانسان بفضل هذه الاشعة استطاع

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص٨٤و٨٥ .

أن يرى ماتحت ستار الجسم ويكشف له مابداخل الانسان من عظام واعصاب وشرايين رفيعة وخلايا أدق ، فهل يعجز المولى عز وجل أن يكشف لعبد من عبيده بواسطة أو غيرها عما يريد فى هذا الكون وماوراء هذا الكون ؟!

ان بقاء الروح فى الحقيقة لا يحتمل جدلا (وقد "أثبتت البحوث الروحية (Psychical Researches) الحياة بعد الموت على المستوى التجريبى والعلمى "[1])

هذا ... ولقد بقى لنا من قضية الآخرة مسألة المجازاة ، الحساب والعقاب اللذان يترتبان على العمل " وهذا الجزء ... يكاد يتضح جليا حين نعلم أن اعمال كل انسان تحفظ وتسجل بصفة دائمة ... وللانسان ثلاثة ابعاد يعرف من خلالها هى : نيته وقوله وعمله وهذه الابعاد الثلاثة تسجل بأكملها ..... فى الأثير (الفضاء) ويمكن عرضه فى أى وقت من الأوقات بكل تفاصيله ..... لقد اثبتت التجارب العلمية أن جميع افكارنا تحفظ فى شكلها الكامل ولسنا قادرين على محوها ابدا ، واثبتت التجارب أيضا أن الشخصية الانسانية لا تنحصر فيما نسميه (الشعور) بل هناك اجزاء أخرى من الشخصية الانسانية تبقى وراء الشعور .... الذى يحفظ كل مانفكر فيه أو ننتويه "[2] ويورد الاستاذ وحيد الدين خان قول (فرويد) فى محاضراته الحادية والثلاثين " ان قوانين المنطق بل أصول الاضداد ايضا ، لا تقول دون عمل (اللاشعور) و... المعانى المتناقضة موجودة فيه جنبا الى جنبه دون أن تقضى واحد منهما

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ...دين خان : الاسلام يتحدى ، ص٨٦ .

على الأجّى ، ولا شيء في اللا شعور يشبه أن يكون (رفضا) لشيء من هـذه المتناقضات ..

.... ان الدوافع الحيـ (Conative impulses)

التى لم تخرج قط عن اللا شعور ، وحتى التأملات الخيالية التى دفنت فـى اللا شعور تكون أزلية فى الحقيقة والواقع وتبقى محفوظة لعشرات السنين وكأنها لم تحدث الا بالأمس ،(١) وصدق الله العظيم حيث يقول : (ولقد خلقنـا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق : ١٦

أما سأله القول " فجميع ما نلفظه من كلام ، حسنا كان أو قبيحـا حمدا ، أو سخطا ، .... كل ذلك يحفظ في سجل كامل : (مايلفظ فى قـول الا لديه رقيب عتيد) ق : ١٨ وهذا السجل سوف يعرض أمام محكمة الآخـرة ليتم حساب الانسان ..

وامكان وقوع هذا لا ينافى العلم الحديث فنحن نعرف قطعـا أن أحدا عندما يحرك لسانه ليتكلم ، يحرك بالتالى موجات فى الهواء كالتى توجـد فى الماء الساكن عندما ترى فيه بقطعة من الحجر ، .. انك لو وضعت جرسـا كهربائيا فى زجاج محكم الاغلاق من كل جانب ، ثم تضغط عليه ، فلن تسمع صوته رغم ان الجرس على مرأى منك — لأن لا يرسل الموجات الى الخارج ...فهـو مكتوم داخل الزجاج ، وهذه الموجات فى الظروف العادية تصطدم بطبلة الاذن التى تقوم آليا بارسال هذه الموجات الى العقل ، فما نفهمه من المعنى يسمى سماعا . ولقد ثبت قطعيا أن هذه الموجات تبقى كما هى فى الاثير الى الابـد

---

(١) المصدر نفسه ص٨٧

بعد حدوثها للمرة الأولى ، ومن الممكن سماعها مرة أخرى ، ولكن علمنا الحديث عاجز حتى الآن عن اعادة هذه الاصوات أو بعبارة اصح عن أن يضبط هذه الموجات مرة أخرى مع أنها لا تزال تتحرك فى الفضاء من زمن بعيد • ولم يبد العلماء اهتماما خاصا بهذا المجال حتى الآن بعد أن سلموا — نظريا — بامكان ايجاد آلة لالتقاط اصوات الزمان الغابر كما يلتقط المذياع الاصوات التى تذيعها محطات الارسال ، ..... (وذلك) لاينفى وجود ملائكة لله — أو بلفظ آخر — وجود سجلين غير مرئيين ، ينقشون على صفحة الفضاء كل ما ننطق به من كلام" (١)

أما مسألة العمل فان " معلوماتنا فى هذا الصدد تصدق بصورة مدهشة امكان حدوث الآخرة فالعلم الحديث يؤكد ايمانه بأن جميع اعمالنا — سواء باشرناها فى الضوء ، أم فى الظلام ، فرادى أم مع الناس — ...... موجودة فى الفضاء فى حالة الصور ، ومن الممكن فى أية لحظة تجميع هذه الصور حتى نعرف كل ما جاء به انسان ما فى اعماله .. طيلة حياته فقد اثبتت البحوث العلمية أن كل شىء — حدث فى الظلام أو فى النور جامدا أو متحركا — تصدر عنه (حرارة) بصفة دائمة فى كل مكان ، وفى كل حال ، وهذه الحرارة تعكس الاشكال ، وابعادها تماما كالاصوات التى تكون عكسا كاملا للموجات التى يحركها اللسان ، وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التى تخرج عن أى كائن وبالتالى تعطى هذه الآلة صورة فتوغرافية كاملة للكائن حينما تخرج منه الموجات الحرارية (Heat waves) ومثاله اننى أكتب الآن

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص٨٩

في مكتبتي وسوف اغادرها بعد ساعة ، ولكن الموجات الحرارية التي خرجت من جسدي اثناء وجودي ها هنا ستبقى دائما ، ويمكن الحصول على تسجيل كامل لجلستي في المكتبة، في أي وقت بواسطة تلك الآلة ، غير أن الآلات التي تم اختراعها الآن لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية الا خلال ساعات قليلة من وقوع الحادث . أما الموجات القديمة فلا تستطيع هذه الآلة تصويرها لضعفها ..

وتستعمل في هذه الآلة (اشعة انفرار) التي تصور في الظلام والضوء على حد سواء ، ولقد بدأ العلماء في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية استغلال هذه الآلة في تحقيقاتهم ، وذات ليلة حلقت طائرة مجهولة في سماء نيويورك ، فصوروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهذه الآلة ، وأدى ذلك الى معرفة طراز الطائرة ونوعها "(١)

وهكذا يجد كل امرئ عمله يوم القيامة محضرا .. حتى يقول بعضهم (ياويلتنا !! ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها ؟ الكهف : ٤٩ ..

وهكذا اعطانا العلم الحديث بواسطة مخترعاته واجهزته الحديثة تقريبا لمسألة الوحي وتأكيدا لبعض قضايا جاء بها الوحي . الامر الذي لا يدل على امكانه فحسب بل وعلى وقوعه فعلا فسقط قول المنكرين .

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى : ص٨٩ .

الفصل السادس

فى بيان الدليل العقلى على امكان الوحى ووقوعه فعلا ..

ان الدليل العقلى يبنى على تلك الادلة المتقدمة ، حيث ثبت هناك بما لايدع مجالا للشك أن الوحى ممكن وقريب الوقوع (١) •

اذا كان كذلك فاننا نقول — وبكل تأكيد — أن ذلك الممكن قد وقع فعلا ..

فهذا هو التاريخ المتواتر مازال يحدثنا ويخبرنا على مدار الايام أنه قد ظهر فى الأمم القديمة أناس يدعون أن الله الخالق لهذا الكون قد أرسلهم الى أقوامهم (٢) ليرشدوهم الى عبادته ، ويوجهوهم الى الخير والفضيلة وينهوهم عن الشر والرذيلة ، وليبينوا لهم معالم الطريق السوى ليسيروا على ضوئها فى معاشهم ومعادهم وكل مايتعلق بحياتهم كلها ومابعدها ، وبالجملة ليسيروا بهم الى التسليم والانقياد التام لله عز وجل — فى السر والعلن — وكلهم قد جاء بذلك لاغيره ..

ويخبرنا التاريخ أن هؤلاء النفر من الناس يسمون بين قومهم بالانبياء وهؤلاء الرسل لم يكونوا الا ممن عرفوا بالصدق فى القول والعمل ، وحسن السيرة فى كل شيء — (٣) مع قمة العفة ، والأمانة ، وذروة الفطانة ومنتهاها ولم يؤثر عنهم أنهم كذبوا على أحد ، أو كان فيهم مايشين ، بل كانوا دائما من الصفوة الممتازة من البشر ، والمثل الأعلى فى المروءة والفضيلة والرجولة كلها

---

(١) انظر الفصول ، الثالث ، والرابع ، والخامس .

(٢) قبل أن يرسل الى العالمين محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) انظر فاضل صالح السامرائى : نبوة محمد من الشك الى اليقين ، ص ٣٩ •

ويخبرنا التاريخ " أنهم لم يكونوا فيمن بعثوا فيهم بالأقوى سلطانا ولا بالأكثر مالا ، ولم يختصهم أحد بالعناية بهم لتعليمهم علم ما دعوا اليه وغاية الأمر أنهم لم يكونوا من الأدنين الذين تعافهم النفوس ، وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ، ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بالدعوة الى الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم من عروشهم "(١)

فقد كانوا كما يخبرنا التاريخ مزودين بقوى غيبية يعجز عنها بقية البشر وتلك كانت دليل صدقهم في نبوءتهم ، كاخبارهم بالغيوب ، أو قيامهم بأعمال خارقة كابراء الاكمة والابرص ، واحياء الموتى ، أو قلب العصا حية ، وفلق البحر وتكثير الطعام ، وأن يحول الله من أجلهم الاشياء الى اضدادها كأن تكون النار بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ، الى غير ذلك ، .. اضافة الى ما يحملونه من أفكار تمثل مضمون دعوتهم الذي يرتضيه كل ذى عقل سليم وفطرة نقية .(٢)

فكان ذلك ونحوه دليلا تصاغرت دونه قوة المعارضة ، وتقاعست امكاناتها فثبتت بعد ذلك في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطر ، وكان الخير لأممهم في اتباع ماجاءوا به ، حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة ماكانوا قايمين عليها ، ورزأهم الضعف ، وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها وخلطوافيها هذا ... وما أقاموه من الأدلة عند التحدى لا يستقيم معه عقل أن يكونوا

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ، ص١٠٨

(٢) انظر السامرائى : المصدر السابق ص٣٩

كاذبين فى حديثهم عن الله ولا فيما أدعوه من أنه كان يوحى اليهم ، هذا ولقد بقى ذكرهم فى الناس حتى اليوم على أن من لا يعتقد مايقول لايبقى لمقالة أثر فى العقول ، فالباطل لا بقاء له الا فى الغفلة عنه ، كالنبات الخبيث فى الأرض الطيبة ... ولكن تلك الديانات التى جاء بها أولئك الانبياء قامت فى العالم الانسانى ما شاء الله لها أن تقوم مما قد رلها مع كثرة المعارضين وقوة سلطانهم فلا يمكن أن يكون أسها الكذب ، ودعامتها الحيلة (١) .

فهل تراهم بعد ذلك كله كاذبين ؟ أو لعلك تراهم قد تواطئوا على الكذب ؟ ولكن أنى لهم ذلك والحال أنهم فى أزمنة متباعدة لم ير بعضهم بعضا فى الغالب ، مع كون ذلك صعب لو افترضناه لكثرتهم المتناهية . التى يستحيل معها التواطوء ! ولو جئنا بعد ذلك كله فتسلمنا جدلا أنهم كاذبون فكيف يمدهم الله ويؤيدهم وينصرهم وهم كاذبون ؟ ..

" ان الحكومة اذا ارسلت مندوبا عنها الى منطقة من المناطق يحمل أوامرها ثم اعترضته بعد العقبات ، فاتصل بالحكومة لطلب العون فجاءته النجدة الحكومية والقوة المساندة الا يثبت ذلك أنه حقا مرسل من طرف الحكومة ؟ ! ان أى عاقل لايشك فى ذلك "(٢)

وقد أيد الله رسله بمعجزات يفوق ذكرها الحصر . مما يؤيد صدق أولئك الأخيار الذين ماعرف عنهم غير الصدق فى القول والاستقامة فى العمل فكيف يتركون الكذب على الناس ، و[illegible]رونه على الله ؟ ! ومن يصدق اذن اذا

---

(١) انظر محمد عبده : المصدر السابق ص ١٠٨

كان أولئك كاذبين ؟![1]

" ونحن اليوم نرى أناسا من بيننا ممن عرفوا بالصدق وشبوا عليه وأثروه يصدقهم الناس فيما يقولون ويعسر علينا تكذيبهم لما لمسنا منهم في حياتهم الطويلة من ايثارهم للصدق وان أضر بهم، وابتعادهم عن الكذب وان جر منفعة لهم ... لاننا نعلم أن الذي يعتاد الصدق وينشأ عليه ويتخذه منهجا له يصعب عليه أن يكذب وذلك شأن الانبياء فانه من الصعوبة تكذيبهم لما عرف عنهم من الصدق والتزام ذلك البتة، بل انهم أعلى الخلق صدقا وخلقا "[2]

هذا " وقد شاهد الوحي معاصروه ، ونقل بالتواتر المستوفى لشروطه بما يفيد العلم القطعي الى الاجيال اللاحقة، ولمست الانسانية أثره في حضارة أمته وقوة اتباعه ، وعزتهم ما استمسكوا به ، وانهيار كيانهم وخزلانهم ما فرطوا في جنبه ، مما لايدع مجالا للشك في امكان الوحي وثبوته "[3]

يعزز هذه الحقيقة شهادة البلايين المكروه من البشر آمنوا بالوحي والانبياء ومازالوا يؤمنون حق الايمان . ومنهم العلماء والحكماء واصحاب العقول الجبارة من العباقرة والافذاذ في شتى الميادين العلمية مايفوق عددهم الحصر ، وذلك من أعظم الشهادات وأقوى الأدلة وأوكدها لأن هؤلاء تتعذر الاحاطة بهم علما — فلا يعلم عددهم الا الله — وهم الأغلبية في هذا الكون بغض النظر عن اختلافهم ، في حالات الوحي عند بعض الناس وتفسيرهم له فشاهدنا في أنهم يؤمنون بأن هناك وحي من الله تعالى الى عباده المرسلين

---

(١) انظر السامرائي : المصدر السابق ص٣٩.

(٢) السامرائي : المصدر نفسه ص٣٩و٤٠ .

(٣) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص٣١و٣٢ .

وهذا — لعمرى — من أقدم الادلة للعقول وأكثرها طمأنينة للقلوب فلا يقبل العقل أن تكون هذه الكثرة الكاثرة من الخلق عبر هذه الازمان الغابرة والحاضرة مخطئة وغيرها مصيب (١) ٠

" ثم نظرة من ناحية أخرى : اننا نرى الكون ذو نظام ودقيق وضعت له كل العوامل التى تهيء للحياة على الأرض وبالتالى لظهور الانسان السيد على الأرض ، والكون مخلوق مسخر للانسان ٠ قال تعالى : " وسخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض جميعا منه " (٢) ٠ فليس من المعقول أن يجعل الله هذا النظام الدقيق المحكم لظهور الانسان ويترك الانسان نفسه بلا نظام ولا قانون ٠٠

انه من تمام الانسجام أن يضع الله للبشر تشريعا ينظم علاقاتهم مع الله والناس تشريعا يسيرون عليه كما وضع النظام للكواكب والشمس والقمر وكما رسم السنن لهذا الوجود ٠٠

لذا نرى أن النبوة ضرورة لا معدل عنها ، ولم يقدر الله حق قدره من يدعى أن الله لم يرسل نبيا ٠ اذ معنى ذلك أن الله — سبحانه — رضى لخلقه أن يتخبطوا ويتفرقوا (فى كل اتجاه) ورضى لخلقه أن يسير بهم الضلال فى كل مركب وأن يكلهم الى انفسهم مع انهم غير مزودين للوصول الى الكمال أو ما يقارب من ذلك (٣) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ٠٠

" وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء " (٤) ٠

---

(١) انظر ابو بكر الجزائرى ، عقيدة المؤمن ، ص٢٩٩ ٠

(٢) الجاثية : ١٣ ٠

(٣) السامرائى : المصدر السابق ، ص٤٤و٤٥ ٠

(٤) الانعام : ٩١ ٠

ان هناك اسئلة كثيرة في الحقيقة قد تبدو وتجول في اذهان الكثيرين منها على سبيل المثال لماذا نعيش ؟ لماذا نموت ؟ وما الذي ينتظرنا بعد الموت ؟ ومن هو خالقنا ؟ وما الذي يرضيه عنا ؟ وما الذي يغضبه منا ؟ ما الذي يصلح احوال الناس ؟ وينقذهم من الفساد ؟ وغيرذلك من الاسئلة وكلها محيرة تحتاج الى أجوبة شافية لايستطيع انسان أن يجيب عليها وسيظل الناس في حيرة يتخبطون في الاجابة عنها ولن يجدوا لها من اجابة الا بتعليم من خالقهم [1]، وذلك مالا يتأتى الا بارسال الرسل واعطائهم هذه المعلومات عن طريق الوحي .

" واذا كنا نقرر عجز وتقصير أي شركة صناعية لا ترسل البيانات الموضحة لفائدة وعمل مصنوعاتها عند ارسال هذه المصنوعات للناس ، فان خالق الانسان المفكر هو الكامل الذي لايعجزه ولا ينقصه شيء ، ومن كمال قدرته وحكمته أنه لا يخلق انسانا مفكرا متسائلا عن خالقه ، وصفاته والحكمة من خلقه ومصيره وغيرها ثم يتركه لحيرته دون هدى أو بيان " [2]

لا ريب أن الذي أحسن كل شيء خلقه ، وأبدع في كل كائن صنعه وجاد على كل حي بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيرا ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذي أجاد صنعه ، وأقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره أن ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط [3] "

---

(١) انظر الزنداني : التوحيد جـ٢ ص٤٤—٤٧ .

(٢) الزنداني : توحيد الخالق جـ١ ص٧١ .

(٣) محمد عبده : رسالة التوحيد ، ص٩٥ .

ان التصديق بالوحي والاعتراف بالنبوة والايمان بهذا المبدأ ليس بالصعب على العقول أن تدركه مادمنا قد أقررنا بوجود الخالق الأعظم ومادمنا اقتنعنا بأنه على كل شيء قدير، فاذا كان كذلك فله أن يصطفى من عباده مايشاء ليبلغ عنه قراره للناس ، فليس هناك مستحيل وغير ممكن على الله !

" أما وجود بعض الأرواح العالية وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة فيه بعدما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم ، قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ماهو الطف من المادة وان غيب عنا ، فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهى ؟ وأن يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه ؟ فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته ".(١)

وقد تواتر الخبر بهذا مع كونه " قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم محمد — صلى الله عليه وسلم — وكل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت وذلك هو المطلوب ، أما الدليل على أنه أخبر بوقوعه الصادق المعصوم (فما مر عليك من أنباء الوحي فى الكتاب والسنة) وأما الدليل على أن كل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت، فان ذلك هو مقتضى الصدق والعصمة، وأما الدليل على أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — صادق معصوم فانما هى المعجزة القائمة "(٢) الممثلة فى هذا القرآن الكريم وسيكون لنا حديث عن بيان هذا الاعجاز فى غير هذا المكان من الرسالة على أنه يكفينا

---

(١) محمد عبده : المصدر نفسه ص١٠٥ .

(٢) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص٧٣ .

منا أن نقول أنه قد تحدى به الانس والجن منذ أربعة عشر قرنا خلت أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، أو سورة من مثله ولم يستطع أحد حتى الآن أن يأتي بشيء منه ولن يستطيع أحد أن يفعل ومازال الباب مفتوحاً على مصراعيه لمن يتحدى ، الا هل من متحدى ؟!!

الباب الثالث

في الرد على الزاعمين بأن هذا القرآن من الانتاج الذاتي لمحمد – صلى الله عليه وسلم – ويشتمل على :

* توطئـــة
* التحدي ينفي ذلك
* اميته – صلى الله عليه وسلم
* صدقه – صلى الله عليه وسلم
* عدم تحكمه صلى الله عليه وسلم في الوحي
* البشارات في الكتب القديمة
* آيات قرآنية تنفي أن يكون هذا القرآن من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

* **
*

توطئـــــة

أرى من الواجب — قبل الرد على هذا الزعم — أن أقيم الدعوى على أصحابه ... ولن أتعب كثيرا — والحمد لله — في تحقيق هذا الفرض، فما أكثر وروده في كتبهم! على أنني لست في حاجة ماسة الى احصاء أولئـــــك الزاعمين وحصرهم، ولا الى تعداد تلك الكتب كلها . ولكنني سأشير فقط الـى البعض ممثلا بالقدر الذى تقوم به ضدهم الحجة، وتثبت به عليهم الدعوة مـن الناحية العلمية، على بينه وشاهد من انفسهم ... وكان لابد من التثبت مـن هذا الامر بهذه الطريقة حتى يتأكد القارىء أن ذلك الزعم قد قيل فعـــــلا أو أنه على الأقل موجود في الساحة، فلا يظن ظان أنني أتوهم مثل هـــــذه المفتريات، وأتى بها من عندى ...

ذلك ماحرصت عليه فيما سبق، وما سأعمل جاهدا — بعون الله — على توفره في هذه الرسالة كلها ..

ولقد كان أكثر ماورد ذلك الزعم في كتابات المستشرقين ومن لف لفهم ..

من ذلك على سبيل المثال مانصه :
Mohammed or Muhammed.
Religious Leader and Author of The Koran.
وترجمته هى : " محمد زعيم دينى ومؤلف للقرآن "(1) وانظر مثل هذا المعـــنى (ليوليوس فلها وزن)(2) في كتابه تاريخ الدولة العربية(3) و(جوستاف لبون)(4)

---

(1) The Readers Companion to World Literature, Hornstein, Percy, Brown, P. 296

(2) الماني الاصل ١٨٤٤—١٩١٩ اشتهر بتعصبه ضد الاسلام وتشويه مبادئه ومن كتبه (تاريخ اليهود).

(3) ص٨ .

(4) من كبار المستشرقين الذين يدعى أنهم منصفون ولكنهم يخلطون السم بالدسم .

فى كتابه حضارة العرب[١] حيث وردت لفظة تأليف القرآن ، وكذلك فى كتابه حياة الحقائق[٢] الذى وردت فيه جملة موءسسى الديانات ، وقد جاء بمحمد — صلى الله عليه وسلم — كمثال .. وكذلك انظر هذا المعنى فى دائرة المعارف السوفيتية[٣] وأيضا للمستشرق (جب)[٤]

تجد مثل هذا المعنى[٥] . وكذلك تجد المستشرق (ا . ج آربرى)[٦] يقول بهذا ايضا[٧] وكثيرين غير هوءلاء قد نشير الى بعضهم فيما بعد اذا مافصلنا أكثر .. على أنهم ورغم كثرتهم هذه — وذلك مما يثير العجب — فانهم لم يأتوا بجديد فى هذا الأمر — كما سندلل بعون الله تعالى — وانما سبقهم اليه المشركون فى الجاهلية الأولى ، أولئك الذين عاصروا نزول هذا القرآن ... فليس هوءلاء هم أول من جاء بهذا الزعم ، وانما هم ينسجون على منوال قديم ، وليس أدل على ذلك من القرآن الكريم نفسه[٨] وهو يخبر بحال المشركين الأولين عندما

---

(١) ص ١١١ .

(٢) ص ٦٨ أورد ذلك عنه مصطفى صبرى : فى موقف العلم ، انظر ص ٥٨/٤

(٣) ص ١٢/ ٥٦٤ وقد جاء ذكر ذلك فى كتاب الدكتور عبد الرحمن عميره : المذاهب المعاصرة انظر ص ١٤٧ .

(٤) من مستشرقى انجلترا كان عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر وعمل فى جامعة هارفرد الامريكية ومن كبار محررى دائرة المعارف الاسلامية

(٥) H.A.R. Gibb, Mohammedanism: Oxford, 1950, 25

(٦) انجليزى معروف بالتعصب ضد الاسلام والمسلمين ومن محررى دائرة المعارف الاسلامية عمل فى جامعة كمبروج ..

(٧) The Holy Koran, 1953, 32.

(٨) انى حينما استشهد بالقرآن لا اقصد بذلك الناحية الدينية وانما اقصد الاستدلال من الناحية التاريخية فقط فالقرآن لا شك أوثق كتاب تاريخى يخبر بصدق عن ذلك العهد ..

كان يتلى عليهم كتاب ربهم حيث يقول تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) [(١)] والرسول — صلى الله عليه وسلم — انما أرسل بهذا القرآن — فى اعتقادنا — ولا ريب أن نفيهم عنه الرسالة يعنى فى المقام الأول أن مصدر هذا القرآن ليس هو الله تعالى كما أخبر بذلك محمد — عليه الصلاة والسلام — وما هم يقولونها صريحة حيث ينفون بشده أن يكون ماجاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — صادرا من عند الله تعالى قائلين فى عتو واستكبار (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) [(٢)] وعليه فما محمد — عليه الصلاة والسلام — فى زعمهم الا كاذب مفتر ، وما القرآن الا افك مفترى [(٣)] (فيما يدعون (

وهاهم يحددون بزعمهم تلك الجهة التى يرون أنها مصدر هذا القرآن بقولهم (ان هذا الا قول البشر) [(٤)] ولازم هذا القول يوصلنا الى نتيجة هى : أن ذلك البشر لا يعدو أن يكون هو محمد — صلى الله عليه وسلم — وقد نتج هذا القرآن ووضعه فى نفسه ، وهذا مانحن بصدده دفعه فى هذا الفصل ، أو انسان آخر أخذ عنه ومنه تعلم محمد — عليه الصلاة والسلام — وحاشاه — وهذا الجزء الأخير من النتيجة محل دفعه — ان شاء الله — فى المباحث الذى يلى هذا ..

---

(١) الرعد / الاية ، ٤٣ .

(٢) الانفال : آية ، ٣٢ .

(٣) (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه) الاية من سورة الفرقان آية : ٤ .

(٤) المدثر : آية ، ٢٤ .

الفصل الأول

التحدى ..

ان القرآن الكريم يحمل دليله فى ذاته، فهو البرهان، وهو الحجة على أنه من عند الله تعالى، يتمثل ذلك فى هذا التحدى الذى جاء فيه للعالمين أن يأتوا بمثله أو بشىء منه، أو من مثله، متدرجا معهم فى ذلك حتى اعجزهم[1] ومازال هذا التحدى قائما منذ اربعة عشر قرنا من الزمان خلت، ولم يستطع مخلوق ما الى هذا الوقت أن يكسر هذا التحدى، ويبطل ذلك الاعجاز، وأقولها بملء فى: انه لن يستطع أحد ذلك أبدا، وأنى له وقد عجز العرب الأولون، وهم أرباب البلاغة، وأساطين الفصاحة والبيان فلا ريب أن غيرهم لأن من جاء بعدهم منهم تعلم وعنهم أخذ، وليس المتعلم كالمعلم، وعليه فالفرصة الآن اضيق، وهى تضيق كل يوم، والاحتمال اضعف بكثير مما كانت عليه الحالة فى ذلك العهد الأول، حيث أن سوق البيان اليوم كاسدة والناس قليلوا البضاعة فيها علاوة على فساد تلك البضاعة، ومن يرى غير ذلك ويظن أن بامكان أن يعارض هذا القرآن يجد فى قلبه ثمة شك تجاه هذه

---

(١) (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) الطور: ٣٣ — ٣٤ . (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) هود: ١٣ (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) البقرة: ٢٣ .

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الاسراء: ٨٨

الحقيقة ، ويحس في قرارة نفسه بقوة تؤهله الى ذلك ، فليجرب فان باب التحدى مازال مفتوحا على مصراعيه ، الا هل من متحد ؟ الاهل من معارض؟ فان القرآن في ساحة الميدان ...

ولكن قبل أن يقدم على هذه المغامرة الكبرى لنذكره بشيء ، فان الذكرى قد تنفعه ، وعلى كل حال فله منا واجب النصيحة، حتى يوفر على نفسه مايمكن أن يبذله من جهد .. فنقول له : أيها المغامر المجهول ! ما بال الأولين قد رأوا : أن القتال عن ذلك أسهل ؟!

وأن الموت دونه أفضل !؟ فمالوا الى التحدى في الحرب، وآثروا نزل السيف والطعان على المبارزه في الكلمة والبيان ، وهم فرسان ذلك وأهله ؟! مع كونه قد أثار حفائظهم ، حيث طالبهم به مرات عديدة ـ كما هو واضح من آيات التحدى ـ الأمر الذى يغضب ولا ريب ، ويحفزهم الى قبول التحدى لا سيما أنهم حريصون على تكذيبه ! .. أتراهم لو كانوا قادرين على ذلك أكانوا احجموا عنه عن طيب خاطر ، وركبوا تلك المخاطر ، فعرضوا أنفسهم بذلك للمهالك ؟! بينما جملة من القول ذات كلمات تعدل آية لو جاءوا بها لأسقطوا أمر هذا القرآن فلم يعد يذكره بعدها انسان ... كلا ... ولكنهم علموا أنهم ليسوا بالذين يستطيعون معارضة ولا هم بالذين يطيقون مجابهته !!!

ولقد أدرك ذلك بعضهم لأول وهلة عند سماعه له في المرة الأولى حيث بهر باسلوب القرآن ، فنسى أنه من أعدائه ، وراح يصفه[1] بأن له حلاوة وان عليه لطلاوة ، وأنه يعلو ولا يعلى عليه الى آخر ماذكر في لحظة انبهاره ..

---

(١) انه الوليد بن المغيرة وقصته في السير وكتب اسباب النزول معروفه انظر مختصر سيرة ابن هشام ص ٦٩ واسباب النزول للسيوطى: سورة المدثر .

ولما أفاق من سكرته لم يجد مايبرر به ماذكر الا قوله (ان هذا الا سحر يوثر)[1] !!!

وآخـــرون كانوا حمقى دخلوا فى هذا التحدى فكان أن اضحكـوا الناس عليهم وقتها ، ومازال الناس عليهم يضحكون[2] !!!

وغيرهم كان عاقلا فتاب الى رشده ، فاعترف بعجزه وأقر بالهزيمة[3] أمام هذا القرآن الذى لايقهر ...

فان لم تتعظ أيها المغامر بهؤلاء ولم تنفعك النصيحة فدونــك وما تريد ، تقدم ولكن لتكن عاقلا ، اذا مافشلت وهو أمر محتوم — فلتســارع عندها بالاعتراف بهذه الحقيقة ولا تكابر فى الحق ، على الأقل بينك وبيــن نفسك ان لم تعلنه ، فان لم تفعل فليس أقل من أن تجنب نفسك الطعــن فى هذا الكتاب العزيز ، ولا تكونن مثل آخرين لاتحسبهم عقلاء ، ولا أمناء مـع

---

(١) المدثــر : ٢٤ .

(٢) ومن أشهر هؤلاء مسيلمة بن حبيب الكذاب ومن الأمثلة على قرآنه مايلى : والمبذرات ذرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا العاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا — وقوله : والشاء والوانها ، واعجبها السود والبانها ، والشاه السوداء واللبن الابيض انه لعجــب محض ، وقد حرم المذق فى الكـم لا تجمعون الى غيرذلك من السخافات التى لايسع المجال ذكرهـــا .
انظر الرافعى اعجاز القرآن ص١٧٤ ومابعدها .

(٣) وهؤلاء منهم ابن المقفع الكاتب البليغ المعروف فقد زعموا أنه اشتغــل بمعارضة القرآن مدة ثم مزق ماجمع واستحيا لنفسه من اظهاره انظــر الرافعى المصدر نفسه ص١٧٨ .

انفسهم ، فراحوا يلتمسون السبل لعيبه إن وجدوه فى ناحية أخرى ، وأنى لهم ؟! والحال أنهم مطالبون بأن يأتوا بمثله مع كونه معيبا أو مفترى كما يريدون أن يقولوا !!!

والعاقــل من يربأ بنفسه ، ويسمو بعقله من هذا السقوط ، طالمـا أنه عاجز عن الاتيان بمثله ، فأولى له ثم أولى أن يقول : آمنت بأنه كــلام رب العالمين ، ولو كانت تلك المزاعم والمحاولات لهدمه ذات أثر على القرآن لتلاشى أمره من زمان فما أكثر المؤامرات التى تعرض لها ، وان كانت لتزول منها الجبال) ولكنه ظل صامدا وراسخا ينطق بأنه تنزيل العزيز الحميـــد ولو أنه كان من عند محمـد أو من عند مخلوق سواه — لما صمد هذه المـدة الطويلة يتحدى العالمين ... ولما ظل محفوظا عبر هاتيك السنين ، ولكنه الوعد الحق ، من الله — عز وجل — حيث يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(١)

وعجز الناس عن معارضته لهو من أعظم الأدلة على ذلك ...

" انه أغرب تحد فى التاريخ ، وأكثره اثارة للدهشة ، فلم يجرؤ أحـــد من الكتاب فى التاريخ الانسانى — وهو بكامل عقله ووعيه — أن يقدم تحديا مماثلا فان مؤلفا مالا يمكن أن يضع كتابا يستحيل على الآخرين أن يكتبوا مثلــه أو خيرا منه ... فمن الممكن اصدار مثيل من أى عمل انسانى ، فى أى مجـال ولكن حين يدعى أن هناك كلاما ليس فى إمكان البشر الاتيان بمثله ، ثم تخفق البشرية على مدى التاريخ فى مواجهة هذا التحدى ، حينئذ يثبت تلقائيا أنه كلام غير انسانى ، وأنها كلمات صدرت عن صميم المنبع الالهى ، وكل مايخـرج من المنبع الالهى ، لايمكن مواجهته تحدياته "(٢)

(١) الحجــر : آية ٩ .

(٢) الاسلام يتحدى ، ص١٢٣و١٢٤ .

فكيف يقال أن هذا القرآن من عند محمد – صلى الله عليه وسلم – وكيف يصدر عنه مثل هذا التحدى " مع سعة البلاد العربية ، ووفرة سكانها وتباعد اطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع أرجائها ومع أنه لم يسبق له – صلى الله عليه وسلم – السياحة فى نواحيها والتعرف برجالها ، وقصور العلم البشرى عادة عن الاحاطة بما اودع فى قوى أمة عظيمة ، كالأمة العربية ، فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا ، أن يأتوا بشىء من مثل ما تحداهم به ، ليس قضاء بشريا ومن الصعب بل من المتعذر ، أن يصدر عن عاقل التزام كالذى التزمه ، وشرط كالذى شرطه على نفسه ، لغلبة الظن عند من له شىء من العقل أن الأرض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته ، وانما ذلك هو المتكلم ، والعليم الخبير هو الناطق على لسانه وقد أحاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له ، وبلوغ ما حثهم عليه "(١)

والا فكيف يغامر محمد – صلى الله عليه وسلم – هذه المغامرة الكبرى ومعلوم رجاحة عقله ، وحكمته ، وسعة فهمه ؟!!

(وللجاحظ)(٢) كلمة فى هذا الصدد يقول فيها :

" بعث الله محمدا – صلى الله عليه وسلم – أكثر ماكانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ماكانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله ، وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذى يمنعهم من الاقرار الهدى ، والحمية ، دون الجهل والحيرة

---

(١) رسالة التوحيد ، ص ١٢٧ .

(٢) هو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥)

حطهم على حظهم بالسيف فتصب لهم الحرب ونصبوا، وقتل من عليهم واعلامهم وأعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحا ومساءا إلى أن يعارضوه ، إن كان كاذبا بسورة واحده أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحديا لهم بها، وتقريعا بعجزهم عنها، تكشف من نقصهم ما كان مستورا، وظهر منه ما كان خفيا، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الامم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فهاتوها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ويكابر فيه ، ويزعم أنه عارض، وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم ، مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء أمته، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة ، كانت انقض لقوله ، وأفسد لأمره وابلغ فى تكذيبه ، وأسرع فى تفريق اتباعه ، من بذل النفوس، والخروج من الأوطان ، وانفاق الاموال ، وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش ، والعرب فى الرأى والعقل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطول البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الاسجاع والمزدوج ، واللفظ المنثور ، ثم تحدى به اقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم فمحال — أكرمك الله — أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين ، مع التقريع بالنقص ، والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا اليه ، وكما أن يطبقوا ثلاثا وعشرين سنه (١) على الغلط فى الأمر الجليل المنفعة، فكذلك

---

(١) هى مدة رسالته — صلى الله عليه وسلم ..

محال أن يتركوه وهم يعرفون ويجدون السبيل إليه ، وهم يبزلون أكثر منه "[1]

" فلو أن هذا القرآن غير فصيح ، أو كانت فصاحته غير معجزة في أساليبها التي ألقيت إليهم ... لكانت سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ، ثم لنقضوه كلمة كلمة ، وآية آية ، دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم ولكان لهم وله شأن غير ما عرف "[2] من عجزهم فإذا كان القرآن في منتهى الكمال ، فينبغي عندئذ الا يكون الا من عند الله تعالى ..

" وذلك أن قدرة الناس وان تفاوتت فالى حدود محدودة لا تتعداها وقدرة الخالق على الممكنات لا حدود لها ... فكل كائن يجاوز حدود القدرة العالمية ، واقع في حدود القدرة الالهية البتة ولا ثالث ... مثال ذلك : أن الرجل قد يصرع الآحاد والعشرات ، ولكن هل من الناس من يقف في وجه العالم كله فيقهر الا لم افرادا وجماعات ؟ "[3]

فإذا ثبت عدم وجود من يفعل ذلك ويقوى عليه سوى الله كان القرآن من عنده : إذ هو العالم بكل شيء ، والقادر على كل شيء وليس أدل على ذلك من الشمس إذ يأتي بها الله كل يوم من المشرق فمن ذا الذي يستطيع أن يأتي بها من المغرب ليوم واحد ؟ ! وهل يستطيع ... الثقلين جميعا أن يطلعوها قبل وقتها أو يؤخروها عن ساعتها ؟ أو يطفئوا نورها ، أو يأتوا بمثلها ؟ ! ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؟ تلك الشمس

---

(١) نقلا عن الرافعي في اعجاز القرآن ص١٧١ و١٧٢ .

(٢) الرافعي اعجاز القرآن ، ص٢٠٩ ط/٣ .

(٣) النبأ العظيم ص٧٧ .

فهى أكبر الاشياء فما بالهم لايخلقون ذبابا وهو من اصغرها ولو اجتمعوا له ؟ وان يسلبهم ذلك الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ؟ وهذا وتلك من المخلوقات الارضية ، فكيف بالكائنات العلوية ؟ ! وكيف اذا كان ذلك المتحدى به ليس من مخلوقاته ، وانما كلامه ، واحدى صفاته ، فلا ريب أنهم أعجز عن مضاهاته[1] .

وذلك العجز التام هو الدليل القاطع على أنه من عند الله ، وليس من صنع البشر ، ولو كان محمد بن عبد الله رسوله وأفضل خلقه .

وذلك هو الفارق بين كلام الله الخالق وبين كلام البشر المخلوقين ومحمد مخلوق ، — ولا ريب — ومن ثم فلا يمكن أن يكون هذا القرآن كلامه وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم — يعلن عجزه عن الاتيان بمثله أو تبديله وذلك حينما طالبه المشركون بذلك كما أخبر الله بحالهم (ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم)[2]

أتراه لو كان من عنده ، وكان يستطيع ذلك فعلا أكان يتوانى فى تحقيق ذلك الطلب ، وتلك الرغبة لهم ؟ ! التى تعطيه — ولا ريب — مزيدا من الانصار ، فيكون ذلك أروج لدعوته ، وأدعى لأن تنتشر ؟ مع كونه كان حريصا كل الحرص على ذلك وقد بذل له نفسه وعرض حياته للتلف فى هذا السبيل ؟

---

(١) انظر النبأ العظيم ص٧٧ .

(٢) يونس : آية ١٥ .

وقد ترك وطنه لأجل ذلك ، ولكنه كان صريحا فى قوله الذى أمره به ربه بأنه ليس له من الأمر شىء ، وماهو الا ناقل عن الله ، عزوجل - ولو كان مستطيعا ذلك لفعل .(١)

وهكذا سجل القرآن عجز محمد - صلى الله عليه وسلم - فسجل من من باب أولى عجز العرب ، وبعجزهم ثبت عجز العالمين ، فقد قرعت آيات التحدى آذانهم ، وتكررت دون أن يستجيبوا لها ، حيث لم يذكر التاريخ من قريب أو بعيد ، أن احدا استطاع أن يأتى بما يسمى معارضته حقيقية .

" وحكمة هذا التحدى وذكره فى القرآن ، انما هى أن يشهد التاريخ فى كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء اللد(٢) والفصحاء اللسن .... حتى لايجىء بعد ذلك فيما يجىء من الزمن مولد(٣) ، أو أعجمى كاذب ، أو منافق أو ذو غفلة ، فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله ، وأنه غير معجز "(٤)

أو تحدثه نفسه بأن يدعى ذلك أو أنه ممكن لغيره فذلك قطع لمثل هذا البتة ... ومحمد بشر مهما كان ثاقب الفكر ، بعيد النظر فانه لا يستطيع أن يخرق حجب الغيب ، والمستقبل الا باعلام من عالم الغيب والشهادة والا فخبرنى ..

" هل يستطيع عربى يدرى مايقول أن يصدر الحكم وهو يعلم أن

---

(١) انظر مناهل العرفان : ص ٢/٢/٤٠٢ .

(٢) الخصم الشديد .

(٣) غير عربى محض .

(٤) الرافعى : اعجاز القرآن ص ٢٢٢ / ط ٣ .

مجال الساجلات بين العرب مفتوح على مصراعيه، وأن الناقد المتأخر متى اعمل الروية فى تعقب قول القائل المتقدم لايعييه أن يجد فيه فائتا يستدرك، أو ناقصا ليكمل، أو كاملا ليزداد كمالا، الم يكن يخشى بهذا التحدى أن يثير حميتهم الأدبية، فيهبوا لمناقشته، وهم جميع حذرون؟ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يصنع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالاصلاح والتهذيب كما كانوا يصنعون فى نقد الشعر، فيكمل ثانيهم ما نقصه أولهم، وهكذا، حتى يخرجوا كلاما ان لم يبرد، فلا أقل من أن يساميه ولو فى بعض نواحيه؟ ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره، فكيف يصدره على الاجيال القادمة الى يوم القيامة، بل على الانس والجن؟ ...

ان هذا مغامرة لايقدم عليها رجل يعرف قدر نفسه الا وهو مالى يديه من تصاريف القضاء وخبر السماء ...

وهكذا رماها بين اظهر العالم، فكانت هى القضاء المبرم سلط على العقول والافواه، فلم يهم بمعارضته الا باء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح على مر العصور والدهور "(١)

ان هذا العجز المستمر فى الخلق، ينفى بحق أن يكون هذا القرآن من عند محمد ومن يقول بغير ذلك، فليس الا مكابر عنيد ومثله لا نلتفت اليه بعد ذلك ...

---

(١) دراز : النبأ العظيم ص٤٥

الفصل الثانى

أميته — صلى الله عليه وسلم —

لهى من اسطع الأدلة، وأبين البراهين على أنه عليه الصلاة والسلام مرسل من الله — تعالى — بهذا القرآن، الذى لايمكن أن يكون من كلامه وهو بهذا الوصف من الأمية — كما سندلك بعون الله — ولكن الذى يهمنا الآن فى البداية، هو أن نؤكد هذه الأمية وندعمها بالأدلة التفصيلية فقد سبق لنا فى ذلك كلام مجمل، تضمنه المدخل (١) ...

نعم لقد جاء فى القرآن الكريم كثير من الآيات ورد فيها وصفه — عليه الصلاة والسلام — بالأمية، وقد تليت هذه الآيات — ولا ريب — على مسامع الناس، وذلك — بكل تأكيد، أمر ينتفى معه أن يكون الحال غير ذلك، والاكذب ... ولو حصل شىء من ذلك لنقل لتوفر الدواعى على نقله كما اسلفنا فى القول (٢) ..

ومن تلك الآيات فى هذا الشأن مايلى :

قوله تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) الاعراف : ١٥٦

وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى) الاعراف : ١٥٧

وقوله ايضا : (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) الجمعة : ٢

وكذلك قوله : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) العنكبوت : ٤٨ .

---

(١) أ[illegible] كانت [illegible] لابد منها ..

(٢) انظر ص [illegible] المدخل .

هذا .. ولم يخل الحديث الشريف من ذكر هذا الوصف ، فقد ورد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال " انا أمة امية لا تكتب ولا تحسب " .[1]

وان من الغربين كذلك من يعترف بهذه الحقيقة وهم كثير، ولكن لنختار واحدا من الد اعداء الاسلام المتحاملين عليه ، حتى يكون ذلك أدعى الى نسف زعم المنكرين هذا الوصف ، وبيان أن ذلك لو كان صحيحا لتمسك بـه هؤلاء المتحاملين ، الذين حملوا راية العداء للاسلام واشتهروا به ..

وهؤلاء منهم (اميل درمنغام)[2] هذا الذى نأتى به كمثال ، وقد اعترف بهذه الأمية للرسول — عليه الصلاة والسلام — فقد جاء فى معرض حديثه عن كفالة أبى طالب للنبى بعد وفاة جده مايفيد ذلك حيث يقول "أنه لم يكن غنيا فلم يتح له تعليم الصبى الذى بقى أميا طول حياته "[3] ..

فهذا اعتراف منه صريح بهذه الحقيقة ، وان كان كلامه كما يقول ويشهد رضا " يوهم القارئ أن اولاد الموسرين بمكة كانوا يتعلمون، كأن هناك مدارس يعلم فيها النشء بالأجور كمدارس بلاد الحضارة وهذا باطل لا أصل له " ..[4]

لأن سكوت أولئك على ماجاء فى القرآن من وصفهم بالأمية فى آية سورة الجمعة المتقدمة، والحديث المذكور آنفا ، ليدل على رضاهم بهذا الواقع الذى وصفوا به ، ولو كان هناك مدارس يتعليم فيها لوجد هناك كثيرون متعلمين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٩/٧ .

(٢) مستشرق فرنسى شديد التعصب والتحامل على الاسلام ..

(٣) عن الوحى المحمدى ص١٠٠ .

(٤) نفس المكان السابق .

للقراءة والكتابة، ولما صدق عليهم ذلك الوصف، ولكانوا من المعترضين عليه ولكنهم لم يفعلوا ...

أما وجود العدد القليل من المتعلمين القراءة والكتابه ، الذى يعدون على الاصابع فى أمة العرب فى ذلك الوقت فهو بمرتبة النادر، والنادر لا حكم له ولا اعتبار به فلا يخرجهم عن هذا الوصف ...

الذى يهمنا من كلام (درمنغام) هنا هو اعترافه فقط — بالأمية بغض النظر عما ساقه تعليلا لها، فان له مكانا آخر فى الرسالة ..

أما القائلون بأنه — صلى الله عليه وسلم — قد تعلم القراءة والكتابة فيما بعد فلنا رد عليهم فى آخر هذا المبحث والمهم أنهم متفقون معنا بأنه قد ظل أميا الى قبيل انتقاله الى الرفيق الأعلى، وقد نزل عليه القرآن وتحقق الاعجاز وهو بتلك الصفة من الأمية — كما يقول هؤلاء ..

أما الآن وقد اثبتنا هذه الصفة للرسول — عليه الصلاة والسلام — نأت لنبين كيف أنها تنفى أن يكون هذا القرآن من عنده فنقول :

لقد تحدثنا فى المبحث الذى سبق هذا عن التحدى الواقع فى القرآن الكريم، وكيف عجز العالمين عن ابطاله ... فهل يمكن أ يكون واضع هذا القرآن واحد من الخلق، وهو مع ذلك أمى ..؟!

هذا ... ولقد اشتمل القرآن على تشريع وتنظيم شامل وكامل للحياة، فى الفكر، والمعاملات، والحروب، والزواج، والعبادات والاقتصاد والاخلاق الى غير ذلك من شئون الحياة ومابعدها ونظرة عابرة لعاقل فى القرآن الكريم يلمح بيسر ذلك كله ..

وهذه أمور تعجز عنها القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصصات عميقة، مهما أتيح لها من المراجع والدراسات والوقت بدليل التحدى السابق ـ وكما سنذكره فيما بعد ـ فكيف يستطيع رجل مهما أوتى من الذكاء والعبقرية أن يأتى بهذا القرآن ناهيك عن أن يكون أميا ؟! .. كيف والدنيا عاجزة عن أن تأتى بتنظيم فى مسألة واحدة من تلك المسائل، فكيف يأتى بها أمى مع ذلك التنوع فى المجالات المختلفه، السياسية، والاجتماعية والاقتصادية والعبادية الى آخر تلك المجالات ...

فهل يمكن أن يكون ذلك الكتاب من وضع هذا الأمى ؟! ..

هذا .. وفى القرآن اعجاز علمى فى الكون والحياة والطب والرياضيات وذلك له بابه الخاص فى هذه الرسالة، ولكن لنورد أمثلة فى هذا المقام ..

يقول تعالى مخبرا عن أهل الكهف (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)(١).

وهذه التسع سنوات هى الفرق بين التقويم الشمسى والقمرى فقد ورد عدد تلك السنين عند أهل الكتاب ثلاثمائة شمسية(٢) ..

ولا مجال الى القول بأنه اقتبس ذلك منهم لكونه قد غاير فى التقويم وهذا مالا يدركه الأمى لذاته لأنه لايكتب ولايحسب، الا يكفى هذا العلم فى الأمى معجزة ؟!

بلى ولنزد ..

فقد جاء فى القرآن أيضا قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها)(٣)

---

(١) الكهف : ٢٥ .
(٢) النبأ العظيم انظر ص ٣٨ .
(٣) النازعات : ٣٠ .

وقوله (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)(١)

وقوله (ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما)(٢) .

وقوله (... ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .(٣)

وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) .(٤)

فكيف عرف الأمي كروية الأرض ؟ وكيف علم نظرته انتشار الكون ، بل كيف علم أن عناصر المادة في الكون واحده ؟ وكيف استطاع معرفة ان كمية الاوكسجين في الاجواء تقل كلما صعد الانسان الى أعلا درجة ، وأن صدره يضيق بهذا ؟ وكيف تأتى له معرفة أن الشمس والقمر يسبحان في الفضاء ؟ فكيف استطاع معرفة ذلك كله كما تفيده على التوالي الآيات المتقدمة(٥) وذلك كله ماعرف الا حديثا وبواسطة الأجهزة والآلات الدقيقة المتطورة والاقمار الصناعية والمختبرات العلمية المتقدمة فهل يمكن أن يكون هذا الكتاب من وضع أمي يسبق به البشر ويتفوق عليهم علميا بهذا القدر من الزمان مع كونه لايملك آية وسيلة مادية !؟ فهل يقول ذلك عاقل ؟!

هذا ولقد اعترف كثير علماء القانون المختصين في ابحاثهم ومؤتمراتهم بالتشريع الاسلامي الذي عمادة هذا القرآن ، وأقروا بسموه وعظمته ، وبأنه لانظير له في هذه التنظيمات الوضعية لا في السابق ولا في اللاحق الأمر

---

(١) الذاريات : ٤٧ .

(٢) الانبياء : ٣٠ .

(٣) الانعام : ١٢٥ .

(٤) الرعد : ٢ .

(٥) سيأتي مزيد من التفصيل بابها ان شاء الله .

الذى ينفى بحق أن يكون هذا القرآن من صنع البشر ، واليك فيما يأتى بعض هذه الشهادات من أهل الانصاف وطلاب الحقيقة .. وهموا من غير ملة الاسلام حتى لايكون علينا من اتهام ..

فنبدأ بشهادة الاستاذ (فارس الخورى) القانونى والسياسى السورى المعروف حيث يقول : " أنا مؤمن بالاسلام وبصلاحة لتنظيم أحوال المجتمع العربى وقوته فى الوقوف بوجه كل المبادىء والنظريات الأجنبية مهما بلغ من اعتداد القائمين عليها ، لقد قلت ولازلت أقول لايمكن مكافحة الشيوعية والاشتراكية مكافحة جدية الا بالاسلام ، والاسلام وحده هو القادر على دحرها نحن بحاجة الى حكومة حازمة تؤمن بالاسلام كدين ونظام متكامل وتعمل لتطبيقه "(١)

وفى مناسبة أخرى يقول : " فلو قطعت يد فى حلب مثلا ، وجلد آخر فى دير الذور ، ورجم ثالث فى دمشق ، وكذلك بقية المحافظات لايقطع دابر هذه الجرائم "(٢)

ثم نثنى بشهادة القانونى المسيحى المصرى المعروف الدكتور (شفيق شحاته) حيث يقول : " واذا أردنا المقارنة من حيث تقييم النظم القانونية وجدنا التشريع الاسلامى قد سبق التشريع الرومانى فى تقدير المبادىء العظيمة ومنها مبدأ انتقال الملكية لمجرد الاتفاق ومبدأ سلطان الارادة ، ومبدأ النيابة التعاقدية "(٣)

---

(١) محمد الفرجانى : فارس الخورى وأيام لاتنسى ص٢٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٦٩ .

(٣) النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة ١/ ٢٠١

تعزز ذلك بشهادة الدكتور (ايزكو انساباتـو) القانونى الغربى المعروف بقوله :

" ان الشريعة الاسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوربيـة بل هى التى تعطى للعالم أرسخ الشرايع ثباتا " (١)

ويقول العلامة الاستاذ (شيرل) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا فـى موءتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ م :

" ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) اليها اذ أنه رغم اميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتى بتشريع (٢) سنكون نحن الأوربين أسعد مانكون لو وصلنا الى قمته بعد الفى سنه " (٣) !!

والى مثله ذهب الدكتور (هوكنج) استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد فـى كتابه روح السياسة العالمية (٤) •

ويقول الموءرخ الانجليزى (ويلز) فى كتابه ملامح تاريخ الانسانيـة " ان اروبا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها الادارية والتجارية " (٥)

---

(١) من مقال فى مجلة ذى مسلم رفيو مارس ١٩٣٣ أوردة محب الدين الخطيب فى الحديقة ص ١١/١٩٨ •

(٢) كل هذه الرسالة رد على زعمه أن محمدا قد أتى بهذا القرآن ولكن يكفينا شهادته فى هذا المقام واعترافه بالأمية •

(٣) المصدر السابق : ١١/١٩٨ •

(٤) نفس المحل •

(٥) " " •

هذه شهادة الافراد فما بالك بالمؤتمرات العالمية التى نسوق اليك منها شهادة مؤتمر لاهى سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م وكان من قراراته :

١ — اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ — وأنها حية قابلة للتطور .

٣ — وأنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذا عن غيره .(١)

ومثله مؤتمر المحامين فى لاهاى نفسها سنة ١٩٤٨ م وكذلك مؤتمر جامعة باريس سنة ١٩٥٠ الذى وقف فيه أحد الاعضاء وهو نقيب المحامين ليقول :

" انا لا اعرف كيف اوفق بين ما كان يمكن لنا عن جمود الفقه الاسلامى وعدم صلوحه اساسا تشريعيا يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين مانسمعه الآن فى المحاضرات ومناقشتها مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادىء " .(٢)

فهل يمكن أن يكون هذا القرآن الذى ضم الخطوط العريضة والأسس العامة لذلك التشريع من وضع محمد ؟!

فذلك مالايتصوره عاقل ناهيك أن يقول به ..

---

(١) القرضاوى : شريعة الاسلام ص ٩٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٦ .

ومن هذا ننتقل الى القرآن الكريم نفسه حيث نجد هذه الحروف فــــى أوائل بعض السور :

الحرف	السورة التي ورد فيها
الم	البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .
المص	الاعراف
الــر	يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، الحجر
المر	الرعــد
كهيعص	مريـم
طــه	طــه
طسم	الشعراء ، القصص
طس	النمــل
يس	يــس
ق	ق
ص	ص
ن	القلم
حــم	غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الاحقاف ..
حم عسق	الشورى

فهل يمكن أن تكون تلك الحروف من انتاج أمي ، وهل يمكن أن تكون فــــى تصوره ، أو أن تدخل فى مفهومه ، كما يقول مالك بن نبي) وان قلنا بذلـــك فاننا نخطىء غاية الخطأ .(١)

---

(١) انظر : الظاهرة القرآنية ص٣٢١ ـــ ٣٢٢ .

أما الآن فقد حان لقاؤنا مع القائلين بأن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يمت الا وقد تعلم الكتابة والقراءة ، وهؤلاء نجد هم — وبكل أسف — من اجله علماء المسلمين[1] ، ونحن لا نشك ولا نرتاب ابدا في سلامة نيتهم ونزاهة قصد هم ، فهم يريدون اما تنزيه رسول الله — عليه الصلاة والسلام عن هذه الأمية فهي في حسبانهم منقصة وقد ناقشنا ذلك فيما تقدم من حديث في المدخل[2] واما انهم يريدون أن يرفعوا من شأن الكتابه والخط وفاتهم عفا الله عنهم أن شأنها سامي وقدرها رفيع وقد نوه القرآن بذلك في كثير من آياته[3] ..

واما أنهم يسعون الى مزيد من الاعجاز كما يظهر ذلك من كلام الزرقاني حيث يقول " ومعرفة الكتاب بعد اميته — صلى الله عليه وسلم — لا تنافي المعجزه بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم "[4] ولكن الاعجاز في الأمية أكبر — كما بينا — وما اتكئوا عليه لا سند له قوي[5] والزرقاني نفسه يعترف بأنها ادلة ظنية تلك التي اعتمدوا عليها[6] — ومن ثم فانها لا تضاهي تلك ال

---

(١) سمى بعضهم الزرقاني في مناهل العرفان انظر [illegible] .

(٢) انظر [illegible] .

(٣) منها قوله تعالى (ن والقلم ومايسطرون) القلم : ١ • ومنها قوله (اقرأ) اول العلق

(٤) مناهل العرفان ص ١/٣٦٥ .

(٥) قال ابن كثير في تفسيره " وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت حتى تعلم الكتابة فضعيف لا اصل له " ص ٣/٤١٧ .

(٦) انظر المصدر السابق ص ١/٣٦٧ .

فى القرآن والسنة التى مرت عليك ، والله سبحانه وتعالى قد علم فى الازل أن محمدا سيظل أميا طيلة حياته ولو كان يعلم أنه سيتعلم القراءة والكتابة لما وصفه بهذا لأن المرء اذا ماكتب أو قرأ فى يوم من الأيام فقد انمحت عنه الامية وزال عنه هذا الوصف كما هو معلوم فكيف يصفه الله بوصف و [illegible] نحن عنه !!!

والى هنا ينتهى بنا الحديث فى هذا الصدد والله ولى التوفيق ،

الفصـــل الثالث

صدق النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمانته ..

لقد شهد العدو والصديق ، القاصى والدانى ، بأن محمدا ــ عليه صلوات الله وسلامه ، كان فى منتهى الصدق ، وعلى ذروة الأمانة وقمة الاخلاق الفاضلة ولقد اصطبغ ذلك فى حياته كلها ، قبل وبعد البعثة ..

فلا يمكن بحال أن يكون على هذه الصفة التى ماعرف بها أحد ولا اشتهــر بها ، لا من قبله ولا من بعده ، كما عرف وأشتهر ! لدرجة أنها صارت عليـــه بين قومه ، بمثابة العلم ، فكان ينادى وسطهم (بالصادق الأمين) !

نعم لقد وجد عبر التاريخ أناس ، أمناء وصادقون ولكن لم يلقب بهذا أحــد غيره فى عالم البشر ! فلا يتصور أبدا بعد هذا أن يكون كاذبا على اللـــــه ــ عز وجل ــ ولم يعلم عنه من قبل كذب قط ، اربعين سنة ، فكيف ينقلب بعدهـا الى ضدها فيصير كاذبا ؟!

ولا يمكن بحال أن يكون مرائيا فيما اتصف به من هذا الخلق الحليم والسجايا الطيبة ، طيلة تلك المدة ، فذلك مالا يمكن أن يثبت عليه مرائى طول حياته ، وقـد أوذى خلال ذلك وعذب وخوف بمالم يسبق له مثيل ! كذلك قد أغرى وعرض عليه المال والجاه والسلطان مالا يطمع فيه أحد من الناس ، الأمر الذى تنتفى معـه المراءاة البتــة ، ومع ذلك لو افترضناه ــ فلا يمكن أن يخفى على اخص اصحابـه ونسائه ، وبعد ذلك وقبله لا يمكن أن يخفى ذلك على الله ــ عز وجل ــ فيؤيده على ماهو عليه وينصره نصرا موءزرا فى عشرات المعارك ، ومئات المواقف ويدوم ذلك ثلاثا وعشرين سنة " وهو يقول : أمرنى الله بكذا ، ونهانى عن كـــــذا

وأوحى الى كذا ، ولم يكن من ذلك شيء .

ويقول : انه أباح لى سبى ذرارى من كذبنى ، وخالفنى وساءهم وغنيمة اموالهم ، وقتل رجالهم ، ولم يكن من ذلك شيء ، وهو يدأب فى تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ، ونسخ شرائعهم .... وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ، ويعلى كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من اعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات مايزيد على الالف ولايقصده أحد بسوء الا اظفره به ، ولا يدعوه بدعوة الا استجابها له ، فهذا من أعظم الظلم ... الذى لايليق نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن رب الأرض والسماء " (١)

فهل يستطيع مدعى أن يحظى بذلك ؟! ..

ولا يمكن أن يكون محمد — صلى الله عليه وسلم — مراء ، لأن المراءاة انما تكون لغرض ، حتى اذا ماحصل المراد ظهرت الحقيقة المموهة ، ولقد ثبت أن محمدا عليه الصلاة والسلام — عاش فقيرا (٢) ومات كذلك ولو كان صاحب دنيا لأصابهـا

(١) هداية الحيارى ص٨٧ و٨٨ .

(٢) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال " هلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير " رواه الترمذى والبزاز بسند جيد . شرح الشفاء ١/٣٠٧ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت (ان كنا آل محمد لتمكث شهرا ما نستوقد نارا ، ان هو الا التمر والماء ، المصدر السابق نفس المكان .

وعنها رضى الله عنها قالت ولقد مات ومافى بيتى شىء يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى " ، المصدر السابق ١/٣٠٨ .

وعنها أنها قالت " ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ، رواه مسلم ..

وهي بين يديه ، ولو كان جاها فما بالنا نراه متواضعا الى درجة لم يبلغهـــا أحد من العالمين، فلم يستبعد الناس وقد ملك وصار الأمر بيده ، حقا " لقـد كان الرسول في جميع تصرفاته ناكرا ذاته ، رحيما ، بعيدا عن التفكير في الشراء أو المصالح المادية فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات " (٢)

ومن كان من المرائين يكون اصحابه وبطانته مثله ، وقد دل التاريخ أن الخلفاء كانوا على شاكلته في الزهد ، وأزواجه كذلك وأهل بيته (٣) ..

وهؤلاء جميعا مطلعون على اسراره ، ولو علموا شيئا لا رتابوا فيــه

---

(١) " لما خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا رسولا أو نبيا ملكا اختار مقام العبودية والرسالة على مقام النبوة والملك، اخرجه الامام احمد في المسند وروى البيهقي عن أنس قال :دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا، وروى ابن اسحاق في السيرة أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ... روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه قال :كانـت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلـم فتنطلق به حيث شاءت ، وروى مسلم في صحيحه عن أنس أن امرأة كـان في عقلها شيء فقالت : يارسول الله ان لي اليك حاجة فقال : يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى اقضي لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها . وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :لو دعيت الى ذراع أو كراع ، لأجبت ولو اهدى الى ذراع أو كـراع لقبلت . من كتاب من اخلاق الرسول الكريم للشيخ العباد ص٢٣ .

(٢) حياة محمد : د . علي حسني الخربوطلي ص ٢٩٩ .

(٣) وحالهم في السير معلوم .

ولما آمنوا واقتدوا به " فالانسان مهما أمعن في تصنعه ومداهنته لا يخلو من فلتات في قوله وفعله تنم عن طبعه اذا احفظ أو احرج أو احتاج أو ظفر أو خلا بمن يطمئن اليه . ومهما تكن عن امرئ من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم "(*)

والآن أيها القارئ الكريم حتى تثبت لك صدق هذا الرسول الكريم بالدليل فاليك شواهد من التاريخ تؤكد هذه الحقيقة :

عندما اختلفت قريش في من سيضع (الحجر الاسود) في ركنه في البيت وقت تجديد بناء الكعبة واختصموا في ذلك، كل قبيلة تريد أن تنال هذا الشرف وانحاز كل الى قبيلته ، وتأهب الجميع للقتال، ومابقي غير أن تقع الحرب .. واستمر هذا الأمر اربع ليال ، وحينذاك اقترح (أبو أمية بن المغيره) وكان اسن القوم : أن يجعلوا حكما يقض بينهم فيما هم مختلفون فيه ، يكون أول داخل للمسجد ، فأقروا رأيه ، وراحوا ينتظرون من سيكون، فكان محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد ،[1] فأعترف الجميع بأمانته وصدقه .

ويوم أن أمره ربه بالجهر بدعوته قائلا (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)[2] وكذلك أمره له (وانذر عشيرتك الاقربين)[3] قام صلى الله عليه وسلم الى الصفاء ، ودعا بني المطلب أن يجتمعوا اليه ، حيث حضر اليه منهم حوالي الاربعين، وفيهم عدد من اعمامه فحدثهم قائلا : يابني فلان فلان، يابني عبد المطلب ، يابني عبد مناف ، أرأيتكم لو اخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص٥٤ .

(٢) الحجر ٩٤ .

(٣) الشعراء ٢١٤ .

(*) النبأ العظيم ص٤٠ .

أكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا .[(١)]

فشهدوا له بالصدق وعدم الكذب من قبل ولا جرم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — " رجلا أفضل قومه مروءة واحسنهم خلقا ...واصدقهم حديثا ، وأبعدهم عن الفحش ، والأذى ، وما روءى ملاحيا ولا مماريا حتى سماه قومه الأمين لما جمع الله له من الأمور الصالحة فيه فلقد كان الغالب عليه بمكة الأمين " .[(٢)]

قال ابن (اسحاق) " ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله أحد حين خرج يعنى الى الهجره — الا (على بن أبى طالب) (وأبو بكر الصديق) وآل أبى بكر أما على فانه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يودى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم ليس بمكه أحد عنده شئ يخشى عليه الا وضعه عنده يعلم من صدقه وأمانته "[(٣)]

ولعل أبلغ شئ فى اثبات ذلك هى شهادة أعدائه ، فهذا أبو جهل لما سأله الاخنس بن شريق قائلا " يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد اصادق هو أم كاذب ، فانه ليس هاهنا من قريش غيرى وغيرك يسمع كلامنا ؟

فقال أبو جهل : ويحك والله ان محمدا لصادق وماكذب محمد قط

---

(١) صحيح البخارى ٨/ ٤٠٠ ومابعدها ومسلم ١/ ١٣٤ .

(٢) طبقات ابن سعد : م ١/ ١/ ٧٦ — ٧٧ .

(٣) ابن هشام تهذيب سيرة ابن هشام ص١٢٩ .

ولكن اذا ذهبت بنوقصي باللواء والسقاية ، والحجابة ، والنبوة فماذا يكون لسائر قريش "[١] فشهد بصدق النبي وبان علة تكذيبه به وهي المكابرة والحسد

وكذلك (أبو سفيان) قبل أن يسلم فها هو التاريخ يذكر لنا أنه لما سأله هرقل : فيما سأله : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال : قال أبو سفيان لا فقال هل يغدر ٠ قال أبو سفيان لا ٠٠[٢]

بجانب هذا فلقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يكره الكذب ويحب الصدق وله من الاحاديث في ذلك الكثير بل والقرآن ملىء بالآيات التي تحذر من الكذب وترغب في الصدق[٣] ، ثم ان وقوع ما أخبر به وتحققه سواء في القرآن أو الحديث لهو من أقطع الأدلة على صدقه[٤] ، ولقد أدرك علماء الغرب سيأتي فيما بعد طائفة من أقوالهم في صدقه ، وخلقه الفاضل — ان شاء الله —

ان صفة الصدق قد تمكنت من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى بلغت درجة أنه لا يمزح الا بحق فلا يجد الكذب اليه من سبيل ابدا ٠[٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ١٣٠ الطبري ٧ / ١٨٢ ٠

(٢) كما أورده البخاري في باب كيف كان بدء الوحي ٠

(٣) من ذلك قوله تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل ١١٦ وقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) الصف ٧ ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر ٣

(٤) وهذا له بابه الخاص الذي سيأتي بيانه ان شاء الله ٠٠

(٥) أخرج أحمد عن أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا حاملوك على ولد ناقة فقال يا رسول الله ما اصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله : وهل تلد الابل الا النوق ؟ رواه الترمذي وقال زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي فقالت : ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي في عينه بياض ؟ قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياض فقالت لا والله ، فقال ما من أحد الا وبعينه بياض ٠ هو اراد البياض المحيط بالحدقة وهي فهمت البياض على الحدقة الذي يكون للرجل أعور به ٠٠ وأخرج الترمذي في الشمائل عن الحسن قال : اتت عجوز النبي فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة : فقال يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي فقال اخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا) الواقعة ٣٥ [illegible] الرسول [illegible] سعيد حوى ص ٣١ و ٣٢ ٠

ولقد كان الصدق ظاهرا فى محياه حتى ليكاد ينطق مظهره كله بـه ولهذا فقد كان الكثيرون لا يسألونه برهانا ولكن يؤمنون به لمجرد رؤيته مثال ذلك مارواه الترمذى بسنده عن (عبد الله بن سلام) أنه قال "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه وقيل قدم رسول الله قدم رسول الله (٤) فجئت فى الناس لأنظر اليه، فلما استبنت وجـه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب "

أفكان هذا الصادق يذر الكذب على الناس، ويكذب على ربه ؟ ثم لو كـان يتحاشى ذلك فى الحياة الدنيا، مخادعة وسياسة فماله يخشى مابعد الموت ؟ استمع الى هاتين الحادثتين ان فيهما لعبرة، ودليل قاطع على صدقـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ "جئ بصبى من الانصار يصلى عليه فقالت عائشة رضى الله عنها طوبى لهذا، لم يعمل شرا . فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم" أو غير ذلك ياعائشة، ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلقها لهـم وهم فى اصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها اهلا وخلقها لهم وهـم فـى اصلاب آبائهم " رواه مسلم واصحاب السنن، وعلق على ذلك الشيخ دراز بقوله " قال العلماء ان هذا التوقف كان قبل أن يعلم أن اطفـال المسلمين فى الجنة " (١)

" ولما توفى عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت أم العلاء ـ امرأة من الانصار : رحمة الله عليك أبا السائب . فشهادتى عليك لقد أكرمك اللـه

---

(١) النبأ العظيم ص٣٤ الهامش .

فقالت
فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : وما يدريك أن الله أكرمه ؟ بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله ؟ قال : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله انى لأرجو له الخير . والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى . قالت فوالله لا ازكى أحدا بعده أبدا " رواه البخارى والنسائي ومصداقه فى كتاب الله تعالى (قل ماكنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) سورة الاحقاف الاية ٩ " (١)

ثم بعد ذلك اذا عدنا الى النظر فى تاريخ الرسول المجيد نجده عليه الصلاة والسلام ، قد صمد صمود الجبال الرواسى أمام كل اغراء قدمه له القرشيون وغيرهم من جهة . وأمام تهديداتهم واذا هم له واصحابه من جهة ثانية ... فذلك أمر يؤكد بحق أنه صادق فيما جاء به ، لأن البشر العاديين الذين لاسند ربانى لهم لا يطيقون ذلك ، ولكن محمدا عليه الصلاة والسلام فى درجة من اليقين بصدق ماجاء به أمدته بتلك القوة .. فان انعدام الغرض المادى والواقع الشخصى أيا كان لدليل على هذا الصدق .. فهو لا يطمع فى شىء ، ولا يخشى زوال شىء ، ولا يصده عما جاء به شىء ، ثم لما ملك كل شىء نراه قد زهد فى كل شىء ، لأن ماعند ربه أكبر وأعظم ... وذلك ولا ريب ينفى المراءاة والتصدع .. واليك فيما يلى أيها القارىء شواهد على هذا الذى ذكرنا :

أورد ابن هشام فى سيرته " أن أشراف قريش من كل قبيلة ... اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد

---

(١) المصدر نفسه ذات المحل ويعلق عليه فى الهامش يقول " قال العلماء وكان هذا قبل أن يوحى اليه صدر سورة الفتح (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) .

فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه أن اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم . فجاءهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم ، فقالوا له يامحمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما ادخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقى أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك ، فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما بى ماتقولون ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وانزل على كتابا وامرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم "(١)

هذا أمر اغرائهم له أما اذاهم له فما أكثره حتى اضطروه الى ان يهاجر ويترك مكة ، وقد حصروه فى الشعب ثلاث سنوات وضربوه وخنقوه واهالوا عليه التراب ورموا الشوك فى طريقه الى غير ذلك مما حفلت به السير .. فهل بعد هذا يكون محمدا قد جاء بهذا الذى جاء به من عنده ؟ ..

(١) تهذيب السيرة ، ص ٧٤ و ٧٥ .

الفصل الرابع

عدم تحكمه ـ صلى الله عليه وسلم فى الوحى ..

ان المتتبع للوحى مضمونا وتاريخا يجد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما هو ثابت ـ لا يملك من أمر الوحى شيئا .. فانه قد يحمى عليه ويتتابع فى النزول ، وقد ينقطع عنه فترة من الزمان تصل الى سنوات ، وقد يتأخر عنه مع حاجته الماسة اليه ، أو يأتيه ولكن على خلاف مايريد ، وضد مايرغب بل وقد يأتيه أحيانا بالأمر الصعب الثقيل ... ثم هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يعلم متى ينزل عليه الوحى ، ولكن يأتيه على غير موعد ويفجأه من دون انذار ... وكذلك قد تغيب عنه الحكمة أحيانا فى أمور نزل بها ، وأخرى مجملة لا يدرى ماتفصيلها ، حتى ينزل عليه الوحى مرة أخرى بالبيان ..

كل هذه ـ ولا ريب ـ تنفى نفيا قاطعا أن يكون هذا القرآن من عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفيما يلى بعض الأمثلة الموضحة لهذه الحقيقة نسوقها الى القارىء فى ايجاز :

نعم : ان الوحى ليتتابع ويحمى حتى لتنزل منه السورة كاملة (١) بل وتنزل منه السورة الطويلة ذات الآيات الكثيرة ، كسورة الانعام التى نزلت جملة (٢) واحدة وهى تضم (١٦٥) آية ، ثم ان الوحى ليفتر فتنزل منه الآية والآيتين (٣) بل وينقطع عنه كما حدث بعد نزوله بأوائل سورة العلق ، فقد احجم الوحى

---

(١) كالفاتحة ، والاخلاص ، والكوثر ، وتبت ، والنصر والمعوذتان ، والمرسلات ، والصف انظر الاتقان ص/ ٣٧/١ .

(٢) انظر المصدر السابق نفس المحل .

(٣) وذلك كثير وليس أدل على ذلك من وجود الآية والآيتين تنزل عليه فى السفر انظر المصدر السابق ص/ ١٨ ـ ٢٠ وكذلك ١/ ٧٣ .

بعدها عن النزول مدة ثلاث سنوات[1] والرسول فى غاية الشوق اليه وفى منتهى الحزن على ألا ينزل عليه ، وكان من شدة حزنه على ذلك — كما تقول السيدة عائشة الصديقة " أنه غدا ... مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يامحمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه "[2]

وقد ابطأ عليه الوحى فلم ينزل وهو يتطلع الى نزوله فى لهفة ، وينتظر مجيئه بفروغ صبر ، يتمثل ذلك فى قصة تحويل القبلة ، وحيث تأخر عنه مدة عام ونصف أو أقل قليلا[3] ظل خلالها يقلب وجهه فى السماء ، راجيا أن ينزل عليه الوحى ، بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، ولكن ذلك لم يحدث الا بعد مرور ذلك المدة ، حيث انزل تعالى أمره بذلك قائلا (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)[4] .

فلو كان القرآن من عنده كما يزعم الاعداء ، فلماذا لم يحقق مبتغاه دون أن ينتظر تلك المدة الطويلة ؟!

سؤال ليس له اجابة غير أن هذا القرآن ليس من عنده ولكنه من عند الله العزيز الحميد ...

وقد ابطأ عليه الوحى فى وقت كان هو أكثر مايكون حاجة اليه شهرا كاملا ، وذلك فى قصة الافك يوم أن رمى المنافقون أم المؤمنين الطاهرة الصديقة

---

(١) انظر فتح البارى ١ / ٢١ .
(٢) البخارى ٩ / ٣٠ كتاب التعبير .
(٣) انظر المرجع نفسه ٦ / ١٠١ .
(٤) البقرة الآية ١٤٤ .

بنت الصديق ، وعرضوا بشرفها ، وخاضوا فى كرامتها بالباطل ، يوم أن بهتوهـا بفاحشة الزنا ، وأثاروا حولها الشبهات ، حتى علم بذلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو كبشر فلا غضاضة من أن يتأثر لهذا الحادث وأن يدخل فى قلبه الريب ، فكان يتطلع الى الوحى ليخبره اليقين ، ويجلى له الحقيقة فى هذا الأمر ، وظل ينتظره ، فلم يأت الا بعد شهر من الزمان (١) ..

وما اثقله من شهر عاشه الرسول — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنون فى قلق ، ولم لا والطعنة مصوبة الى أعز شىء يملك الانسان الا وهو عرضه وشرفه وكرامته ، وليس عرض مجرد شخص ، ولكنه الرسول الداعى الى الله ، وشرف امهات المؤمنين ، وكرامة الصديق وما ادراك ما هو عند الرسول والمؤمنين والقوم من أشرف قبيلة فى العرب ، والعرب اصحاب غيرة على اعراضهم ..

فلو كان القرآن كلام محمد — عليه الصلاة والسلام — أكان يشح على نفسه بتلك الآيات التى تبرىء زوجه ، وتنقذ سمعته وصاحبه وتحفظ دعوته من الانهيار ؟!

وهل كان ينتظر يوما واحدا على هذا البهتان فضلا عن أن يصبر عليه شهرا كاملا ؟! ان هذا — لعمرى — مالا يستطيعه بشر فهذه نازلة تحفز الى القول — وتستدعيه لفعل أى شىء فى هذا الصدد ، ولكنه لم يفعل وذلك لأن هذا القرآن ليس من كلامه ولو كان كلامه لبادر به من أول يوم ولما أعجزه أن يقول ولما فضل السكوت والحال يلح فى ذلك ، فدل هذا وغيره على ان الرسول — عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شىء .. ولعل ذكر

---

(١) انظر صحيح البخارى ٦ / ١٠١ .

القصة بالتفصيل فيه ما يظهر مدى ماعاناه الرسول فى هذه الحادثة والمؤمنون فاليك مواطن العبرة فيها . نسوقها اليك على لسان السيدة عائشة وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر حيث تقول :

" وقد قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخطبهم ـ ولا أعلم بذلك ـ فحمدا لله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ؟ .

والله ما علمت عليهم الا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيرا ، ولا يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى ... فلما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يارسول الله " ان يكونوا من الاوس نكفكهم ، وان يكونوا من اخواننا (الخزرج) فمرنا أمرك فوالله انهم لأهل أن تضرب اعناقهم ، فقام (سعد بن عبادة) وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال : كذبت لعمر الله ، ما تضرب اعناقهم ، انك ما قلت هذه المقالة الا وقد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا ...

فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ..

وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين شر ، ونزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخل على ودعا (على بن ابى طالب) و(اسامه بن زيد) فاستشارهما فأما (اسامة) فأثنى علىّ خيرا ثم قال : يارسول الله اهلك . وما نعلم منهم الا خيرا ، وهذا الكذب والباطل !

وأما (على) فقال : يارسول الله ، ان النساء لكثير ، وانك لقادر على أن تستخلف . وسل الجارية فانها تصدقك ، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (بريره) يسألها وقام اليها على فضربها ضربا شديدا

وهو يقول : اصدقى رسول الله ! فتقول والله ما اعلم الا خيرا وما كنت اعيب على عائشة الا أنى كنت اعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة وتأكله !!

قالت : ثم دخل على رسول الله وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الانصار وانا ابكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياعائشة أنه قد كان مابلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وان كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس ، فتوبى الى الله يقبل التوبة عن عباده ...

قالت : فوالله ، ان هو الا أن قال لى ذلك حتى قلص دمعى فما احس منه شيئا ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى فلم يتكلما :

قالت عائشة : وأيم الله لأنا كنت احقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن ينزل الله فى قرآنا ، لكنى كنت ارجو أن يرى النبى عليه الصلاة والسلام فى نومه شيئا يكذب الله به عنى ، لما يعلم من براءتى ، أما قرآنا ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك ...

قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان !! قلت لهما : الا تجيبان رسول الله — عليه الصلاة والسلام — ... فقالا : والله لا ندرى بما نجيبه قالت والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . ثم قالت : فلما استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب الى الله لما ذكرت أبدا ، والله بى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس — والله يعلم أنى بريئة — لا قولن مالم يكن ، ولئن انكرت مايقولون لا تصدقوننى قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما اذكره فقلت : أقول ما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون)[1] ..

(١) يوسف آية ١٨

فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ، ووضعت وسادة تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت وما باليت، وقد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى ..

وأما ابواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس ثم سرى عن رسول الله فجلس ، وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان فى يوم شات فجلس يمسح العرق عن وجهه ويقول : ابشرى يا عائشة قد انزل الله عز وجل براءتك فقلت : الحمد لله ، ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم الآيات. (١)

(ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خيرلكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما افضتم فيه عذاب عظيم ، اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا أذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخره والله يعلم وانتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم .

---

(١) ابن هشام :السيرة، ٢ / ٢٢٠ـ٢٢٢ونحوهاعند البخارى ٧/٤٤٢ ومسلم ٨/ ٣٢ ١١ .

يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم .(١)

تلك هى الحال والظروف القاسية التى عاشها الرسول والمؤمنون فتأملها جيدا ثم أقرأ آيات البراءة تلك وخبرنى بعد ذلك أيها العاقل ..

" الا ترى فارقا كبيرا بين هذه اللغة الجريئة القاطعة المنذرة والميسرة التى صيغت بها آيات البراءة ، وبين لغة الرسول الحذرة المتحفظة التى رويت عنه فى هذه الحادثة ؟ ان كنت فى شك فأمامك آيات البراءة وهاك كلمتين مما أثر عنه فى هذا الأمر الجلل . ورد أنه قال حين طال الانتظار وبلغت القلوب الحناجر (انى لا اعلم الا خيرا)(٢) وورد أنه قال قبيل الساعة التى نزلت فيها آيات البراءة (ياعائشة أما أنه قد بلغنى كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرؤك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله)(٣) ..

فهل يجوز فى عقل عاقل أن يكون صاحب هذا الكلام هو صاحب آيات البراءة ؟ دع عنك الا سلوبين(٤) ولكن تأمل النفسيتين المتميزتين فى الكلامين تميز السيد من المسود ، والعابد من المعبود "(٥) ..

اليس فى ذلك دليلا على أن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس له من أمر الوحى شيئ الا تلقيه ، وتبليغه ، وتطبيقه ؟ بلى ان فى ذلك

---

(١) الآيات من سورة النور: ١١ـ٢١ .

(٢) كما فى رواية البخارى .

(٣) كما فى رواية البخارى .

(٤) فان مجال الاستدلال بالفرق بين الاسلوبين له بمكان آخر .

(٥) مناهل العرفان ، ٢/٢٩٦ و ٢٩٧

لدليل وهو كاف فى هذا الا أن ... ذلك عنادا واستكبارا عن الحق :

وان أردت المزيد من هذا فها هو الرسول يسأل عن أهل الكهف والروح وذى القرنين ، فيقول لسائليه غدا سأوافيكم بالجواب — دون أن يستثنى — فيبطى عليه الوحى بالاجابة خمسة عشر يوما (١) فهل هناك موقف أشد حرجا من هذا ؟؟

وها هم أولاء اعداؤه يقولون ودعه ربه وقلاه فهل هنالك أمر اغيظ من هذا ؟! فلو كان الوحى من عنده فما الذى منعه أن يقول بما يحفظ عليه ماءوجه ويقيه ذلك الحرج ؟! لاشئ البتة يمنعه ولكن ليس له من أمر الوحى شئ ...

ومثل ذلك انتظاره الوحى بالهجرة طويلا (٢) وقد أذن لأصحابه مع كونه أشدهم بلاء وأكثرهم تعرضا للألم والأذى بحكم أنه صاحب الدعوة ولو أنهى أمره لانتهى كل شئ ولكنه لم يهاجر حتى جاء الوحى بالأمر أخيرا ..

وكثيرا ما تكون هناك مشكلة تبحث عن حل فلا يوجد عنده . ولو أنه كان هو منشأ القرآن لسارع فى اختراع الحل ليزيد مهابة فوق مهابته عندهم ، ولكنه لايفعل حتى يكون حل تلك المشكلة بواسطة الوحى مثال ذلك تلك المرأة التى جاءته وقد ظاهر منها زوجها تشتكى اليه -عليه الصلاة والسلام — عساه يجد لها حلا لمعضلتها، فلم تجده عنده

---

(١) انظر السيوطى لباب النقول ، ص ١٤٣

وانصرفت وهى تشتكى الى الله حتى نزل الوحى بحل الاشكال فنادها عند ذلك الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأخبرها به ، فلو كان الأمر بيده أكان يصبر عليها وهى تتألم بين يديه وهو (بالمؤمنين رؤف رحيم)[1] ؟

واليك فيما يلى قصتها أيها القارئ حتى تعلم كم كان الأمر ملحا ، والموقف مؤثرا ..

انها خولة بنت ثعلبة وزوجها هو أوس بن الصامت وكان به لمم فاشتد به ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك ، وكان الظهار[2] طلاقا فى الجاهلية كما يقول الواقدى ..

فأتت النبى — صلى الله عليه وسلم — تشتكى وهى تقول يارسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم انى اشكوا اليك ..

وكانت تراجع النبى فى الكلام فى شأن زوجها فكان كلما قال لها — صلى الله عليه وسلم — قد حرمت عليه قالت والله ماذكر طلاقا . ثم تقول اشكوا الى الله فاقتى ووحدتى ، وانه لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك ، فنزل الوحى بالحل ممثلا فى الآيات من أول المجادلة الى قوله تعالى[3] وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ..

---

(١) التوبة الاية ١٢٨

(٢) الظهار أن يقول لها أنت على كظهر أمى أو أختى ونحوه من المحارم .

(٣) القصة ماساقه الشوكانى باسناده مختصره وعلى غير ترتيبه انظر تفسير الشوكانى سورة المجادلة ..

وكثيرا جدا تلك المواقف التى جاء فيها الوحى على خلاف رغبته — صلى الله عليه وسلم — ولآيات العتاب خير مثال على ذلك [١] فهى تجسد هذه الحقيقة وزيادة هى تخطئته — عليه الصلاة والسلام أو بيان أنه عمل خلاف الأولى كما يرى آخرون [٢] ، وهناك آيات كثيرة غير ذلك تحمل هذا المعنى جاءت على غير ما يبتغى ، مثال ذلك ما كان من رغبته وعزمه بعد معركة أحد التى دارت على المؤمنين — ابتلاء لهم — واستشهد فيها عمه حمزة ومثل به ، أنه ان اظفره الله بهم ليمثلن بسبعين منهم به [٣] فنزل القرآن بضد هذه الرغبة حيث يقول تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) [٤]

ولقد كان مراده يوم الحديبية [٥] واصحابه أن يدخلوا مكة معتمرين وكانوا فى شوق شديد لكونهم حرموا من ذلك فترة من الزمان طويلة فاذا بالوحى يمنعه من ذلك [٦] ... الى غير ذلك من المواقف والآيات فى هذا فهل وجد فى التاريخ من يأتى بكلام ضد رغبته يتقيد به ويتبعه لكونه لا يمكن أن يفعل ما ينهى عنه والا أخذ عليه ، ولو أخذ عليه شىء من ذلك لما قام له أمر ..

---

(١) افردنا لها مبحثا خاصا ..

(٢) انظر علوم القرآن لصبحى الصالح ص ٣٠ — ٣١ .

(٣) انظر السيوطى اسباب النزول ص ١٣٥ .

(٤) النحل : ١٢٦ .

(٥) موقع قرب مكة عسكر فيه المسلمون وتم فيه صلح بينهم وبين قريش سيأتى ذكره .

(٦) حيث امتنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الدخول مكة [illegible] بروك الناقة وأبيانها التحرك نحو مكة وسيأتى [illegible] التفصيل [illegible] .

وكم نزل عليه الوحي بأمور صعبة وتكاليف ثقيلة لا يمكن أن يلزم بها أنسان نفسه من ذاته باختياره ، من ذلك موقفه في قضية زواجه من أم المؤمنين السيدة (زينب بنت جحش) وهي مطلقة ابنه بالتبني (زيد بن حارثة) حيث تحرج عليه الصلاة والسلام من ذلك كثيرا لدرجة أنه تردد فأخفى هذا الأمر في نفسه ابتداءا الشيء الذي عوتب عليه[1] .. ولكنه أقدم عليه بعد ذلك مع كونه أمرا شاقا وصعبا ، ولو كان كاتما شيئا لكتم ذلك ...

فكيف يكلف نفسه أمرا كهذا وهو عليه صعب وشديد ؟!

ثم أقرأ أول سورة المزمل حيث يقول تعالى أمرا له (يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا)[2]

فمن ذا الذي يكلف نفسه بمثل هذا العناء فيمتثل هذا الأمر الشاق بترك الفراش الدافيء ، وهجر الراحة الى التعب الشديد والجهاد ، والسهر والناس نيام فيقوم هو وأصحابه الليل حتى تورمت قدماه ويستمروا على ذلك عاما كاملا قبل نزول الآية الناسخة لهذا الحكم .[3]

وكذلك أقرأ وتأمل قوله تعالى (كتب عليكم الصيام)[4] فمنذا الذي يكلف نفسه بمثل هذا الأمر لو كان هذا الكلام كلامه فيترك ما لذ وطاب من المأكل والمشرب والمنكح ؟!

---

(١) قال تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) الاحزاب : ٣٧ .

(٢) الآيات من ١ — ٥ .

(٣) انظر اسباب النزول للسيوطي ص ٢٢٣ .

(٤) البقرة : ١٨٣

بل من ذا الذى يكلف نفسه أن يقاتل المشركين والمناويـين للدعوة ؟!

ليس ذلك فحسب بل وأن لا يولى العدو وبره فى القتال الا بشروط ضيقة[(١)] •

بـل (ان يكن منكم مائه [illegible] يغلبوا الفين)[(٢)] فما اشق أن يصمد

المقاتل أمام عشرة[(٣)] وان كان هذا الأمر قد وسع فيما بعد ولكن ما أعسر أن

يجابه المقاتل اثنين ؟! فأى انسان هذا الذى يكلف نفسه بمثل هـذا

التكليف الشاق ؟! وقد التزم به فلم يهرب فى معركة من المعارك أبدا بل

كان الفرسان يلوذون به اذا حمى الوطيس[(٤)]

هذا ••• والوحى يفاجىء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينزل

عليه من غير موعد ، ودون سابق انذار ، فليس هناك ساعة معينة لنزوله ولا عد نه

موقته يمتنع فيها عنه فهو متوقع مجيئه فى كل لحظة ، فقد يداهمه فى لحظة

يأوى فيها الى فراشه[(٥)] ، بل وقد يأتيه فى آخر الليل[(٦)] • كما يأتيه فى النهار

الحار وفى البرد القارس ، فى سفر أو فى حضر[(٧)] ، فى السوق ، وفى الحرب

بل وفى الاسراء والمعراج الى السماء[(٨)] بل وفى تحت الأرض كما يقول السيوطى[(٩)] •

---

(١) (الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة) الآية من سورة الانفال ١٦ .

(٢) الانفال : ٦٥ .

(٣) (استدل بذلك بعض أهل العلم بأنه كان لا يجوز أن يفر المرء من

(٤) كما يقول على رضى الله عنه انظر شرح الشفا ٢٥٨/١ وقد روى الحديث احمد والنسائى وغيرهما •

(٥) كسورة الكوثر التى نزلت عليه وهو على فراشه غير نائم انظر الاتقان ٣٨/١ .

(٦) كآية التوبة فى الذين خلفوا (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) الآية ١١٨ ، وانظر اسباب النزول للسيوطى ص ١٣٢ .

(٧) انظر الاتقان [illegible] .

(٨) قوله تعالى (واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا) الزخرف والآيتان الاخيرتان من سورة البقرة بكل اولئك فى ليلة المعراج •

(٩) انظر الاتقان [illegible] .

ضف الى ذلك المعاناة البدنية التى يلقاها الرسول — صلى الله عليه وسلم — حال الوحى ، فتلك أمر لا يمكن أن يتكلفه الرسول ويتصنعه ويدل دلالة قاطعة على خروج الأمر من يده ، وأنه شىء لا ارادة له فيه وأده خارج دائرة الذات المحمدية واليك فيما يلى مجموعة أحاديث تبين تلك المعناة ..

عن عائشة رضى الله عنها قالت " ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد وان جبينه لينتصد عرقا "(١)

وفى حديث الأفك ايضا عن عائشة " فوالله ما ام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات ، من ثقل الذى ينزل عليه ."(٢)

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال " أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى "(٣)

وقالت عائشة رضى الله عنها " وان كان ليوحى اليه وهو على ناقته فتضرب جرانها من ثقل مايوحى اليه "(٤)

ولقد كانت اشد معاناته كما يقول عليه الصلاة والسلام " احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على "(٥)

---

(١) رواه البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير (سورة النور) .

(٣) البخارى تفسير سورة النساء .

(٤) رواه أحمد والبيهقى فى الدلائل — أنظر شرح المواهب ١/ ٢٢٩ .

(٥) البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى .

أما الآن وفي نهاية هذا المبحث لنا لقاء مع الدكتور دراز قد يطول بعض الشيء لأني آثرت أن أورد كلامه نصا لكونه لا يحتمل الاختصار من جهة ، وبلاغة الرجل وبيانه ـ في نظري ـ انا أعجز من أن آت بما هو أنصح ولا أفضل منها من جهة أخرى ، فلنعش معه لحظات يضع لنا فيها آخر لمسات هذا المبحث فيقول ..

" ولقد كان يأتيه الأمر احيانا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا اصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد . قل لي بربك أي عاقل توحي اليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه ، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته ؟ أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل وأنه مأمور لا آمر ؟

نزل قوله تعالى (وإن تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)[1] فأزعجت الصحابة ازعاجا شديدا ، ودخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء .. حتى حركات القلوب وخطراتها ـ فقالوا : يارسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)[2] فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها بقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[3] الى آخر السورة المذكورة .. وهنالك علموا

---

(١) البقرة : ٢٨٤ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

أنهم انما يحاسبون على ما يطيقون من شأن القلوب وهو ما كان من الثبات المكسوبة والعزائم المستقرة ، لا من الخواطر والأماني الجارية على النفس بغير اختيار الحديث في مسلم وغيره وأشار اليه البخاري في التفسير مختصرا ..

وموضع الشاهد منه أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ، ولأزال اشتباههم من فوره لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم في أشد الحاجة اليه ، ولم يكن ليتركهم في هذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رؤوف رحيم ، ولكنه كان مثلهم لينتظر تأويلها . ولأمر ما أخر عنهم هذا البيان ، ولأمر ما وضع حرف التراخي في قوله (ثم ان علينا بيانه)[1]

وأقرأ في صحيح البخاري وسنن أبي داود وغيرهما قضية الحديبية ففيها آية بينة : اذ ن الله للمؤمنين أن يقاتلوا من يعتدي عليهم أينما وجدوه غير ألا يقاتلوا في الحرم من لم يقاتلهم فيه نفسه فقال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم — الآيات من سورة البقرة ..[2]

فلما أجمعوا زيارة البيت الحرام في ذلك العام . وهو العام السادس من الهجرة أخذوا اسلحتهم حذرا أن يقاتلهم أحد فيدافعوا عن انفسهم الدفاع المشروع ، ولما أشرفوا على حدود الحرم علموا أن قريشا قد جمعت جموعها على مقربة منهم فلم يثن ذلك من عزمهم ، لأنهم كانوا على تمام الأهبة ، بل زادهم ذلك استبسالا وصمموا على المضي الى البيت

---

(١) القيامة : ١٩ .

(٢) ١٩٠ — ١٩٣ .

فمن صدهم عنه قاتلوه ، وكانت قريش قد نهكتها الحروب فكانت البواعث كلها متضافرة ، والفرصة سانحة لئلا لتحام فى موقعة فاصلة يتمكن فيها الحق من الباطل فيدفعه ، وانهم لسائرون عند الحديبية اذ بركت راحلة النبى — صلى الله عليه وسلم — وأخذ اصحابه يثيرونها الى جهة الحرم فلا تثور ، فقالوا خلاءت القصواء أى حرنت الناقة ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — ماخلاءت القصواء وماذاك لها بخلق ، ولكن جيشها حابس الفيل ، يعنى أن الله الذى اعتقل الفيل ومنع أصحابه من دخول مكة محاربين ، وهو الذى اعتقل هذه الناقة ومنع جيش المسلمين من دخولها الآن عنوة ، وهكذا أيقن أن الله تعالى لم يأذن لهم فى هذا العام بدخول مكة مقاتلين ، لا بادئين ولا مكافئين وزجر الناقة فثارت الى ناحية أخرى فنزل بأصحابه فى أقصى الحديبية وعدل بهم عن متابعة السير امتثالا لهذه الاشارة الالهية التى لا يعلم حكمتها وأخذ يوصى لدخول مكة من طريق الصلح مع قريش قائلا (والذى نفسى بيده لا يسألون خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها) ولكن قريشا أبت أن يدخلها فى هذا المقام لا محاربا ولا مسالما ، وأملت عليه شروطا قاسية بأن يرجع من عامه ، وأن يرد كل رجل يجيئه من مكة مسلما ، والا ترد هى أحدا يجيئها من المدينة تاركا لدينه ، فقبل تلك الشروط التى لم يكن ليمليها مثل قريش فى ضعفها على مثل المؤمنين فى قوتهم ، وأمر اصحابه بالتحلل من عمرتهم وبالعودة من حيث جاءوا . فلا تسل عما كان لهذا الصلح من الوقع السيء فى نفوس المسلمين . حتى أنهم لما جعلوا يحلقون ، بعضهم لبعض ، كاد يقتل بعضهم بعضا ذهولا وعجبا ، وكادت تزيغ قلوب فريق من كبار الصحابة فأخذوا يتساءلون فيما بينهم ويراجعونه هو نفسه قائلين لم نعطى

الدنيئة فى ديننا ؟ .. وهكذا كاد الجيش يتمرد على أمر قائده ويفلت حبله من يده ... أفلم يكن من الطبيعى اذ ذاك لو كان هذا القائد هو الذى وضع هذه الخطة بنفسه أو اشترك فى وضعها ، أو وقف على اسرارها ، أن يبين لكبار أصحابه حكمة هذه التصرفات التى فوق العقول حتى يطفى نار الفتنة قبل أن يتطاير شررها ، ولكن انظر كيف كان جوابه حين راجعه عمر (انى رسول الله ولست اعصيه ، وهو ناصرى ، يقول انما أنا عبد مأمور ليس لى من الأمر شىء . الا أن انفذ أمر مولاى ، واثقا بنصره قريبا أو بعيدا ، وهكذا ساروا راجعين ، وهم لا يدرون تأويل هذا الاشكال ، حتى نزلت سورة الفتح فبينت لهم الحكم الباهرة ، والبشارات الصادقة ، فاذا الذى ظنوه ضيما واجحافا فى بادىء الرأى . كان هو النصر المبين والفتح الأكبر وأين تدبير البشر فى تدبير القدر[1] (وهو الذى كف ايديهم عنكم وايدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ، والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ، ليدخل الله فى رحمته من يشاء . لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ، اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما ، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)[2]

(١) النبأ العظيم ، ص ٢٨ ـ ٣١

(٢) الآيات من سورة الفتح : ٢٥ وما بعدها ..

الفصل الخامس

البشارات فى الكتب القديمة ..

لقد جاء فى القرآن الكريم مايفيد أن اسم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفته الخلقية والخلقية ، كل أولئك مكتوب عند أهل الكتاب فهم يعرفونه حق المعرفة التى تصل الى درجة اليقين حيث يخبر تعالى عن ذلك بقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (١)

وكذلك فى سورة الانعام حيث يقول : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (٢) وقد جاء فى سورة الاعراف أيضا قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) (٣)

ولقد جاء مايفيد كذلك ، أنه فى كتب الأولين باطلاق وذلك ممثلا فى قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وانه لفى دبر الأولين) (٤) حيث أخبر تعالى أن خبر هذا الرسول ، وهذا الدين الذى جاء به وهذا القرآن الذى هو عماد ذلك الدين ، كل ذلك موجود فى كتب الأولين ..

---

(١) البقرة الاية : ١٤٦ .

(٢) الآية ، ٢٠ .

(٣) الآية : ١٥٧ .

(٤) الشعراء الآيات : ١٩٢ ـ ١٩٦ .

ولا ريب أن محمدا — عليه الصلاة والسلام — كان على يقين تام من أن ذلك موجود حقا في تلك الكتب، وإلا لما تجرأ على ذكر ذلك، وهو ليس موجودا فيها فيسعى بنفسه الى تكذيب نفسه ... ولو كان الأمر فيها خلاف ما جاء في القرآن لقالوا له: هذه هي كتبنا فأين وضعك فيها ؟

" بل لو علم انتفاء ذلك لامتنع أن يخبر به مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه واعدائه، فان هذا لا يفعله أقل الناس عقلا لأن فيه اظهار كذبه عند من آمن به منهم وعند من يخبرونه "(١)

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه — أشد الناس حرصا، وأكثرهم حدبا على أن يصدقه الناس، ويتبعوه، ولا سيما أهل العلم والكتاب ...

وعليه : فالاستدلال عليهم بما هم يعلمون أنه باطل، لاصحة فيه أمر لايمكن صدوره من محمد — صلى الله عليه وسلم — الا وهو متأكد مما يقول . ولا يمكن أن يكون على يقين من ذلك : الا بواسطة اخبار من الله، لأنه أمي لايمكنه الاطلاع على تلك الكتب، حتى ولو اطلع عليها ولم تكن تلك صفته على الحقيقة فماذا يكون موقفه عند ذلك ؟! وتلك مغامرة لايمكن أن يخوضها محمد .. لان اخباره صلى الله عليه وسلم بما هو غير واقع يجعله في مصاف الكذابين ولو ضبطت عليه — وحاشاه — كذبة واحدة لما كان هناك مايسمى بقرآن ولا اسلام ، ومثل هذا الادعاء لو كان باطلا أمر لا يفعله عاقل فكيف اذا كان (محمد) المعروف برجاحة عقله، ووفرة حلمه وفضله ؟! لأن ذلك اذا كان

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ص٣/٩٢ ٢ .

مجافيا للحقيقة فانه لن يجعل الناس يصدقونه ولكن ينفرون منه ويكذبونه وهذا أمر لا يسعى اليه محمد وانما كل سعيه ودأبه فى مقابل ذلك وعكسه تماما وهو انتشار دعوته والتفاف الناس حولها لا ابعادهم عنها واقصاءهم ..

" ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة سواء كان صادقا أو كاذبا لابد أن يخبر به الانبياء، فانهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذيرا للناس من فتنته وأنه كذاب يظهر على يديه أمور يفتتن بها الناس، مع ان الدجال مدته قليلة، فلو كان مايقوله المكذب لمحمد حقا، وأنه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة، لأن الذين اتبعوه اضعاف اضعاف من يتبع الدجال، فلو كان كاذبا لكان الذين افتتنوا به اضعاف اضعاف من يفتتن بالدجال، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال اذ ليس فى العالم من زمان آدم الى اليوم . كذاب ظهر، ودام هذا الظهور والدوام . فكيف يغفل الانبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذبا ؟!

واذا كان صادقا فالبشارة به للايمان به أولى يبشر به الانبياء من المستقبلات ، ويخبر به ،فتعلم أنه لابد أن يكون فى الكتب ذكره "(١)

وكتب أهل الكتاب الموجودة بين أيدينا اليوم ، ومن سبقوهم تؤكد هذه الحقيقة ... نعم انها حرفت فى كثير منها ، ولكن على الرغم من ذلك يمكن أن نلمس فيها بوضوح تلك البشارات ، فان اشارات الحق لن تنطفىء مهما حاولوا طمسها ..

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، م ٣/ ٢٩٤

وسأورد فيما يلي بعض الامثلة من العهدين، القديم والجديد وكذلك من كتب من سبقوهم ، وبهذه الأخيره ابدأ لكونها اكتشفت وترجمت في هذا العهد ، فهي لم يتسع انتشارها مثل تلك ... نقدمها لما في ذلك من الفائدة والأهمية ، حيث لا تزال تلك البشارات تتسبب في دخول كثير من الناس الى حظيرة الاسلام عبر الزمان، واحسب أن سماع الجديد منها أوقع في النفس وادعى للايمان بهذا الرسول الكريم وبما جاء به من الوحي ..

" فقد ظهرت أخيرا هذه البشارات عندما تحرك علماء المسلمين في الهند للتنقيب عن حقيقة الاديان الهندية، فوجدوا بعد بحثهم أن البراهمة ينتسبون الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ـ ولهم كتب عثروا عليها ومن هذه الكتب ما جمع في كتاب الفه عالم هندى اسمه (تي محمد) وقد جمع تلك البشارات من مصادر هندوسية ونشرها حديثا "(١)

فقلت لعل ذلك ـ اذا صحت نسبة هؤلاء البراهمة الى ابراهيم ـ يكون شعاعا من بقايا صحف ابراهيم عليه السلام التى أشار اليها القرآن مع صحف موسى حيث يقول (ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى)(٢) فأخبر أن ما جاء به من الحق موجود فى تلك الصحف والله أعلم ..

وهنالك أيضا " كتاب باللغة الانجليزية الفه مولانا (عبد الحق فديارتى) وسماه محمد فى الاسفار العالمية ، واستفاد فى مقارناته ومناقضاته

---

(١) من محاضرة لشيخ عبد المجيد الزندانى طبعتها جامعة الملك عبد العزيز اللجنة التوعية الثقافية لموسم ١٣٩٦/٩٥ هـ ص٩٣ .

(٢) سورة الاعلى ، الايتين : ١٨ و١٩ .

بمعرفته للفارسية والهندية، والعبرية والعربية ، وبعض اللغات الاوربية ولم يقدح فيه بكتب التوراة والانجيل بل عمم البحث فى كتب فارس والهند وبابل القديمة "(١)

وسنورد فيما يلى طرفا من تلك البشارات فى ذينك الكتابين :

لقد جاء فى كتاب هندوسى اسمه (ادروفيد ن) مانصه :

" أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث المحمد بين اظهر الناس"(٢)

ويلاحظ هنا أنه ذكر اسم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صريحا ..

وجاء فى كتاب (داهوس برام)

" هم الذين لايقتتلون ، ولا يربون الفزع ويربون اللحى ، وهم مجاهدون " ينادون الناس للدعاء بصوت عال ويأكلون أكثر الحيوانات الا الخنزير ، ولا يستعملون الدرباه(٣) للتطهير بل الشهداء هم المتطهرون ويسمون بمسلمى(٤) بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل وديلهم هذا يخرج منى وأنا الخالق "(٥)

وتلك كما هو واضح صفات المسلمين بحق فهم لايقتتلون فهم (رحماء بينهم)(٦) (ولا يخشون احدا الا الله)(٧) ، وهم الذين أمرهم نبيهم

---

(١) العقاد : مطلع النور ، ص١٢ .

(٢) الجزء الثانى المجموعة (١٢٧) الفقره رقم (٧٠) العبارة (١ ـ ٣) نقلا عن الزندانى المصدر السابق .

(٣) فى الهند شجرة للتطهير تسمى الدرباه من استخدمها تطهر من الانجاس (فى معتقدهم) انظر الزندانى المصدر السابق .

(٤) يعنى المسلمين .

(٥) تى محمد : اروفيد ن ، الجزء الثالث ، المجموعة الثالثة ، عبارة ٢٧ ، ٢٨ نقلا عن محاضرة الزندانى سابقة الذكر ص١٣ .

(٦) سورة الفتح من الآية ٢٩ .

(٧) من سورة الاحزاب الاية ٣٩ .

أن يوفروا اللحى مخالفة للمشركين [١] ، وهم يرفعون أصواتهم بالأذان للصلاة وفي التلبية للحج والعمرة ، وهم لا يشركون مع الله أحدا ولا يتمسحون بالأوثان ولا يأكلون لحم الخنزير [٢] .

كما قد جاء في كتاب (لبوس برام) مايلي :

" في ذلك الحين بعث اجنبي مع اصحابه باسم محما [٣] الملقب بأستاذ العالم ، والملك يطهره بالخمس المطهره " [٤]

ولا ريب أن هذا هو وصف محمد — صلى الله عليه وسلم — فهو أجنبي عن بني اسرائيل ، فليس منهم ، وقد كانت النبوة تترى فيهم من قبله ، وهو الذي يسمى اتباعه الذين عاصروه بأصحابه ، وهو فعلا استاذ الدنيا حيث بعث للعالمين جميعا ، وقد ترك لهم ما يسترشدون به من كتاب وسنة الى يوم القيامة فهو بحق استاذ العالم ، وتلك الخمس المطهره هي الصلوات الخمس ..

وجاء في كتاب (الساما فيدا) وهو من كتب البراهمة ايضا ما نصه :

" أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة ، وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس [٥] ..

---

(١) فقد جاء في الحديث الشريف (اوفروا اللحى خالفوا المشركين) ..

(٢) فقد قال تعالى (قل هو الله أحد) الاخلاص آية (١) وقال (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) المائدة آية ٩٠ وقال (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) المائدة آية (٣) .

(٣) يعني (محمد) .

(٤) (من كتاب لبوس برام) والنص من محاضرة الزنداني المطبوعة بجامعة الملك ٩٥/ ١٣٩٦ ص ١٣

(٥) الجزء الثاني ، ٦ و ٨ والنص من كتاب محمد في الاسفار العالمية (المحمدتي) ص ٤٧ . أورده العقاد في (مطلع النور) ص ١٢ .

وقد صرح هنا أيضا باسم النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قد جاء في مواضع كثيرة من كتبهم وصفه - صلى الله عليه وسلم - الذي يعني الحمد الكثير ومن أسمائه الوصفية اسم (ستشراقا) الذي ... في كتاب الآثار فيدا) ... (زندا فستا) ويتصدى له عدو ويسمى بالفارسية القديمة (أبا لهب) ... (Angra Mainyu) ويدعو إلى الاه واحد لم يكن له كفوا أحد (هيج جيز باونيار) [1] ...

وهذه - ولا ريب - صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو رحمة للعالمين كما قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) [2] ...

وأبو لهب معروف (تبت يدي أبي لهب وتب) [3]

ومن هذه الكتب القديمة جدا ننتقل إلى التوراة والانجيل لنورد اليك طرفا مما جاء فيهما من بشائر وذلك في ايجاز شديد لكونها من الكثرة بمكان ..

فقد جاء في سفر التكوين ما نصه: ... "فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من خلقه فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الامم" [4] وفي طبعة أخرى "واليه تجتمع الشعوب" [5]

---

(١) عن مطلع النور للعقاد ص١٣ .

(٢) الانبياء الاية : ١٠٧ .

(٣) التبية ...

(٤) الاصحاح التاسع والاربعون الفقرة العاشرة .

(٥) قال صاحب اظهار الحق أنها طبعت سنة ١٨٤١م ص٢/٢٥٢ .

وذلك النص يشبه كثيرا قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)[1] حيث ذكر تلك المواطن الثلاث للرسالات ، التين والزيتون حيث جبل زيتون وهو موطن عيسى كما ترداد الأناجيل اسم ذلك الجبل ، وطور سيناء هو مكان كلم الله موسى ، ومكة حيث البلد الأمين الذى فيه نزل الوحى على محمد ـ عليه وعليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام[2] .

وجاء فى اشعيا الاصحاح الثانى والاربعين :

" لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع من رؤس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر "[3] .

وفى هذا النص نجد الاشارة كذلك الى بلاد العرب مكة ، موطن قيدار ، ثم المدينة المنورة ، حيث جبل سلع المسمى بهذا حتى الآن ، وسالع اسمه بالعبرانية ـ كما يقول صاحب كتاب الفارق بين الخالق والمخلوق[4] . وهى مكان هجرته صلى الله عليه وسلم . كما هو معلوم .

ومن التوراة ننتقل الى الانجيل فنجد مايلى من النصوص :

" وانا اطلب من الأب فيعطيكم فارقليطا آخر ليثبت معكم الى الأبد "[5]

---

(١) سورة التين : الآيات ١ ـ ٣ .

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/٣٠٠ .

(٣) الفقرة الحادية عشرة .

(٤) ص ٣٩٢ .

(٥) يوحنا : الاصحاح الرابع عشر ، الفقرة ١٦ .

صالحا وممتلئا من الروح القدس "[١] وهذا الصالح له انجيل ينسب إليه وقد منع وحرمت قراءته من جانب الكنيسة قبيل الاسلام بعد انحرافهم عن التوحيد ، فقد حرم (البابا جلاسيوس) قراءته سنة ٤٩٢ م ووجدت له فيما بعد مخطوطات كثيرة في البحر الميت والفيوم من اعمال مصر وفي مصر العليا وكلها تؤيده وتثبت أن هذا الانجيل كان موجودا قبل الاسلام ومشهودا لدى علماء أهل الكتاب عند خاصتهم .[٢][٣]

أما اكتشافه فقد تم بوجود نسخة منه في جوسيحي صرف وذلك أن تلك النسخة وهي المعروفة الآن في العالم والتي نقل عنها هذا الانجيل انما هي نسخة ايطالية وجدت في مكتبة بلاط فينا ... وأول من عثر عليها هو (كريمر طولند) أحد مستشاري ملك بروسيا الذي كان مقيما وقتها في (استردام) سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد مشاهير وجها ء تلك المدينة وقد اقرضها الكريمر ثم بعد أربعة اعوام من ذلك أهداها الى (البرنس أو سافوى) الذي كان شديد الولع بالعلوم والآثار التاريخية، والذي انتقلت منه تلك النسخة سنة ١٧٣٨ ضمن مكتبته الى البلاط الملكي في فينا حيث استقرت فيه ولقد وجد هذه النسخة فيما بعد في ذلك البلاط الراهب اللاتيني (فرامرينو) وقد كان يتطلع الى العثور عليها بشغف شديد وذلك اثر عثوره على رسائل (لايريانوس) وفيها رسالة يندد فيها بالقديس (بولس) الرسول ، وقد اسند اريانوس تنديده هذا الى انجيل برنابا ، وكان عثوره

---

(١) اعمال الرسل : الاصحاح التاسع : الفقرة : ٢٦و٢٧ .

(٢) انظر محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص٩٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه ص١٤٥ .

على الانجيل عندما وافاه الحظ فأصبح مقربا من البابا (اسكوتس) الخامس واتفق انهما ذات يوم دخلا معا مكتبة البابا ، وكان أن نعس هذا الأخير فنام، فرأى فرايسو أن يقتل الوقت بالاطلاع الى حين استيقاظ البابا فكان أول ماوضع عليه يده ، هذا الكتاب ، فطار به فرحا، واخفاه في ثيابه ولما استفاق البابا استأذن بالانصراف ، فخرج ومعه ذلك الكتاب، وعاد فرايسو فطالعه ، وعلى أثر ذلك اعتنق الاسلام دينا .(١)

والدليل الموءكد على أنه وجد في ذلك الجو المسيحي الخالص، أنه لم يرد له ذكر في كتابات مشاهير الكتاب من المسلمين ، في أي عصر من العصور، ولا حتى في موءلفات من انقطع الى مجادلة النصارى ومناظرتهم ومثل هذا الكتاب لو كان معلوما لديهم لكان أمضى سلاح لهم ضد النصارى ليس ذلك فحسب بل لم يرد لهذا الإنجيل من ذكر في فهارس الكتب العربية ، عند العرب أو غيرهم ولا حتى المستشرقين الذين عنوا بوضع الفهارس لأندر الكتب العربية قديمه وحديثه .(٢)

والكتاب به بشائر بصدق النبي — صلى الله عليه وسلم — وأنه قد جاء بالدين الحق، فهو ينكر الوهية المسيح ، وينكر الصلب(٣) ، ويورد(٤) صراحة اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — وكما وعدتك فاليك طائفة موجزة من هذه البشائر .

---

(١) انظر مقدمة خليل سعاده للترجمة العربية لانجيل برنابا ص ٨ و ١٩ .

(٢) انظر مقدمة خليل سعاده لانجيل برنابا ، ص ٢٣ .

(٣) انظر ص ٢٧ من الترجمة العربية، الفقرات من ١ — ٨ .

(٤) انظر الفصل السابع عشر بعد المائتين : الفقرات من ١ — ٩٣ .

فقد جاء في الاصحاح التاسع والثلاثين :

" فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : لا اله الا الله محمد رسول الله "(١)

وجاء " فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب لا اله الا الله محمد رسول الله "(٢)

وجاء ايضا في معرض حديثه عن الحشر:

" ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الاصفياء الذين يصرخون اذكرنا يامحمد "(٣)

وجاء كذلك :

" قال الله اصبر يامحمد ... ان اسمه المبارك محمد "(٤)

وجاء :

" ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمة "(٥)

وكذلك قد جاء :

" اجاب التلاميذ يامعلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى يتكلم عنه ، الذى سيأتي الى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج : انه محمد رسول الله "(٦)

---

(١) الفصل التاسع والثلاثون :الفقرة ، ١٤ .

(٢) الفصل الحادى والاربعون : الفقرة ٣ .

(٣) الفصل الرابع والخمسون : الفقرة : ٩ .

(٤) الفصل السابع والتسعون : الفقرتين ١٤ و١٧ .

(٥) الفصل الثاني عشر بعد المائه ، الفقرة ١٧ .

(٦) الفصل الثالث والستون بعد المائه : الفقرتين ، ٧ و٨ .

وان كان لنا من كلمة أخيرة نقولها فى هذا الصدد فهى :

أن هذه البشائر ليست وحدها هى الدلالة على نبوة محمد وصحة رسالته ، ولكنها مع غيرها تؤكد وتعزز هذه الحقيقة وان كان القرآن يغنى عنها جميعا فى هذا المجال مبثلا فى اعجازه ، وذلك له مكان فى هـــذا البحث ، ولكن لما كان القرآن نفسه هو قضيتنا فى هذه الرسالة آثرنا ايراد شواهد من غيره فى هذا الشأن ... فقد يقول قائل ان هذا يثبـــت رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن ما علاقة ذلك بالقرآن فنقول : اذا ثبتت رسالة النبى — وهى ثابتة — فقد ثبت أن القرآن كلام الله تعالـى وليس كلام محمد ولا أحد غيره من الخلق . لهذا فقد أكثرنا من ايراد مثل هذه المعالم على نبوءة محمد — صلى الله عليه وسلم — ..

الفصل السادس

آيات قرآنية تنفى أن يكون هذا القرآن من الرسول "صلى الله عليه وسلم"
منها آيات فيها عتاب ..

فلقد سجل القرآن الكريم فى كثير من آياته عتابا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلقاه من ربه فى شأن أعمال قام بها خلاف الأولى عتابا، يتفاوت عنفا ولطفا ...

فدل ذلك كل عاقل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحال من الأحوال .. لأنه لو كان كلامه لما تعرض لذكر ذلك الاخطاء التى ترتب عليها ذلك العتاب ...

وإليك فيما يلى أيها القارىء الفاضل ، طائفة من الآيات فى هذا الصدد :

يقول تعالى :

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى، وما عليك الا يزكى، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ،كلا انها تذكره)(١)

..(وما كان لنبى أن يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم، ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما افضتم عذاب عظيم ، فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم)(٢)

---

(١) عبس : ١ ـ ١١ .

(٢) الانفال : ٦٧ - ٦٩ .

... (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما)(١)

... (وما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم).(٢)

... (عفا الله عنك ، لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)(٣)

... (ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم)(٤)

... (واذ تقول للذى أنعم الله عليه ، وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله احق أن تخشاه)(٥)

ان هذه الآيات ليس فيها مجرد المخالفة لرأى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فحسب ، ولكنها اشتملت بجانب ذلك على تعنيف ... ونقد شديد فى بعضها وتقريع اليم — كما سيتبين — فهل سمعت أيها القارىء فى تاريخ الأولين والاخرين من يصم نفسه بالعمل مع الخائنين ؟! وأى عاقل يرضى أن يسجل على نفسه مثل هذا فى كتاب ليبقى ما بقى ذلك الكتاب؟!

---

(١) النساء : ١٠٦ .

(٢) التوبه : ١١٣ .

(٣) التوبة : ٤٣ .

(٤) التحريم : (١) .

(٥) الاحزاب : ٣٧ .

ان محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لوكان هو مصدر هذا لكان على الأقل يتناوله هذا العتاب القاسي منه بشيء من التلطيف والتعديل ـ لو كان ـ يستطيع أن يبدل فقد طلب منه ذلك من قبل المشركون، حيث قالوا ـ كما أخبر الله عنهم (ائت بقرآن غير هذا أو بدله)[1] فكان رده كما أمره ربه تعالى (قل مايكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي، ان اتبع الا مايوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم)[2]

والآن لنقف بك أيها القارئ وقفات قصيره مع تلك الآيات نفصل فيها بعض التفصيل فقد سردناها من قبل في اجمال وهو كاف، ولكن غرضنا ايضاح الأمر أكثر فتكون الصورة أبين، فالتناولها على ترتيبها الذى تقدم

فأما آيات سورة عبس فانها نزلت في (عبد الله بن أم مكتوم) وكان قد أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعنده رجل من عظماء قريش (المشركين) فجعل يقول: يارسول الله ارشدني، فجعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأسا ؟ فيقول لا، فنزلت تلك الآيات.[3]

ولنا لقاء مع الاستاذ سيد قطب يحلل لنا هذا الموقف فيقول عن الآيات أنها قد صيغت.

" بصيغة الحكاية عن أحد غائب غير المخاطب، وفي هذا الاسلوب ايحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب

---

(١) يونس: ١٥.

(٢) تمام للاية السابقه.

(٣) اسباب النزول للسيوطي ص٢٢٧.

— سبحانه — أن يواجه به نبيه وحبيبه عطفا عليه ، ورحمة به واكراما له من المواجهة بهذا الأمر الكريه ، ثم يستدير التعبير بعد مواراة الفعل الذى نشأ عنه العتاب ، ويستدير العتاب فى صيغة الخطاب فيبدأ هادئا (ومايدريك لعله يذكى ؟ أو يذكر فتنفعه الذكرى ؟) مايدريك أن يتحقق هذا الخير الكثير، أن يتطهر هذا الرجل الأعمى الفقير، الذى جاءك راغبا فيما عندك من الخير، وأن يستيقظ قلبه فتنفعه الذكرى، ومايدريك أن يشرق هذا القلب بقبس من نور الله فيستحيل منارة فى الأرض يستقبل نور السماء ... ثم تعلو نبرة العتاب ، وتشتد لهجته ، وينتقل الى التعجيب ؟ (أما من استغنى فأنت له تصدى !؟ وما عليك الا يزكى !؟ ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى) أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعما عندك من الهدى والخير والنور والطهارة، أما هذا فأنت تتصدى له وتحفل بأمره وتجهد لهدايته وتتعرض له وهو عنك معرض، (وما عليك الا يزكى) ومايضيرك أن يظل فى رجسه ودنسه ؟! وأنت لا تسأل عن ذنبه وأنت لا تنصر به وأنت لا تقوم بأمره وأما من جاءك طائعا مختارا (وهو يخشى) ... يتوقى فأنت عنه تلهى وسمى الانشغال عن الرجل المؤمن الراغب فى الخير التقى تلهيا وهو وصف شديد ، ثم ترتفع نبرة العتاب حتى تبلغ حد الردع والزجر (كلا) لايكن ذلك أبدا وهو خطاب يسترعى النظر فى هذا المقام "[1]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن تفسير سورة عبس .

أما آيات سورة الانفال فان سبب نزولها : هو أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد استشار الناس فى أسارى يوم بدر فقال عمر بن الخطاب أرى يارسول الله أن تضرب اعناقهم ، بينما رأى أبو بكر ان يعفى عنهم ويقبل منهم الفداء، فوافقه الرسول على ذلك ، فنزل القرآن موافقا لعمر ومعاتبا له — صلى الله عليه وسلم — [١] ..

وكما نلاحظ أيها القارىء ، فان الآيات قد صدرت يكون يلفى يفيد الاستنكار والتخطئة ، ثم بعد معتاب شديد ، بل وتخويف بالعذاب (لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) وتعريض بالمؤمنين بما فيهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وكان الأولى اتباع مايريد الله .

فهل يمكن أن يكون هذا الكلام صادرا من محمد — عليه الصلاة والسلام — وكيف يخطىء محمد نفسه ، وأبا بكر وما ادراك من هو ابو بكر عند النبى ثم يصوب عمر [٢] فأى مصلحة له فى ذلك لو كان هذا الكلام كلامه ؟!

ولعل المدهش حقا والداعى الى العجب أن يختم الأمر بعد ذلك العتاب والتخويف باقرار لما اقدموا عليه وتطيب لنفوسهم (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) ولقد صارت هذه الواقعة التى حصل فيها العتاب هى القاعدة لما جاء فيما بعد ، فهل يمكن أن تكون الحال النفسية التى يصدر عنها أول هذا الكلام هى نفسها التى صدر عنها آخره ، ولم تمض بينهما فترة تفصل

---

(١) اسباب النزول للسيوطى ص١١٤ .
(٢) وعمر عظيم وكان ابا بكر اعظم رضى عنهما وعن اصحاب رسول - صلى الله عليه وسلم جميعا ..

بين زمجرة الغضب والندم وبين ابتسامة الرضى والاستحسان، ان هذه لا يمكن أن تكون بحال ابدا نفسها بشرية، فلا يمكن أن يكون الآمر هو بعينه المأمور ويستحيل أن يصدر فعل هذا عن بشر هكذا من غير فاصل بين الانكار والاذن ولا بين المدح والذم ولا بين التهديد والوعيد والوعد، لأن البشر في العادة يشغلهم شأن عن الآخر فلا يجتمع لهم في أمر واحد وآن واحد خاطران متقابلان أو متنافيان كماثلنا، ولكن النفس البشرية اذا توارد عليها خاطران فانما يردان متعاقبين في وقتين مختلفين، وعندها يكون اللاحق ناسخ للسابق وماح له فاذا محاه لم يبق وقتها معنى لتسجيله، بل الطبيعي هو تركه واسقاطه لاسيما اذا كان الخاطر الأول فيه اعلان للتخطئة واللوم والعتاب كما هو الحال في تلك الآيات وعليه فالنفس التي صدر عنها هذا الكلام والقرآن كله هي نفسه لا يشغلها شأن عن شأن فلا يمكن أن تتأثر بشيء مما يتأثر الانسان، الا وهي الذات العلية، ذات الخالق عزوجل.(1)

أما آية سورة النساء، ومابعدها فسبب نزولها أن أهل بيت يقال لهم بنو ابيرق وكان احدهم منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله — عليه الصلاة والسلام — ثم ينسبه الى بعض الاعراب وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والاسلام، وكان لأحد اصحاب رسول الله طعام وسلاح في مخزن، فثقب المخزن وعدى على ما فيه من سلاح وطعام فلما اصبح صاحبه تحسس وسأل فقيل له أن ان بني ابيرق قد استوقدوا ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم ومازال يسأل حتى لم يشك

---

(1) انظر دراز: النبأ العظيم: ص ٢٢٦.

أن بنى ابيرق هم اصحابه فأرسل ابن أخيه للرسول يخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم سأنظر فى ذلك ، فلما سمع بنو ابيرق اتوا رجلا منهم وكلموه فأجتمع فى ذلك اناس من أهل الدار فجاؤا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا ان فلانا وابن أخيه قد عمدوا الى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، فلما رجع ذلك الصحابى للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال له عمدت الى أهل بيت ذكر عنهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة ؟ فرجع وأخبر عمه الذى قال : الله المستعان فلم يلبث أن نزل القرآن .(١)

وكما لاحظت فان تلك الآيات تحمل شديد العتاب للرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث يخبره ربه أنه انما انزل اليه الكتاب لأجل أن يحكم بين الناس بما آراه وعرفه اياه بما هو جار على سنن ماقد أوحى الله به وأرشده اليه لا لأجل ان يكون للخائنين خصيما فانه لايجوز أن يخاصم عن أحد الا بعد العلم بأنه محق . وأمره ربه أن يستغفر لما فعل .

"أما آية التوبه الاولى (١١٣) فسببها أن ابا طالب لما حضرته الوفاة ووعك مال عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : ياعم قل لا اله الا الله احاج لك بها عند الله فلم يقلها وكان عنده عبد الله بن امية وأبو جهل فقالا له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ولم يزالا به يكلمانه حتى كان آخر ماسمع عنه أنه عليها . فقال عليه الصلاة والسلام لاستغفرن لك مالم انه ، فنزلت الآية بالنهى ، وروى أنه خرج يوما الى المقابر فجلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى يقول بن مسعود فبكيت لبكائه

---

(١) انظر اسباب النزول للسيوطى ص٨٢ و ٨٣ .

فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر أمى وانى استأذنت ربى فى الدعاء لها فلم يأذن لى وانزل الله الآية ، ويحتمل أنها نزلت للسببين .(١)

وملاحظ تصديرها بالكون المنفى الذى يدل على الانكار ، فلا يمكن أن يكون هذا كلام محمد والحال أن نفسه وعاطفته ضد ذلك تماما بدليل بكائه فلا تسمح له أن يصدر عنه مثل ذلك الكلام ولكنه كلام الله عزوجل .

أما آية التوبة (عفا الله عنك لم اذنت لهم) الى آخرها فانها نزلت عتابا على اذنه صلى الله عليه وسلم للمنافقين فى التخلف من غزوة تبوك .(٢)

والاستفهام هنا لانكار هذا الاذن وتقديم العفو عتاب لطيف له ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه .

ومثلها آية التحريم حيث ينكر المولى بالاستفهام على نبيه أن يحرم على نفسه وسريته أو شرب شراب ، أو كلاهما معا ، وهو حلال عند الله وبسط ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت له أمة يطوءها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراما فأنزل الله الآية وما اخرجه الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يشرب عسلا عند سودة احدى زوجاته فلما دخل على عائشة ذات يوم فقالت انى اجد منك ريحا وكانت قد تواطأت مع حفصة التى قالت له مثل ذلك حينما دخل عليها فقال آراه من شراب شربته عند سودة والله لا اشربه فنزلت الآية ..

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٢٦ و ١٢٧ .

(٢) انظر السيوطى : اسباب النزول ص ١١٨ .

قال الحافظ بن حجر ويحتمل أن تكون الآية نزلت فى السببين معا.[1]

أما آية الاحزاب فقد نزلت فى زيد فى قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش[2] عندما كانت زوجة لما جاء يشكوها الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له النبى كما جاء فى القرآن (اتق الله وامسك عليك زوجك) الآية وأخفى ما كان من أمر الله له بالزواج منها بعد تطليق زيد لها وأخفى ذلك خشية أن يقول الناس تزوج بحليلة ابنه الذى كان الرسول قد تبناه ومحرم فى عرف القوم أن يتزوج الرجل مطلقة ابنه بالتبنى ... وجاء القرآن لازالة هذه العادة مبتدئا برسوله فلما تردد عاتبه ربه ذلك العتاب :

اعود فأقول : لو كان القرآن من عند محمد عليه الصلاة والسلام لما دون هذه الاخطاء وهذا العتاب ولعمل المناسب دون تسجيل الحادثة ولو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له ما فرط فى رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل الشنيع كما هو فى آيات سورة عبس ، والانفال ، والنساء ؟ألم يكن السكوت فيه ستر على نفسه وفيه استبقاء لحرمة آرائه وهو الذى سفه آراء القوم (؟) ان الانسان قد يحدث نفسه معاتبا ولكن المعهود أنه لا يسجل ذلك ولا يظهره للناس فكيف يفعل ذلك محمد وهو يعلم أن هذا القرآن يتلى بل ويتعبد بتلاوته ؟! فذلك ما لم يمكن أن يصدر عنه .

---

(١) " قيل غير ذلك انظر اسباب النزول ص٢١٧ و ٢١٨ .

(٢) انظر اسباب النزول ص١٧٥ .

ويلحق بآيات العتاب هذه آيات فيها تحذير وتهديد شديد للنبي أيضا اشتملته منها مايلي :

...(ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا)[1]

...(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)[2]

...(ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)[3]

...(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين)[4]

...(وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)[5]

...(وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين)

---

(١) الإسراء: ٧٥ .

(٢) الحاقة: ٤٤ — ٤٧ .

(٣) الزمر: ٦٩ .

(٤) الانعام : ٥٣ .

(٥) الانعام : ٣٥ .

فهل يمكن أن يصدر مثل هذا التهديد والتحذير من محمد صلى الله عليه وسلم فيجعل نفسه موضع الضعيف الذى ليس بيده شىء لو كان هـذا كلامه ؟! .

وعودا الى الحديث عن الاخطاء التى عوتب عليها صلى الله عليه وسلم فانها ليست اخطاء بمعنى الكلمة ولكنها عمل خلاف الأولى اذ انه ليس هناك من قاعدة سابقة قد خالفها الرسول وعمل ضدها وانما الذى فعله أن اجتهد فأخطأ وهذا لا يعترض مع العصمة فهذا هو الوحى يوجهه ويرشده .. ولا يمكن أن تسميها اخطاء الا تجاوزا من باب سيئات المقربين حسنات الابرار .

ـــــ

وهذه آيات تجرد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نسبة القرآن اليه ، (ويتجلى فيها ضعفه كبشر) ....

وهى كثيرة فى القرآن نذكر منها مايلى :

... (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)[1]

... (انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق)[2]

... (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[3]

... (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان)[4]

---

(١) النمل : ٦ .

(٢) الزمر (٤١) .

(٣) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٤ .

(٤) الشورى : ٥٢ .

... (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما)[١]

... (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك)[٢]

... (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به ، فلقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون)[٣]

... (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ، قل انما اتبع مايوحى الى من ربى)[٤]

... (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد)[٥]

... (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ، ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ، الا رحمة من ربك ، ان فضله كان عليك كبيرا)[٦]

... (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا)[٧]

... (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا ، الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء)[٨]

---

(١) النساء : ١١٣ .

(٢) القصص : ٨٦ .

(٣) يونس : ١٥ ، ١٦ .

(٤) الاعراف : ٢٠٣ .

(٥) الكهف : ١١٠ .

(٦) الاسراء : ٨٧ .

(٧) الاسراء : ٩٣ .

(٨) الاعراف : ١٨٨ .

٠٠٠ (قل ماكنت بدعا من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم ان اتبع الا مايوحى الى)[١] .

٠٠٠ (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء)[٢]

٠٠٠ (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)[٣]

٠٠٠ (قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا ، قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن اجد من دونه ملتحدا)[٤]

(قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم)[٥]

٠٠٠ (قل انى لا أقول لكم عندى خزاين الله ، ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ، ان اتبع الا مايوحى الى)[٦]

وهذا قليل من كثير من هذه الآيات التى زخر بها القرآن ، وهى تجرد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنطوقها أو مفهومها ، من نسبة القرآن اليه كما هو ملاحظ من هذا القدر الذى بين يديك ، وهذا هو الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ـ يبدو من خلالها ، ضعيفا لا يملك من أمر نفسه ، ولا امته شيئا ٠٠٠ اذ كل شىء ، بيد الله وحده ، وما محمد الا عبد مأمور عليه ـ فقط ـ

---

(١) يونس : ١٥ ٠

(٢) القصص : ٥٦ ،

(٣) الغاشية : ٢١و٢٢ ،

(٤) [illegible]

(٥) الملك : ٢٨ ـ

(٦) الانعام : ٥٠ ـ

أن يسمع ويطيع ويبلغ لما يوحى ...

ولو كان قد جاء بهذا القرآن من عنده ـ كما يزعمون ـ أكان يجبههم فيه بهذه الصورة التي تجرده من كل قدرة ذاتية ، وتظهره بمثل هذا الضعف ؟ !! ان ذلك مالا يعقل ابدا ، ولكنه لو كان من عنده ، لأدعى مثل مايدعيه السحرة والمشعوذون ، والكهان وغيرهم ، لو كان مثلهم وحاشاه ـ أولئك الذين عرفوا في كل زمان مر ومازالوا وهم يدعون مختالين بأنهم أصحاب كذا وفي مقدورهم فعل كذا من المستحيلات الى آخر مايفترون .. ولكان له من الناس من تستهويهم الاعيبه، وحيله الكثيرون ، ولأراهم من نفسه أنه ذو شأن عجيب ، يملك من القوى مالا يملكه الناس جميعا ـ كما يفعل أولئك ولا نتهز فرصة عجز العالم ، عن الاتيان بمثل هذا القرآن كدليل على قوته ولاستفاد كثيرا من صدق نبوءاته في القرآن وغيره ليؤكد به امكاناته الخارقة، ولكن كل ذلك لم يدعيه ، بل وينسبه بكل تواضع الى غيره !

فأى مصلحة لمحمد (عليه الصلاة والسلام) وهو الذى يدعى النبوة ويريد أن يقود الناس بموجبها ، وقد تحداهم بالمعجزات المؤيدة لتلك الزعامة فأى مصلحة له ـ لو كان كل ذلك نتاج قدراته الذاتية ـ في أن ينسبها الى غيره وهي تشكل أكبر منجزاته وأعظم معجزاته !! وكان في امكانه أن ينتحلها فيزداد بها رفعة بها رفعة شأن ، وعلو مكانة ، وقد عجز عن الاتيان بمثلها العالمين ! ولو فعل لما وجد من يعارضه أو يدعيها لنفسه ... فنسبته ذلك الى غيره ليست من صالحه في شيء اذا كانت من عمله ، وله فيه ماله من مجهود وتعب مضن لفكره وبدنه ، وذلك وجوده مؤكد في عمل عظيم كهذا !!! لأن من المتاعب .

قد يقول البعض: انه رأى أن نسبة هذا العمل الى الله — عزوجل — أدعى لتحقيق غرضه، من طاعة الناس له، وانقيادهم لأوامره بسهولة ويسر ودونما اعتراض على شيء منها، لأن تلك النسبة تحيطه بهالة من القدسية ونوع من التكريم والهيبة لا نظير له ... وذلك مردود بالحديث النبوى المنسوب الى محمد — عليه الصلاة والسلام — نفسه، وهو وان كان من عند الله تعالى — لكون محمدا لا ينطق عن الهوى ولكنه يضاف الى محمد صلى الله عليه وسلم — ولم يكن ذلك بناقص من لزوم طاعته شيئا، ولا نسبة القرآن الى الله عزوجل بزائدة عن ذلك من حيث الطاعة، بل هى واجبة فيهما على السواء.(١) ولو كان فى ذلك من مزية أكبر من هذه الناحية، فلماذا لم يجعل كل أقواله من كلام الله، لو كان الغرض هو لزوم الطاعة، والانقياد للأوامر ؟!

ثم بعد ذلك فصاحب هذه الرسالة — كما تدل سيرته أكرم من أن يصل الى غرضه — ولو كان فيه اصلاح للناس بوسيلة هى الكذب والخداع فنظرة عابرة الى شمائلة الكريمة، فى كتب التاريخ كافية ولا ريب لابعاد مثل هذا الوهم .. الأمر الذى يجعلنا نتساءل من جديد : لماذا يتنازل عن هذا القرآن — لو كان من عمله — وينسبه الى غيره، وما هو بالشيء الهين ولا بالعمل الحقير، وانما هو عمل قد عجزت الدنيا كلها عن الاتيان بمثله (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢)، وان ذلك لعجيب حقا، اذ المعهود فى الناس عكس ذلك تماما، وهو ادعاء الغيرهم من عمل، علم ذلك فى سائر

---

(١) انظر دراز النبأ العظيم ص٢٢.

(٢) الاسراء : ٨٨.

الازمان .. ولا سيما فى هذا الزمان ، وعلى وجه الخصوص فى عالم الكتاب والادباء وأهل الفكر، فلقد درج البعض منهم على انتحال آثار الآخرين واضافتها الى انفسهم ، وذلك من أسهل الاشياء وعندهم، خاصة اذا كان ذلك العمل مخطوطا أو صاحبه مغمورا، .. وتالله لقد فكرت أكثر من مرة لولا خوف من الله ثم من الناس ، أن اضمن هذه الرسالة بعض ما للغير دون الاشارة الى ذلك، ولعله ضعف الانسان وطمعه لولا لطف الله وبقية من ضمير — والحمد لله — أعود فأسأل : اذا كان هذا حال الانسان مع آثار الغير، فكيف يسهل على امرىء ، نسبه ما هو له الى غيره من عمل ؟! ومحمد مع كونه رسولا ولكنه ما خرج عن كونه بشرا ! .

اننا نعلم الآن علم اليقين، أن الانسان اليوم — فى محيط العلم يصعب عليه جدا ان يرى انسانا ما يأخذ من غيره مجرد فكره أو يقبس منه نصا دون أن يشير الى ذلك ! وكم شهدنا من قضايا فى هذا المجال وقعت ، وكم رأينا وسمعنا عن رسائل رفضت لذات السبب ! .. حتى المغنون قد عرفت السرقة والانتحال طريقها اليهم ، فهذا فلان يرفع الشكوى على آخر قد سرق لحنه فسجله باسمه !، وهذا عبيد يشكو زيدا لأنه سرق الكلمات التى كان سيغنيها ، وسبقه فى تسجيلها للاذاعة وهذا .. وهذا وما الى ذلك من مشاكل أهل الفن والغناء .. ولكن ماسمعنا أن انسانا قد تنازل عن عمل متكامل الى آخر ، فنسبه اليه عن طيب خاطر .. مع أن هذا كله مقدور عليه ومستطاع ايجاد مثله أو أحسن منه ! نقول والقياس مع الفارق الكبير فكيف يتنازل أمرؤ عن عمل هو أغلى ما جاءت به افكاره وأثمن ما اثمره عقله ، فذلك مالم يوجده الزمان ، اللهم الا ان كانت هناك

مصلحة من متاع أو دينا ، أو صداقة، وهذه اذا ما دارت الايام ، وزالت تلك المصلحة، أو تعكر صفو الصداقة عندها لا يلبث أن ينكشف الأمر ويبين السر!

ومع الفارق الكبير جدا في القياس والقيمة بين هذا القرآن وبين غيره أقول متسائلا للمرة الأخيرة : ما هي مصلحة محمد — عليه الصلاة والسلام — في نسبه هذا القرآن الى غيره — اذا كان فعلا من عمله كما يزعمون ؟

ولكن تركت الى الاجابة : فسأقول : ليس هناك البتة من مصلحة فالحياة الدنيا والرغبة فيها منتفية عنه ، فقد سعت اليه ورفضها ، المال عرض والجاه ، الملك والسيادة[1] ، فماذا بقي حتى يسعى اليه بنسبه هذا القرآن الى غيره ؟ ... من هذا وخلافه يتبين لنا أن محمدا — عليه الصلاة والسلام — حينما يقول أنه رسول ربه بهذا القرآن وأنه كلام الله بحق ليس بكلام غيره انما يقول ذلك بصدق وهو المعصوم من الأهواء والزيغ، وقد تعرض في سبيل ذلك للأذى ، وصادف مالا يطيقه غيره من الألم فلم يثنه ذلك أن يقول أنه رسول رب العالمين ولو كان القرآن كلامه لانسلخ عنه ، فان الأذى والتعرض لسلب الحياة ضد المصلحة ان كان محمدا يسعى لمصلحة ما فليس هناك ما هو أغلى من منفعة الحياة لو كان محمدا رجلا نفعيا ... فأى مصلحة أو منفعة يسعى اليها محمد بنسبته هذا القرآن الى غيره اذا كان من انشائه ؟! ان ذلك — ولا ريب — " يخالف العقل والمنطق، ويجافي العرف والعادة وينافي مقررات علم النفس وعلم الاجتماع ، فان النفوس البشرية مجبولة على الرغبة في جلائل الأمور ومعاليها ، مطبوعة على حب كل مايخلد ذكرها ، ويرفع من شأنها ، لاسيما اذا كان ذلك نابعا منها وصادرا عنها ، وكان صاحب هذه

---

(١) ولقد مر بك أن قريشا قد عرضت عليه ذلك كله ..

النفس صدوقا ماكذب قط، رافعا عقيرته بزعامة الناس ، ودعوتهم الى الحق وليس شيء أجل شأنا ولا أخلد ذكرا من القرآن الكريم ، الذي جمع الله به بشمل أمة ، واقام به خير ملة، وأسس به أعظم دولة، فما كان لمحمد أن يزهد في هذا المجد الخالد ، ولا أن يتنصل من نسبته اليه لو كان من وضعه وصنعته ، وهو يدعو الخلق الى الايمان به ، وبما جاء به (وأي وجه لمحمد في أن يتنصل من نسبة القرآن اليه وهو صاحبه ؟ ان كان يطلب الوجاهة ، والعلو والمجد فليس شيء أوجه له ولا أعلى ، ولا أمجد من أن يكون هذا القرآن كلامه وان كان يطلب هداية الناس فالناس يسرهم أن يأخذوا الهداية مباشرة ممن يعجز الجن والانس بكلامه ... ولو كان القرآن من كلام محمد لأثبت به الوهيته بدلا من ثبوته لأن هذا القرآن لا يمكن أن يصدر عن انسان[1] ... واذن لكانت تلك الالوهية أبلغ في نجاح دعوته ... لان الناس تبهرهم الالوهية أكثر مما تبهرهم النبوة "[2]

وعليه فان محمدا حينما ينسب هذا القرآن الى ربه انما يقر بحقيقة ويعترف بواقع ، وان اعترافه هذا ينبغي أن يكون له لاعليه وأحرى أن يكون دليل براءته لا اتهامه .. وكما يقول الدكتور دراز " والعجب أن يبقى بعض الناس في حاجة الى الاستدلال على ... هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد ..

---

(١) بدليل الاعجاز

(٢) الزرقاني : مناهل العرفان ٤٠٤/

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيا يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه ولم يطلب وراءها بشهادة شاهد آخر في العقل أو النقل . ذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج الى بينه ، وانما هي من نوع الاقرار الذي يؤخذ به صاحبه ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه "(١)

فهل يتصور عاقل منصف بعد هذا وقد اطلع على تلك الآيات التي تقدمت ، وهي تجرد محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من انشاء القرآن وتصفه بذلك الضعف ، بل من رجاء نزوله عليه من قبل وبقائه معه من بعد نزوله ، فهل يتصور عادل بعد ذلك أن يكون القرآن من عند محمد ، وها هو يقول : وما كان لدى استعداد أن آتي بشيء منه ، وأنتم ياقومي تعلمون استعدادي من قبل فقد عشت فيكم عمرا طويلا (٢) وها هم قد طالبوه أن يأتي بغير هذا القرآن أو يبدله فلم يستطع (٣) وذلك لأنه ليس كلامه ولو كان من عمله لفعل ، فان الذي يستطيع ذلك مرة لا تعجزه الثانية ولا ريب لو استطاع أن يفعل لكان أروج لدعوته ، وأثبت لها ولكنه قد عجز فهل بقي بعد ذلك من يقول بأن هذا القرآن من عمل محمد ؟!

---

(١) دراز : النبأ العظيم ص٢٢ .

(٢) انظر سورة يونس ١٥ و ١٦ .

(٣)

لقد وضح الحق لطالبه[1] ... هذا ... ولقد بقى ثمة شئ

نلحقه بهذه الآيات التى تبين ان منها أن الرسول [1] فى القرآن شيئ
[illegible]
ضعف النبى — صلى الله عليه وسلم — كبشر يبلغ فهو محدود الطاقة والقدرة

وان كان فى قمة الكمال البشرى ولكنه مع ذلك كما دلت الآيات أعجز من أن

يأتى بهذا القرآن، وما نلحقه بهذه الآيات هى آخرى وقد وجدت بكثرة

أيضا فى القرآن الكريم وهى آيات تتجلى فيها عظمة الربوبية وجلالها، وكبرياء

الالوهية وقوتها الأمر الذى لا يمكن أن يكون صادرا عن تلك الذات البشرية

الضعيفة فانه لا يمكن لانسان ما أن يكون قد انطبع فى جانب فى نفسه على

البشرية بخصائصها المعروفة وانطبع فى جانب آخر منها على الالوهية

بخصائصها المعروفة أيضا ... فاذا كان هذا ليس ممكنا ، فانه من غير الممكن

كذلك لانسان أن يصوغ كلاما ينشر من حوله جبروت الألوهية ، وكبرياءها

من دون تكلف فى ذلك ولا تمثيل ، لأن الطبيعة البشرية لا يمكن أن تتجلى عنه

لحظة، ومن ثم فهى تعوقه عن ذلك، واذا ما حاول أن يمثل فلن يأتى الا بكلام

متنافر متهافت فى وحيه لا يدل الا على ما أقامه فى نفسه من ازدواج متكلف

يناقض الطبع ... وبيان ذلك أن الكلام هو مرآة لطبيعة المتكلم فلابد أن

تتجلى واضحة فيما يكتب ، أو يقول وتزداد طبيعته وضوحا من خلال كلامه

كلما طرق مزيدا من المواضيع والبحوث ... نعم قد يستطيع بعض الناس

أن يوجدوا صورة لطبيعة أخرى غير التى تكمن فى اعماق نفوسهم فى مجال

التمثيل والتمويه الجزئى والستر عن الناس مثلا، ولكن لا يمكن أن يبلغ الأمر

---

(١) صلى الله عليه وسلم .

حد الازدواج المتناقض فى مجال الطبيعة والنفس كما قدمت ..(١)

وعليه فمحال أن يصدر هذا القرآن من نفس بشرية واحده لأنه ليس فيه من تهافت ولا تناقض ولا يتبين فيه صناعة ولا تكلف وقد وجدت فيه تلك الآيات سابقة الذكر التى فيها مافيها من بيان ضعف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كبشر وطاقته المحدودة كانسان ، بجانب هذه التى تصور ن القوة الالهية والعظمة الربانية ، واليك فيما يلى طرفا منها :

...(يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ان ذلك على الله يسير) .(٢)

...(ان لدينا أنكالا وجحيما ، وطعاما ذا غصة وعذابا اليما)(٣)

...(انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)(٤)

(والأرض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تتفكرون)(٥)

...(والأرض مددناها والقينا فيها رواسى ، وانبتنا فيها من كل شىء موزون)(٦)

...(افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)(٧)

---

(١) انظر البوطى روائع القرآن :ص ١٨٧و١٨٨ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) المزمل : ١٢ .
(٤) الكهف : ٢٩ .
(٥) الذاريات : ٤٨ .
(٦) الحجر : ١٩ .
(٧) ق : ٦ .

...(الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور)[1]

...(أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[2]

...(فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ، وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)[3]

...(انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى)[4]

فهل يمكن لبشر أن يصطنع مثل هذا الكلام ويتكلفه تمثيلا ويأتى به هكذا دون خلل ، ولا تهافت ، ولا تناقض ، ومعلوم أن الطبع غلاب ، ومن كان يظن غير ذلك فليجرب وليوافينا بمثله ... وانا لعلى يقين من أن لسانه سيدور فى فمه على غير هدى ، واذا قدر له أن يتكلم ، فسيأتى بكلام يكشف بعضه بعضا ، لأن مثل ذلك مما لا يسهل اختيار فيه لبشر وقد سبقنا الكلام

---

(١) فاطر : ٢٧ و ٢٨ .

(٢) الواقعة : ٦٨ و ٦٩ .

(٣) مريم : ٦٨ – ٧٢ .

(٤) طه : ١٥ .

في التحدى ، ولكن ربهم هو الذى بيده كل شىء وهو على كل شىء قدير[(١)].

وهذه آيات تحكى مطاعن الاعداء ...

فلقد أورد القرآن الكريم مطاعن وجهت الى شخص النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — والى ما جاء به من القرآن، الأمر الذى يمتنع معه — فيما يظهر لى — أن يكون هذا القرآن — وهو عماد ما جاء به من دعوة — من انشائه عليه صلوات الله وسلامه كما سيتبين — ان شاء الله ...

وهذه الآيات من الكثرة بمكان ، ولكنى سأذكر طرفا منها تتضح به هذه الحقيقة :

يقول تعالى فى محكم تنزيله مخبرا عن أولئك الطاعنين :

... (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)[(٢)]

... (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)[(٣)]

... (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)[(٤)]

... (وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)[(٥)]

... (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر)[(٦)]

---

(١) انظر البوطى : المرجع السابق ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) الفرقان : آية ٤ .

(٣) الصافات : آية ٣٦ .

(٤) الفرقان آية : ٥ .

(٥) الحجر : آية ٦ .

(٦) النحل : آية ١٠٣ .

... (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر)[١]

... (ويقول الذين كفروا لست مرسلا)[٢]

... (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون)[٣]

... (وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[٤]

... (وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)[٥]

... (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[٦]

... (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)[٧]

... (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق)[٨]

... (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الأولين)[٩]

... (بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر)[١٠]

---

(١) النمل الاية : ١٥ .

(٢) الرعد : آية ٤٣ .

(٣) الزخرف : آية ٣٠ .

(٤) الانفال آية : ٣٢ .

(٥) سبأ آية : ٤٣ .

(٦) الزخرف آية ٣١ .

(٧) ص : آية ٤ .

(٨) ص : آية ٧ .

(٩) النحل : آية ٢٤ .

(١٠) الانبياء : آية ٥ .

... (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين)[(١)]

... (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون)[(٢)]

... (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم)[(٣)]

... (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين)[(٤)]

الى غير ذلك من الآيات فى هذا الصدد والتى حفلت بمثل هذه الطعون ...

فيا ترى لو كان القرآن من عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكان يذكرها وهى تعرض به وبدعوته ...؟! ومعلوم أن هذا القرآن قد انزل ليحفظ ، ويقرأ ، ويكتب فى المصاحف ، فهل وجد فى التاريخ انسان يعمل على نشر ماوجه اليه من اساءة ؟ وليس ذلك فحسب ، ولكن لتتلى فى الصباح والمساء ، بحكم أن القرآن مرغب فى تلاوته آناء الليل واطراف النهار .[(٥)]

---

(١) الاحقاف :آية ٧ .

(٢) الدخان :آية ١٤ .

(٣) الاحقاف : آية ١١ .

(٤) يونس :آية ٢ .

(٥) والآيات فى هذا الصدد كثيرة منها قوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) المزمل (٤) وقوله (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك) الاسراء آية ٧٨ / ٧٩ ولا شك أن الامر للنبى يسرى على امته ، وباالكثير الاحاديث فى ذلك ولا مجال لذكرها الآن .

ومن ذا الذى يتقدم بدعوة الى الناس ، ثم يزعم رأى الناس فيهما بما هو ليس بثناء عليها ولا تزكيه لها ؟!

فأى مصلحة له فى اعلان ذلك ؟!

ما اظنه يوجد انسان اليوم ولم يوجد من قبل ، ولن يوجد فى المستقبل يفعل مثل هذا ! حتى ولو لم يكن الطعن صحيحا وهو كذلك - ولكن هل يكون وقعه حسنا عند الناس ؟

ومعلوم ما للاشاعة السيئة من الأثر السيء ولو الى حين !...

والانسان مفطور على الضيق وعدم الرضا بأن يكون متهما ولو للحظات معدودة خاصة اذا كان هذا الانسان ودعوته التى جاء بها بحاجة الى أن يظهر فى أعين الناس الذين يرغب فى ايمانهم بدعوته ، كاملا غير منقوص ولا متهم .

نعم انها قد ذكرت ومعها ردودها فى الغالب ، ولكن هل يضمن أنهم يقتنعون بها ؟!! ..

ولو فرض أن محمدا - عليه الصلاة والسلام - قد افتعلها - مع أن ذلك مستحيل - فهل يعقل أن يذكرها بهذه الكثرة وبهذه الدرجة من الوضوح والتكرار ؟ ..

ان ذلك مالا يعقل ولا يتصور أبدا ، وهذا هو القرآن نفسه ينص على أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان يحزن كثيرا لورود مثل هذه الطعون ، وها هو ربه يسليه فيقول (قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون)(١)

فكيف يكثر محمد عليه الصلاة والسلام من ذكر شىء يسوءه لو كان هو الذى

---

(١) الانعام : ٣٣ .

جاء بهذا القرآن ؟ ومعلوم أنه — صلى الله عليه وسلم — قد أهدر دماء البعض من الاعداء كانوا يهجونه[1] ويحرضون بدعوته مع يقينه بأنهم كاذبون، ولكن لعلمه خطورة ذلك وأثره في الصد عن الدعوة ووقوفه سدا أمام طريقها كان عقابهم ذلك الاليم ، وفي المقابل كان — عليه الصلاة والسلام — يدعو لأناس قاموا بالزود عنه ، وكان يسره كثيرا ماصنعوا[2] لما في ذلك من الأثر الطيب للدعوة، ولكن مع ذلك لم يأت في القرآن الكريم — فيما أعلم — من ثناء على الرسول — صلى الله عليه وسلم — الامرة واحدة في قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم)[3] فلو كان هذا القرآن من عند (محمد) — صلى الله عليه وسلم — لكان زاخرا بالثناء عليه ، فأين هذه [illegible] من الثناء عليه بجانب ذكر تلك الطعون الكثيرة ؟! ..

ان ورود تلك الطعون وذكرها في القرآن الكريم لأمر لا يقدم عليه أحد ، الا انسان ينقل مايسمع ويبلغ مايؤمر به بغض النظر عن نتيجة ذلك الأمر، ثابت الحكمه فيه أم حضرته، مالت اليه النفس أو رغبت عنه ، فهو على يقين من أن الخير فيما أمر به ، وما عليه الا البلاغ ، فهو ليس مشغولا بما سيكون مترتبا على ذلك الأمر، بل هو في طمأنينه وراحة من ذلك، وقد علم سلفا حكمة الآمر وجميل تدبيره ، فكل همه هو أن ينفذ ما أمر به حلوا أكان أو مرا ، أيا كانت النتيجة الموقته ، له أو عليه ، وذلك مالا يستطيعه مجرد انسان ...

---

(١) منهم كعب بن زهير الذى أسلم فعفى عنه صلى الله عليه وسلم وقصته مشهورة

(٢) منهم حسان بن ثابت الانصاري وله مواقف كثيره مشهورة ايضا .

(٣) القلم : آية ٤

أن من لايخشى الطعن فيه والتحريض به أن يذكره لعلى يقين من براءته ، ولعلى معرفة كبيرة بقدر نفسه ، وقيمة ماجاء به ، وصحة مايقوم بـــه من عمل ولو بدا غير ذلك فى أول الأمر ... وتلك ضمانات لايملكها انسان فى الوجود لذاته الا أن يكون قد استمدها من ربه وعند ذلك يهون عليه ولاريب ـ فعل كل شئ ، ويسهل عليه فى طاعته كل صعب تحكم به عادة البشـر وما أصعب ايراد مثل هذه الطعون على النفس ، فلا يمكن أن يقدم انسان على ذكرها عن نفسه من تلقاء نفسه مختارا فى حسابنا البشرى ... فان أى انسان يملك من أمره شيئا لن يقدم على اعلان مثل ذلك ونشره أبـدا ولكن محمدا لا يملـك من أمر الوحى شيئا ...

فأى حكمة ياترى ؟ وأى مصلحة تعود من وراء ذلك ؟ فان مما هــو معهود ـ ونؤمن به ، أن كل عمل من اعمال الخالق لا بد له من حكمة ..

وسأحاول أن أجيب عن هذا السؤال ـ حسب ما يبدو لى ويظهر ـ وانى لأعجب فى البداية من أن معظم أولئك الطاعنين الأولين قد آمنوا فيما بعد بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما جاء به ، ولكن مع ذلك فقد ظلت تلك الآيات التى اشتملت على الطعون تتلى فلم ينسخ منها شئ أو يتغير بل بقيت كما هى ...

والذى ظهر لى أن فى ذلك من الحكمة مالايصدر الا عن خبير حكيم قد احاط علما بأن اعداء الاسلام لن يتركوا هذا الرسول أبدا ، ولا هم بتاركين هذا القرآن من مثل تلك الطعون ، بل سيظلون على ذلك الى يوم الديـن وأنهم سيكررونها نفسها لايخرجون عنها أبدا مهما حوروا ولفوا وداروا ، مهما البسوها من ثياب وأصباغ ، فانها نفس المطاعن القديمة ..

وها هم اعداء الاسلام فى هذا الزمان يعزفون على نفس الوتر ويلعبون عين تلك اللعبة، كأنما وكل اليهم دائما الرهان على الجواد الخاسر ..

فكأنما تركت هذه الآيات وسجلت فى المصحف المحفوظ الى يوم البعث ، لتذكر الناس وتنبههم الى أن هذه الطعون قد قيلت من قبل وأنها لم [illegible] ذات أثر يذكر، وأنها لو كانت توءثر فى القرآن وهذا الدين لتلاشى أمره من ذلك الزمان، وأنه لو كان من ذكرها خشية أو خوف لماذكرت فى هذا القرآن ، فاليبحثوا عن غيرها ان وجدوا ...

ان ذكر هذه الطعون فى المصحف كان وما يزال بمثابة المصل الواقى من مثل هذه المفتريات التى تستهدف مقام الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ والغض من قدسية القرآن الكريم فهى تشكل للناس وقاية من كل مطعن ...

والوقاية كما يقولون خير من العلاج ، قد يستفيد منها البعض وتفوت على آخرين، وعادة يكون الترياق المضاد ، والمصل الواقى من جنس الداء، ولكنه يعطى بواسطة الطبيب ، وينبغى الا يكون الطبيب هذا من البشر فمثل هذه الحكمة لا يتصور صدورها عن انسان ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان كان رسولا ولكنه لا يخرج عن كونه بشرا، فلا يعلم لذاته أنه سيأتى اناس فيما بعد يرددون نفس هذه الطعون ويبحثونها من جديد فيقوم بوضع تلك الآيات لتلك الحكمة ، فذلك مالا يقبله عاقل ...

فأى انسان هذا الذى يملك تلك النظرة الثاقبة البعيدة ؟! التى تخترق المستقبل عبر هذه القرون العديدة الطويلة المدى ؟! سبحانك ماهذا بفعل بشران هو الا تدبيرك وأنت العليم الحكيم، وان هو

الا قرآن كريم لا تنقضي عجائبـــه ...

وتلك لطيفة لا أعلم أن أحدا قد اشار اليها من قبل ، فأرجو أن اكون مصيبا في هذا الاجتهاد وليغفر الله لي ان كنت قد اخطأت ..

ويلحق بهذا أيضا آيات جاء فيها بيان بعض اسرار بيت النبـــي — صلى الله عليه وسلم — ومعلوم ما كان للرسول من الأعداء الكثيريـــــن من يهود ومنافقين وغيرهم ، لاسيما أن ما جاء في هذه الآيات فيه ما قد يشمت به عليه أولئك الاعداء وفيه ما هو محزن للرسول — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنين ولكنه رغم ذلك قد جاء ذكره في هذا القرآن ، فلو كان من عنـــد محمد لما تعرض لذكر ذلك أبدا لأنها من شئون بيته الخاص ، وعادة لا يجب الانسان أن يطلع على مثل هذا أحد ناهيـــــك عن أن ينشره بنفسه ! وقل مثل ذلك في آيات العتاب التي أنزلت فيها مبعثا [illegible] ..

ونسوق اليك الآن بعض تلك الآيات التي تحكي بعض هذه الأمور الخاصة للنبي — صلى الله عليه وسلم — ...

قـــال تعالـــى :

... (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لـــك تبتغي مرضات أزواجك) التحريم الآية : ١

... (واذا سر النبي الى بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت بـــه واظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت مـــن أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكمـــا وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكـــة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) التحريم الآيات من ٣ — ٥

٠٠٠(يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا ٠ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ، يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين، وكان ذلك على الله يسيرا) الاحزاب الآيات من ٢٨ ـ ٣٠

٠٠٠(يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) الاحزاب من الآيتين ، ٣٢ و ٣٣ ٠٠

ولا ريب أن العبرة تظهر مع ذكر اسباب النزول التي ولا شك قد عرفها الناس واطلعوا عليها ، فدونك وهى مع الايجاز الشديد ٠٠

ان آيات التحريم تجيز أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ترك فعل شيء وحرمه على نفسه يبتغى بذلك رضاء زوجاته ، وتفيد كذلك بأنه قد اسر الى بعض ازواجه حديثا فأفشته فمالت بذلك قلوبهما عن الحق فهدد القرآن نساءه بالطلاق وان الله سيبدله خيرا منهن اذا طلقهن ٠

والسبب كما جاء في لباب النقول للسيوطي[1] هو أنه صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراما فنزلت الآية الاولى (لم تحرم) وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفصه لاتخبرى أحدا أننى قد جعلتها على حراما فأخبرت بذلك عائشة ٠

---

(١) انظر ص ٢١٧ وقد مر بك ذكر ذلك عند حديثنا عن آيات العتاب ٠٠

وقيل كان صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند سودة زوجة فدخل على عائشة فقالت انى أجد منك ريحا ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك فقال أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه ، فنزلت (لم تحرم) وقد عاتبهما الله على ذلك ...

الشاهد الذى أوريده هو أن هذا كله حدث فى بيت النبى مما يعد ولاشك من الاسرار الخاصة جدا ومثله آيات سورة الاحزاب وسببها أنهن اجتمعن حوله يسألنه النفقة، فأقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلم يؤذن له ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لهما ، فقام أبو بكر لعائشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلا هما يقولان : تسألان النبى — صلى الله عليه وسلم — ماليس عنده فكان أن انزل الله آيات الخيار تلك (١) .

وهذا كله قد حدث من وراء الجدران وهو فى العادة من الاسرار الدقيقة للانسان ، ولو كان هذا القرآن صادرمن محمد لما ابداها ابدا وأظهرها على هذا النحو، ولكنه كلام الله تعالى ولا ريب ومن هذه الآيات توجيه وتأديب لنساء النبى — صلى الله عليه وسلم — وعادة لا يحط الانسان أهل بيته أمام الناس وذلك يؤكد أنه ليس بكلام محمد عليه الصلاة والسلام ...

---

(١) انظر السيوطى اسباب النزول ص ١٧٣ و ١٧٤ .

الباب الرابع

الباب الرابع

فى دفع زعمهم أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد تعلم من غيره من الخلق

ويشتمل على :

- توطئة ..
- الفصل الأول : فى دفع زعمهم أنه تعلمهن سموهم بأسمائهم .
- الفصل الثانى : فى بيان أن البيئة العربية ليست مصدرا للقرآن فى شئ كما يدعون .
- الفصل الثالث : فى بيان أن النصرانية ليست مصدرا للقرآن فى شئ كما يزعمون ..
- الفصل الرابع : فى بيان أن اليهودية ليست مصدرا للقرآن فى شئ كذلك
- الفصل الخامس : مجموعة آيات تنفى أن يكون القرآن من تعليم أهل الكتاب فى شئ ..
- الفصل السادس : وقفة أخيرة مع أهل الكتاب .
- الفصل السابع : فى بيان أن الديانات الآخرى ليست من مصادر القرآن .

توطئـــــــــــه

لما رأى أعداء الاسلام أن نسبة القرآن الى ذات الرسول صلـــى الله عليه وسلم ـ ليست بمقنعة لذى عقل ، وأن الادلة كلها دامغـــة وثابتة ضد فكرتهم ، وأن مالفقوه ويحسبونه شيئا ذا بال يمكن أن يغير من الحقيقة فى كون محمد عليه الصلاة والسلام لايمكن أن يأتى بهـــذا القرآن من عنده لما رأوا كل هذا قد انهار فلا يكاد يجد الى افهـــام العقلاء سبيلا ، وأن نفضتهم بهذا لاتكاد تسمع لجأوا الى أمر آخـر عساه يحقق لهم مأربهم فى نفى ربانية هذا القرآن ، ذلك هو بهتانــه عليه الصلاة والسلام بأنه قد تعلمه من غيره من الخلق ، ومثلما احتـاروا هناك فى كيفية انتاجه صلوات الله عليه للقرآن كنمـا يتوهمون تخبطوا هنـا فى حيرتهم أيضا ، فتراهم يسمون ذلك المعلم المزعوم تارة ، وأخـــرى يطلقونه ، ومرة يقولون انما تعلمه من البيئة ، ومن الديانات السابقـــة مرة أخرى ، أو هو أساطير الأولين هكذا من دون تحديد ، وهكـــذا كلما نسبوه الى جهة نقضوه بغيرها ، وهكذا نسبوا القرآن الى كل شـئ دون أن ينسبوه الى رب كل شئ وهم قد اختلفوا فى كل شئ ، ولـــم يجتمعوا الا على نفى شئ واحد الا وهو هذه الحقيقة .

وهذا التخبط المزرى هو الذى يحمل فى طياته أن الدعوى المزعومة لا أساس لها من الصحة كما هو معلوم بالضرورة لدى كل عاقل ، ولكننـــا سنمضى فى هذا البحث حتى نسقط مفترياتهم هذه الواحدة تلو الأخـــرى بعون الله ، ولكن ليس قبل أن نرفع الدعوى عليهم ونثبت أنهم اجرمـــوا

فى حق القرآن كما هى خطتنا المتبعة فلا نحيد عنها ...

ان القوم قد أفرد بعضهم الكتب بالتأليف لترويج هذا الباطل ، ولسنا هنا بالطبع بصدد عملية احصائية لأن المجال لايتسع لها ، ولكن حسبنا أن نقدم بعض النماذج فى هذا المقام لتدل على غيرها .. فمن الكتب نجد كتابا باللغة الانجليزية لمؤلفه (د. بل Bell) تحت عنوان : (أصول الاسلام فى بيئته المسيحية) ونجد كتابا آخر للمستشرق (ج ولكر) عنوانه (ملامح فن التوراه فى القرآن) وآخر له اسمه (طابع الانجيل فى القرآن) طبع سنة ١٩٣١م وكتابا آخر لابراهام كاش تحت عنوان (اليهودية فى الاسلام) (ولهترنز) كتاب اسمه (عناصر نصرانية فى القرآن) وكتاب آخر اسمه (مصادر القرآن) لمؤلفه (سنتسدال) الى غير ذلك من الكتب التى أفردت لتمكين هذا الافتراء . كما طفحت كتاباتهم المتعددة والمختلفة الأخرى بمثل هذا الادعاء الفارغ فلا تكاد تجد كتابا من كتابات المستشرقين الحاقدين يخلو من هذا ، واليك بعض النصوص فى هذا الصدد كلها تؤكد تطاولهم على كتاب الله .. فهذا (جولد زيهر) المستشرق المجرى المعروف يقول عن ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام « ليس الا مزيجا منتخبا فى معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها »(1)

---

(1) العقيدة والشريعة ، ص ١٥ .

ويؤكد زعمه مفصلا بقوله « ان محمدا انتخب تعاليم الاسلام من الديانات السائدة فى عصره ، اليهودية والنصرانية ، والمجوسية والوثنية بعد تهذيب وصقل[1] »

وهذا (مونتجمرى واط)[2] يقول « ان على الاسلام أن يقر بحقيقة أصله ، ذلك التأثير التاريخى للتراث الدينى اليهودى المسيحى[3] » وعلى مثل ذلك جرى قلم المستشرق (ب لويس) (B.Lewis) فى كتابه (العرب فى التاريخ) باللغة الانجليزية المطبوع فى لندن سنة ١٩٦٠م حيث يقول فى الصفحة ٣٩ عن هذا التأثير (... وعلى وجه الاحتمال فى التجار والرحالة اليهود والنصارى « ان الاسلام كما يقول احدهم ... « يمزج دائما بين المقدرة على تمثيل العناصر الاجنبية والعزوف عن الاقرار بالاصول التى استمدت منها[4] »

والى هذا المعنى يذهب القس الانجليزى (بيرنز E.W.Barnes) فى كتابه بالانجليزية المطبوع فى لندن سنة ١٩٤٨م (The Rise of Christianity.

والاسلام كما يقول (سيدنى فيشر) فى كتابه الشرق الاوسط فى العصر الاسلامى نسخة مشوهة عن اليهودية وأيده كل من نفتالى فيدر — وج . ايزاك فى كتابه (محاضرات للشرق الادنى) فى الطبعة الثانية

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٢) من المستشرقين الانجليز له عدة كتب منها محمد فى مكة صدر عام ١٩٤٨ .
(٣) Islam and The Integration of society london 1951, 293.
(٤) G.E. von Grunebaum Islam: Essays in The nature and growth of a cultural Tradition

حيث يقول " واتفق محمد فى اثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا عن عقــائد اليهود والنصارى "[1] وتابعهم فى ذلك (ل. أ. سيديو)[2] وهذا الزعم هو ما تركزت عليه جهود الدكتور (س • تسدال فى كتابه مصادر القـــرآن متقدم الذكر فى الصفحات من ٣٢ ــ ٦١ ، لقد ذهب الى حد الادعــاء بأن بعض المبادىء الاسلامية مستقاة من الديانة اليهودية وخصص فصلا كامــلا لعناصر هذا المذهب الذى يرى أنها موجــودة فى القرآن ، وكذلك لقد عرض بهذا المعنى كل من المستشرقين ماسيه فى كتابه الاسلام ص ٤١ ، الذى يدعى اختلافا فى تعاليم القرآن بين المكى والمدنى مستدلا بذلــك على تأثير اليهودية فيه فيما بعد بالمدينة • ولامانـز فى كتابه الاسلام عقائده ونظمه ص ٣٣ الذى يزعم أن محمدا بعد اتصاله باليهود فى المدينة استطاع أن يؤلف قصص ابراهيم وعلاقات الانساب بين اسماعيل والشــعب العربى ، والى مثل ذلك جنح المستشرق اندريــة فى كتابه (محمــــد حياته ودعوته ص ١٣٩) وكذلك يرى (ج ديمومبيين) فى كتابه النظــم الاسلامية ص ٦٦. إن بعض أعــواد الاسلام يدعى " أنه كان يوجــد فــى ضواحى مكــة بعض افراد من المخــامرين الرومان أو الزنوج الاحباش يبائعون للنبيذ أو كادحون يقطنون الاحياء المنزويــة " ويقولون : ان الانجيــل كان يدرس فى الحانات لعقليات خــام "[3] .

---

(١) ص ١٢٦ .

(٢) انظر تاريخ العرب العام ط ٢ ١٩٦٩ .

(٣) انظر دراز : مدخل إلى القرآن ، ص ١٣٤ .

يعرضون بأن محمدا تأثر بهذا الجو المسيحي ،

انهم يقولون أيضا ما معناه ان محمدا كان يسافر فى شبابه من آن لآخر الى سوريا فى تجارته وبها اليمن وفى سوريا يوجد الغساسنة واليمن يوجد فيها بنى الحارث فى نجران وكلا القبيلتين اعتنقت المسيحية وذلك رأى جون زيهمر وجماعة [1] ، ومن المؤسف حقا أن يقول بهذا وأسوأ منه اناس يعدون أنفسهم من المسلمين حيث يقول أحدهم ان الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — كان انسانا بسيطا يسافر عبر الصحراء العربية ويستمع الى الخرافات البسيطه السائده فى ذلك الوقت وقد نقل تلك الخرافات الى القرآن " [2] ومن الاعداء من يرى أن الاسلام ليس الا اقتباس من المسيحية لوثته البيئة وأثرت فيه الظروف وهذا المعنى نجده فى كتاب روكلمان تاريخ الأدب العربى ص ١٣٥/١ ترجمة الاستاذ النجار ومن هؤلاء من يرى " أن محمدا — صلى الله عليه وسلم تأثر بالحنفاء من العرب قبله وأنه واحد منهم " [3] ، ولقد رأى بعضهم أن الاسلام بجانب المسيحيه قد اقتبس من الصابئة والمجوسية [4] ، وربما من المانوية كما يقول فون كريم فى كتابه الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية المعرب ص ١٠٦ [5] ، وهذا (اديسون) يقول :

---

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٢) وهو ما أوردته جريدة الشهاب اللبنانية فى ٢٠ ربيع الأول ١٣٩٤ هـ ونسبته الى بورقيبة رئيس تونس.

(٣) انظر مجلة رابطة العالم الاسلامى، عددها التاسع السنة الثانية فى ذى القعدة ١٣٩٠ هـ ص ٥٠.

(٤) انظر المصدر نفسه العدد العاشر السنة الرابعة عشرة الصادر فى شوال ١٣٩٦ هـ ص ٣٨.

(٥) انظر المصدر نفسه العدد الحادى عشر السنة الرابعة الصادر فى ذى القعدة ١٣٩٦ هـ ص ٦٥.

" محمد لم يستطع فهم النصرانية ولذلك لم يكن فى خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه " (١)

ولقد ذكر بعضهم اسماء وعين أشخاصا يرأى أن محمدا قد تأثر بهم أو أخذ عنهم فمنهم من قال انه تعلم من بحيرة الراهب، (٢) ومنهم من يرى أنه ورقة بن نوفل (٢) ، وهناك من يزعم بأن لسلمان الفارسى ومريم القبطية دورا كمعلمين لمحمد صلى الله عليه وسلم عن الديانة الزرادشتيه والديانة المسيحية (٣) وهناك من ادعى بأنه تلقى علمه من عبد الله بن سلام (٤) ، وهناك من يزعم بأنه عليه الصلاة والسلام قد تأثر بأمية بن أبى السلط واقتبس من شعره ووجد من يقول بأن هناك تأثيرات نصرانية عن طريق سوق عكاظ وخطب قس بن ساعدة (٥) ، وهذا قليل من كثير وكله يشير الى عدم اصالة الاسلام وسيكون ردنا عليها — بعون الله — كالآتى : فصل للرد على الزعم بأن الرسول قد تعلم ممن سموهم بأسمائهم ، ثم فصل لكل جهة من الجهات التى زعموا أنه اقتبس منها اليهودية ، النصرانية ، الوثنيه ، ثم فصل لباقى الجهات الأخرى وربما كانت لنا فصول غير ذلك .

---

(١) التبشير والاستعمار، ص ٤٢ .

(٢) انظر الاسلام فى قفص الاتهام ، ص ٢٦ .

(٣) انظر مدخل الى القرآن ، ص ١٣٧ .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ١٤٣ ، وانظر نذير حمدان فى كتابه الرسول فى كتابات المستشرقين ، ص ١٢٧ .

هذا ولايفوتنا أيضا أن ننبه الى أن هذه الزعوم كلها مع كثرتها والتفنن فيها ليست جديدة ، وانما ينسج هؤلاء على منوال سابقيهم وهو منوال قديم وقد أشار القرآن فى كثير من آياته الى هذا حيث يقول تعالى (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر[1] وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا)[2] ، وهذا تذكرة لتوهين مدعاهم قبل أن نقضى عليه لأن هذا الزعم لو كان فيه شئ من الحقيقة وكان له كبير أثر لما كان هناك مايسمى باسلام أو قرآن اليوم ....

هذا وسنركز بشكل أساسى على الحقائق التالية التى تنفى بحق أن يكون القرآن قد اقتبس من أى جهة من الجهات المزعومة وهى :

أ ـ أن هناك فرقا جوهريا بين القرآن وتلك الديانات .

ب ـ انها مليئة بالتناقض ولاشئ من ذلك فى القرآن .

جـ ـ يوجد فى الاشياء أشياء كثيرة ليست موجودة فيها .

د ـ فيه أشياء كثيرة وصفهم بها الله لاترضيهم بالطبع فلا يمكن أن يكون اخذها فيهم .

هـ ـ ما فى القرآن لايقبل النقد وليس الامر فيها عندهم كذلك

هذا مانعتمده بشكل أساسى فى ردودنا وهناك أمور أخرى تنفرد بها كل جهة عن الأخرى ترفض رفضا باتا أن يكون هذا القرآن مقتبسا منها أو متأثرا بها .

والله ولى التوفيق وهو الهادى الى صراط مستقيم .

---

(١) النحل : ١٠٣ . (٢) الفرقان : ٥ .

الفصل الأول

في الرد على زعمهم بأن محمدا قد أخذ ممن سموهم بأسمائهم والمسمون هم بحيرا الراهب ، ورقة بن نوفل ، سلمان الفارسي ، ماريا القبطية ، امية بن أبي الصلت ، عبد الله بن سالم ، قس بن ساعدة ، وسنتناول الرد على الزعم بهذا الترتيب ..

أما بحيرة فان عمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان تسع سنوات - فقط - عندما ذهب مع عمه أبي طالب الى الشام فهل يعقل أن يستوعب - عليه الصلاة والسلام وهو في هذه السن علاوة على أنه أمي ما يمليه عليه بحيرة ؟ ثم ينبغي لا يغيب عن البال أن الرسول لم يكن وحده في لقائه مع الراهب ، وانما كان معه أبو طالب والقافلة فكيف أخذ النبي من دونهم وتعلم من بحيرة مالم يعلموا هذا والمدة قليلة جدا فان يوما أو يومين لا تكفي لاستظهار هذا القرآن جملة أو تفصيلا ، هذا في سفرته الأولى ، أما الثانية فانه لم يلتق - البتة - فيها بأحد من الكهان بل كان في رحلة تجارية مع أموال للسيدة خديجة وهو لم يتكلف هذه الرحلة وانما كلف بها من جانبها كما تفيد السيرة [1] ثم لماذا انتقى بحيرة محمدا من بين القوم وهو أصغرهم ما أعطى ان لم يكن للأمر تفسير آخر ؟ وهو ماسيأتي ذكره ، ثم لماذا لم يعط هذا الذي اعطى لابنه أو قريبه

---

(١) انظر تهذيب سيرة ابن هشام : ص ٤٩ و ٥٠ .

أو يدعيه لنفسه وهو أولى به ، فلماذا يعطى المجد والشهرة والقوة والنصر وخير البشرية كلها وانقاذها الى هذا العربى اليتيم الذى لم يلتق به غير مرة واحدة اليس هو أحق به من سواه ، وهذه الاسئلة ترد معترضة على كل من زعم أن الرسول أخذ منه .

وهى مقنعة لكل متأمل بأن هذا الذى يزعمون لاسند له ولا منطق يقبله ، فأين يجده من سواك يقدم للرسول فتأتى الاجابة فى وقتها قرآنا ، ولو كان مافى القرآن جزءا مما عندهم لجاء اسلوبه يغاير ماسبق مما تلقاه منهم فيكون فى القرآن اسلوبان أو أساليب كثيرة بحكم تعدد من أخذ عنهم ، وهل يعرف بحيرة أو غيره حوادثا ستقع بعدهم بعشرات السنين ، فيعلمون بها محمدا عليه الصلاة والسلام ؟ هذا ...

ولقد كان الرسول حسب الحوار الذى سيأتى سؤولا لامستمعا ضف الى ذلك أن هذا الامر لوكان ذا بال لتمسك به المشركون قبل هؤلاء وقد كان معه فى القافلة من كانوا فيما بعد من الد اعدائه . ثم اذا كان هذا المصدر صالحا بالفعل للأخذ عنه الم يكن طبيعيا أن يكون فى متناول أيدى معارضيه فيلجأوا اليه ويحطموا به طموح محمد بدلا من أن يسلكوا معه طرقا أخرى وصلت الى أن يحاربوه ؟ فهل يقبل العقل هذا ؟ .

ثم لو كان قد تعلم شيئا منه فى ذلك الزمن لظهر أثره فى كلامه وحياته فى ذلك الوقت وهو فى ذلك العمر وعلى الأقل فى الخامسة

والعشرين لافى الاربعين فان خمسة عشره سنة كفيلة بأن تنسيه تلك المعلومات التى أخذها فما الذى جعله يصبر كل هذا الوقت ؟

واخيرا فهذه هى قصة بحيرا كما ترويها السيرة فهل فيها ماينبئ بأن الرسول قد تعلم منه ؟

يقول ابن هشام " ان ابا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به[1] رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرق له أبو طالب وقال والله لأخرجن به معى ولايفارقنى ولاأفارقه أبدا .

فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له . وكان اليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون ، يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا ، وكانوا كثيرا مايمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته ، ويزعمون أنه رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فى صومعته وفى الركب حين اقبلوا وغمامة تظله بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه ، فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة ، وتهصرت[2] أغصان الشجرة على رسول الله — صلى الله عليه

---

(١) تعلق به .
(٢) مالت .

وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ثم أرسل اليهم فقال انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش . فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم : والله يابحيرا ان لك لشأنا اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا ، صدقت ، قد كان ماتقول ، ولكنكم ضيف فأحببت أن أكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، فقال يامعشر قريش لايتخلفن أحد منكم عن طعامى . قالوا له يابحيرا ، ماتخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم . فقال لاتفعلوا ادعوه فاليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من قريش مع القوم ، واللات ـ والعزى ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام فاحتضنه واجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديد وينظر الى أشياء فى جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام اسألك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتنى عما أسألك عنه .. وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما ـ فزعموا أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله

ما أبغضت شيئا قط بغضهما ، فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني ما بدالك فجعل يسأله عن أشياء من حالة في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ؟ ثم نظر الى ظهره فرآى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال ابنى قال بحيرا ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال : فانه ابن اخى ، قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وامه حبلى به ، قال صدقت ، فارجع بابن اخيك واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغننه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده "(١)

ذلك خبر بحيرا فهل تجد فيه ما يوحى بأنه علمه شئ ؟

أما ورقه فلم يكن داعيه للنصرانية فى يوم من الايام ، وهذا اللقاء الذى تم بينه وبين الرسول انما تم بحضرة السيدة خديجه وهى التى شهدت له ، وفيه أكد ورقه بما لدية من علم مما بشرت به الكتب القديمة أن الرسول هو النبى المنتظر وتمنى أن لو عاش لينصرنه ، فكان موقفه موقف التابع المؤيد المناصر وهذه هى القصة كما وردت فى السيرة .

يقول ابن هشام " ثم انطلقت (خديجه) الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان ورقة تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل

---

(١) ابن هشام : تهذيب السيرة ص ٤٧ ، ٤٨ .

فأخبرته بما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنه رأى وسمع فقال ورقه : قدوس قدوس : والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ـ ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر (١) الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة فقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفس بيده انك لنبى هذه الامة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر . الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه , ثم أدنى رأسه منه فتقبل يا فوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله » (٢) .

فأين التعليم والتلقى فى هذا اللقاء ؟ وانا كان هو استاذه كما يزعمون فلماذا يقف منه موقف التابع المؤمن به ؟ ولقد مات ورقه قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فمن اين استمد الرسول معارفه وعلومه التى ظل يتلوها أكثر من عشرين عاما ؟

---

(١) الملاك الذى جاء بالوحى ، وأصل الكلمة صاحب السر .

(٢) تهذيب السيرة ، ص ٦٠ .

أما سلمان الفارسى رضى الله عنه فقد كان كذلك مؤمنا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تابعا له ، وقد كان اسلامه بعد الهجرة ولم يتمكن من مصاحبة الرسول الا فى معركة الخندق فى العام الخامس الهجرى فمن علم الرسول كل ما جاء به من قرآن قبل هذا التاريخ من اسلامه ؟

أما ماريا المصرية فقد وصلت رضى الله عنها بعد هذا التاريخ من فى العام السابع الهجرى ويتردد نفس السؤال عن دورها المزعوم ..

أما الادعاء بأن ابن سلام هو الذى تعلم منه الرسول عليه الصلاة والسلام " فان هنا خلط تاريخى آخر ، وخلط أيضا بين دور التابع والمتبوع وقلب لترتيب الاحداث التاريخية المعروفة لان جوهر حقائق التوراة كله كان قد أعلن بدقه فى مكه ، وقبل أن تتاح الفرصة لعبد الله أن يرى وجه النبى عليه الصلاة والسلام وقد شهد ابن سلام للرسول بالرسالة وهو من أكبر علماء أهل الكتاب ، وهذا الاعتراف والرضاء بأن يكون من التابعين للرسول ينفى هذه الاستاذية المزعومة [1].

أما أميه ابن أبى الصلت الذى اعتبر بعضهم شعره [2] هو الحلقة بين القرآن والتوراة فان الذى يهدم هذه الفكرة " هو أنه لايكفى أن يكون النص صحيحا لكى يمكن اعتباره مصدرا للنص المشابه له وانما يجب أن يكون

---

(١) انظر المدخل إلى القرآن ، ص ١٦٣ . (الدراز) .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

سابقا فى التاريخ . ولكن اسبقية شعر امية بالنسبة لآيات القرآن قضية مستحيلة الحل لان محمدا وأمية قد عاصر كل منهما الآخر . وهما أيضا فى نفس العمر تقريبا فضلا عن أن أمية قد عاش واستمر فى قرض الشعر طوال ما يقرب من ثمانى سنوات بعد نزول آخر آية من سور القرآن المكية التى يوجد تشابه بينها وبين شعر أمية بحيث يكون من التعسف الادعاء بأن هذا الشعر كان سابقا للقرآن من حيث التاريخ .

ونضيف أن أمية لم يدع الاصالة ولا الالهام . بل انه كثيرا ما عبر عن خيبة أمله وأسفه فى هذا الشأن . مما يحملنا على الاعتقاد بأنه قد اندفع الى التقليد بروح المنافسة وعلى عكس ذلك فقد أعلن محمد على مسمع جميع معاصريه بأنه لم يتلق علمه من بشر . ولنأخذ فى اعتبارنا موقف خصوم النبى فى هذا الموضوع فلقد كانوا دائما على يقظة لاقل ثغرة ليوجهوا من خلالها خبرتهم ويحولوها الى سخرية واستهزاء . ألم يكن من الأيسر لهم أن يضعوا يده على مسروقاته المفضوحة من شعر أمية الذى لم يكن قد جف مداده بدلا من أن يوجهوا حججهم فى كل اتجاه وأن يلجأوا الى كل افتراض " (١) .

أما خطب قس بن ساعدة الايادى وسوق عكاظ فهذا أمر مبذول . للجميع طالما أنها خطبة فهى لابد فى جمع وطالما أنه سوق فهو للجميع فكيف يكون أثره فى شخص واحد ؟

---

(١) المصدر السابق ، ٣ : ١ ص ١٤٤ .

هذا وخطب قس موجودة ومطبوعة ومعظم ما كان يقال من شعر فى سوق عكاظ معروف وسجل ولاشئ فيه يشبه القرآن فأين هذا الأثر ؟

ان محمدا ليس له الا معلم واحد هو الله رب العالمين ولننتقل الى الفصل التالى مكتفين بما قدمنا في هذا الصدد .

الفصـــل الثانـــى
البيئـة العربيـة ليست مصدر القـرآن

فلا يمكن بحال أن يكون القرآن صادر من العرب ومنتهم الوثنيــة والتحدى بالقرآن قائم ، والا كانوا استجابوا له ، لأن الشئ وليد البيئـة لايكون حكرا على واحد .. هذا أمر مانع وهناك أخرى كثيرة نذكر منها :

أن الاسلام منذ أول لحظة من تاريخه اعلنها حربا على الوثنيــة ضارية وصريحة لامراوغة فيها ولاهوادة ، الى جانب اعلانه وحدانية الخالـق فى دعوة صريحة أيضا لامساومة فيها فأين توجد فيه بوائق الآثام الـتى كانت سائدة فى المجتمع العربى قبل الاسلام ؟ ولماذا يحارب القوم فـى أعز صفاتهم ، وأخص طباعهم اذا كان ماجاء به لايخرج عن نطاق تلـك البيئة ، فأين يجد الباحث طقوس الوثنية العربية فى الاسلام ؟

ومن أين للعرب هذه العقيدة عن الله وعن الآخرة وهذه الفكــرة المتكاملة عن الانسان والحياة والحقائق التاريخية الصادقة عن الأنبياء مـن فجر التاريخ وكل هذه الجوانب الحكيمة الناضجة فى الاحكام والشرائع وهذه العبادات والتكاليف الموجودة فى القرآن والتى لم تكن موجودة من قبل عند القوم ؟ انها غاية لم يرتق اليها قبله أحد من قومه ، وليس لها أى تعليل من البيئة أو التاريخ فقد كانت البيئة راضية قانعة بأوضاعها مطمئنة الـى عقيدتها فلم تطمع الى زعامة قط فى أمر العقيدة ولم تعالج قط فكرة الدعوة

منذ عهد اسماعيل عليه السلام . وقد كان هناك فى العالم فى ذلك الحين شعوب تعد متحضرة وفى ايديهم كتب سماوية وغيرها وكانوا أجدر بالبحث فى أمر العقيدة والتفكير فى مخرج من أزمتها وأزمة الخلق والحياة فى ذلك العالم ولكنها لم ترفع بذلك رأسا فكيف تصدره ؟ ثم كيف ينبع من هذه الأمة الأمية ؟

نعم لقد كان هناك أناس بين هؤلاء الجهال كانوا يتميزون عنهم يعرفون بالحنفاء .. لقد كانت هذه الفيئة عددا ضئيلا يعد على الاصابع ولم يكن الناس يعيرون لهم أى اهتمام فهم لم يقوموا بدعوة ولارفعوا بذلك صوتا فهم ليس الا متمردون فقط ــ على عصرهم لان ــ شرك قومهم وعاداتهم الذميمة فى كثير واباحيتهم لم تكن ترضيهم . فتطلعوا الى دين صحيح حاولوا التماسه خارج هذا المحيط ولم يكن لهم عنده أى فكرة لقد كانوا يجهلون عبادة الله[1] انهم فقط كانوا ينتظرون مخرجا لحيرتهم ويبحثون عنه وأدى بعضهم البحث الى اعتناق دين من الاديان السائدة[2] وهؤلاء لم يقدموا الى قومهم شيئا وكفاهم أنهم ارتاحوا الى رأى فى مجال العقيدة ، فلم يزيدوا قومهم شيئا من تجاربهم الدينية ولاتقدموا بهم أى خطوة فى طريق الهداية ولم يخلفوا تراثا دينيا يذكر ، فلا يمكن أن يكون محمدا قد استفاد منهم

(١) ولقد اعترف احدهم (زيد بن عمرو بن نفيل) بذلك انظر سيرة بن هشام ١/١٤٤

(٢) كورقة الذى تنصر وعبيد الله بن جحش .

شيئا وان كان أولئك قد اهتدوا بفطرتهم ورجاحة عقلهم الى الوحدانية الا أن الدين ليس ذلك فحسب ، فكيف نعرف ذلك الاله وكيف نعبده وكيف نعيش في هذه الحياة عاملين بما يرضيه مجتنبين لما يغضبه الى غير ذلك من الامور . فلو كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد اقتفى آثار الحنفاء لما تعدى في أمره وبحثه عن الحق ذلك المدى الذى وصل اليه الحنفاء ، وكان منتهى أمره وغايته أن يقنع بنبذ الأوثان ويعتزل المفاسد الموجودة في بيئته ، واذن ماكانت هناك من حرب بينه وبين قومه كما لم يحدث ذلك بينهم وبين الحنفاء اذن ماجاء به محمد شئ خارج عن نطاق هذه البيئة فالان لنطالع التاريخ لنرى الحالة التى كانت عليها تلك البيئة العربية وكيف حاربها القرآن وهذا أمر ينفى بكل تأكيد أن يكون القرآن نابعا من ذلك الوسط .

انه وسط أصيب لبعده عن عهد النبوة . بانحطاط دينى شديد الوثنية السخيفة قلما يوجد لها نظير فى الامم المعاصرة ، وأدواء خلقية واجتماعية جعلت منهم أمة منحطة الاخلاق فاسد مجتمعها ذات كيان متضعضع ، تحوى لاسواء خصائص الحياة الجاهلية ، لقد كان الشرك هو دينهم العام والعقيدة السائدة فيهم فكانوا يشركون مع الله آلهة أخرى ويعتقدون فيها قدرة ذاتية على الخير والشر والضر والنفع والافناء والايجاد وما الله الا كبير هذه الآلهة وربها الأعظم . وهكذا انغمست الأمة فى الوثنية وعبادة الاصنام بأبشع أشكالها

فكان لكل قبيلة بل لكل بيت صنم يعبدونه وهذا هو الكلبي يخبرنا في ذلك فيقول " كان لأهل كل دار في مكة صنم في دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا .. واستهترت العرب في عبادة الاصنام فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب " (١) .

ولقد كان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنما (٢)

ويخبرنا الامام البخاري بسنده عن أبي رجاء العطاردي قال : " كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو خير منه القيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به " (٣) ، وقال الكلبي " كان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه ربا وجعل ثلاث اثافي لقدره واذا ارتحل تركه " (٤) بجانب ذلك فقد كانت لهم آلهة أخرى شتى من الملائكة والجن والكواكب فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله ويعبدونهم ، ويتوسلون بهم عند الله ، واتخذوا كذلك من الجن شركاء

---

(١) الاصنام ، ص ٣٣ .
(٢) انظر نفس المحل .
(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب فتح مكة .
(٤) المصدر السابق للكلبي ، ص ٣٣ .

لله وأمنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم " [1] فلقد كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن [2] " كانت حمير تعبد الشمس وكنانة القمر ، وتميم الدبران ولخم وجزام المشترى ، وطى سهيلا ، وقيس الشعرى العبور وأسد عطارد [3] كان منهم من ينكر الميعاد ولايقول بالجزاء وأن العالم سرمدى لايخرب ولا يبيد الى غير ذلك [4].

لقد كانوا يشربون الخمر فكانت حوانيت الخمارين مفتوحه دائما يرفف عليها علم يسمى غايه ، وكانوا يقامرون وعدم المقامرة يعتبر عارا ، فكان الرجل يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله فى يد غيره فكانت تورث بينهم عداوة وبغضا " [5] وكانوا يتعاطون الربا فكان فاشيا فيهم " [6] بل لقد رسخ فيهم حتى ليعدونه من الامور الطبيعية فيجعلونه مثل البيع [7].

أما الزنا فقد كان متفشيا فكان شيئا عاديا أن يتخذ الرجل خليلات بدون عقد وكانوا يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن [8].

حتى النكاح كان فى غالبية زنا محضا ، فلنستمع الى السيدة عائشة رضى الله عنها تحدثنا فى ذلك فتقول " ان النكاح فى الجاهلية كان على

---

(١) الكلبى : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .
(٣) طبقات الامم ، ص ٤٣٠ .
(٤) ولقد ذكر ذلك عنهم فى القرآن ، انظر سورة الجاثية : آية ٢٤ .
(٥) انظر تفسير الطبرى عند تعرضه للآية (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة [illegible]
(٦) ولقد ورد ذكر ذلك فى القرآن وانظر المصدر السابق ٤/٥٩ .
(٧) كما أخبر عنهم القرآن : انظر سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .
(٨) الطبرى ، المصدر السابق ، ١٨/٤٠ .

أربعة انحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل الى الرجل وليته أو بنته فيصدقها ثم ينكحها ، والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها : ارسلى الى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها ولايمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة نجابه الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان ، تسمى من احبت باسمه فيلحق به ولدها ولايستطيع أن يمتنع ممن جاءها ، البقايا كن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما فمن ارادهن دخلن عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذى يرون " [1] .

هذا .. وكانت المرأة فى ذلك العهد مضطهدة تهضم حقوقها وتؤكل أموالها وكانت تحرم ارثها وتفصل بعد الطلاق، أو وفاة الزوج من أن تنكح من ترضاه زوجا حيث كانت تصادر حريتها تماما بل كانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة [2] .

---

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح ، باب لانكاح الا بولى .

(٢) كما ورد فى القرآن ، انظر سورة البقرة: آية ٢٣٢ ، والنساء، آية ١٩ .

لقد كان الرجل كما يقول ابن عباس ـ " اذا مات أبوه أو أخيه فهو أحق بامرأته ان شاء امسكها أو يحبسها حتى تفتدى بصداقها أو تموت فيذهب بمالها ، وقال عطاء : ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبى يكون فيهم ، وقال السندى : ان الرجل فى الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه ، أو ينكحها فيأخذ مهرها [1] ، وكانت مضطهدة فى أشياء كثيرة لدرجة أن من المأكولات محرم عليها حلال للذكور ، بل بلغت كراهة البنات الى حد الوأد فان " الوأد كان مستعملا فى قبائل العرب قاطبة ... فمنهم من يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من اجلهن ، ومنهم من كان يئد البنت اذا كان بها عيب بالبرص والعرج وغيره تشاءما منهم بذلك ، وهناك من يقتل أولاده خشية الانفاق ، وخوف الفقر ، بل وكان بعضهم يبيعهم فيشتريهم سراة القوم واشرافهم ومنهم من كان ينذر اذا بلغ ابناؤه عشرة نحر واحدا منهم كما فعل عبد المطلب وهناك من جعل الملائكة بناتا لله . [2]

ولقد كانت فى العرب عصبية شديدة ولقد كانت كذلك بيوت ترى لنفسها فضلا على غيرها فكانت تشكل طبقية يتوارثها الى بناء وكان هناك سوقه وعوام فالتفاوت الطبقى مسلم به بين المجتمع العربى آنذاك ..

---

(١) الطبرى : المرجع السابق ٤/٣٠٨ .

(٢) انظر الندوى : ماذا خسر العالم ، ص ٦٩ .

ولقد كانت الحرب والغزو يجريان فى دماء القوم حتى ان الحرب لتقوم لاوهن الاسباب مثل حرب البسوس فقد كان سببها ناقة رميت بسهم فاندلعت الحرب بين بكر وتغلب وهما ابناء عمومة اربعين سنة مات فيها آلاف الناس ، وكذلك حرب داحس والغبراء وهما فرسان تسابقا وكان أن تعرض احدهما لمن لطمه على وجهه فسبق بعد أن كان سابقا فقامت بسبب ذلك الحرب التى راح ضحيتها الآلاف من الناس [1] الى غير ذلك من المآسى فى ذلك العهد .

ان البيئة العربية كانت حافلة بكثير من أنواع المنكرات والفواحش وقد نهاهم القرآن عن ذلك وحاربهم حربا لاهوادة فيها فوأد الاطفال كان متفشيا والبغاء وزنا المحارم ، وابتزاز المهور وارث نساء الاقارب كرها ، وظلم اليتامى ، والجشع والربا اهمال الفقراء وازدراء الضعفاء لقد كانت حياتهم هى الضلال المبين والجاهلية الجهلاء وقد أخبر القرآن عن هذا الحال فى كثير من آياته [2] ..... فهل يعقل أن يكون هذا صادرا من البيئة العربية نفسها وهو ضدها — وهاهم يبررون عدم ايمانهم به بأن هذا ليس من بينهم وأنهم ماسمعوا بهذا فى آبائهم الاولين [3] .

---

(١) انظر الندوى : المصدر السابق ، ص ٧٠ و ٧١ .

(٢) وسيأتى فيما بعد ذكر هذه الآيات .

(٣) انظر سورة القصص ، ٣٦ .

لقد كانوا يشركون بالله وجاء القرآن بتوحيد ضد هذا الشرك فهل يمكن أن يكون هذا صادرا من نفس الملة ... لقد كانوا ينكرون البعث وجاء القرآن يثبته ؟

والآن لنستعرض بعض نصوص القرآن وهى تحارب معتقداتهم هذه وتبين جهالتهم وضلالتهم وهى تأتى بمبادئ عكس ماكانوا يعتقدون وفى هذا دليل أكيد على أن القرآن لايمكن أن يكون صادرا عن تلك البيئة .

(ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) (١)

(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (٢)

(أيشركون مالايخلق شيئا وهم يخلقون . ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون . وان تدعوهم الى الهدى لايتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون . ان الذين تدعون من دون الله عباد

---

(١) المائدة : ٩٠ و ٩١ .

(٢) الحج : ٣٠ و ٣١ .

أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم أرجل يمشـون بها أم لهم ايد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، ان ولى اللـه الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونـه لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون)(١)

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله بـه والمنخنقة والموقوذه والمترديه والنطيحة وماأكل السبع الا ماذكيتم ، وماذبح على النصب ، وأن تستقسموا مالازلام ذلكم فسق)(٢)

(وجعلوا الله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغـير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أن يكون له ولـد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالـق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل)(٣)

(فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثـا وهم شاهدون الا أنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبـين

---

(١) الاعراف : ١٩١ — ١٩٨ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) الانعام : ١٠٠ — ١٠٢ .

فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون) [1] .

(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب ساء مايحكمون) [2] .

(وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) [3] .

(أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ، لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) [4] .

---

(١) الصافات : ١٤٩ - ١٥٩ . (٢) النحل : ٥٧ - ٥٩ .

(٣) الزخرف : ١٥ - ١٩ . (٤) الانبياء : ٢١ - ٢٦ .

(أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ، ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ، قـــل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغـــوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) [١] .

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل الـــه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) [٢] .

(قل هو الله أحد ، الله الصمــد ، لم يلد ولم يولد ولم يكـــن لــه كفــوا أحـــــد) [٣] .

(وأقسمو بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعـــــدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [٤] .

(زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) [٥] .

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) [٦] .

(وانــه هــو رب الشــعرى) [٧]

---

(١) الاسراء : ٤٠ — ٤٣ . (٢) المؤمنون : ٩١ .
(٣) الاخلاص .. (٤) النحل : ٣٨ .
(٥) التغابن : ٧ . (٦) فصلت : ٣٧ .
(٧) النجم : ٤٩ .

(قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (١) .

(ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا يكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) (٢) .

(ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٣) .

(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) (٤) .

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) (٥) .

---

(١) الانعام : ١٤٠ .
(٢) الانعام : ١٥١ – ١٥٢ .
(٣) الاسراء : ٣١ و ٣٢ .
(٤) النور : ٣٣ .
(٥) النساء : ٢٢ .

(الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) [١] .

(لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) [٢] .

(كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا يحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما) [٣] .

الى غير ذلك من الآيات التى جاءت وهى على غير ما كانوا عليه من عادات جاهلية وهى كثيرة لا يستطيع لها عدا وحسبنا منها ماذكرنا ليدل على غيره وهل القرآن كله قد جاء الا ليخرج الناس من الجاهلية الى الصراط المستقيم ؟؟ وعليه فانه لايمكن بحال أن يكون هذا القرآن صادرا من هذه البيئة بل هو تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) البقرة : ٢٧٥ ، ٧٦ .

(٢) النساء : ٢٢ .

(٣) الفجر : ١٧ - ٢٠ .

الفصـــل الثالـــث

ليست النصرانية مصدرا للقرآن فى شـــيء!

ان القرن السادس والسابع الميلادى كان — كما يقول المؤرخون — من أحط الأدوار التاريخية ، ولا أحد ينازع فى ذلك منهم .. لقد تدلت فيـه الانسانية ووصلت الى درجة من الانحدار والانحطاط ما بعدها .. وليس هناك من قوة على وجه الأرض تأخذ بيدها فتمنعها من السقوط .. لقـــد خفتت دعوة الرسل منذ زمن وهمدت جزوتها ، فانطفأت مصابيح الهدايـــة التى اشعلوها أمام العواصف العاتية التى هبت من بعدهم ، ومالم ينطفـــئ منها فقد صار ضوءه ضعيفا ضئيلا لايجد سبيله الا الى القليل من النفوس وقد انسحب رجال الدين من الميدان فارين بدينهم من الفتن ، وبأنفسهـــم من الهلاك ، لايزين بالخلوات والأديره والكنائس ، راغبين فى الهدوء والدعه أو هاربين من تكاليف الحياة بعد أن فشلوا فى الكفاح ، دينـا أو سياسة مادة وروحا ، أما الذين بقوا فى الساحة فقد اصطلحوا مع الملوك وتعاونوا جميعـــا على الاثم والعدوان وظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل. (١)

لقد كان ذلك الوقت هو العصر المظلم فى تأريخ الانسانية .. ووســـط هذا الظلام الدامس والسواد الحالك سطع نور الاسلام فهل يمكن أن يكون هذا النور مستمدا من تلك الظلمة ؟ ان ذلك لعمر الله بعيد ، فان حالـــة

---

(١) انظر أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٣٧

الديانات والأمم والنحل المختلفة التى كانت موجودة عند ظهور الاسلام لا تغرى أحدا بأن يقتبس منها ، ولئن اقتبس فهل تراه يجنى الا شوكا وحصادا مرا ؟

وقد بينا لك فى الفصل السابق الحالة التى كان عليها العرب ، ولسنا هنا بسبيل بيان تلك الحالة من التهتك والانحلال التى وصلت اليها باقى الأمم والديانات جمعاء ، ولكن يهمنا هنا أن نبين فقط الحالة التى كانت عليها المسيحية بالقدر الذى ينفى أن تكون مصدرا للقرآن وهى بتلك الحالة .

نعم لقد تعرضت هذه الديانة لعبث العابثين ولعبهم ، وتحريف المحرفين من منافقين ونفعيين وغيرهم حتى طمست معالمها وتغيرت ملامحها بل وفقدت روحها وأصالتها ، فلو بعث اهلها الأولون لما عرفوها من جراء ما حدث لها ، لقد افلست ونضب معينها ، لقد اصبحت مزيجا من الخرافات اليونانية ، والوثنية الرومانية ، والافلطونية المصرية [1] ، لقد "أسرف المسيحيون فى عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا من ذلك الكاثوليك فى هذا العصر" وفى هذا يقول (ج سال) "اذا قرأنا التاريخ الكنسى بعناية فسنرى أن العالم المسيحى قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته بسبب اطماع رجال الدين والانشقاق بينهم ، والخلافات على اتفه المسائل والمشاجرات التى لا تنتهى ، والتى كان الانقسام يتزايد بهأنها ، وكان

---

(١) انظر : الندوى المصدر السابق ص ٣٨ .

المسيحيون فى تحفزهم لارضاء شهواتهم ، واستخدام كل أنواع الخبث والحقد ، والقسوة .. قد انتهوا تقريبا الى طرد المسيحية ذاتهـا من الوجود بفعل جدالهم المستمر حول طريقة فهمها ، وفى هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت ، بل وثبتت أغلب أنواع الخرافات والفساد .. ولقد وجدت الكنيسة الشرقية نفسها بعد مجمع (نيقية) ممزقة بسبب الخلافات بين أنصار آريـوس وسابليوس ، ونسطور ويوتيخيوس ، ولقد رأى رجال الدين أن يمنح ضباط الجيش بعض الحماية ، وبهذه الحجة كان العدل يباع علنا مما شجع كل نوع من أنواع الفساد والرشوة ، أما بالنسبة للكنيسة الغربية فقد بلغ الخلاف بين دماز وارزيسيان على كرسى الاسقفية بروما فى شدته حد اللجوء الى العنف والقتل ، ولقد قامت هذه الانشقاقات اساسا نتيجة اخطاء الاباطرة ولاسيما الامبرطور قسطنتين ، وزادت حدته فى ظل حكم جستنيان الذى اعتقد أنه ليس هناك أى جرم فى قتل أى رجل يخالفه فى فهم العقيدة ، هذا الفساد فى الاخلاق وفى العقيدة الذى ساد بين الأمراء وبين رجال الدين ، استدعى بالضرورة فساد الشعب عامة حتى أصبح شغل الناس الشاغل على اختلافهم هو جمع المال بأية وسيلة مهما كانت لانفاقه بعد ذلك فى الترف والرزيلة "[1] .

وكتب فى هذا أيضا (اسحق تايلور) حيث يقول مخبرا عن الحالة التى كانت عليها المسيحية فى العهد النبوى " ان ما قابله محمد وأتباعه

Hincolas, observations sur le mohométisme

(١) أورد ذلك عن الكتاب المذكور د . دراز فى المدخل ص١٢٧

فى كل اتجاه .. لم يكن الا خرافات منفرة ، ووثنية منحطة ومخجلة ، ـ ومذاهب كنسية مضرورة ، وطقوسا دينية منحلة وصبيانية ، بحيث شمر العرب ذوو العقول النيرة بأنهم رسل من قبل الله ، مكلفين باصلاح ما ألم بالعالم من فساد .. وعندما وصف راهب مؤرخ الآلام والعذاب والذى أوقعه الفرس بشعب فلسطين فى زمن محمد لم يتردد فى أن يقرر أن الله لم يصب المسيحيين هناك بقسوة الزنادقة الظلمة الا بسبب ظلمهم وشرورهم ، وعندما أراد (موشليم) وصف هذا العصر رسم صورة للمقارنة أبرز فيها التعارض بين المسيحيين الأوائل والأواخر وخرج بأن الديانة الحقيقية فى القرن السابع كانت مدفونة تحت أكوام من الخرافات والأوهام السخيفة حتى أنه لم يكن فى مقدورها أن ترفع رأسها " (١) .

فهل فى هذا ما يمكن أن يكون نموذجا يحتذى به فيكون صالحا لأن ينقله الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ويبنى عليه هذا الاسلام الذى يختلف جدا فى مبادئه التى جاء بها عما كانت عليه المسيحية فى ذلك الوقت وهذا ما سنتعرض اليه بالتفصيل فيما بعد ـ لا شك أن ماصادفه عليه الصلاة والسلام من مواد فى ذلك الوقت انما تصلح لهدم الأمم لا لبنائها فلم يكن فيها ما هو صالح ليقيم عليه الاسلام بنيانه هذا البناء الذى قام على قواعد ثابته وراسخة من العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة والشريعة السمحة ، فهل يمكن أن يوجد من العدم شئ ؟

---

(١) تايلور : المسيحية القديمة ، المجلد الاول ص ٢٦٦ أورده عنه دراز فى المصدر السابق ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

ان الانسان لا يستطيع المحاكاة ولا يقدر على التقليد ولا يتأتى لـه الاستمداد والتأثر الا اذا توفر له اتصال قريب وعميق والا اذا هيئت لـه فرصة امعان النظر واجالة الرأى وبحث الفكرة ليدرك بعد ذلك ما عليـه من دور يقوم به وهدف يستطيع الدعوة اليه .. فمن أين للرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاتصال الوثيق بالمسيحيه ودراستها والتعمق فـى اصولها حتى يمكنه الاقتباس منها .. فلم يك هناك فى مكة من جاليـة مسيحية فضلا عن كنيسة تدعو وتؤثر بل الثابت أن المسيحية قبل الاسلام ما كانت تقع عند أهل مكـه موقعا حسنا ولا كانت تثير لهم حدثـــة وليس أدل على ذلك من تجربتهم قبيل الاسلام مع الدولة المسيحية فـى اليمن عام الفيل عندما حاول ملكهم هدم الكعبة ليصرف الناس عن البيت الحرام الى كنيسة بناها هناك فى صنعاء وكان العرب قد احسوا بهـذه النية من قبل فحاول أحد الاعراب التعبير عن سخطه على تلك المحاولـة بأن تغوط فى تلك الكنيسة فأثارت تلك الفعلة غضب الملك المسيحى فكان من أمره ما كان مما هو ثابت فى التاريخ .

أما الذين تنصروا من العرب فليس الا قلة تعد على اصابع اليـد بحيث حفظت اسماؤهم ودونت اخبارهم ، فلم يك هناك البتة لهم فـى مكـه من نشـاط للتبشير بالمسيحية قبل الاسلام .

أما أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد حصل على ذلك من خلال رحلاته فقد بينا أنه عليه الصلاة والسلام لم يرحل الى الشام الا مرتين ..

الأولـى وهو صغير ولم ينفرد بأحد من الرهبان والثانية وهو فى تجـارة لم يتفرغ لهذا الشأن ولم تطل مدتـه ولكن الادعاء بأنه درس النصرانية عن هذا الطريق لأمر يثير السخرية ولايقبله ذو عقل اذ كيف يستطيـع فى هاتين الرحلتين أن يدرس النصرانية ويتعمق فيها لدرجة تمكنه مـن هضمها فيؤسس بمقتضى ذلك دينا يشتمل على عقائد وشرائع وعبـادات اذا كان هذا ممكنا فقد كان هناك فى العرب من هو أحرى وأجـدر بهذا الاقتباس لكثرة خروجهم الى الشام واتصالهم بالرهبان فلماذا لـم يقوموا بما قام به عليه الصلاة والسلام ؟ وهذا نورده ردا على زعمهـم بأنها رحلات عديدة تلك التى قام بها النبى ـ صلى الله عليه وسلـم الى الشام ـ فلنفترض ذلك فهل يجاوز الأمر أن يكون عليه الصلاة والسلام راهبا أو متنسكا ؟ على أن ذلك لم يؤثر عن الرسول قط فلم يرَ فـى يوم من الأيام يؤدى طقوسا أو مفيضا فى عقيدة ولا مجادلا فى شـأن من ذلك بل كل ماثبت عنه قبل الاسلام فى أمر التدين هو نوع مـن التفكير فى خلوته فى حراء لايصل به بحثه الا الى بقايا دين ابراهيم من أمر التوحيد والتنزيه فلا صلة له الهتـه عليه الصلاة والسلام بالنصرانية ولا يقوم على ما زعمـوا أى شاهد أودليل معتبر .

ان دعوى الاسلام ليست ترديدا لمبادىء النصرانية ـ كما زعمـوا ولا بمحاكاة لها اذ أن الخلاف بين المسيحية والاسلام خلاف جـذرى يتقبل بأمر العقيدة وتلك حدود فاصلة لا يحكم الادعاء معها بأن هنـاك

تأثيرا أو محاكاة ، وهذه كلمة فى هذا الصدد للدكتور أحمد شلبى يقـول فيها " اسجل حقيقة هامة تختلف فيها المسيحية عن الاسلام اختلافـــا يكاد يكون تاما ، وتلك الحقيقة هى أن مبادئ الاسلام واحدة عند جميع المسلمين عامتهم ومفكريهـم ، فوحدانية الله وكون محمد عبده ورسولـه والقرآن الكريم ونظام المواريث والزواج والطلاق ، وغيرها من أمور الـدين والدنيا لا تختلف عن المسلمين عالمهم وجاهلهم أما المسيحية فيمكـن القول أن هناك نوعين منها يتبع المفكرون نوعا ، وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعا آخر بعيدا جدا عن الأول "[1] ، والاسلام بعيد جدا عن هذيـن النوعين عند المسيحية اذ كلاهما مبنيان على التثليث ، فعند لا اله الا اللـه كان الافتراق الفاصل ، فشتان بين دين يدعوا من أول يوم الى التوحيـد وبين دين يختلف اتباعه فى العقيدة ويفترقون ويؤمن أكثرهم بتعدد الألـه

فلو أن الاسلام اتفق مع المسيحية فى العقيدة فى الله ثم اختلف معها فى فرع من الشريعة أو جانب من العبادة لهان الامر فى زعم الاعداء وادعائهم بأن الاسلام مقتبس من النصرانية ولكنه خلاف اصيل لايمكن معه القول باستفادة أو تأثر .. فنظر الاسلام فى هذا أعلى درجة وأفسـح مجال وأوضح رؤية فاذا كان لايلتقى معها فى العقيدة التى هى الحجر الاساس فى بناء الدين فأين يلتقى أذن ؟

ان المسيحية التى كانت سائدة فى ذلك الزمان لم تكن تميز البتـة بشئ عن الوثنية وفى هذا يقول الامام على رضى الله عنه أن قبيلة ثعلـب

---

(١) أحمد شلبى : مقارنة الاديان : ٨٠/٢ .

المتنصرة لم تأخذ من المسيحية سوى عادة شرب الخمر فحينما سار محمد – عليه الصلاة والسلام – لم يجد فى طريقة الا معتقدات ينبغى تقويمها وانحرافات عن المبادئ تجب اعادتها الى الصراط المستقيم ولم يجد مطلقا نموذجا ادبيا أو دينيا يمكن أن يقتدى به أو يجعله فصلا فى اصلاحه .

هذا ولم يكن الانجيل قد نقل الى العربية حتى عدة قرون بعد عصر النبى عليه الصلاة والسلام – ولم يكن حتى باللغات الاخرى فى متناول عامة الناس وكانت تلك التعاليم القليلة عند العامة والمأخوذة من الانجيل مبهمة وغامضة يناقض بعضها بعضا فى أكثره حتى لا يجوز أن يكون اصلا لهذا الاتساع والدقة والوحدة والقوة الموجودة فى القرآن الكريم (1) وسنتعرض لهذا التناقض بشئ من التفصيل فيما بعد ان شاء الله

هذا وهناك فارق اساسى بين الانجيل والقرآن يستبعد مطلقا أن يكون الثانى نتاج الأول فالقرآن بعد العقيدة يحوى نظما وشرائع وحدودا دينية واجتماعية واقتصادية وسياسيه بينما الانجيل يكاد يخلوا من هذا كله

فلم يشر الا اشارات عارضة للنظم الاجتماعية أو الاقتصادية أو – السياسية بل كان يلح من تصرفاته وتصريحاته أنه لا يستريح الى القيود والتقاليد من الكهان اللادينى والكتبة لانها أعمال ظاهرة والمسيح انما كان موكلا بالبواطن والارواح فقد اباح لتلاميذه سبت بنى اسرائيل وأهمل وأحل كل ما يدخل الى الفم لانه لا ينجس أما الذى يخرج منه غش وزور وفسق

---

(١) انظر دراز : دراسات اسلامية ص ٩ ، ١٠ .

فهو الذى ينجس وأباح للتلاميذ الافطار فى أيام الصوم اليهودية ولم يرجم الزانية التى جىء له بها معترفه لان الذين سيتولون رجمها - حسب شريعة موسى - ليس فيهم من هو خال من الذنب ومن أقواله سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ايضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين (١) ، وكلما نستطيع الوقوف عليه فى شرائع الانجيل يتلخص فيما يلى من قول المسيح :-

(قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما انا فأقول لكم ان كل من يغضب على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لاخيه (رقا) يكون مستوجب المجمع ، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ، فان قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن - لاخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك ، وحينئذ قال وقدم قربانك ، كن مراضيا لخصمك سريعا مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى الشرطى فتلقى فى السجن الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير لقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن - وأما انا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فان كانت عينه اليمنى تعثرك فاقلعها

---

(١) انجيل متى الاصحاح الخامس ، الفقرات ٣٨ - ٤١ .

والقها عنك لانـه خيـر لك أن يهلك أحد اعضائك ولا يلقى جسدك فى جهنم وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك لا نه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وحتى هذه التشريعات على قلتها انما تتوجه للتطهر الخلقى أكثر مما ترمى الى الحدود وسن القوانين وبيان الفروض [1] ، بينما القرآن حافـل بالشرائع والقوانين ويكفى أنه كاف لا هله فى هذا الشأن فما من شيء طلبوه فيه الا ووجدوه ومازال المسلمون فى الماضى والحاضر يرجعون اليه فى كل شيء من نظمهم القانونية والاقتصادية والخلقية وغيرها وقد افاض العلماء فى بيان ذلك وافردوا الكتب فيه لنخيلهم اليها - ونحيلهم الى الكتاب العزيز نفسه فمجرد الاطلاع عليه يؤكد هذه الحقيقة .

هذا والقرآن ينتقد أعتقاد النصارى بالوهية المسيح ويكفرهم بذلك وفى هذا وردت آيات كثيرة ، وكذلك فى نقد اعتقادهم بالتثليث واخرى لا تتفق مع النصارى وليست فى صالح النصرانية فهى تصحيح لا خطائهم وبيان لانحرافاتهم وفيها تعنيف لهم ، فكيف يكون القرآن ناقلا عنها وفيه مثل هذه الايات ؟ وفيما يلى نورد بعضا منها لتدل على غيرها ..

يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) [2] .

---

(١) سيد قطب : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢١ - ٢٣ بتصرف يسير .
(٢) المائدة : ٧٢ .

(واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب) (١)

(يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) (٢) .

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) (٣)

(ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٤)

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٥)

(ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) (٦) .

---

(١) المائدة : ١١٦ .   (٢) النساء : ١٧١ .
(٣) المائدة : ٧٣ .   (٤) مريم : ٣٥ .
(٥) آل عمران : ٥٩ .   (٦) المائدة : ٧٥ .

(قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) [١].

(واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) [٢].

(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) [٣].

(اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) [٤].

(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) [٥].

(قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له مافى السموات ومافى الأرض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) [٦].

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) [٧].

---

(١) المائدة : ١٧ . (٢) الصف : ٦ . (٣) النساء ١٥٧، ١٥٨
(٤) آل عمران : ٥٥ . (٥) البقرة : ١١٦ . (٦) يونس : ٦٨، ٦٩ .
(٧) المؤمنون : ٩١، ٩٢ .

(الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) [1].

الى غير ذلك من الآيات وكلها كما لاحظت ليست فى مصلحة النصرانية فى شئ مما يستبعد تماما أن يكون هذا القرآن فيه شئ من الاقتباس منها فلا يعقل أن يكون قد أخذ منها وهو يصفهم بمثل هذا الوصف ويأتى بما هو ضد عقيدتهم تماما ؟ وما هو ليس موجودا عندهم البته كالشريعة التى سبق أن عرضنا حولها بشئ من التفصيل وما هو مؤكد لهذه الحقيقة أن آيت القرآن كلها متسقة بلا تناقض فكيف يكون أخذ من النصرانية وكلها تناقض ولسنا بسبيل احصاء كل المتناقضات ولكنا نسوق بعض الامثلة فى ايجاز شديد ..

جاء فى انجيل متى عن المسيح وهو يوجه الحواريين " الى طريق الوثنين لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة " [2]، " ولم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " [3]، ثم يوجههم الوجهة أخرى بقوله " فاذهبوا وتاعذوا جمع الامم " [4]..

وفى هذا ولا ريب تناقض واضح فكيف يوجههم الى قصر دعوته على بنى اسرائيل ثم يوجههم الى تعميمها فى آن واحد ؟ ومثل ذلك ما جاء فى يوحنا منسوبا الى السيد المسيح " ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى

---

(١) الفرقان : ٢ . (٢) الاصحاح العاشر الفقرتان : ٥، ٦ .

(٣) متى : الاصحاح الخامس عشر الفقرة ٢٤ .

(٤) متى : الاصحاح الثامن والعشرون ، الفقرة ١٩ .

ليست حقــا " (١) .

ثم جاء في نفس الانجيل " أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة ، فقال له الفريسيون : وأنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا ، اجاب يسوع وقال لهم : وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق " (٢) ، فأي تناقض أكثر من هذا ؟ ومن التناقضات كذلك ما جاء في متى عن عيسى " ان اباكم واحد الذي في السموات " (٣) وما جاء في مرقص " الرب الهنا اله واحد وليس آخر سواه " (٤) .. ويروى يوحنا قوله " انى اصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم " فكيف يكون واحدا وهم ابناؤه وكيف يكون الههم وأبيهم في وقت واحد ، الى غير ذلك من المتناقضات التي لايسع المجال ذكرها وعليه فلا يمكن أن يكون هذا القرآن مقتبسا من هذه المسيحية المتناقضه المفككه والمنحله وهو المتسق المترابط فهل يكون مقتبسا من اليهودية ؟ ذلك ما سندفعه في الفصل التالي .. والله هو المعين .

---

(١) الاصحاح الخامس : الفقرة ٣١ .
(٢) الاصحاح الثامن : الفقرة من ١٢ ــ ١٤ .
(٣) الاصحاح الثالث والعشرون : الفقرة ٩ .
(٤) الاصحاح الثاني عشر : " ٢٩ .
(.)

الفصل الرابع
واليهودية كذلك ليست مصدرا للقرآن في شيء

ذلك أن القرآن قد بدأ نزوله في مكة المكرمة التي لم يكن فيها يهودي واحد .. ولقد استمر نزوله عشر سنوات أو أكثر قبل أن ينتقل الرسول -عليه الصلاة والسلام الى المدينة حيث يوجد اليهود ، فاذا كان المعلمون للرسول هم اليهود ، فكيف يصح أن تنسب اليهم هذا القدر من القرآن المكي وهو كثير ؟ علاوة على أنه لم يثبت تاريخنا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد جلس الى أحد من الناس ، يهود أو غيرهم متعلما ، ضف الى ذلك أن اليهود قد كانوا يعادونه عليه الصلاة والسلام من قبل أن يبعث ، ونحن لاننسى بحيرة الراهب وتحذيره لأبي طالب من اليهود خوفا أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم اذا علموا أنه النبي المنتظر ، فلقد كانت عداوتهم له من قبل أن تطأ قدماه الطاهرتان المدينة المنورة ولما جاء اليها كانت عداوتهم له أشد ، فلقد حاولوا خداعه ، والكيد له فكانوا يلقون اليه بالأسئلة المحرجة بل لقد حاولوا قتله أكثر من مرة لولا عصمة الله له منهم ومن غيرهم ، فهؤلاء كانوا بعيدين بلا شك كل البعد عن موقف الملقن المتصف بالترحيب وهذا هو موقف اليهود في غالبهم ، أما الذين أسلموا وآمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فهؤلاء ليسوا معلمين له وانما تابعون متعلمون منه

فهو استاذهم ، والا كيف يؤمنون به ويتهمونه وهو تلميذهم وماجاء بــه صادر عنهم ؟ فذلك مالايقبله عقل ــ ولو يعلمون أن فيه من اليهوديــة شئ لما آمنوا كذلك ٠٠٠٠

هذا وينبغى ان لاننسى أن الاسلام قد نشأ فى فترة اغلال كامل لليهودية وغيرها من الملل وقد بينا فيما سبق حالة الجاهلية الوثنيــة الاولى ، وحالة المسيحية ٠ واليهودية ــ والحمد لله ــ لاتقل حالتهــا بؤسا وقت ظهور الاسلام ، الامر الذى ينفى أن يكون فيها مايجذب اليها ويجعلها صالحة للاقتباس والمحاكاه ٠ ولقد بين القرآن بعــــض ذلك فى آياته سنتعرض له بالذكر فيما بعد ٠٠

هذا واليهود بطبعهم قوم منكمشون على أنفسهم ليسوا بمنطلقــين حتى تكون لهم صلة بالعرب يمكن بواسطتها أن يكون لهم تأثير يتأتــى منها هذا التراث الاسلامى الضخم ، علاوة على أنهم بخلاء بعلمهــم ويكتمون مايعلمون وقد نوه القرآن بذلك فى كثير من آياته وليس هنــاك من تقارب فى المبادئ بين مافى القرآن وبين مايدين به هذا المجتمــع اليهودى وسيأتى تفصيل لذلك ، كما أن للقرآن تجاههم موقفا بدأ فــى مكة ولم يتغير قط حينما جاء الرسول الى المدينة ، والقرآن قد كشــف القوم وفضحهم ، والقرآن قد بين اغلاطهم ، وفى القرآن أشياء ليســت موجودة عندهم ، وما عندهم اما متناقض مع بعض أو مع كثير من الحقائــق

وليس فى القرآن شئ من ذلك • والآن بعون الله سنتناول ماأجملناه بشئ من التفصيل •

أما حالة اليهود وقت ظهور الاسلام فانهم „ لم يكونوا عاملا من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين يؤثر فى غيرهم ، قضى عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم ، وأن يكونوا عرضة للاضطهاد والاستبداد والنفى والجلاء ، والعذاب والبلاء ، وقد أورثهم تاريخهم الخاص وما تفردوا به بين أمم الأرض من العبودية الطويلة والاضطهاد الفظيع — والكبرياء القومية ، والادلال بالنسب والجشع وشهوة المال ، وتعاطى الربا ، اورثهم كل ذلك نفسية غريبة لم توجد فى أمة ، وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعارا على تعاقب الاعصار والاجيال منها الخنوع عند الضعف ، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة والعتو والنفاق فى عامة الاحوال ، والقسوة والأثرة وأكل مال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله وقد وصفهم القرآن الكريم [1] وصفا دقيقا عميقا يصور ماكانوا عليه فى القرنين السادس والسابع من تدهور خلقى وانحطاط نفسى وفساد اجتماعى ، عزلوا بذلك عن امامة الامم وقيادة العالم [2] ،

---

(١) سيأتى ذكر ذلك فيما بعد

(٢) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٤٥

أما كتمانهم العلم فيكفى أنهم كتموا علمهم بأن الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم هو نبى آخر الزمان المنتظر الذى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وسيأتى ذكر الآيات فى هذا الصدد .

أما الخلاف فى المبادئ بين اليهودية والاسلام فموجود فى كثير ولكن يكفى ـ وهو الأهم أن نورد الاختلاف فى الاعتقاد فى الله وفى انبيائه بينهما او الاتفاق فيما سوى ذلك ليس له كبير أثر فان الاختلاف فى العقيدة فى الله وانبيائه هى الجوهر فى القضية وأساس الدين فاذا وجد الفرق فى هذا انتفى أن يكون الاسلام قد اقتبس من اليهودية . شيئا لأنه ان كان مستحيرا شيئا لكان فى هذا ......

فعقيدة اليهود فى الله انهم اعطوه اوصافا حسية فها هو كما فى سفر الخروج انهم عند ارتحالهم من سكوت . كان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضئ لهم(1)

ومن الاوصاف البشرية التى الصقوها به ماجاء فى التوراة فى سفر الخروج نفسه «ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف بنى اسرائيل »

---

(١) انظر : الاصحاح : ١٣ ، الفقرة ٢١ ، ٢٢

وهاهو يأمرهم قائلا « فيصنعون لى مقدسا لأسكن وسطهم[١] »

وهو لايعلم بل يطلب من بنى اسرائيل أن يرشدوه عندما كان بنو اسرائيل فى مصر وقد قرر « ان يجتاز فى ارض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم[٢] » ولما كان لايعلم كذلك فانه طلب منهم حتى تنزل ضرباته ببنى اسرائيل أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش الضحاه بأن يحملوا الدم على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت[٣] .

وهو ليس معصوما فكثيرا مايقع فى الخطأ ثم يندم على مافعل وبهذا تنفى التوراة « فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه[٤] .

وهو يأمرهم بالسرقة حيث يقول « تطلب كل أسرة منهم من جارتها أو من نزيلة بيتها امتعة فضه وامتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[٥] »

وهو يسمع النصيحة من افراد شعبه « وذلك عندما غضب على بنى اسرائيل وقال لموسى « اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم .. فراجعه موسى وقال له ارجع عن حمو غضبك وأندم على الشر بشعبك ماذا يقول عنك الناس اذا سمعوا بفعلتك .. فندم الرب[٦] » .

---

(١) الاصحاح : ٢٤ ، الفقرات ٩ ــ ١١
(٢) الاصحاح : ١٥ الفقرة : ٨ (٣) خروج : ١٢ : ٧
(٤) خروج : ٣٢ : ١٤ (٥) خروج : ٣ : ٢٢
(٦)

وأنه صارع يعقوب الى طلوع الفجر فلم يقدر على صرعه وتعلق بـه يعقوب فلم يطلقه ولم يتمكن الرب من الخلاص منه حتى باركه[١] .

وأنه تعب فى خلق السموات والأرض فاحتاج الى راحة[٢] الى غير ذلك فى المسافر . أما عقيدتهم فى الانبياء فهذه صورة منها :

فقد نسبوا الى داود أنه زنى بامرأة أوريا وأنه أرسل زوجها الى الحرب الشديدة ليموت ليستأثر بزوجته[٣] .

وأنه احتقر كلام الرب وعمل الشر فى عينيه[٤] وعطل الحدود فلم يقم الحد على ابنه أمون الذى زنى بأخته تامار[٥] . ولاعلى ابنه شالوم الذى زنى بسرارى أبيه على السطح أمام جموع اسرائيل[٦] .

هذا ونسبوا الى يعقوب الخداع والكذب[٧] .

وأن بنتى لوط اسكرتاه واضطجعتا معه فأولدهما[٨] . وأن هارون صنع عجل الذهب ودعا بنى اسرائيل الى عبادته[٩] .

وأن سليمان عصى كلام الله وأصبح زير نساء يركض وراءهن فأملن قلبه وراء آلهة أخرى وأصبح مشركا ضالا[١٠] .الى غير ذلك من السخافات

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح : ١٨ (٢) سفر التكوين الاصحاح الثانى

(٣) صمويل الثانى : الاصحاح : ١١ (٤) صمويل الثانى الاصحاح ١٢

(٥) صمويل الثانى : الاصحاح : ١٣ (٦) صمويل الثانى الاصحاح ١٦

(٧) سفر التكوين : الاصحاح : ٢٧ (٨) التكوين : الاصحاح : ١٩

(٩) الخروج : الاصحاح : ٣٢

(١٠) الملوك الأول : ١١

ومنظرة عابرة فى القرآن الكريم نجد الله سبحانه وتعالى غير ذلك وانبياؤه ليس كما ذكروا عنهم . فان الله سميع وعليم وقوى وليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، والآيات تترى فى ذلك وما آية جاءت فى القرآن عن نبى الا ووصفته بالطهر والبر ولم يصم القرآن أحدا بما ذكروا ومجرد التلاوة للقرآن كافية لبيان هذه الحقيقة .

أما الان فهذه مجموعة آيات قرآنية تبين موقف القرآن منهم وهى تكشفهم وتفضحهم وتبين أغلاطهم وجرائمهم وغير ذلك مما هو ليس فى صالحهم . ولايتأتى معها أن يكون فى هذا القرآن شئ مقتبسا فى اليهودية .

يقول الله تعالى :

(وضربت عليهم الذلة والمسكنه وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[1]

(فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)[2]

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنه منهم الا قليلا منهم)[3]

---

(١) البقرة : ٦١ (٢) النساء : ١٥٥ (٣) المائدة : ١٣

(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من النـــاس وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفـــرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) [١]

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما اللـــه بغافل عما تعملون) [٢]

(أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) [٣] .

(واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، الم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) [٤] .

(ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيـــاة الدنيا وكذلك يجزى المفترين) [٥] .

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) [٦] .

---

(١) آل عمران : ١٣٠ ، ١٣١ . (٢) البقـرة : ٨٥ .

(٣) البقـرة : ٨٧ . (٤) الاعراف : ٤٨ ، ٤٩ .

(٥) الاعـــراف : ١٥٢ . (٦) النساء : ١٦٠ .

(كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ، فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) (١) .

(وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) (٢) .

(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) (٣) .

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين) (٤)

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين) (٥) .

---

(١) آل عمران : ٩٣ . (٢) الانعام : ٤٦ .
(٣) النساء : ٤٦ . (٤) المائدة : ٦٤ .
(٥) الجمعة : ٠٥ .

(بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) (١) .

(ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم" أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) (٢) .

(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شتروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) (٣) .

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يسقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون) (٤) .

---

(١) البقرة : ٩٠ . (٢) آل عمران : ٢١ ، ٢٢ .

(٣) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ (٤) البقرة : ٧٤ .

(واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) (١) .

(من الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم • سماعون للكذب أكالون للسحت) (٢) .

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٣) .

(قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين) (٤) .

(افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) (٥) .

---

(١) البقرة : ٩١ .
(٢) المائدة : ٤١ ، ٤٢ .
(٣) آل عمران : ١٨١ .
(٤) الجمعة : ٦ ، ٧ .
(٥) البقرة : ٧٥ ، ٧٦ .

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما أيديهم وويل لهم مما يكسبون)[١]

(وان منهم لفريقا يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)[٢]

(وماقدروا الله حق قدرة اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)[٣]

الى غير ذلك من الآيات التى لو تتبعناها لكتبنا الكثير ولكن حسبنا منها ماتقدم .

" فهل ترى فى هذا كله صورة اساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه أم العكس ترى منه معلما يصحح لهم أغلاطهم وينعى عليهم سوء حالهم ؟

أما التناقض فى ديانتهم فنجده فى كتبهم المقدس فان معظمه تناقض . وفيما يلى بعض الأمثلة :

---

(١) البقرة : ٧٩ (٢) ال عمران : ٧٨

(٣) الانعام : ٩١

جاء في سفر صموئيل الثاني مانصه «« ولم يكن لميكال ابنه شاول ولد الى يوم موتها[1] »» وجاء في نفس السفر أيضا " فأخذ الملك ابني رصفه . وبني ميكال ابنه شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل[2]

وجاء في سفر العدد[3] أن هروت مات في جبل هور . بينما جاء في التثنيه[4] أنه مات في جبل موسير .

وجاء في يشوع[5] " وأعطى موسى سبط جاد وبنيه لقبائلهم ميراثا هذا تقسيمه حد تمزير وجميع قرى جلعاد ونصف أراضي بني عمون الى عر والمير التي هي جبال ربا، " .

وبينما جاء في الباب الثاني في سفر الاستثناء هكذا " قال لى الرب انك تدنوا الى قرب عمون احذر تقاتلهم ومحاربتهم فاني لاأعطيك شيئا من أرض بني عمون لأني اعطيتها بني لوط ميراثا[6] " .

ومن تناقضهم العجيب فانهم كما رأيت نسبوا الى داود أنه زنى بامرأة اوريا وأنه ارسل زوجها الى الحرب الشديدة ليموت ، كما جاء في صمويل الثاني الى آخر ماذكروه عنه .

---

(١) الاصحاح السادس الفقرة الثانية والعشرون
(٢) الاصحاح الحادى والعشرون الفقرة الثامنة
(٣) الاصحاح الثالث والثلاثون الفقرة الثامنة والثلاثون
(٤) الاصحاح العاشر الفقرة السادسة
(٥) الاصحاح الثالث الفقرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون
(٦) الفقـــرات ١٧ ــ ١٩

ثم جاءوا يزكونه فيما بعد فقد جاء فى صموئيل الثانى : ٢٢ الفقرات التالية من ٢١ ــ ٢٥ :

" يكافئنى الرب حسب برى ، حسب طهارة يدى يرد على لأنــى حفظت طرق الرب ولم اعص الهى ، لان جميع احكامه امامى وفرائضه لا احيد عنها وأكون كاملا لديه واتحفظ من اثمى ، فيرد الرب على كبرى وكطهارتى أمام عينيه " .

وجاء فى سفر الملوك الأول : ٣ ، ٦

" فقال سليمان أيك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما سار امامك بأمانه وبر واستقامة قلب معــك ، فحفظت له هذه الرحمــة العظيمة وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم " .

وجاء فى الملوك الأول أيضا : ١١ ، ٣٤

" لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى "

والتناقض واضح فى هذه النصوص وما سبق أن وصف به داود ، وبهــذا نكتفى مذكرين أن هذا التناقض لا يمكن أن يكون اصلا لكتاب متسق لاتناقض فيه البته كالقرآن الكريم .

وكذلك الحال بالنسبة لروايات التوراة مقارنة بالقرآن الكريم مع المعارف الحديثة فان العلم الحديث اثبت اخطاء علمية كثيرة فى روايات التوراة بينما العلم لايستطيع أن ينقض حقيقة قرآنية واحــده وهنا :

تفرض الموضوعية أن نشير الى ادعاء هؤلاء الذين يقولون : بلا أ ى أساس ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤلف القرآن قد نقل كثيرا من التــوراة

ولو كان ذلك حقا لتساءلنا من الذى فمه أوما الحجة التى اقتمته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق ... بالخطأ الذى ثبت فى التوراة وادخال تصحيح فى القرآن يضع نصه بعيدا عن أى مرمى نقدى تثيره المعارف الحديثة على حين أن نصوص الكتاب المقدس غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه فى كثير منها . (١)

وعليه نكرر مؤكدين أن التوراة والانجيل من بعدها ليستا مصدرا للقرآن الكريم .

---

(١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة : ص ٢٤٢ بتصرف يسير .

الفصل الخامس

مجموعة آيات تنفى أن يكون هذا القرآن مقتبس من أهل الكتاب وهى فيه :

لما كان الاعداء يركزون على زعمهم بأنه عليه الصلاة والسلام قد تعلم من أهل الكتاب رأيت امعانا فى الرد عليهم أن أخصص هذا الفصل لأورد فيه بعض الآيات القرآنية تدفع هذا الافتراء بعد أن أوردنا بعض الآيات فيما تقدم فى الرد على النصارى خاصة وكذلك أخرى فى الرد على اليهود خاصه أما هذا فيشمل الرد على الطائفتين جميعا أن يكون هذا القرآن من تعليم أهل الكتاب للنبى عليه الصلاة والسلام وهذه الآيات موجودة فيه .

وهى تخبرنا عن كتمانهم الحق وتهددهم بعاقبة فعلهم وتصور لنا علومهم بأنها الجهالات وعقائدهم بأنها الضلالات والخرافات وأعمالهم بأنها المنكرات وهى كثيرة جدا وما نذكره هنا مجرد نموذج فقط .

يقول تعالى :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (١) .

(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (٢) .

---

(١) البقرة : ١٤٦ .　　(٢) البقرة : ١٥٩، ١٦٠ .

(ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا — أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (١) .

(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (٢) .

(قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وماالله بغافل عما تعملون) (٣) .

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) (٤) .

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (٥) .

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم — وما يشعرون) (٦) .

(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون) (٧) .

---

(١) البقرة : ١٧٤ . (٢) آل عمران : ٧٠ ، ٧١ .
(٣) آل عمران : ٩٩ . (٤) النساء : ٤٧ . (٥) البقرة : ١٠٩ .
(٧) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ . (٦) آل عمران : ٦٩ .

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١)

(الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (٢) .

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) (٣) .

(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم يتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين) (٤) .

(وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين) (٥) .

(الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله نصيرا) (٦) .

(وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوءه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر مما خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير) (٧) .

---

(١) البقرة : ١٠٥ . (٢) آل عمران : ٢٣ - ٢٥ . (٣) البقرة ١٢٠ .
(٤) البقرة : ١٤٥ . (٥) البقرة : ١٣٥ . (٦) النساء ٤٤، ٤٥ .
(٧) المائدة : ١٨ .

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) [١] .

(يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلاتعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) [٢] .

(قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان أكثرهم فاسقون ، قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل) [٣] .

(قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) [٤] .

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتب مبين) [٥] .

---

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ . (٢) آل عمران : ٦٥ - ٦٧ .
(٣) المائدة : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ . (٤) المائدة : ٦٨ .
(٥) المائدة : ١٥ .

(قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) [١] .

(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) [٢] .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود ولا النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) [٣].

(يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) [٤].

بعد هذا السرد للآيات بقى لنا تعقيب لابد منه وهو أنه لا يصح لاحد أن يدعى أنه عليه الصلاة والسلام تعلم كتب اليهود والنصارى على مرأى من قومه اذ لو وقع شيء من هذا لم يجيء فى القرآن آيات تصفه القراءة والتلقى من البشر ولو جاءت هذه الآيات وكان قد تعلم من يهودى أو نصرانى لم يجد فى قومه وعشيرته الذين رأوه يقرأويتعلم أنصارا الى الله يؤمنون به ويجلسون بين يديه كأنما على رؤسهم الطير ولا يصح أن يكون عليه الصلاة والسلام قد تعلم كتب اليهود والنصارى على حين غفلة من قومه

---

(١) البقرة : ١٣٩ ، ١٤٠ . (٢) آل عمران : ١٠٠ .

(٣) المائدة : ٥١ . (٤) المائدة : ٥٧ .

فان تلقى بعض الكتب فى خفاء قد يمكن للرجل الغريب فى مدينة لا يعرفه فيها الا بصفة أشخاص يلاقونه فى الشهر أو فى الاسبوع أو فى اليوم مرة أو مرتين ، أما رجل ذو عشيرة وذو مزايا تلفت له الانظار وتجذب له القلوب كمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ينشأ فى بلدة لها طرق محدودة وبيوت معدودة كمكة ، فليس من المقبول أن يتمكن من التردد على موطن يختلى فيه يهودى أو نصرانى دون يشعر به أحد من قومه أو عشيرته الاقربين .

وليس من المعقول أن يقال : قد وقعت الى يده نسخة من التوراة وأخرى من الانجيل لانهما لم يخرجا الى لسان العرب بعد ، ولا يقرؤهما الا فى درس اللغة العبرية ، ولو درس النبى عليه الصلاة والسلام تلك اللغة وعرف كيف يقرأ حروفها الهجائية لما عرج القرآن على وصفه بالأمية ولما ظل النبى - صلوات الله وسلامه عليه - يتلو آياتها والناس يشهدون ويؤمنون ان رجلا له أولو قربى يجاورونه وطائفة من غيرهم يعرفونه ويصادقونه لا يمكنه أن يتعلم علما أو لسانا دون أن يشعر به أحد منهم ولو اجتهد فى أن يكتم أمره ، ويسد فى وجوههم كل سبيل .

هذا شأنه قبل البعثة ، أما زعم تعلمه لما فى التوراة والانجيل بعد ذلك فبطلانه أشد بداهة اذ لا يلائم حكمة القائم بتلك الدعوة المؤزرة بكل جد وحزم أن يجادل اليهود والنصارى، ويشتد بينه وبينهم الخصام ثم يطلب لديهم علم التوراة والانجيل ، ولو طلب اليهم ذلك لا قام فى سبيل

دعوته عقبة كـؤودا ، فقد اصبح بعد ظهوره بالدعوة مرموقا بكل لحظ مشارا اليه بكل بنان ، ولاسيما بعد أن استجاب له طائفة يجلسون اليهبالعشي والابكار .

ومن الباطل على البداهة أن يأخذ ذلك عمن اسلم من أهلها ثم يجيء بها فى القرآن على أنها وحى يوحى ، ولو جرى شيء من هذا لكان سببا لارتداد الطائفة التى أخذ عنها أو الطائفة التى سمعته يحاورها ،ولو وقع ارتداد على هذا الوجه لوجدنا له فى الرواية اثرا .

هذا . . ولقد قص القرآن علينا بعض قول الذين اشركوا : انه ساحر وقول آخرين أنه مجنون ، وقول طائفة ثالثه : أنه شاعر ، واضاف الى هذا قول بعضهم (انما يعلمه بشر) وقد أورد هذه المزاعم استخفافا بأقوال يعلم العارفون بنشأة النبى عليه الصلاة والسلام واطوار حياته أنهما افك مفترى .(١)

---

(١) محمد الخضر حسين : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى ص٢١٦ - ٢١٨ .

الفصـــــل الســادس

وقفـــة أخـيرة مـــع أهل الكـتاب

يدعى الاعداء زورا أن اليهودية والنصرانية اصيلتان وأن لهمـــا أثرهما فى تكوين الاسلام ولكن الواقع غير ذلك فهما ليستا اصيلتـــين وانما استقتا من مصادر متعددة بل وللاسلام أثره البين كذلك فيهمـــا وهذا ماسنتعرض له فى هذا الفصل ولنبدأ بالمسيحية : فهذه خلاصة لكلمة للدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنة الأديان استقاها من نصوص كثيرة لمفكرين غربيين فهذا هو ينقل عن برأى قوله :

" فى رأى الكنيسة أن المسيح الاله انقلب فأصبح انسانا وعـــاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش وقتل هذا الالــــه بمؤامرة دبرها اعداؤه ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به فى الخطيئة ، فالذى يدرس هـــــذه المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية واليهودية ولحياة الشرقية والرومانية ويجد بها عناصر اجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة فمن الأفكـــار الفلسفية الاغريقية التى اقتبستها المسيحية (الكلمة) وهى ترادف (الاله) عند الاغريق لأن الكلمات لاتفنى بالاستعمال كما لايفنى الاله .

ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الابوة بين الله والناس أى فكرة ابوة الاله للخلق .... كما اقتبست المثالية التى تكلمت عنهـــا

اليهودية ... وان لم يتبعها اليهود وهى الحب والرحمة والعدالة ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس ، كما اقتبست الفسيفساء والصور والنحور والانغام ، أما الحياة الرومانية فقد اقتبست الكنيسة منها النظم التى اتبعتها لتوزيع السلطان (١) "

وبعد عهد المسيح عليه السلام أوشكت المسيحية على الفناء حتى جاء عهد شاءول وهو يهودى رومانى من الفريسيين أحد طبقات اليهود العليا ولم ير عيسى ولاسمعه يبشر الناس وقد كان شاءول هذا فى أول عهده أكبر اعداء المسيحية فأنزل بهم ألوانا من الاضطهاد والقتل والتعذيب لكنه فجأة تحول الى المسيحية وسمى نفسه فيما بعد بيولس وهو فى الحقيقة مؤسس المسيحية (٢) "

" وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له اتباعا من اليهود فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة وهذه الاصطلاحات التى قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق • فانحاز اتباع هذه الفرق الى ديانة بولس

وعمد بولس كذلك ليرضى المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفة اليونان ... فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة ، أو عن طريق

---

(١) أحمد شلبى : مقارنة الاديان ص ٨١ و ٨٢

(٢) أحمد شلبى : المصدر نفسه ص ٨٤

ابن الاله ، أو عن طريق الروح القدس ٠٠٠٠ ولم ينفر بولس من الطقوس الوثنية بل على العكس اقتبس كثيرا من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها [1] " .

فجميع هذه الاشياء ليست من المسيحية الحقيقية فى شئ وانما هى تعاليم دخيلة عليها ومن المصادر التى استقت فيها المسيحية كذلك الديانة المصرية القديمة يقول الدكتور صابر جبره : " ان كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسم كما يرسم الصليب ، وليس بعيدا اذا أن يكون رسم الصليب مقتبسا من الفكر المصرى بمعنى نهاية الحياة أو الحياة التى تلى الصلب ويقول كذلك ان فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث فى المسيحية [2] " والى مثل هذا ذهب الاستاذ رءوف حبيب فى كتابه كنائس القاهرة القبطية [3] وأكده الدكتور سامى جبرة فى كتابه فى رحاب المعبود توت [4] ويقول الدكتور محمد حماد " ان المسيحية كدين ليست بعيدة فى أسسها عن العقائد المصرية القديمة وهناك تشابه كبير بين الاثنين فى الوجوه [5] " .

---

(١) أحمد شلبى : المصدر السابق ص٢ / ٨٤ــ٨٦

(٢) صابر جبره : مجد الكتاب المقدس ، ص١٠٣

(٣) ص١ (٤) ص٢٤

(٥) محمد حماد : الفنون والطرز القبطية ص٦

ويقول الاستاذ أحمد شلبى نقلا عن أحد الكتاب " ان المسيحية استعارت كثيرا من معتقداتها وشعائرها فى البوذية فالتثليث والاقانيم وقصة الصلب للتكفير عن خطيئة البشر والزهد والتخلص من المال للدخول فى ملكوت السموات والرهبانيه ٠٠ كلها مستعارة من البوذية التى سبقت المسيحية بعدة قرون[١] "

وكما يقول جوستاف لبون : " انك تلاحظ تماثلا عجيبا فى كل وجه بين صيام عيسى فى البرية حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ـ وصيام بوذا فى الآجام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ايضا ويذكرنا ماحدث لهذا الحكيم الهندوسى مع المرأة التى طلب منها أن تسقيه وهى فى الطبقة الدنيا بما حدث لعيسى مع السامرية وماقاله لها وكلتا الديانتين أمرتا بالاحسان والزهد ، وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط بالاعمال وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد فى تاريخ العالم[٢] " ٠ وهناك أمثلة كثيرة للشبه بين المسيحية الحاضرة وتلك الديانات لايسع المجال ذكرها وقد ساق منها الدكتور أحمد شلبى الكثير من كتابه مقارنة الاديان[٣] فليرجع اليها من اراد ذلك ولكن الذى يهمنا الآن بيانه هو كيف استفادت

---

(١) احمد شلبى : مقارنة الاديان ، ص٤ /١٧٢

(٢) حضارة الهند : ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، والنص عن احمد شلبى ص٤ /١٧٥

(٣) انظر الصفحات من ص٤ /١٧٤ ـ ١٨٤

المسيحية من الاسلام كما يزعمون وهذه كلمة فى هذا الصدد :

يقول الاستاذ أحمد أمين : " ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام من ذلك أنه فى القرن الثامن الميلادى أى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ظهرت فى (سبتمانيا)[١] حركه تدعو الى انكار الاعتراف أمام القسس ، وان ليس للقسس حق فى ذلك ، وأن يضرع الانسان الى الله وحده فى غفران ماارتكب من اثم ، والاسلام ليس له قيسون ورهبان واحبار فطبيعى ان لايكون فيه اعتراف[٢] " .

" وكذلك كانت حركة تدعو الى تحطيم الصور والتماثيل الدينية ذلك أنه فى القرن الثامن والتاسع للميلاد أو القرن الثالث والرابع الهجرى ظهر مذهب نصرانى يرفض تقديس الصور والتماثيل فقد أصدر الامبراطور الرومانى (ليو) الثالث أمرا سنة ٧٢٦م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل وأمرا آخر سنة ٧٣٠م يعد الاتيان بهذا وثنية ...... على حين كان البابا جرجورى الثانى والثالث وجرمانيوس بطريك القسطنطينية والأمبراطورة ايرينى من مؤيدى عبادة الصور ، وجرى بين الطائفتين نزاع شديد لامحل لتفصيله ، وكل مايزيد أن نذكره أن بعض المؤرخين — يذكرون أن الدعوة الى نبذ الصور والتماثيل كانت متأثرة بالاسلام

---

(١) مدينـــة فرنسيـــة

(٢) ضحى الاسلام : ص١٦٤/١

ويقولون ان (كلوديوس) اسقف تورين (الذى عين سنة ٨٢٨م وحول ٢١٣هـ) والذى كان يحرق الصور والصلبان وينهى عن عبادتها فى اسقفيته ، ولد وربى فى الاندلس الاسلامية ، وكراهية الاسلام للتماثيل والصور معروفة والاحاديث فى هذا الباب مستفيضه [1] وللمؤرخ الأوربى الشهير (جيبون) كلمه يقول فيها عن هذا الانقلاب النصرانى أنه قد " تهكم بهم على ذلك اليهود والمسلمون الذين كانوا قد استوحوا من التوراة والقرآن دواعى المقت والكراهية الدائمة لصناعة الاصنام وفنون الوثنية الامر الذى اقلقهم وأحزنهم .

وقد كانوا يستطيعون أن يصرفوا النظر عن الموضوع اذا كان يتعلق باليهود وحدهم نظرا الى صغارهم وذلتهم ولكن ملاحمة المسلمين الفاتحين الذين كانوا يحكمون فى دمشق وكادوا يستولون على القسطنطينية نالت منهم أهمية كبيرة " [2] .

" وكذلك وجدت طائفة من النصارى شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية وأنكرت الوهية المسيح عليه السلام " [3]، ويقول الاستاذ الندوى " ويمكن لمن يطالع تاريخ اوربا الدينى وتاريخ الكنيسة النصرانية أن يلتمس تأثير الاسلام العقلى فى نزعات المصلحين والثائرين على النظام الاثنقى السائد ، أما دعوة (لوثر) الاصلاحية الكبيرة فقد كانت — على علاتها — أبرز مظهر للتأثر بالاسلام وبعض عقائده ، كما اعترف المؤرخون " [4].

---

(١) الندوى : ماذا خسر العالم ص ١٣٩ .

(٢) نقلا عن الندوى المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ص ١٦٥ .

(٤) الندوى : المصدر نفسه ص ١٤٠ .

أبعد هذا يقال ان المسيحية الحاضرة اصيلة وأنها قد أثرت في الاسلام ؟ هـذا بالنسبة لهذه ، أما اليهودية فليست بأكرم منها حالا في هذا الصدد فانها كذلك ليست أصيله وللاسلام كذلك تأثيره فيها .

أما انها ليست أصيلة فلأن كتابها المقدس قد دون في وقت متأخر جـدا من زمن موسى عليه السلام [1] ، ولقد دونوها في مصادر مختلفة لهدف واحـد هو خدمة مستقبلهم [2] .

فالاسـفار هذه كما تفيد الدراسة الفاحصة من صنع اجيال متعـددة فقد كان الكهان يعتمدون على السماع وما تلقاه خلفهم عن سلفهم من الاساطير والاخبار والاقوال وقد كانوا كثيرا مايكتبون مما يجول بخاطرهم وكل ما يتمنونه على أنه حقيقة واقعة أو تاريخ قديم وليس هو في الحقيقة الا خيال ودهم قد اتخـذ في نفس صاحبه صورة الحقائق الثابته ، ومن ذلك ماجاء في سفر صموئيـل الثاني من أن داود ذهب لاسترداد سلطنة عند نهر الفرات [3] والحقيقـة أنه لم يصل بسلطانه عند الفرات ولم يقرب منه وليس ذلك الا نتاج الخيال [4] .

" ومن المصادر المهمة للاسفار قرارات المحافل اليهودية فعلى مر التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءا من الاسفار المقدسة " [5]

وهذا ول ديورانت يحدثنا في قصة الحضارة [6] عن مصادر اليهـود فيذكر أن اساطير الجزيرة العربية كان مصدرا من مصادر الاسفار في العهـد

---

(١) اذ لم يتم تدوينه الا في القرن الاول الميلادى : انظر موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة ص ١٨ .

(٢) انظر أحمد شلبي : مقارنة الاديان ص ١ / ٢٦٨ .

(٣) كما في الاصحاح الثامن الفقرة الثالثة . (٤) انظر محمد عزة دروزه : تاريخ بني اسرائيل ٢ / ١٨٨ . (٥) عبدالرحمن سامى : الصهيونية والماسونية ص ٦١

(٦) انظر ص ٢ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

القديم فمنها اخذت قصة الخلق والطوفان التى يرجع عهدها فى البلاد الى ثلاثة آلاف سنه قبل الميلاد أو نحوها والراجح أن اليهود قد أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمه كانت منتشرة فى جميع بلاد الشرق الادنى ويخبرنا (ديورانت) كذلك أن القصص الشعبية العالمية أيضا كانت مصدرا من المصادر التى استمدت منها التوراة فقد كانت فى مصر والهند والتبت وبابل وبلاد فارس واليونان والمكسيك وغيرها قصص شعبيه عن الجنة وما فيها من نعيم وما فيها كذلك من الاشجار المحرمة والافاعى وقد سلبت هذه الاشياء الخلود من الناس ونزلت بهم الى الارض وأغلب الظن أن الحية والتينة — كانتا رمزين للشهوات الجنسية التى تقضى على السعادة والطهر وتسبب الشرور وقد تجلت هذه الفكرة فى سفر الجامعة ولقد كانت المرأة كما يقول (ديورانت فى معظم القصص العالمية أداة للشيطان ففى الاساطير الصينية يقرر القصص الصينى (شيجنك) أن كل الاشياء فى بادىء الأمر كانت خاضعه للانسان ولكن المرأة هى التى اضاعت الجنس البشرى والقت بنا فى الذل فشقاؤنا لم يأت من السماء بل جاءت به المرأة ويذكر (ديورانت) أن قصة الطوفان كانت منتشرة بشكل واسع فى الأدب الشعبى فلا يكاد يوجد فى القصص القديمة أمة لم تعرفها وقلما وجد جيل فى آسيا لم يرو عليه راكب السفينة الذى نجا من الطوفان ٠٠اهـ

ويعد الفكر المصرى كذلك من المصادر الرئيسية للعهد القديم وهذه حقيقة وضحها (ادلوف ارمان) فى بحث تقدم به سنة ١٩٢٤م الى المجمع

الملق البروسى تحت عنوان مصدر مصرى لأمثال سليمان وذكر فيه أن — كتابا لاحد الحكماء المصريين من أوراق البردى اكتشف حديثا قد وضع فيه هذا الحكيم نصائحه فى ثلاثين بابا وقد أوردها فى صورة نصائح من والد لولده وهو نفس الطريق الذى سلكه حكماء الشرق منذ القدم وقد تكررت هذه الحكم بهيكل واضح فى سفر الامثال [1] ، ويلاحظ كذلك أن المعانى التى ذكرها اخناتون فى قصيدته عن الشمس تكررت كذلك فى أسفار العهد القديم وهذه ملاحظة كثير من الكتاب [2] .

ومن المصادر الرئيسية للعهد القديم الفكر البابلى فقد عثر حديثا على نصوص بابليه تروى كلا من قصتى الخليقة والطوفان وهى نصوص ترجع الى زمن يسبق عودة اليهود الى فلسطين ومن ثم يرى النقاد أن اليهود قد استولوا فى اثناء اسرهم على تلك الفصول وهى قوام للاصلاحات العشر الأولى من سفر التكوين وكذلك عثر على نصوص بابليه تمد موجها هاما لقصة شمسون ودليله وغيرها من قصص العهد القديم [3] .

ويقول العقاد " قصة الخليقة فى العقائد الاسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة فى الواح بابل وعقيدة (المخلص) المنتظر موجودة فى الديانة الفارسية وموجودة فى الديانة الاسرائيلية وكان البابليون يؤمنون بأن الانسان تمرد على قسمه الموت وطمع الى خلود كخلود الارباب فبحث عن ثمرة البقاء

---

(١) انظر فؤاد حسنين : التوراة ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) انظر عصام الدين حنفى : محنة التوراة ص ٥٧ .
(٣) احمد شلبى مقارنة الاديان ٢١٦/١ بتصرف يسير .

فى السماء وخدعه الة ماكر عن بقية فناوله بديلا منها ثمرة تشبهها فـــى ظاهرها ولكنها ثمرة الفناء(١) .

ومن أهم المصادر التى اعتمدت عليها أسفار العهد القديم تشـريع (حمورابى) الذى يرجع تاريخه الى نحو ١٩٠٠ق٠م وقد أكتشف فـــى سنة ١٩٠٢ محفورا على عمود من الصخر الاسود ويلاحظ شبه شديد بينه وبين القوانين اليهودية وليس ذلك صدفة فلقد ذهب كثير من العلماء الى أن القوانين الاسرائيلية فى معظمها مأخوذة مباشرة من قانون حمورابى(٢)

هذا بالنسبة لمصادر اليهودية وبيان عدم اصالتها ، أما كيـــف استفادت من الاسلام فهذا ماخصصنا له الكلمة التالية للاستاذ العقاد فى تعليقه على كتاب تأثير الاسلام فى العبادة اليهودية لمؤلفه نفتـالى فيـدر باللغة العبرية ، ونسوق الكلمة باختصار وتصرف يقول الاستاذ العقاد :

لقد ثبت بما لايدع مجالا للشك أن اليهود قد تعلموا من المسلمين فى لغتهم وأدبهم وحكمتهم ، فلم تكن للغة العبرية قواعد نحو أو بلاغـة قبل القرن العاشر للميلاد وهو القرن الذى تعلم فيه (الربانى سمـديـا جاءون) ثقافة العرب عصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعـد الفصاحة فيها ، وتلاه (الربانى أوديثم بن تميم)البابلى) فألف كتابه بالعبرية مقرونـــة بالعربية مفسرة بشوهدها وأمثالها ، ولم يكن فى اللغة العبرية فرق للعـــروض

---

(١) العقـاد : اللـه ص ١١٧ .

(٢) انظر أحمد شلبى : مقارنة الأديـان ٢٦٧/١ .

فتعلم اليهود هذا الفن من العرب بالاندلس ومصر ونظموا فى لغتهم ولغتنا على الاوزان العربية •

وكان فيلسوفهم (موسى بن ميمون) تلميذ فلاسفة المسلمين فى المغرب أول من كتب عندهم فى حكمه التوحيد واستثنى المسلمين من الامم التى تنهى التوراة عن التعود بعاداتهم ، لانهم مؤمنون يعبدون الالة الاحد ولايشركون به الها آخر • .

يقول العقاد عن الكتاب المتقدم ذكره انه يتقدم بهذه الحقيقة خطوة أخرى فيقابل بين عبادات اليهود قبل اتصالهم بالمسلمين وعبادتهم بعد هذا الاتصال ببضعة اجيال فيثبت المؤلف أن القدوة بالمسلمين عادت باليهود الى احياء السنن التى هجروها من عباداتهم الاولى وعلمتهم سننا أخرى لم يعلموها ومنها شعائر فى صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل ونظام الصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات •

وينقل المؤلف نصوص التلمود التى لم يرد فيها ذكر للوضوء أكثر من غسل اليدين ثم ينقل وصايا الأئمة المتأخرين ووصايا الشعراء الذين تبعوهم بنظم القصيد لترغيب الشعب فى هذه النظافة المستحبة وأشهرهم (مناحيم دى لوتزان) الذى قال فى بعض شعره : (تطهر من رجس المتاع ووقائع الليل الجسدية ولا يكن العرب والليبيون والليديون أكثر منك طهارة وهم يغسلون ايديهم وأرجلهم ورؤسهم بالماء فى الفجر وظهرا وعشية وكذلك ليلا حين يشتد البرد ويسقط الثلج) •

ولما ثار الرجميون من رجال الدين اليهود ثورتهم على هذه البدع المستحدثة سرت الثورة الى الشعب فى هذه المسرة فقال الرئيس فنحاس بن مشولم شيخ الطائفة بالاسكندرية (هب الناس من جميع الانحاء قائلين : نحن لانحتمل اقوالكم التى ينقض بعضها بعضا ، لانكم تحلون ما تشاءون ، وتحرمون ما تشاءون ، اليست هناك تقاليد أثرت عمن أسلافنا ومن تقدمونا تحرم على الاسرائيلى الصلاة وهو بحال الجنابة حتى يغتسل فى الحمام أو يتطهر فى البحر وينظف نفسه فكيف تجيزون الصلاة ودخول الكنيجلس وتلاوة التوراة دون اغتسال ؟ اذا كان الدين كذلك فنحن ذاهبون لترفع أمرنا للقضاء) والقضاء هنا هو القضاء الاسلامى فى غير الشئون المالية التى يتولاها رئيس الطائفة مما يدل على اعتبار قضاة الشرع المسلمين مرجعا للشعب ورجال الدين فى هذه الأمور :

وقد سئل موسى بن ميمون كثيرا فى هذا الخلاف فكان يقول انه لا يرى فى كتب السلف الاولين ما يوجب غسل الجنابه ولكنه يغتسل بحكم العادة حيث عاش ونشأ فى البلاد الاسلامية .

وينقل الاستاذ العقاد عن مؤلف الكتاب قوله " ولولا التوراة الصاخبة التى اثارتها شيعة الجمود على هذا التجديد الاجنبى كما وصفوه لتعذرت الشواهد التاريخية التى يستدل بها على انتفاع اليهود بالقدوة الاسلامية فى كل اصلاح من هذا القبيل ادخله حكماؤهم على آداب الدين وشعائر العبادة عند القوم ولكان من الممكن أن يقال ان الامة اليهودية أخذت بهذا الاصلاح

على سنة الانبياء الاولين ممن جاءوا فى رواية العهد القديم وفى رواية — التلمود ببعض الوصايا التى احيتها الديانة الاسلامية ، ولكن هذا الاصلاح لم يمض بسلام بين القوم فى حينه ولم يلبث أكثرهم ومعهم اناس من قادتهم أن قابلوه بالانكار الشديد مقابلتهم للبدع الدخيلة التى تفسد — العقيدة وتبدل السنن وتخالف أمر الاله الذى نهاهم عن التعود بعادات الأمم كما جاء فى التوراة .

وكان المصلحون منهم يوافقونهم على تحريم التعود بعادات الامم وانكار البدع التى يدخلها المقلدون للشعوب الاخرى على جوهر الدين ولكنهم يقولون ان عادات المسلمين هى عادات الشريعة الموسوية فى لبابها وأن بنى اسرائيل هم الذين خالفوا تلك الشريعة الموسوية وهجروها ولا يعقل أن تنهى التوراة عن اعادة الامة الاسرائيلية الى سنن انبيائها لمجرد ظهور هذه السنن فى أمم أخرى تتبع من أوامر الاله مالم تتبعه أمة التوراة ويقول المؤلف نقلا عن الحكيم الميمونى " ان حبرنا يرفض البته ادعاء محاكاة الأمم أو القرائين لانه لا وجه لتحريم العادات الاسرائيلية القديمة التى اختفت من اليهودية اثناء النفى ... واذا شئنا أن نحرم الامور التى دانت بها الامم الاخرى فاننا سنضطر الى التخلى عن كثير من وصايا التوراة كالصلاة والزكاة اللتين اصبحتا من أركان الاسلام ، واذا ادعى أحدهم أن فى هذا مايوجب المنع رددنا عليه بأن النصارى أيضا يستقبلون جهة أورشليم فى صلاتهم ... وهو فليس من أجل هذا يحرم علينا استقبال جهة القدس فى صلاتنا ... وهو رأى الحبر الميمون يوجه هذا

الرد الى معارضيه من الاحبار المقيمين فى أقطار النصارى وهو نفسه الحكم فيما يختص بمحاكاة القرائين ، فان اتباع خطاهم لايجوز ولكن فى البدع الحديثة لا فى الأمور التى لها اصولها وجذورها فى شريعة اسرائيل ولم ينفرد الاحبار المقيمون فى الاقطار المسيحية بمعارضة هذا الاصلاح بل كان له معارضون متشددون بين كبار أحبار المشرق ..... على أن دعوة الحكيم الميمونى لم تلبث أن شاعت بين الطوائف اليهودية بالمشرق والمغرب حتى استجاب لها أناس من أحبار اليهودية فى نبتتها الأول وهو أرض فلسطين ... وهو مانفهمه من يضمه سطور بقيت لنا فى احدى صفحات كتاب الجنيزة جاء فيها أن المقيمين اليوم فى عكا حفظهم الله وهم الحبر يوسف ستاتيا والحبر يهودا والحبر صمويل . هؤلاء يركعون ويسجدون على وجوههم وليس جانبا بل على ركبهم وجباههم على الأرض " .

يقول الاستاذ العقاد : " وفيما أوردناه فى هذا الكتاب كفاية لما أردناه من تفنيد خرافة القائلين بأن الاسلام شعبة من اليهودية أو أن الاسلام مدين لها بشعائره وأحكامه ، فالواقع أن اليهودية بعد الاسلام قد استفادت من آدابه وشعائره ، كما استفادت من ثقافته فى علم الاصول وفى نحو اللغة وعروضها وأوزان شعرها وأما قبل الاسلام فمصادر اليهودية فى المسائل المتفق عليها هى مصادر الاسلام فى الديانات التى سبقتهما بين النهرين وعنها أخذ اليهود عقائدهم التى لم يعرفوها قبل منفاهم الى العراق فاذا اختلفت اليهودية والاسلام

فالفضل فللاسلام فى الاتقاء بالعقيدة الالهية التى جعلها اليهود شيخ قبيلة وفى عقيدة النبوة التى جعلوها ضربا من التنجيم ، وفى المسئولية الانسانية التى جعلوها ضربا من محاباة العصبية الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة . (١)

وهكذا اثبتنا أن اليهودية والنصرانية ليستا اصيلتين ولا أثر لهما فى الاسلام ولكنه هو الذى أثر فيهما والله هو الهادى الى صراط مستقيم .

هذا ولقد بقيت لنا ثمة كلمة حول بعض التشابه الموجود بين اليهودية والنصارنية والاسلام فنحن نعترف بذلك ونقولها نعم هناك تشابه بين تعاليم الديانات السماوية ولا غرابة فى ذلك فالله الواحد هو مصدر كل التعاليم وأصول الحق لا تختلف مع اختلاف الاعصار والامصار بيد أن هذا التشابه لايعود الى أن الاسلام قلد غيره ..

ونحن المسلمين نعد الكتاب والسنة هى المراجع التى يحتكم اليها فى فما كان موافقا لها فهو الحق وما خالفها نبذناه ولا كرامة ، وقد حاولت بعض الاسرائيليات والنصرانيات واليونانيات أن تتسرب الى الاسلام ، وأن تأخذ فى ظله أو تحت عنوانه شيئا من الوجاهة والقبول بيد أن العلماء أعلنوا على هذه المرويات الدخيله حربا شعواء وما تزال الى الان فى مظانها موضع زراية العلماء وانكارهم ، وليس هذا لانها تنتسب الى دين سابق ،كلا بل لان

---

(١) انظر الصفحات ص ٩٦ ــ ١٠٣ من كتاب ما يقال عن الاسلام للعقاد .

ثبوتها العلمى مطعون فيه . أما مانسب الى هؤلاء الانبياء فى كتاب ربنا وسنة نبينا فهو حق وقبوله دين .

لكن هل وجود شىء من أخبار الرسل الأول فى كتاب الله وسنة رسوله يعنى أن الاسلام منقول عن الأولين ؟ لا

ان موسى وعيسى ومحمدا اخوة كلهم مبلغ عن الله وبعضهم يصدق البعض الآخر .

أما اتباع الرسل فقد ينحرفون عن الطريق والوحى والالهام يردهم الى الصواب .

والاسلام هو كلمة السماء الأخيرة ، وحكمها الخاتم فيما كان ويكون .

هل يراد هنا تصور أن محمدا مدع للنبوة ؟ وأن دينه مجموعات ملفقة ممن سبقوه اطلع عليها ونسبها لنفسه .

فما هى روافد هذا العلم وأين يجد الناس منابعه فى هذه الارض؟ أكانت أفكار التوحيد تنسب بين أوثان الجزيرة لحجارها ، أم كانت آيات العدل تقتبس من عطرسة الاكاسرة المجوس أم أن وضع أصول الوحدة يجىء من اختلاف الكنائس المسيحية وانقساماتها ؟ ثم هب أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — استوحى اصول دينه العظيم من الارض لا من السماء ماذا يستتبعه هذا الفرض مما يصادم العقل والواقع ؟ النتيجة الغريبة هى أن قرآنا بشريا استطاع أن يقوم بدعوة لتوحيد الله فى اسلوب من القول والتوجيه لم تستطعه كتب السماء نفسها ، وأنه خدم الدين بما لم

يفعله رب الدين نفسه ــ أفهذا منطق " [1] وهل يكون هذا القرآن من تعليم أحد غير الله ؟

أعود لموضوع المشابهة فأقول انه " لابأس من أن يكون القرآن موافقا للتوراة والانجيل فى بعض الشرائع أو الانباء ، بل تكون هذه الموافقة حجة على صدق الدعوة وعلى أن هذه الاحكام أو القصص من بقايا الوحى الذى نزل على موسى وعيسى عليهما السلام وانما يخل بصحة الكتاب أن يشرع أحكاما وسننا لاترضى العقول الراجحه عن حكمتها أو يأتى بقضية تردها الطرق العامية من حس أو عقل أو رواية قاطعة والقرآن برئ من مخالفة الطرق العلمية ومن كل وجه يخل بالحكمة " [2] .

أعود فأكرر أن مرد التشابه فى بعض جوانب القصص القرآنى مع اسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد الى انها تتضمن وحى الله الى انبيائه فى الاصل ، وانها وان حرفت لكنها لم تمسخ كليا بل بقى فيها بعض المعالم مما انزل الله على رسله وانه لمقدار يسير جدا وقد أورد الله فى القرآن بعضه نقيا من التحريف . [3]

"ولو سلمنا أن ماجاء فى القرآن من الاحكام والانباء المتصلة بالتوراة ، والانجيل قد يكفى فيه لقاء الصدفه أو الاستماع الى من يتحدث به على قارعة الطريق لكان فى دلائل النبوة مايصدع بأن تلقى النبى عليه الصلاة والسلام

---

(١) الغزالى : دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٧٥ ــ ٧٧ .
(٢) من الخضر حسين : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى ص ٢١٨ .
(٣) عتر : بينات من المعجزة الخالدة ص ٤٠١ بتصرف يسير .

بعض هذا القرآن من لدن بشر غير واقع وغير محتمل لأن يكون ، قد يجيء القرآن على وجه التذكرة والموعظة بنبأ يعلمه الناس من قبل ولكنه لايقول الا حقا ولايحكى الا واقعا ومن زعم أنه يحط بالقصص الباطلة فانما هو الطعن بمكيدة ، والله لايهدى كيد الخائنين[1] " .

---

(١) محمد الخضر حسين : نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص٢١٨

الفصـــــل السابـــــع
وليس مصدره الديانـــات الأخـــرى

ان الاسلام لم يأخذ شيئا من الديانات الاخرى ماأشاروا اليهـــا ومالم يشيروا وهذه حقيقة نجدها اذا ماحاولنا المقارنة بين تلك الديانات وبين الاسلام حيث هناك فروقا شاسعة بينهما وبين الاسلام فى معتقداتها وشرائعها وهذا ماسنقوم به فى هذا الفصل فنستعرض تلك الديانات التى يمكن أن يكون الاسلام قد استفاد منها فيما يزعمون مبينين استحالة ذلك . ولنبدأ بفارس ودياناتهـــا :

لقد كانت تلك البلاد حتى القرن السابع قبل الميلاد يدين بالفكـر الطبيعى أى هناك من كان يعبد الشمس أو النهار أو الاشجار أو الابطال وغيرها من الطبيعيات حتى جاء (زرادشت) الذى عاش بين سنة (٦٦٠ ــ ٥٨٣ق.م) مصلحا اجتماعيا فأوجع فى ديانته طائفة من المعبودات الفارسية القديمة بعد التهذيب وانتهى به أخيرا تفكيره الى القول بالالهين أو ــ مجموعتين من الاله واحدة تحب الخير فى قمتها (اهورا مازدا) والثانية مجموعة شريرة يتزعمها (اهرمان) وهذا اتجاه كما نرى فيه تعدد آلهــة ثم تنويه ، وقد رمز زرادشت لمازدا بالنار وقال بالبعث والحياة الأخرى والحساب وتلك هى الخطوط العريضة لمذهب زرادشت ، غير أن تلـك التعاليم قد انهارت بعده فاصبحت الثنائية ابرز مظاهرها ، ثم اتجـه الفرس بعده الى النار يعبدونها ويؤلهونها حتى عرفوا بعبدة النـــار

ثم احيا الكهنة بعد ذلك الطقوس التى كانت موجودة من قبل كعبـــادة الاصنام وتقديم القرابين للالهه وخاصة (مترى) ابرز الالهه واختفت الزراد شبه تماما مدة قرون خمسة حتى قامت دولة الساسانين الذين حاولـــوا العودة الى الزرادشيتة ولكنها كانت زرادشيته بعيدة كل البعد [(١)] .

فهذا هو البروفسور (ارتهر كرستى سين) [(٢)] يقول عن هذا العهـد " ان المؤرخين المعاصرين للعهد الساسانى مثل (جاتهياس) وغـــيره يصدقون بوجود عادة زواج الايرانين بالمحرمات ويوجد فى تاريخ العهـــد الساسانى امثلة لهذا الزواج فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبـل أن ينتصر بالمحرمات ولم يكن يعد هذا الزواج معصية عند الايرانيين بل كان عملا صالحا يتقربون به الى الله ولعل الرحالة الصينى (هوئن سونيج) اشار الى هذا الزواج بقوله ان الايرانين يتزوجون من غير استثناء " [(٣)]

وفى نهاية القرن الثالث المسيحى ظهر مانى فى عصر سادت فيه الشهوة فوضع طريقا لمحاربتها فدعى الى حياة العزوبة وعدم النكاح لحسم مادة الفساد والشر فى الدنيا بقطع النسل واستعجال الفناء فقتل بواسطة بهرام عام ٢٧٦ م الذى قال عنه لقد جاء هذا ليخرب العالم فوجب أن يبدأ بتخريب نفســـه

---

(١) انظر : احمد شلبى : مقارنة الاديان ٣/ ٤٠ ــ ٤٢ .
(٢) استاذ الالسنة الشرقية فى جامعة كوبنهاجن بالدنمارك متخصص فى تاريخ ايران
(٣) ايران فى عهد الساسانين ، النص العربى من ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوى ص ٤٨ .

غير أن تعاليم مانى بقيت بعده الى ما بعد الفتح الاسلامى (١) ثم كان أن ثارت ضد هذه التعاليم المانونية روح الطبيعة الفارسية ممثلة فى دعوة مزدك التى تولدت نتيجة لرد الفعل والكبت الذى سببته المانوثية وكانت بداية المزوكية فى عام ٤٨٧م حيث اعلن مزدك أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم فينبغى أن يعيشو سواء لا فرق بينهم ولما كان المال والنساء مما تحرص عليه النفوس كان من أهم الاشياء التى ينبغى الاشتراك فيها والمساواة وعنه يقول الشهبرستانى " احل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلاء" (٢) ولقد ناصرها البلاط فأخذ قباذ فى تأييدها وصادف ذلك هوا عند الشباب والاغنياء والمترفين حتى انغمست ايران تحت تأثير هذه الدعوة فى الفوضى الاخلاقية وطغيان الشهوات فقد اغتنم السفلة ذلك ما يقول الطيرى " فابتلى الناس بهم وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزلة ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه فلم يلبثوا الا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ولا يملك شيئا مما يتسع به " (٣) .

ثم كان أن ادعى ملوك فارس أنه يجرى فى عروقهم دم النهى وكان الفرس ينظرون اليهم كالهنة ويقدسونهم ويرونهم فوق القانون والانتقاد ويعتقدون أن لهم حقا على كل انسان وليس لانسان عليهم حق وخصصوا بيتا هو البيت

---

(١) انظر احمد شلبى :مقارنة الاديان ٣/ ٤٢ .

(٢) الملل والنحل ، ١/ ٨٦ وانظر الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٨، ٤٩ .

(٣) الطبرى التاريخ ٢/ ٨٨ وانظر الندوى المصدر السابق ص ٤٩ .

الكيانى فكانوا يعتقدون أن لافراده وحدهم الحق فى لبس التاج لا ينازعهم فيه الا ظالم ولا ينافسهم فيه الا نذل فاذا لم يجدوا فى هذه الاسرة كبيرا ملكوا طفلا واذا لم يجدوا رجلا ملكوا امرأة ، ولقد ملكوا ازدشير وهو ابن سبع سنين وملكوا بوزان بنت كسرى وغيرها مع وجود القواد الكبار مثل رستم وجابان وغيرهما لكونهم ليسوا من ذلك البيت المالك وكان يسود البلاد نظام الطبقات فكان المجتمع مؤسسا على اعتبار النسب والحرف فعلى كل انسان أن يقنع بمركزه الذى منحه نسبه وأن لا يعمل فى غير حرفته الله خلقت له ، وكانوا يمجدون القومية الفارسية ويحتقرون غيرهم . (١)

تلك فارس ودياناتها أما الصين فكانت تسودها ثلاث ديانات هى ديانة (لاوتسو) وديانة (كونفوشيوس) والبوذية . .

أما الاولى فقد تحولت الى وثنية فى عهد قريب وكان اتباعها متقشفين زاهدين لا تزوجون ولا ينظرون الى المرأة ولا يتصلون بها وقد كانت ديانة تهتم بالنظريات أكثر من العمليات فلم يكن لها اسس لحياة سعيدة أوحكومة رشيدة . (٢)

أما الثانية فقد كانت تهتم بالعمليات أكثر من النظريات ولكنها انحصرت فى شئون الدنيا والامور المادية والسياسة الادارية وقد كان اتباعها لا يعتقدون فى بعض الازمنة بعبادة آلهة معين بل كانوا يعبدون مايشاؤن من اشجار

---

(١) انظر الندوى المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٢ .

(٢) انظر الندوى : ماذا خسر العالم بعد انحطاط المسلمين ص ٥٣ .

وانهار وغيرها ، ولقد كان كونفوشيوس شديد التأثر بعقائد الاقدمين فتابعهم في القول بعدم وجود جنه ولا نار أو ثواب وعقاب وقال ان مشكلة الحياة صعبة الفهم فكيف بما بعد الموت ، ثم ماليس اتباعه بعده أن عبدوه هو نفسه وأخذوا يبنون له الهياكل والمعابد والتماثيل ويقدمون لها القرابين ويركعون أمامها ويسجدون علاوة على عبادة الارواح فقد كانوا يعتقدون أن هذه الارواح تعيش معهم بعد وفات اصحابها ولا سيما أرواح الاباء والاجداد . (١)

أما الثالثة فقد تحولت ايضا الى وثنية تحمل معها الاصنام اينما اتجهت والهياكل والتماثيل لبوذا حيث حلت ، وتسرب الى مناهج العبادة السحر والاوهام وقامت في ظل البوذية دولة تعنى بمظاهر الالهة وعبادة التماثيل(٢)

أما الهند فقد امتازت بكثرة المعبودات والالهة فقد بلغت الملايين منها اشخاص تاريخية وابطال تمثل فيهم الله ومنها جبال ومعادن وانهار وآلات حرب وآلات كتابة وآلات تناسل وحيوانات أعظمها البقرة التي تعبد الى الان وتقدس وأفلاك الى غير ذلك من المعبودات ، ضف الى ذلك نظام الطبقات حيث قسم الناس الى براهمه وهم الكهنه ورجال الدين ورجال حرب ورجال للزراعة والتجارة ورجال للخدمة ويزعمون أن البراهمه قد خلقوا من فم الالة والذين يلونهم من ساعده والذين يلونهم من فخذه والاخيرون من رجله ، وقد الحق البراهمه بالالهه فهم في زعمهم صفوة الله وملوك الخلق وكل مافي العالم ملك لهم بينما

---

(١) انظر الندوى المصدر السابق ص ٥٣ وانظر احمد شلبي : مقارنة الاديان ٣/ ٤٤ .

(٢) انظر الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٥ - ٦١ .

بينما الاخيرون منبوذون فهم أحط من البهائم فى نظرهم وأذل من الكلاب(١)

أما الديانة المصرية القديمة فلم تسلم من الوثنية ولم تزل عبادة الشمس ظاهرة الاثر فى عبادة (أتون) فهى (رمز مرادف لاسمه فى معظم الظلوات . (٢)

هذا عرض موجز للديانات فى العالم وكلها ذات مبادئ لا تتفق مع الاسلام فى اصولها فلايمكن أن يكون الاسلام قد استمد منها بعض كيانه بل والاسلام قد حارب كل تلك المبادئ فالاسلام لا يقر تعدد الالهة أو ثنويتها كما هو فى ديانة زرادشت ولا يقدس النار كما يفعلون ولا الطقوس الوثنية الاخرى فيها فالاسلام قائم على التوحيد وهو لا يحل زواج المحارم كما كان يفعل الساسانيون فليس ذلك بعمل صالح فى الاسلام كما يرون ولكنه فساد كبير ولا يقر الاسلام الرهبنه والامتناع عن الزواج كما تقول مبادئ مانى ولا الاباحية التى نادى بهــــا مزدك ، ولا تقديس الافراد كما كان يفعل الناس مع الاكاسرة ولا تنظيم الاســـر كما كانوا يفعلون معهم ولا الطبقية التى كانت سائدة فالناس فى الاسلام ســواء لا فضل لاحد على الاخر الا بالتقوى ، ولا يقر الاسلام المبادئ الوثنية كمـــا فى ديانات الصين والهند ومصر القديمه والمطلع فى القرآن الكريم يجد بسهولة صدق هذه الحقيقة .

وما أوهن دعواهم بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اقتبس من تلك الديانات القديمة فان أول مايوهنها أنه لم يكن فى عهده من ترجمة عربية لتلك المبادئ حتى

---

(١) انظر الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٥ - ٦١ .
(٢) انظر العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص ٤٣ .

يمكن الاقتباس منها علاوة على أمية الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا أمر كررنا ذكره كثيرا وأن لا يستقيم معه عقلا صدق دعواهم ، ذ ها شيء وشيء آخر هو أن العقل قد يجيز " أن يستدين فقير من غني ، وأن يستعين ضعيف بقوى ، وصور التعاون بين الافراد وصور الاقتباس والاستعاره والاستفاده بين شتى الحضارات والجماعات الانسانية معروفه في التاريخ القديم والحديث غير أن العقل يحكم باستحالة التلاقي والاستمداد يوم يكون التكافوء معدوما بين الطرفين فمن الحماقه أن يقال ان ارسطو أخذ أفكاره من أحد الخبازين في أفران اثينا ، أو احد الخمارين في حاناتها ومن الحماقة أن يقال ان فورد اخذ ثروته من متسول في احدى كنائس امريكا ، ومن الحماقة أن يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم - الف قرآنه بمعونه أحد الخواجات النازحين الى مكه يطلبون الرزق " (١) .

" ان هذا البيان الساحر بفحواه ، القاهر بمبناه يعجز العرب الائمة عن الاتيان بآية مثله فكيف ينازح اعجمي ... ان العقل كان يمكن أن - يجيز هذا التوهم لوكان السابق اغنى من اللاحق واقدر ، لكن اذا كان الدين الذى أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم - أوسع اقطارا وارحب افاقا مما سبقه فكيف يتصور أن يستمين القادر بالعاجز ان ال بعيد جدا بين الامة الاسلامية التى قامت به والامم الاخرى التى عاصرتها أو تقدمت عنها ، وبعيد جدا بين الاسلام والديانات التي سبقته و

ان صاحب القصر الشاهق لا ينبغى اتهامه بأنه عمر داره السامقه من لبنات الاكواخ المتداعية حوله .

---

(١) الغزالى : دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٧٢ .

هذا .. وهناك شيء أخير لا ينبغي نسيانه وهو ان لكل هذه الاديان التي زعم أن الرسول أخذ عنها اسلوبهم الخاص في عرض الحقيقة ففي أي فريق من هؤلاء كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستطيع أن يضع ثقته وعلى أي دعوة من هذه المتناقضات يعتمد ؟ وهب أنه حرص على أن يقص علينا عقيدة كل طائفة وكل مذهب وكل فرع من تلك المذاهب المعاصرة فأي خليط مخيف كنا سنجده في القرآن ؟ ؟ " (١) .

هذه حقيقة وهناك حقيقة أخرى ينبغي الا تنسى وهي اذا كان محمد قد أخذ من كل تلك الاديان فلابد أن يكون قد أخذ بواسطته لانها ليست من بيئته فمن هذا الواسطة ياترى ؟ لانها لوكانت موجودة لعرفت في بلد مثل مكة وبيئة كالجزيرة العربية في هذا المكان الذي يتكشف فيه للناس كل شيء ويتعرى للحياة فيها كل شيء ، بيئة عارية من كل مايستر أو يكن .. فلا مدن صاخبة ، ولا ادغال متشابكة ، ولا تصور ، ولا قلاع ، ولا حصون يستطيع أن يعيش فيها الانسان ، وأن يقيم دنياه كما يشاء دون أن يطلع الناس من أمره على كل دقيق أو جليل - يظهر متى يشاء أو يختفي متى يريد .

ان حياة البادية عارية من كل هذا .. والخيام أو الحجر التي يسكن اليها الناس لاتكتم سرا ، ولاترد سمعا أو بصرا عما يدور فيها .. انها أشبه بالثياب التي يرتديها الناس قد تنفع في اتقاء حر أو برد ، ولكنها لا تنفع

---

(١) : مدخل الى القرآن ص ١٤٧ .

فى الاحتجاب عن الناس والتستر دونهم .

ان أهل البادية فى فراغ ، وخاصة سكان القرى الذين لا يشغلون بشىء حتى يرعى الابل والغنم .. أما أهل مكة البلد الحرام ومبعث النبى - فلم يكن لهم من عمل الا التجارة : قافلة فى الشتاء الى اليمن وأخرى فى الصيف الى الشام يندب لها جماعة منهم ولم تشغلهم تلك الحروب التى كانت تشغل احيانا سكان البادية اذ كانوا أهل بيت الله الذى تعظمه العرب ، وتعظم جيرته لا يعتدى عليهم ولا يعبدون .

فهذا الفراغ الذى يعيش فيه سكان البادية وسكان القرى بخاصة وأهل مكة بوجه أخص - قد جعل الناس يشغلون بالتافة من الامور ليقطعوا به الوقت ويجعلوه مادة حية للحياة : فاذا وقع فى هذه البيئة حدث التفتوا اليه جميعا ، وقاموا له وقعدوا ، وان يكن مثل هذا الحادث مما لا يلتفت اليه غيرهم من سكان الحضر حيث يغرق فى خضم الحياة الصاخبة هناك .

فاذا ظهر فى صحراء العرب بنى ، فما ظنك بما يقع فى حياة الناس من هذا الحدث ؟ تصور أن الجبال تتبادل مواقعها والشمس تغير مشرقها ومغربها - أو تصور ما شئت من المذهلات والاعاجيب فى الاحداث ووقعها على الناس - فانك لن تدانى تلك الصورة التى وقعت لقريش ومن حولها حين طلع عليهم محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

انه رسول رب العالمين : لقد وقع انقلاب شامل فى حياة الناس فأخذوا أنفسهم من هذا الفراغ الذى هم فيه وفرغوا بكل جوارحهم وعقولهم وقلوبهم لهذا

الحدث الجلل العجيب ، ولك أن تحصى عيون أهل مكة وما حولها يمنا عينا عينا وآذانهم اذنا اذنا ، وعقولهم عقلا عقلا ، وقلوبهم قلبا قلبـــا وألسنتهم لسانا لسانا ، وأيديهم يدا يدا ، وأرجلهم رجلا رجلا ، ثم أن لك بعد هذا أن تضيفها كلها الى حساب محمد - صلى الله عليه وسلم - والى استطلاع انبائه ، ورصد حركاته مدة الثلاثة عشر عاما التى عاشهـــا نبيا فى مكة قبل الهجرة والسنوات العشر التى عاشها بعد الهجرة ان هذه الجوارح جميعها لم يتكن تعمل خلال تلك المدة الا لحساب محمد ومن أجل محمد - عليه الصلاة والسلام - له أو عليه موالية أو معاوية فهـل تظن بعد هذا شيئا يخفى فى حياة محمد عن القوم .. ؟ وهل تستطيع أن تقع فى الحياة طولا وعرضا على حدث من الاحداث أو شخصية مــــن الشخصيات وقعت تحت ملاحظة الناس مثل ماوقع لمحمد من أهل مكـــه والمدينة وما حولها .. ذلك بعيد .. فاذا اضفت الى هذا ما كان من صحابة محمد ومن ولائهم له وامتزاجهم به ، هذا الامتزاج المادى والنفسى فى الحل والترحال وفى السلم والحرب ، وفى المسجد وخارج المسجد ، فى ليلة ونهاره وفى يقظته ونومه ، فى حديثه وصحته ، فى قيامه وقعوده ، فى مشيه وركوبه - كان من كل أولئك اعداد لا حصر لها من الوثائق والسجلات ــ المتشابهة المتطابقة التى تسجل حياة محمد لحظة لحظة وتحصيها نفســا نفسا وحالا حالا " (١).

---

(١) الخطيب : الاسلام فى مواجهة الماديين والملحدين ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

فاذا كان هناك معلم له فهل كان يمكن أن يفلت من ملاحظة هولاء وينبغى أن لا يكون واحدا لتعدد تلك الديانات التى يقال أنه أخذ منها فاذا فلت واحد فكيف يفلت غيره فسقط زعمهم أنه أخذ من تلك الديانات وتعلم .

وهكذا تتهاوى كل مزاعمهم بفضل من الله وعون منه اذ لا حول ولا قوة الا به عليه توكلت واليه أنيب .

البَابُ الخامِسُ

الباب الخامس

مجموعة أدلة على أن هذا القرآن لايمكن أن يكون من صنع مخلوق .

ويشتمل على :

* تمهيد
* الفصل الأول : خصائص فى نظم القرآن وأسلوبه .
* الفصل الثانى : الاخبار بالغيب .
* الفصل الثالث : صنيع القرآن بالنفوس وأثره فيها .
* الفصل الرابع : الاعجاز العلمى .
* الفصل الخامس : الاعجاز العددى .

تمهيـــد :

هذه مجموعة أدلة على أن القرآن لا يمكن أن يكون من صنع مخلوق ..
وما أكثر تلك الأدلة فهى لا تقع تحت الحصر، ولا يمكن أن تسعها الموءلفات حيث تجدها مثبوتة فى القرآن كله ، فهو مسلسلة لا نهاية لها من الاعجاز تتجلى فى اسلوبه ، وبلاغته ، ونظامه التشريعى ، ومنهجه التربوى ، وفى اشاراته العلمية للكون والخلق، وفى ترتيب آياته ، وكلماته وتعدادها وتعداد حروفه ، وكل مايتعلق به ، فالقرآن من أين أخذته ذلك على مصدره ، ان كنت صادقا باحثا عن الحق، فان مافيه يأبى أن يكون من عند غير الله ، ويعظم أن يكون كلام سواه فهو يجل عن قدرة كل مخلوق، وكل عاقل يقف أمام القرآن ، وهو مجرد عن الأهواء لابد شاعر أنه أمام كتاب فريد يختلف عن كل كتب الأرض التى لا تكاد تعد انه كتاب أبعد ما يكون عن عرف واصطلاحات البشر ومفهومهم عما يسمى بالتأليف واعداد الكتب والبحوث، وبالاختصار كل مزية فى نظم القرآن أو معانيه وغير ذلك خارج ولا ريب عن طاقة المخلوقين وامكاناتهم، فكلام الخالق لابد أن يختلف عن كلام الخلق، وخصائص الكلام الالهى متوفرة فى هذا القرآن لمن أراد أن يبحث فالقرآن يحمل فى كيانه دلائل صدقه على أنه لايمكن أن يكون من عند غير الله ..

ونحن لا نستطيع الاحاطة بكل تلك الخصائص والأدلة، كما لا يسع المجال أن ندلى بكل مانعلم ، ولكننا نتخير منها ـ فقط ـ أظهرها محاولين بقدر الامكان ايراد أكبر قدر من وجوه اعجاز القرآن الكريم التى تفرقه عن كلام البشر مركزين بوجه الخصوص على الاعجاز العلمى، لأن أهل هذا

الزمان قد سيطرت على افكار الكثيرين منهم المفاهيم العلمية ، فأحببنا الوصول الى اقناعهم من هذه الطريق، وهى طريق لا مجال فيها للأخذ والـرد فالبراهين العلمية الواقعية المادية المحسة تضع الانسان أمام الحقيقةوجها لوجه ، فلا مفر له من التسليم بها ، اذ أنها لاتوجد الا حيث توجد الحقيقة وينبغى أن لا ننسى بعد ذلك أن القرآن الكريم حينما نزل انما نزل لهداية الناس قبل كل شيء ، وليس كتابا علميا يعنى بهذا الضرب من العلـوم ولكن ماورد فيه ، وأشار اليه من حقائـق، وهو بسبيل تثبيت غايته التى نزل من اجلها ، فهذه قد جاء العلم الحديث مؤكدا لها، وهذا مانقصـده فنحن لا نستشهد بالنظريات العلمية ، فانها متغيرة قد تبطل ، ولكن مايهمنا هو الحقائـق الراسخة الثابتة ، ويسرنا أن نقول وبكل تأكيد أنه لا توجد حقيقة ثابتـة فى الكون ، وجاء القرآن بما يتعارض معها ، ولا ذكر القرآن شيئـا من الحقائق ايا كانت ، فجاء العلم بما ينقضه ، فكتاب الكون الذى أوجـده البارىء يتفق تماما مع هذا القرآن الذى انزله الخالق، فدل ذلك علـى أن كليهما من مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى ...

وما الجأنا الى التوسع فى هذا الجانب الا كون الفصاحة والبلاغـة التى كانت عند العرب فى الماضى قد تدنت ، فما عاد الناس فى ذلـك المستوى الرفيع وتلك الدرجة من التمكن فى اللغة والبيان ـ فى غالبهم ـ هذا بالنسبة للعرب ، فكيف بغيرهم ، وقد توسع الاسلام ، وشمل أناسـا لا يعرفون العربية البتة فلا يكاد يظهر لهؤلاء وجه الاعجاز فى الفصاحـة والبلاغة القرآنية ، ولكنهم يلمسون الاعجاز ـ ولا ريب ـ فيما سوى ذلك مـن الوجوه الأخرى . وليس معنى ذلك أننا سنهمل هذا الجانب فلا نتعرض له

بالذكر فى حديثنا ، كلا ولكن سنتناوله فى نطاق ضيق بقدر الامكان اذ أن أكثر كتابات أهل العلم فى القديم والحديث انما تتجه نحو هذا الجانب وتدور حوله وسنوجه القارىء بقدر الامكان الى هذه الكتب ..

كما سنتحدث بعون الله عن اعجاز القرآن بالاخبار بالغيب، وهذا بالطبع يدركه العالم باللغة العربية وغيره ، كما سنتناول بالذكر اعجاز القرآن العددى، وهذا ما ساعد فى ابرازه وبلورته ، العلم الحديث ممثلا فى العقل الالكترونى ...

كذلك فان لنا فصلا فى هذا الباب يتناول الحديث عن اعجاز القرآن بقوة تأثيره وفعله فى الأفئدة ، حتى ولو كانت من غير المؤمنين به وهذا وجه قد غاب عن الكثيرين فكان حريا أن نحاول ابرازه وتجليته ..

ونحسب أيها القارىء أن هذا الباب سيطول بعض الشىء لكونه الأخير ونرجو الا تمل اذا حدث هذا، ولا نخالك مادمت تعيش معنا فى رحاب هذا الكتاب العزيز ...

الفصل الأول

خصائص فى نظم القرآن واسلوبه

ولقد سبقنا القول بأنا سنوجز فى هذا المجال ولن نطيل فيه لاعتماد هذا فى ظهوره للناس على مدى ازواقهم فى الغالب، ومدى معرفتهم باللغة العربية وتشبعهم بها ... فان الجاهل بها وبأسرار البيان لا يكاد يرى هذا الاعجاز، أو يراه ولكن فى غشاوة فلا تتبلج أمامه صورته واضحة، فان هذا لا يتجلى الا لذوى الازواق الرفيعة الضالعين فى اللغة ... وحتى لا نحرم هؤلاء سندلى ببعض الخصائص بلاغية ، وأدبية ، وغيرها باختصار شديد ، على أننا قد أشرنا فى المدخل الى بعض مجهودات علماء الاسلام فى هذا المجال ، فأوردنا اسماء كتب عنيت بهذا الجانب من الاعجاز القرآنى وأوفته حقه من الايضاح فليرجع اليها الراغب فى التوسع والاستزادة فى هذا الأمر ... هذا وأعلم أن زملاء لنا فى قسم الدراسات ، فى شعب البلاغة، واللغويات ، والآداب ، قد سجلوا رسائلهم تحت عناوين تجلى هذه الحقيقة، وأتوقع خروجها عن قرب ان شاء الله ..

ومن هذه الخصائص الوفاء بالمعنى مع القصد باللفظ :

" ومعنى هذا أنك فى كل من جمل القرآن ، تجد بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الالهية ودون أن يزيد اللفظ على المعنى أو أن يقصر على الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ومع هذا القصد اللفظى البرىء من الاسراف والتقتير، تجده قد جلى لك المعنى فى صورة كاملة، لا تنقص شيئا يعتبر عنصرا اصليا فيها أو حلية مكملة لها

كما أنهالا تزيد شيئا يعتبر دخيلا فيها وغريبا عنها ، بل هو كما قال الله (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود :آية١ "(١)

وقبل أن نسوق اليك المثال على ذلك نحب أن نوءكد أن هذه الخاصة لا توجد فى غير القرآن الكريم فان القصد فى اللفظ والوفاء بحق المعنى كما يقول الدكتور دراز :

" نهايتان كل من حاول أن يجمع بينهما وقف منهما موقف الزوج بين ضرتين لا يستطيع أن يعدل بينهما دون ميل ما الى احداهما ، فالذى يعمد الى ادخار لفظه وعدم الانفاق منه الا على حد الضرورة لا ينفك من أن يخيف على المعنى قليلا أو كثيرا ، ذلك أنه اما أن يوءدى لك مراده جملة لا تفصيلا ، فيكون سبيله سبيل من يقول فى باب المحاجة (صدقوا أو كذبوا) وفى باب الوصف (حسن أو قبيح) وفى باب الاخبار (كان أو لم يكن) ، وفى باب الطلب (افعل أو لا تفعل) لا زائد على ذلك واما أن يذهب فيه الى شىء من التفصيل ، ولكنه اذ يأخذه الحذر من الاكثار والاسراف يبذل جهده فى ضم اطرافه وحذف ما استطاع من أدوات التمهيد والتشويق ، ووسائل التقرير والتثبيت وما الى ذلك مما اليه حاجة النفس فى البيان ، حتى يخرجه ثوبا متقلصا يقصر عن غايته أو هيكلا من العظم لا يكسوه لحم ولا عصب ، ورب حرف واحد ينقص من الكلام يذهب بمائه ورونقه ويكسف شمس فصاحته ، ورب اختصار يطوى الكلام طيا يزهق روحه ويعمى طريقه ، ويرد ايجازه عيا والغازا ..

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان ، ص٢/ ٣٢٤

والذى يعمد الى الوفاء بحق المعنى وتحليله الى عناصره ، وابراز كل دقائقه (بقدر مايحيط به علمه ، ومايؤديه اليه الهامه) لايجد له بدا من أن يمد فى نفسه مدا ، لأنه لايجد فى القليل من اللفظ مايشفى صدره ويؤدى عن نفسه رسالتها كاملة ، فاذا اعطى نفسه حظها من ذلك لايلبث أن يباعد مابين اطراف كلامه ويبطئ بك فى الوصول الى غايته ، فتحس بقوة نشاطها ، وباعثه اقبالك آخذتين فى التضاؤل والاضمحلال ..

عامة من نعرفهم من الفصحاء قدامى ومحدثين يؤتون من هذا الجانب غالبا اعنى جانب والاقلال والاسراف ، لاجانب الاخلال والاجحاف وأكثرهم تجمع بهم شهوة البيان الى أبعد من هذا الحد فمنهم من يذهب الى التكلف والتفصح باستعمال الغريب من المفردات والتراكيب ، فيكلفك أن تهدى وتعيد وتقبل وتدبر حتى تهتدى الى وجه مراده ، وهكذا لايزداد كلامه بالبسط الا ضيقا عن الفهم ، ومنهم من يلقى حول المعنى ركاما من الحشو والفضول ينوء بحمله أو يلبسه ثوبا فضفاضا من المترادف والمتقارب يتعثر فى اذياله ، يحسب أنه بو لك المعنى ويحدده ، وفى الحق انما ينشره ويبدده ولعل امثل هؤلاء طريقة من لو حذفت شطر كلامه لأغناك عنه ثانى شطريه "(١)

فالانسان بطبعه عاجز عن ايجاد كلام بهذه الخاصية " وأى يكون له ذلك وهو سجين هذه الفطرة الانسانية التى لا تقرب به من أحد طرفى الطريق الا بمقدار ما تبعد به من الطرف الآخر ؟ ولئن ظفرت بأحد

---

(١) دراز: النبأ العظيم ، ص ١١٠

وفق لتقريب الغايتين الى حد ما فى جملة أو جملتين فتربص به كيف يدركه الكلال والاعياء وفترة الطبع الانسانى فيخل من عقدة كلامه ما كان وثيقا ، ويذبل من زهرته ما كان غضا طريا ، ثم لا يعود الى قوته الا فى الشىء بعد الشىء كما تصادف فى التراب قطعة من التبر ها هنا وقطعة هنالك ، فتقول ، هذا نفيس جيد ، وهذا انفس وأجود ، وهذا واسطة العقد وبيت القصيد سل العلماء بنقد الشعر والكلام " هل رأيتم قصيدة أو رسالة كلها أو جلها معنى ناصع ، ولفظ جامع ونظم رائع " ؟ لقد اجتمعت كلمتهم على أن أبرع الشعراء لم يبلغوا مرتبة الاجادة الا فى ابيات محدودة من قصائد معدودة ، وكان لهم من وراء ذلك المتوسط والردىء والغث والمستكره ، وكذلك قالوا فى الكتاب والخطباء والأمراء فيهم أيين "[1]

أما المثال الذى وعدناك به فالقرآن كله بين يديك " ضع يدك حيث شئت من المصحف وعد ما احصته كفك من الكلمات عدا ، ثم احصى عدتها من ابلغ كلام تختاره خارجا عن الدفتين وانظر نسبه ما حواه هذا الكلام من المعانى الى ذاك ثم انظر : كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون اخلال بغرض قائله وأى كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك ؟ فكتاب الله تعالى كما يقول ابن عطية (لو نزعت منه لفظه ثم ادير لسان العرب للفظة أحسن منها لم توجد)[2]

---

(١) المصدر نفسه : ص١١١

(٢) دراز : النبأ ، ص١١٢

هذا وفى القرآن خاصة أخرى لا توجد فى غيره ، الا وهى البيان مع الاجمال ، فهاتان " غايتان متقابلتان لا تجتمعان فى كلام واحد للناس بل كلا منهم اما مجمل واما مبين ، لأن الكلمة اما واضحة المعنى لا تحتاج الى بيان ، واما خفية المعنى تحتاج الى بيان ، ولكن القرآن وحده هو الذى انحزقت له العادة فتسمع الجملة منه واذا هى بينه مجملة فى آن واحد ، أما أنها بينة ... فلأنها واضحة المغزى وضوحا يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة ، فاذا أمعنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيح أو محتمل لأن يكون صحيحا ، وكلما امعنت فيها النظر زاد تسك من المعارف والاسرار بقدر ما تصيب أنت من النظر وما تحمل فى الاستعداد "[1]

" وهذه عجيبة أخرى تجدها فى القرآن ولا تجدها فيما سواه ، ذلك أن الناس (كما قدمنا) اذا عمدوا الى تحديد اغراضهم لم تتسع لتأويل واذا اجملوها ذهبوا الى الابهام والالباس أو الى اللغو الذى لا يفيد ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان فى كلام واحد "[2]

ولتبادر اليك بمثال يدل على غيره مما هو متوفر فى القرآن فنقول لك أقرأ قوله تعالى فى سورة البقره (والله يرزق من يشاء بغير حساب)[3] فانظر هل ترى كلاما أبين من هذا فى عقول الناس ، ثم انظر كم فى هذه الكلمة من مرونة ، فانك لو قلت فى معناها أنه سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب يحاسبه ولا سائل يسأله لماذا يبسط الرزق لهولاء ويقدره على هولاء

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان ، ٢ / ٣٢٣

(٢) دراز : المصدر السابق ، ص ١١٧

(٣) البقرة : آية ، ٢١٢

، ولو قلت انه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الاتفاق خوف النفاد ، أصبت ، ولو قلت أنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب ، اصبت ، ولو قلت انه يرزقه بغير معاتبة ومناقشة له على عمله أصبت : ولو قلت يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر وحساب اصبت فعلى الأول يكون الكلام تقريرا لقاعدة الارزاق فى الدنيا ، وأن نظامها لا يجرى على حسب ماعند المرزوق من استحقاق بعلمه أو عمله ، بل تجرى وفقا لمشيئته وحكمته سبحانه فى الابتلاء، وفى ذلك مافيه من التسلية لفقراء المؤمنين ، ومن الهضم لنفوس المغرورين من المترفين ، وعلى الثانى يكون تنبيها على سعة خزائنه وبسطه يده جل شأنه ،وعلى الثالث يكون تلويحا للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر حتى يبدل عسرهم يسرا ، وفقرهم غنى من حيث لايظنون ، وعلى الرابع والخامس يكون وعدا لصالحين اما بدخول الجنة بغير حساب ، واما بمضاعفة اجورهم اضعافا كثيرة لا يحصرها العد ، ومن وقف على علم التأويل واطلع على معترك أفهام العلماء فى آية رأى من ذلك العجب العاجب " [(١)] ولولا أن مقامنا مقام ايجاز لوافيناك بالمزيد من الأمثلة على أن ماذكر يغنى عن سواه ويدل عليه ٠٠

وهكذا تقرأ القطعة فى القرآن فاذا ما تأملتها وركزت عليها النظر وحدتها " كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فاذا نظرت الى اضلاعه جملة بهرتك بالوان الطيف كلها فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى منها أكثر

---

(١) دراز: النبأ ، ص١١٧ و١١٨ بالهامش

مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل " منه مايسر له بل ترى محيطا مترامي الاطراف لاتحده عقول الافراد ولا الاجيال "(١)

ومن هذا ننتقل بك الى خاصة أخرى وهي اشباع العقل والعاطفة معا ، وهو أمر امتاز به القرآن دون سواه ، فالعقل والعاطفة " قوتان ، قوة تفكير وقوة وجدان ، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها ، فأما احداهما فتنقب عن الحق لمعرفته ، وعن الخير للعمل به ، وأما الأخرى فتسجل احساسها بما في الاشياء من لذة وألم والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ، ويطير الى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيهما حظهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا "(٢) وهذا مالا يوجد في كلام البشر، فعندهم أن " لكل اسلوب طريقته الخاصة ، فالأسلوب العلمي أو الفلسفي يعنى بخطاب العقل وحده ، والاسلوب الأدبي نثرا أو نظما يغلب عليه الاعتناء بخطاب القلب واثارة العاطفة أو يخاطب القلب تارة والعقل تارة أخرى "(٣) ولم يجتمع ذلك في كلام سوى القرآن فلقد "عرفنا كلام الأدباء ، والشعراء فما وجدنا من هؤلاء ولا هؤلاء الا غلوا في جانب وقصورا في جانب ، فأما الحكماء فانما يؤدون اليك ثمار عقولهم غذاء العقلك ولا تتوجه نفوسهم الى استهواء نفسك ، واختلاب عاطفتك ، فتراهم حين يقدمون اليك حقائق العلوم لا يأبهون لما فيها من جفاف وعرى ونبوعن الطباع ، وأما الشعراء فانما يسعون الى استثارة وجدانك وتحريك أوتار

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٧

(٢) دراز: النبأ ، ص ١١٣ و ١١٤

(٣) عتر: بينات في المعجزه الخالده ، ص ٣٠٥

الشعور فى نفسك فلا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيا أو رشدا ، وأن يكون حقيقة أو تخيلا فتراهم جادين وهم هازلون ، يستبكون وان كانوا لا يبكون ويطربون وان كانوا لايطربون (والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون)[١] " الشعراء وقيل أن نورد اليك المثال لنعرج بالقول على ضعف الانسان ، ونحيلك فى هذا الى علماء النفس فنسألهم :

" هل رأيتم أحدا تتكافأ فيه قوة التفكير وقوة الوجدان ، وسائر القوى النفسية على سواء ؟ ولو مالت هذه القوى الى شىء من التعادل عند قليل من الناس فهل ترونها تعمل فى النفس دفعة وبنسبه واحدة ؟ يجيبونك بلسان واحد : كلا بل لا تعمل الا مناوبة فى حال بعد حال ، وكلما تسلطت واحدة منهن اضمحلت الأخرى ، وكاد ينمحى اثرها . فالذى ينهمك فى التفكير تتناقص قوة وجدانه ، والذى يقع تحت تأثير لذة أو الم يضعف تفكيره ، وهكذا لا تقصد النفس الانسانية الى هاتين الغايتين قصدا واحدا والا لكانت مقبلة مدبرة معا ، وصدق الله (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه)[٢] فكيف تطمع فى انسان أن يهب لك هاتين الطلبتين على سواء وهو لم يجمعهما فى نفسه على سواء ، وما كلام المتكلم الا صورة الحال الغالبة عليه من بين تلك الأحوال "[٣] ولكن القرآن قد جمع بينهما فجمع الحق والجمال كليهما ، واليك ماوعدنا من مثال تجده خلال النص التالى

---

(١) الشعراء :الآية ٢٢٤و٢٢٥

(٢) الاحزاب ٤

(٣) دراز: النبأ ،ص١١٥

من مناهل العرفان للشيخ الزرقاني حيث يقول عن القرآن " انظر اليه مثلا وهو في معمعان الاستدلال العقلي على البعث والاعادة في مواجهة منكريها كيف يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب هزا ، ويمتع العاطفة امتاعا ، بما جاء في طيء هذه الأدلة المسكتة المقنعة ، اذ قال الله سبحانه في سورة فصلت (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ، فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير)(١) واذ قال في سورة ق : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)(٢) تأمل في الاسلوب البارع الذي اقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد ، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل ، اذ قال في الآية الاولى (ان الذي احياها لمحي الموتى) وفي الآيات الأخيرة (كذلك الخروج) ياللجمال الساحر ، وياللاعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الانسان وقلبه معا بأنصع الأدلة ، وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات ، ثم انظر الى القرآن وهو يسوق قصة يوسف مثلا كيف يأتي في خلالها بالعظات البالغة ، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة اذ قال في فصل من فصول

---

(١) الآية

(٢) الآيات

تلك الرواية الرائعة(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك • قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون) فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث ، مقابلة صورة من القصص الممتع جدالا عنيفا بين جند الرحمن وجند الشيطان ووضعتهما أمام العقل المنصف في كفتي ميزان وهكذا تجد القرآن كله مزيجا حلوا سائغا يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معا جنبا الى جنب مهداية الانسان وخير الانسان "[1] ولنزيدك من المثال فان القرآن ملىء به قد اشتمله قصصا وأخبارا واخبارا ، وبراهين وأحكاما وأينما اجلت النظر فيه وجدت ذلك " اقرأ مثلا سورة القصص وسورة يوسف عليه السلام • واقرأ مثلا قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون) وانظر كيف اجتمع الاستدلال والتهويل والاستعظام في هذه الكلمات القليلة، بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية ، ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من الفساد الرهيب ، فهو برهاني خطابي شعري معا هل تجد مثل هذا في كتاب من كتب الحكمة النظرية ؟ واقرأ مثلا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى :الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى • فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم)[2]

---

(١) ص ٣١٤

(٢) آية :

وانظر الاستدراج الى الطاعة فى افتتاح الآية بقوله (يأأيها الذين آمنوا) وترفيق العاطفة بين الواترين والموتورين فى قوله (اخيه) وقوله (باحسان) وقوله بالمعروف والامتنان فى قوله تخفيف من ربكم ورحمة والتهديد فى ختام الآية ثم انظر فى أى شأن يتكلم ؟ أليس فى فريضة مفصلة ومسألة دموية ؟ وتتبع هذا المعنى فى سائر آيات الاحكام حتى احكام الايلاء والظهار ففى أى كتاب من كتب التشريع تجد مثل هذا الروح ؟ بل فى أى لسان تجد هذا المزاج العجيب ؟ تالله لو أن أحدا حاول أن يجمع فى بيانه بين هذين الطرفين ففرق همه ووزع اجزاء نفسه، لجاء بالاضداد المتنافره ولخرج بثوب بيانه ممزعه "(١)

وهكذا القرآن يجمع بين الطرفين معا كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أوراقا وأزهارا واثمارا معا ... وذلك مالا نظفر به فى كلام بشر"(٢)

ومما انفرد به القرآن، خطابه للعامة وللخاصة فى آن واحد، وهذه ميزة ينعدم وجودها فى غيره البتة، فلا يوجد نص على وجه الأرض يصلح لمخاطبة العالم كله على اختلاف مدارك الناس وثقافاتهم، وعلى تباعد ازمنتهم وبلدانهم، ويتمشى مع تطور علومهم، ومكتشفاتهم الا هذا القرآن الحكيم وسنسوق اليك الدليل ـ ان شاء الله ـ على ماذكرنا، ولكن لنبين قبل ذلك أن مثل هذا ليس فى طوق البشر ... فان " هاتان غايتان ... متباعدتان عند الناس . فلو أنك خاطبت الاذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الاغبياء لنزلت بهم الى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب، ولو أنك

---

(١) دراز: النبأ العظيم ، الهامش ص ١١٦

(٢) المصدر نفسه ص ١١٥

خاطبت العامة باللمحة والاشارة التى تخاطب بها الاذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم ، فلا غنى لك — ان اردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا فى بيانك — أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ماتخاطب به الأخرى ، كما تخاطب الأطفال بغير ماتخاطب به الرجال فأما أن جملة واحدة تلقى الى العلماء والجهلاء ، والى الاذكياء والاغبياء والى السوقة والملوك ، فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته ، فذلك مالا تجده على أتمه الا فى القرآن الكريم ، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة احسن كلام وأقربه الى عقولهم لا يلتوى على افهامهم ، ولا يحتاجون فيه الى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ميسر لكل من أراد (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) القمر : ١٧ "(١)

ولیس معنى ذلك أنه يحتمل وجوها متناقضة ، أو مفاهيم متعارضة بل هو معنى واحد ولكن له سطحا وعمقا وجزورا يتضمنها جميعا اسلوب الآية فالعامى من الناس يفهم منه السطح القريب ، والمثقف منهم يفهم مدى معينا من عمقه أيضا ، والباحث المتخصص يفهم منها جذور المعنى كله . ومن حيث تمشى القرآن مع امتداد الزمن ، فان الصدر الأول من المسلمين اذا عرضت عليهم آية مما يتعلق بمعنى يتطور مع امتداد الزمان فانهم يفهمون المعنى المراد كما هو فى طورهم وعصرهم ، ومن بعدهم يفهمون معناها كما تطور فى زمنهم على أن كلا الفهمين من المدلولات القريبة للآية

---

(١) دراز : النبأ ، ص ١١٣

وليس من قبيل التكلف أو تحميل اللفظ مالا يحتمل ولكن الفهم الثانى كان مطويا عن السابقين لعدم وجود مايبنههم اليه حينذاك .(١)

وليس هناك " اعجب من أن يكون الكلام مبسوطا للجميع ثم هو نفسه مما يهدى الخاصة الى تأويله ثم لا يكون فى طبيعته الكلامية مع تصرفه الآن ينتهى الى مقطع الحق من هذا التأويل دون أن يتعداه ، وقد لا يظهر التأويل الحق الا بعد ازمان متطاولة يتضج فيها العقل الانسانى وتستجم آثاره وأدواته ومن ذلك ماظهر فى هذا العصر، ومن اظهره قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذوا الا بسلطان)(٢) وهى الآية التى أشار اليها الى الطيران والى أنه سيكون للانس ولم يتحقق تأويلها الا منذ سنوات قليلة وقد مضى على نزول الآية ثلاثة عشر قرنا ونصف "(٣)

---

(١) البوطى : روائع القرآن ، ص١٣٦و١٣٧ بتصرف

(٢) الرحمن : ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة النحل (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) فقد كان الأولون يقرأونها فلا يعليهم من فهمها الا قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) لأنها منطبقة على واقع حياتهم أما قوله ويخلق مالا تعلمون فانهم يفسرونها تفسيرات مختلفه أما الذى يقرأ الاية الآن فلا يشك فى أنها تعنى هذه المواصلات الحديثة التى لم تكن موجودة فى وقتهم ... انظر البوطى المصدر السابق ١٣٩

(٣) الرافعى : الاعجاز ، ٢٦٦

أما الآن فاليك المثال على المقول وذلك فى ايجاز بالقدر الذى يجلى هذه الحقيقة ، وهو كونه يصلح خطابا للعامة والخاصة معا .

يقول تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)(١)

" فهذه الآية تصف كلا من الشمس والقمر بمعنيين لهما سطح قريب يفهمه الناس كلهم ، ولهما عمق يصل اليه المتأملون والعلماء ، ولهما جذور بعيدة يفهمها الباحثون المتخصصون : والآية تحمل بصياغتها هذه الدرجات الثلاث للمعنى ، فتعطى كلا حسب طاقته وفهمه دون أن يكون أى تعارض بينهما .

فالعامى من العرب يفهم منها أن كلا من الشمس والقمر يبعثان بالضياء الى الأرض ، وانما غاير فى التعبير بالنسبة لكل منهما ، تنويعا للفظ وهو معنى صحيح تدل عليه الآية ، والمتأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك أن الآية تدل على أن الشمس تجمع الى النور الحرارة فلذلك سماها سراجا ، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه ، وهو أيضا معنى صحيح تدل عليه الآية ودلالة لغوية واضحة ، أما الباحث المتخصص فى شئون الفلك فيفهم من الآية اثبات أن القمر جرم مظلم ، وانما يضئ بما ينعكس عليه من ضياء الشمس التى شبهها بالسراج بالنسبة له وهو أيضا معنى صحيح تدل الآية عليه بلغتها وصياغتها ، فأنت تقول : غرفة منيرة اذا انعكس عليها الضوء من سراج فى وسطها ، ولا تقول قبس منير اذ ينبعث الضوء من حقيقته وداخلة بل تقول قبس مضئ ، فالآية تتضمن هذه الدلالات الثلاث جملة

---

(١) الفرقان : الآية

واحدة ، ولكنها بأسلوبها العجيب لاتخاطب الناس الا بما يدركونه منهـا كلا حسب استعداده وطاقته الفكرية وبذلك تكون الآية خطابا مفيد الأضراب الناس كلهم "[1] ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ولولا قصدنا من الايجاز لأوردنا المزيد ، فنحن في عجالة لبيان خاصة قرآنية أخرى وهي :

جودة سبك القرآن وترابطه على كثرة تنوع اجزائه .. فقد بلـغ القرآن في ترابط اجزائه وتماسك كلماته وجملة وآياته وسورة درجةلاتجدها في أي كلام آخر، وذلك مع طوله وتنوع مقاصده ، ومعلوم أن "الكلام فـي الشأن الواحد اذا ساء نظمه انحلت وحدة معناه فتفرق من اجزائها ماكان مجتمعا ، وانفصل ما كان متصلا ... ، وتلك حال المعنى الواحد الـذى تتصل اجزاؤه فيما بينها اتصالا طبيعيا ، فما ظنك بالمعاني المختلفة في جوهرها ، المنفصلة بطبيعتها ؟! كم من المهارة والحذق بل كم من الاقتدار السحرى يتطلبه التأليف بين امزجتها الغريبة، واتجاهاتها المتشعبة ؟ بل حتى يكون لها مزاج واحد واتجاه واحد ، وحتى يكون عن وحداتهـا الصغرى وحدة جامعة أخرى ... نرى البلغاء وان احسنوا واجادوا الى حد ما في غرض كان منهم الخطأ والاساءة في نظم تلك الاغراض كـلا أو جلا ، فالشعراء حينما يجيئون في القصيدة بمعان عدة أكثر مايجيئون بها اشتاتا لايلوى بعضها على بعض ، وقليلا ما يهتدون الى حسن التخلص من الغرض الى الغرض كما في الانتقال من النسيب الى المدح ، والكتاب ربما استعانوا على سد تلك الثغرات باستعمال أدوات التـ أو الحديث

---

(١) البوطى : في روائع القرآن ، ١٣٨

عن النفس كقولهم الا وان ... هذا ... ولكن ... بقى علينا ...
ولننتقل نحو ... قلنا وسنقول ..(١)

هذا شأن الاغراض المختلفة اذا تناولها الكلام الواحد في المجلس الواحد فكيف لو قد جيء بها في ظروف مختلفة وازمان متطاولة ؟ (كما هو الحال في القرآن) الا تكون الصلة فيها أشد انقطاعا والهوة بينها اعظم اتساعا ؟"(٢)

ولكن القرآن مع ذلك كما قد منا مترابط غير مفكك بالرغم من ذلك التنوع فيه وبالرغم من أنه قد نزل نجوما، حيث لم ينزل جملة واحدة، بل كان ينزل آحادا مفرقة حسب الوقائع والدواعي المتجددة، وتلك النجوم حين نزولها ما كانت توضع حسب ترتيبها في النزول وانما كانت توضع بنظام خاص على غير ترتيب نزولها، وهذا جدير بأن يزيد النظم في السورة تفككا والوحدة فيها تمزقا، ولكن رغم ذلك ظل مترابطا متماسكا، وليس هذا بالأمر الهين الذى لا يستحق التنويه بل هو غاية في الاعجاز كما سنبين ضارب بين لك مثلا، " قدر في نفسك أن رجلا نزل واديا فسيحا ليس عليه بنيان قائم وليس به شيء من مواد البناء وانقاضه، فما لبث أن أحس برجفة أرضية أو عاصفة سماوية، واذا قمة الجبل تتصدع قليلا فتلقى بجانبه صخرا أو بضعة صخور، ثم تمضى فترة طويلة أو قصيرة، واذا هزة ثانية أو ثالثة تلقى اليه شظيات من الحديد والحمم، أو نثارات من الفضة والذهب .. أترى أن هذا الرجل أو أن احدا من العقلاء يستطيع منذ اللحظات الأولى أن

---

(١) وغيرها كالتقسيم أو الترقيم والتبويب والعنونة ولفظ أما بعد .. ملاحظة تنبيه فكذلك الخ ... من مناهل العرفان للزرقاني انظر ص ٣١٨

(٢) دراز : النبأ العظيم ص ١٤٣ و ١٤٤

يضع تصميمه على اقامة مدينة جامعة من تلك المواد المتناثرة ومما عساه أن يجيء من أمثالها ؟ وأن يبدأ بالعمل فى مهمة التخطيط والبنيان فمايدريه لعل هذه الظواهر لا تتكرر أمامه نزلة أخرى، ثم مايدريه أنها ان عادت كم مرة تعود، وما نوع المادة التى تتساقط معها فى كل مرة، وكم عدد القطع فى كل مادة من هذه المواد، ولم عدد الابنية التى يمكن اقامتها منهـــا وما النظام الهندسى الخاص بكل بناء : سعة وارتفاعا ونقشا وزخرفا، وماذرع الفضاء الذى ستشغله هذه الابنية جملة ... ؟

فى هذا الجو المملوء غموضا وابهاما لا يجروء عاقل أن يغامـــر بتصميمه فى بناء كوخ حقير، فضلا عن بلد كبير، فضلا عن أن يهب من فوره لانفاذ عزمه فيمضى فى مهمة البناء منذ وصلت اليه تلك اللبنات الأولـــى ولئن افترضت انسانا غامر هذه المغامرة، وأن المقادير سارعت فى هـــواه واسعفته بما شاء من مواد البناء الذى تخيله وتمناه، اتراه يعمد الـــى مخاطرة أخرى فيتخذ له فى البناء اسلوبا يراغم به قانون الطبيعة بأن يوطى على نفسه الا يدع لبنة تصل الى يديه الا انزلها -فى ساعة وصولهـــا منزلها الخليق بها حيث كان ؟ ذلك على حين أن تلك اللبنات لم تتساقط اليه متجانسة مرتبة على ترتيبها فى وضعها المنتظر، بل جعلت تتناثر حفافا وثقالا، مختلفا الوانها وأحجامها، وعناصرها وطاقاتها، فربما وقعت له الزخارف والشرفات قبل أن تقع له بعض القواعد والمسافات، وربما وقعت له على التوالى اجزاء ناقصة لتوضع فى أماكن متفرقة، من ابنية متنائية، افلا تراه ان ذهـــب يضع كل جزء ساعة نزوله فى موضعه المعين لم يجد مناصا من أن يبدد اجزاء البناء هنا وهنا على ابعاد غير متساوية، ولا متناسبة، فيقارب بينها طـــورا

ويباعد طورا ، ويعلو بها تارة وتنزل تارة أخرى حتى لقد بين أعلى البيت قبل اسفله ويمسك المحموء معلقا بدون حامله ..

فكيف يطيق بشر كائنا من كان أن يضطلع بهذه المهمة؟ ثم كيف يمضى قدما فى هذا الأمر الى نهايته ، فلا يعود الى جزء ماليزيله عن موضعه الذى أحله فيه أول مرة، أو ليلتجىء فيه الى كسر أو نحت أو حشو أو دعامة ؟ ثم كيف تكون عاقبة أمره ، أنه فى الوقت الذى يضع فيه آخر لبنة على هذا المنهاج يرفع يده عن مدينة منسقة ليس فيها قصر ولا غرفة ولا لبنة ولا جزء صغير ولا كبير الا وقد نزل منزله الرصين الذى يرتضيه ذوق الفن حتى لو تبدل واحد منها مكان غيره لاختل البنيان أو ساء النظام ؟ اليس ذلك أن وقع يكون تحديا للقدرة البشرية جميعا ؟ الا فقد وقع مصداق هذا المثل فى مسألتنا واليك البيان : أما الرجل فهو هذا النبى الأمى صلوات الله عليه ، وأما المدينة الجامعة التى شرع فى بنائها منذ وقعت له لبناتها الأولى فذلك الكتاب العزيز الذى أخذ هو منذ وصلت اليه باكورة رسائله يرتب أجزاءه ترتيب الواثق المطمئن الى أن سيكون له منها ديوان تام جامع ، وأما القصور والغرفات ، واللبنات ، فهى اجزاء هذا الديوان : من السور، والنجوم والآيات ، وأما تلك العوامل الفجائية التى جعلت تستنزل من مختلف معادن الجبال ماركبت منه هذه القصور المشيدة فتلك هى الاحداث الكونية والاجتماعية ، والمشاكل الدينية والدنيوية التى كانت تعترض الناس آنا بعد آن فى شوء ونهم العامةوالخاصة فكان يتقدم بها المرء من منهم مستفتيا ومسترشدا والمكذب مستشكلا ومجادلا وكان على وفق ذلك يتنزل الكلام نجما فنجما بمعان تختلف باختلاف تلك

المناسبات ، والبواعث ، وبمقادير تتفاوت قلة وكثرة وعلى طرق تتنوع لينـا وشدة ٠٠٠ ومن هذه النجوم المختلفة المتفرقة صارت تتألف تلك المجاميع المسماة بالسور، لا على أساس التجانس بين اجزاء كل مجموعة منها ، بل على أن يأوى الى الحظيرة الواحدة ماشئت من فصائل الجنس الواحد والاجناس المتخالفة ، وأما الطريق العجب الذى اتبع فى تأليف تلك الابنية من اجزائها ٠٠٠ فهو أن ذلك الذى نزل عليه الذكر لم يتربص بترتيب نجومه حتى كملت نزولا بل لم يتريث بتأليف سورة واحدة منه حتى تمت فصولا ، بل كان كلما القيت اليه آية أو آيات أمر بوضعها من فوره فى مكان مرتب فى سورة معينة على حين أن هذه الآيات والسور لم تتخذ فى ورودها التنزيلى سبيلها الذى اتبعته فى وضعها الترتيبى ، فكم من سورة نزلت جميعا أو اشتاتا فى الفترات بين النجوم من سورة أخرى ، وكم من آية فى السور الواحدة تقدمت فيها نزولا ، وتأخرت ترتيبا ، وكم من آية عكس ذلك ٠٠٠٠ انه لايجرؤ فى قرارة الغيب على وضع هذه الخطة المفصلة المصممة الا أحد اثنين ، جاهل جاهل فى حضيض الجهل ، أو عالم عالم فوق اطوار العقل لا ثالث ، فأما ان كان فرغ من نظام تأليفها وصورة تركيبها من قبل أن يستحكم له العلم بأسباب ذلك ومقاصده وأدباره وعواقبه ، وانما بنى أمره على الظن والتحسس وعلى التخيل والتمنى فذلك امروء بلغت به الجرأة على نفسه أن اعلن ملك مالا يملكه وأدعى علم ماستكشف الايام عن جهله ، وما عليك الا أن تتربص به قليلا لترى بطلان أمره وفساد صنعته ، فهيهات أن يلد الجهل نظاما جاريا ، واحكاما باقيا ٠

وأما ان كان قد فصلها على علم وبصر ، وأعطى كل جزء منها موقعه

بميزان وقدر فلا ريب أن سيكون نظامها مثال الاتقان وآية الجمال ، ولكن واضعها اذن لا يمكن أن يكون هو الانسان ، الا أن يكون قد استمدها عن افق أعلى من افق نفسه ومحيط أوسع من محيط علمه ... فهل رأيت أو سمعت أن أحدا من الكتاب أو الشعراء استطاع في مفتتح حياته الأدبية أن يحصي كل ما سيجيء على لسانه من جيد الشعر أو النثر في المناسبات المتنوعة الى آخر عهده بالدنيا وأن يضع من أول يوم منهاجا لديوانه المنتظر يفصله تفصيلا لا يقدح فيه بتقدير أبوابه وفصوله حتى يقدر لكل باب عدة مايحويه من خطاب أو قصيد ويحدد لكل واحد من هذين مكانا معلوما لا يستقدم عنه ولا يستأخر ، حتى اذا جاء عند داعيته رده الى مكانه غير متلبث ، ولا متوقف ، ثم ينجح في هذه التجربة نجاحا مطردا تنفذ فيه احكامه وتتحقق به احلامه ، فيستقيم له النسق بين هذه المقطوعات كلها ، من غير أن يقدم فيها شيئا أو يؤخر شيئا ومن غير أن يزيد بينها أو ينقص شيئا ؟ لعمري لئن صح هذا الفرض في أحد من البشر لصح مثله في نبي القرآن ولكن الانسان هو الانسان "(١)

نعود فنقول مؤكدين ان القرآن على كثرة تنوع اجزائه وعلى الرغم من كونه نزل نجوما كما بينا فانه مترابط جيد السبك في كله ويكفي أن نسوق لك مثالا واحدا هو سورة الفاتحة" فتأمل كيف تترابط وتتناسق في حسن تخلص من معنى الى معنى ، ومن مقصد الى مقصد : لقد افتتحت متوجة (باسم الله) كما يتوج القاضي كل حكم من احكامه باسم جلالة الملك لاعلان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور احكامه ، ثم انتقل الكلام فيها

---

(١) دراز : النبأ العظيم ، الصفحات ١٤٧ ــ ١٥٢

سريعا الى الاستدلال على أن الاستعانة انما هى به تعالى وحده وذلك باضافة الاسم الى لفظ الجلالة الذى هو اسم الذات الجامع لصفات الكمال ويوصف لفظ الجلالة بأنه الرحمن الرحيم ، ثم انتقل الكلام الى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الجلالة مجرى الاوصاف فى مقام حمده (الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين ثم انتقل الكلام الى اعلان وحدانيته فى الوهيته وربوبيته (اياك نعبد واياك نستعين) مادام أنه هو المعين وحده ، ومستحق المحامد كلها وحده ، ثم انتقل الكلام فى براعة الى بيان المطمح الاعلى للانسان ، وأن هذا المطمح الأعلى هو الهداية الى الصراط المستقيم ، وأنه لا سبيل الى الوصول الى هذا المطمح عن طريق أحد الا عن طريق الله وحده بقرينة ماسبق من ادلة التوحيد والتمجيد قبله (اهدنا الصراط المستقيم) ثم انتقل الكلام من حيث لا تشعر أو من حيث تشعر الى تقسيم الخلق بالنسبة الى هذه الهداية ثلاثة اقسام تنبيها واغراء على المقصود ، وتحذيرا وتنفيرا من الوقوع فى نقيض هذا المقصود (صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين) واذا الناس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق واتباعه ، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به ، وضال رضى أن يعيش عيشة الانعام "(١)

وهكذا تجد ترابطا وتناسقا ووحده فى كل القرآن ، والى هنا يقف بنا الحديث فى هذا المجال وننتقل الى غيره فالى هناك والله المستعان ..

---

(١) الزرقانى : مناهل العرفان ، ٢/ ٣١٦ و ٣١٧

الفصل الثاني

الاخبار بالغيب

لقد تحدث القرآن الكريم عن الغيب فتضمنت آياته غيوب كثيرة منها ما يتعلق بالملأ الاعلى ، والآخرة ، كوجود الملائكة والوحي ، والقيامة والحساب وغير ذلك مما يلحق به كوجود الجن ، وكل ما هو وراء المادة مما هو غير مشاهد ولا محس في هذا الوقت ، وهذا قد أكد صدقه وجوده في الكتب القديمة التي ثبت عدم اطلاع الرسول عليها لكونه أمي ولم ثبت قط أنه تلقى تعليما من أحد من أهل تلك الكتب ، كذلك قد جاء العلم الحديث فأثبت امكان وجود ذلك ولم يقم دليل علمي واحد على نفيه ، والحديث في هذا الجانب فرع عن حديثنا في البابين الأول والثاني ، حيث اثبتنا هناك أن العقل لا يمكنه أن ينفي ذلك الى آخر ماذكرنا هناك ، كذلك يصدقه وقوع ما أخبر به القرآن مما هو مشاهد ومحس ، سواء أكان اخبارا عن الماضي أو الحاضر ، أو المستقبل ، فلقد تعرض القرآن الى الاخبار عن الماضي السحيق ، من قصص الأمم الماضية ، والرسل السابقين ومواقف اعدائهم منهم ، مثل قصة آدم ، وعاد ، وثمود ، ويوسف ، ومريم ، واصحاب الكهف وغيرها مما ورد ذكره في الكتاب العزيز ، وهذا يصدق حصول بعضه وروده في الكتب القديمة التي لم يطلع عليها الرسول بالطبع ولا يعلمها أحد من قومه وبعضها قد أيدت صدقه فيها الآثار والمكتشفات التاريخية في العصر الحديث والأمثلة كثيرة لا يسع المجال ذكرها ...

أما حديث القرآن عن غيب الحاضر ونقصد به حاضر النبي صلى الله عليه وسلم وعهده كفضحة للمنافقين وكشفهم وغيره فقد أيدت ذلك الوقائع

فى وقتها بوجود هم فعلا وخزلانهم له صلى الله عليه وسلم .. ونحوه ..
أما اخباره عن غيب المستقبل وهو الذى يؤكد فعلا كل تلك الغيوب بحصوله فقد وقع كله ولم يتخلف منه شىء لأنه لو لم يحدث فعلا لاعتبر النبى عليه الصلاة والسلام كاذبا ولا نتقض الايمان كله بتلك الغيوب ولارتد القوم وهذا مالم يحدث، لذا فسنركز فى حديثنا فى هذا الفصل على هذا النوع من الاخبار بالغيب ... ونؤكد مسبقا وبكل فخر واعتزاز وايمان أنه مامن خبر فى القرآن الا وأكدته الايام والوقائع فى ادق تفصيلاته، فما تستطيع له نقضا، فالقرآن والحمد لله فنره عن الخطأ، بعيد عن الباطل، فلا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، وهو بهذه الحالة لايمكن أن يكون من عند بشر لأن علم الانسان محدود، فانه قد يعرف شيئا عن الماضى، وشيئا عن حاضره، أما المستقبل فما له عليه من سبيل وكل ما يستطيعه فى هذا الشأن هو أن يجتهد بناءا على موازين ومقاييس ليصل الى احتمال فى هذا الأمر من المستقبل قد يقع وقد لايقع، فهو لا يستطيع بحال أن يجزم لذاته بشىء من هذا الغيب، ولكننا نجد القرآن قد جزم فى أمور كثيره، وقد تحققت كلها بالفعل دون أن يتخلف منها شىء، وهذا يخرجه عن نطاق البشر، لأن مثل هذا لابد أن يكون من عالم محيط ينكشف أمامه المستقبل وذلك علام الغيوب وهذا القرآن من علمه فهو وحده القادر على ذلك (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء)(١) وفيما يلى بيان لبعض هذه الغيوب :

من ذلك الوعد بنصر الرسول فى الدنيا والاخرة : حيث يقول تعالى

---

(١) البقرة :

(من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ)[1] ومعنى ذلك كما يقول المفسرون " من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أى بحبل الى السماء أى سماء بيته ثم ليقطع يقول ثم ليختنق به ... (وقال غيرهم) فليمدد بسبب الى السماء أى ليتوصل الى بلوغ السماء فان النصر انما يأتى محمدا من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ان قدر على ذلك (والأول) أولى واظهر فى المعنى وابلغ فى التهكم فان المعنى : من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدا وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك غائظة فان الله ناصره لامحالة"[2] وقد تحقق هذا فنصر الله رسوله فى الدنيا والتاريخ كله يشهد بذلك وحصول نصر الدنيا يدل لامحالة على النصر فى الآخرة ، ومثلما وعد الله بنصر الرسول فى الدنيا والآخرة وهو نصر للمؤمنين به فى الدنيا والآخرة كذلك ــ فقد وعد بهزيمة أهل الكفر وعدم نوالهم للنصر فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد)[3] وقال فى حق اليهود (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون)[4] ومثل ذلك فى حق المنافقين حيث يقول (الم ترالى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)[5]

---

(١) الحج ١٥
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ٢١٠
(٣) آل عمران : ١٢
(٤) ال عمران : ١١١
(٥) الحشر: ١١و١٢

وقال تعالى : (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر)[١] ولقد تحقق انهزام هولاء الاعداء جميعا ، قريش في يوم بدر حيث ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ، واليهود الذين لم ينتصروا على الرسول في معركة ابدا ولم يستطع المنافقون أن ينصروهم وكل هذا ثابت في التاريخ لا يستطيع أحد أن ينكره ...

ومن الاخبار بالغيب عجز الخلق الأبدى عن معارضة القرآن الكريم حيث يقول تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٢] وهذا أمر قد استوفينا الحديث عنه في الباب الثالث[٣] ولكن يهمنا هنا اثباته كغيب أخبر به القرآن وهو أمر قد تحقق حيث لم يستطع أحد عبر تاريخ القرآن الطويل معارضته الى هذا الوقت ، ومن هذه الآيات ايضا الوعد بحفظ القرآن الكريم حيث يقول تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٤] وهذا هو القرآن تماما كما انزل لم يتغير منه شيء بتحريف أو زيادة أو نقصان ويكفينا في هذه العجالة اعتراف الاعداء انفسهم بهذه الحقيقة فنسوق اليك في هذا الصدد نصوص بهذا الاعتراف فهذا هو سير وليم ميود المعروف بتحامله على الاسلام يقول في كتابه حياة محمد[٥] " مانصه " لم يمض على وفاة محمد ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة وقامت طوائف

---

(١) القمر : ٤٤و٤٥

(٢) الاسراء : ٨٨

(٣) انظر فصل التحدى

(٤) الحجر : ٩

(٥) ص ٢٢و٢٣

وقد ذهب عثمان ضحية هذه الفتن ولا تزال هذه الخلافات قائمه ، ولكن القرآن ظل كتاب هذه الطائفة الوحيد ان اعتماد هذه الطوائف جميعا على هذا الكتاب تلاوة برهان ساطع على أن الكتاب الذى بين ايدينا اليوم هى الصحيفة التى أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها فلعله هو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى بقى نصه محفوظا من التحريف طيلة الف ومائتى سنة"

ويقول آخر " ان القرآن أبعد الصحف القديمة بالاطلاق عن الخلط والالحاق وأكثرها صحة وأصالة "(١)

ويقول بول " ان أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك الى اصالته ، ان كل حرف نقرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أى تغيير منذ ثلاثة عشر قرنا "(٢)

هذا والاعترافات والنصوص فى هذا الصدد كثيره نكتفى منها فى هذه العجالة بهذا القدر ...

ومن الأخبار بالغيب الوعد بعصمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الناس حيث يقول تعالى مخبرا عن ذلك (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)(٣)

فهذا وعد من الله بحفظ رسوله من الناس فلا يقتل وقد تحقق هذا الوعد فلم يقتل الرسول الكريم بالرغم من كثرة المحاولات وقد كان الرسول قبل هذا الوعد يحرس حتى نزلت هذه الآية فقال لمن يحرسه :أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل . وفعلا فقد انقذه الله من شتى المحاولات

---

(١) وهيرى فى تفسيره للقرآن ٣٤٩/١

(٢)

(٣) المائدة : ٦٧

التى تذكر منها ما جاء فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى واد كثير العضاة فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها قال وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر قال : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان رجلا أتانى وانا نائم وأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسى فلم أشعر الا والسيف صلتا فى يده فقال لى : من يمنعك منى ؟ قال : قلت : الله ، ثم قال فى الثانية من يمنعك منى ؟ قال قلت : الله • فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (١)

ومن ذلك قصة اليهودية التى جاءته بالشاة المسمومة فأكل منها ثم لفظها تحقيقا لهذه العصمة • وكذلك عصمته صلى الله عليه وسلم منهم فى جميع الغزوات مع كون القوم يستهدفونه أول ما يستهدفون وها هو يوم حنين يقف وحيدا وقد انفض من حوله أصحابه ومع ذلك لم يستطع أحد الوصول اليه الى غير ذلك من المواقف التى حفظ الله فيها رسوله كما وعد بالرغم من أنه تحداهم كما أمره تعالى بذلك حيث يقول (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) (٢)

---

(١) مسلم : الصحيح

(٢) الاعراف : ١٩٥ و ١٩٦

ومن ذلك الوعد بارجاع الرسول الى مكة حيث يقول تعالى مخبرا عن ذلك (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)[(١)]

نزلت هذه الآية بعد هجرة الرسول الى المدينة فى طريقه اليها وهو بالجحفة[(٢)] وعلى ذلك جمهور المفسرين[(٣)] أى رادك الى مكة وقد تم هذا بالفعل كما هو ثابت تاريخيا حيث تم له فتحها فيما بعد ...

ومن ذلك وعده بدخوله المسجد الحرام بعد الهجرة وقبل الفتح وفى ذلك يقول تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون)[(٤)] وقد نزلت هذه الآية عند انصرافه من الحديبية بعد عقد الصلح مع المشركين فقد كان الرسول قد رأى فى المنام أنه دخل مكة وطائف بالبيت وذكر ذلك لاصحابه وهو فى المدينة وعند قدومهم الى مكه قبيل صلح الحديبية كانوا يتوقعون ذلك ولكن جاء الصلح بخلاف ذلك فقال له اصحابه أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به قال بلى ولكن هل قلت هذا العام[(٥)] وبعد انصرافه نزل القرآن مؤكدا بأن ذلك سيكون وقد حصل بالفعل فى العام القابل ومن ذلك اخباره عن يهود بأنهم لا يتمنون الموت وقد اخبر عن ذلك متحديا لهم حيث يقول تعالى (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين)[(٦)] ... فلم يتقدم

---

(١) القصص : ٨٥

(٢) ابن كثير التفسير ٣/٤٠٢ و٤٠٣

(٣) انظر الشوكانى فتح القدير ٤/١٨٢

(٤) الفتح : ٢٧ و ٢٨

(٥) انظر ابن كثير المصدر السابق ٤/٢٠١

(٦) الجمعة : ٦و٧

أى واحد منهم فيقول بلسانه أنه يتمنى الموت مع حرصهم الشديد على تكذيب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع كون الطلب سهل وميسر وهم جموع كثيره يزيدون على الألف فتحقق هذا الاخبار[١] لأنه لوحصل أن أحدهم تمنى الموت لنقل متواترا لكونه أمر عظيم يسقط نبوة محمد عليه الصلاة والسلام[٢]

ومن ذلك اخباره بمصير اناس بعينهم فكانت خاتمتهم كما أخبر فمن ذلك تزكيته لاصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة ورضاء الله عن تلك العصبة فقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)[٣] فحكم بأنهم مؤمنون مرضى عنهم وهذا اشارة الى خاتمتهم السعيدة ومصيرهم فكان كماذكر فلم يذكر التاريخ أن واحدا منهم قد أرتد أو انحرف عن سواء السبيل ولو حصل لا تخذ ذلك مندوحة لتكذيبه هذا ولقد أخبر القرآن بمستقبل أبى لهب وزوجه ومصيرهما حيث يقول تعالى (تبت يدى أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب . وأمرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد)[٤] فياترى لو تظاهر أبو لهب وزوجته بالاسلام فماذا سيكون موقف الناس المؤمنين وغيرهم من هذه الآيات ؟ ! ولكن الرجل وزوجه ماتا على كفرهما كما أخبرالقرآن بمصيرهما[٥] ومثل ذلك ما جاء فى أبى جهل الذى استنكرأن يهدده

---

(١) انظرابن تيمية : الجواب الصحيح ٤ / ١٣١ وانظر ابن حزم الفصل فى الملل والنحل ١/ ٨٣

(٢) انظر ابن كثير التفسير ٣/ ١٩١ ـ ١٩٢

(٣) الفتح : ١٨

(٤) سورة : المسد

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٩ ومابعدها ..

القرآن فى قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ، ثم ذهب الى اهله يتمطى أولى لك فأولى)[١] فقال أيهددنى رب محمد وأنا أعز أهل البطحاء وأكرمهم ، فأخبر تعالى عن مصير هذا العزيز فقال (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم)[٢] ومثل ذلك ورد فى شأن النضر بن الحارث الذى كان يحاول صرف الناس عن القرآن بأحاديث عن ملوك الفرس وغير وكان عدوا لدودا للاسلام فنزل قوله تعالى مخبرا عن مصيره (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم)[٣] وكذلك قد نزل فى الاخنس ابن شريق قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة)[٤]

وأيضا قد ورد فى حق الوليد بن المغيرة قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا .. الى قوله سأصليه سقر)[٥] فبقى هؤلاء جميعا على كفرهم حتى ماتوا

---

(١) القيامة : ٣١ ــ ٣٤

(٢) الدخان : ٤٣ ــ ٤٩

(٣) لقمان : ٦ و ٧

(٤) الهمزه : ١ ــ ٤

(٥)

به فتحقق ما أخبر القرآن به عن مصيرهم ..

وهذا قليل من كثير من الاخبار الغيبية التى جاء بها القرآن وتحققت جميعها وما من خبر جاء به القرآن الا وتحقق ...

ولننتقل الى الفصل التالى مكتفين بما اوجزناه هنا والله هو وحده علام الغيوب ، وما كان لمحمد عليه الصلاة والسلام معرفة ذلك الا بتعليم منه فدل ذلك وغيره على أن هذا القرآن كلامه عز وجل ...

الفصل الثالث

صنيع القرآن بالنفوس وأثره فيها ..

ان لكل كلام جيد أثره في الأفئدة، وهو أثر نسبي ومحدود ..
أما القرآن فأثره لا حدود له فقد بلغ في هذا درجة لا تتوفر لأي كتاب سواه
ولا يدانيه في هذا المجال أي كلام على الاطلاق ، فليس مثله في هز
الشعور واثارة الوجدان ، وتحريك اعماق النفوس فهو غالب على كل الطباع
وسنأتي بعون الله بالأدلة ولقد بلغت هذه الخاصية في القرآن درجة حتى
أن بعض من يزعم بأنه كلام محمد -عليه الصلاة والسلام = لا يستطيع البتة
أن يشرك معه غيره فيها فهو يقر بالاعجاز وان انكر ربانيته فما أعجب أمر
هؤلاء ..؟ (١) وليس ادل على ذلك من المستشرق (آربري)
الذي يعتبر القرآن نتاجا فوق الطبيعة لكنه
لا يشارك المسلمين الرأي أنه من مصدر الهي وحتى القاسية قلوبهم من
أهل الزيغ والالحاد يعرفون أثر هذا القرآن على النفوس لهذا يحرمون
أهله تلاوته في بعض البلاد ، ولقد أدرك المشركون الاولون شدة خطر
القرآن على اسماعهم، فأوصوا اتباعهم أن يحولوا بينه وبين انفسهم كما أخبر
الله عنهم في القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون) (٢)

فتأثير القرآن في النفوس محال أن تتحصن دونه ، وهذه حقيقة قد غفل

---

(١) البهي : الفكر الاسلامي المعاصر ٣٥٠ نقلا عن

(٢)

عنها كثير من أهل العلم وفطن اليها آخرون منهم الخطابى الذى يقول أنه من السابقين الى كشف هذا الوجه من الاعجاز القرآنى وهذا نص حديثه فى هذا الصدد " قلت فى اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس، فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة ومن الروعة والمهابة فى أخرى منه اليه ، تستبشر به النفوس وتشرح له الصدور، حتى اذا اخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها ، اقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت فى مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول وأن يركنوا الى مسالمته ويدخلوا فى دينه ، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم ايمانا "(١)

وسنورد فيما هذا المقام الادلة على أثره فى السابقين أعداء ومسلمين وكذلك أثره فى أهل الكتاب ماضيا وحاضرا ثم لنا وقفة مع رجال اسلموا فى هذه العصور المتأخرة لمجرد تلاوتهم له الأمر الذى يدل على سريان فعاليته واستمرارها ، وقبل ذلك نقف لنبين بالدليل أن هذا القرآن لا يخلق على كثرة الرد ، وهذا بالطبع ناتج عن أثره فى النفوس وقبل ذلك كله لا يفوتنا أن نؤكد أن هذا الأمر مبنى على التجربة، وحدها هى المقنعة

---

(١) بيان اعجاز القرآن ص٧٠ ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن

فجرب بنفسك وأقرأ ما شئت من كلام البشر في موضوع من موضوعات الحياة ثم اقرأ ما يتسير لك من كلام ربك في نفس الموضوع ، عند ئذ تشعر أن لهذا القرآن تأثيرا لا يشبهه غيره من كلام البشر، أو استمع إن شئت لوعظ واعظ أو حديث متكلم ، وترقب أثر ما يتلو من القرآن على نفسك وأثر ما تسمعه من كلامه ، بل جرب أن تعظ الناس وبكلامك وجرب أن تعظهم بكلام الخالق ، وبعدها ستحس بالفرق في وجوه المستمعين وفي نفسك "(١)

ان كل كلام بشرى يبلى اذا كرر ، ويقدر ترديده بقدر ما يخلق وتسقط مكانته ويختلف القرآن بجدته الدائمة التي لا يؤثر فيها ترديد فكم كرر المسلمون ويكررون سورة الفاتحة وقصار السور كل يوم ، وكم اعادوا تلاوة القرآن وكرروه ، والكل يجمع على أنه لا يزال جديدا على ألسنتهم ..

وما اصدق الشاطبي حين قال في مقدمته لمنظومته في القراءات(٢) حيث يقول عن القرآن : وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا

ويشرح ذلك الشيخ القاضي فيقول " المعنى أن القرآن العظيم أحسن انيس لا يسأم من حديثه ، ولا تمل تلاوته ولا سماعه ، وتكراره يزيده جمالا لما يظهر من تلاوته من النور والبهجة ، ويزيد قارئه تجملا لما يقتبس من أخلاقه وآدابه "(٣)

ولقد أقر المستشرق (ليون) بهذه الحقيقة حيث يقول " حسب القرآن جلالة ومجدا أن الاربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن

---

(١) الزنداني : التوحيد ص

(٢) حرز الاماني ووجه التهاني ، ص

(٣) الوافي في شرح الشاطبية : ص

تخفف ولو بعض الشيء في اسلوبه الذى لايزال غضا كأن عهده بالوجود أمس "(١)

" وتلك حقيقة يدركها العالم والجاهل ، فان أى قطعة نثرية أو شعرية من كلام البشر لا تلبث أن تبلى اذا كررت على الانسان مرتين أو ثلاثا فى اليوم وتصبح ممجوجة مملة اذا كررت عليه فى كل يوم ثلاث مرات لمدة شهر، وهذا ينطبق على كل قول من اقوال البشر، حتى تلك القصائد والمقطوعات الشعرية الملحنة بآلات الطرب والموسيقى ، ويعرف المغنون ذلك فيشترطون على الاذاعات عدم اذاعة اغانيهم كل يوم حتى لا تبلى تلك تلك الاغانى وتمل ٠٠

أما كلام الله فالبرغم من أنه يتكون من نفس الاحرف التى يتكون منها كلام الناس ، ويتركب من نفس الكلمات ، فان كل مسلم يعرف أنه يردد فاتحة الكتاب كل يوم اذا صلى الفروض ــ فقط ــ سبع عشرة مرة أما اذا صلى السنن فانه يرددها أكثر من واحد وثلاثين مرة كل يوم، وليس لمدة شهر فقط بل طوال العمر كله فما شعر مسلم يوما ما أن الفاتحة قد ابلاها الترديد فأصبحت قديمة كما هو الحال فى كلام البشر " (٢)

" ولذلك سهل على أكثر البلغاء والعلماء من أهل البحث والورع أن يختموا القرآن مرة فى كل يوم، وهو أمر فاش لا سبيل بعد إلى المكابرة فيه ، وكان كثير منهم اذا أقبل على ربه ، ووقف بين يديه فى صلاته

---

(١) الزندانى : التوحيد ، ٣/ ٦٢

(٢) الزاندانى :

قرأ في الركعة الواحدة سورة من الطوال أو سورتين الى ربع القرآن، وهو في ذلك مستغرق لا يمل، وكأنه وليس في الأرض، أو ليس من أهلها "(١)

وما من لحن موسيقى، أو نظم شعرى اذا طال أو تكرر الا أورث سامعه السأم والملل، وضعف تأثيره فيه، ولكن قارئ القرآن أو المصغى اليه في نعيم منه وابتهاج بأنغامه المتنوعة المتجددة تهتز لها أوتار قلبه فالقرآن لا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد كما اخبر عليه الصلاة والسلام، وهو أمر شهير عند اصحاب الحس السليم والزوق الرفيع ...

والآن الى ما وعدناك به من الأمثلة ذاكرا بعض المواقف التي تعبر عن أثر القرآن في اصحابها، ولنبدأ بالمشركين الأولين حيث يذكر لنا التاريخ " أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش :وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يامعشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا.

فقالوا أنت يا أبا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقول به. قال بل فقولوا : اسمع قالوا : نقول كاهن. قال لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة (٢) الكاهن ولا سجعه، قالوا : فنقول مجنون قال : ماهو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرضناه فما هو ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا فنقول : شاعر. قال : ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله

---

(١) الرافعي : اعجاز القرآن، ص٢٣٣

(٢) الزمزمة كلام خفي لا يسمع

رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضة ومبسوطة فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم (١)

قالوا : فما تقول أنت يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق (٢) وان فرعه لجناة (٣) وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل . وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء يقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك "(٤)

وشاهدنا في القصة أن الرجل على شركه اعترف بحلاوة القرآن وأنه ذا أثر حتى أنه يفرقه بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، وأي شيء أحب الى المرء من هولاء وقد حدثنا التاريخ أن من الناس من اسلم وهجر كل أولئك فأى أثر أقوى من هذا ؟! ..

ويحدثنا التاريخ " أن عتبة بن ربيعة ــ وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادى قريش " ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ ... فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا بابن اخي انك مناحيث قد علمت السطه (٤) في العشيرة، والمكان في

---

(١) كان الساحر يعقد خيطا ثم ينفث فيه

(٢) العذق بالفتح : النخلة

(٣) الجناة : مايجنى

(٤) عبد السلام تهذيب السيرة ابن هشام ، ص٦٩

(٥) السطة : الشرف ، من الوسط كالعدة من الوعد

وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم وعبت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها؟ فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قل يا أبا الوليد اسمع . قال : يا ابن أخي ، ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا (١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع (٢) على الرجل حتى يداوى منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني قال : أفعل . قال : " بسم الله الرحمن الرحيم " حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه " ثم مضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة انصت لها ، والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم — الى السجدة منها (٣) فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ..

---

(١) الرئي : ما يتراءى للانسان من الجن

(٢) التابع : الصاحب من الجن

(٣) هي قوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون "

فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض : تحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنى سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش اطيعونى واجعلوها بى ، وخ بين هذا الرجل وبين ماهو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ... قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم " (١)

وتلك شهادة أخرى أرأيتم كيف ذهب الرجل وكيف عاد وهو لم يسمع من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا غير القرآن فما اعظم الأثر الذى تركه فيه وهو المشرك وهناك مواقف من هذا النوع للمشركين كثيرة نكتفى منها بما ذكرنا ... أما أثر القرآن فى المؤمنين به فلا حدود له فيكفى أنهم آمنوا به ويكفى أنه ارتفع بهم من رعاة جمال الى قادة وسادة وكانت سببا فى نهضتهم فملاءوا الآفاق تمدينا هولاء الذين تربوا بسماع القرآن وترتيله وتدبره (فانظر الى رسوخهم فى الايمان) وصبرهم على اذى المشركين واضطهادهم اياهم ليفتنوهم عن دينهم ، ثم مجاهدتهم لهم عند الامكان بعد الهجرة ومجاهدة اعوانهم من أهل الكتاب (اليهود) وتطهيرهم الحجاز وسائر جزيرة العرب من كفر الفريقين فى عهده صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) عبد السلام هارون : تهذيب سيره بن هشام ، ص٧٢و٧٣

وقد كانت مدة البعثة المحمدية كلها عشرين سنة ...

ثم تأمل ما كان من تدفقهم انفسهم كالسيل الآتي على الاقطار من نواحي الجزيرة كلها ، والظهور على ملكي قيصر وكسرى أعظم ملوك الأرض وازالة الظلم والشرك منهما ونشر التوحيد والحق والعدل فيهما ، ودخول الأمم في دين الله افواجا "[١] وما كان كل ذلك الا بأثر القرآن فيهم وكل مواقفهم التاريخية الثابتة انما نتاج هذا الأثر ولكننا نسوق اليك مواقف الأولين من الصحابة قبل اسلامهم فكانت سببا في ايمانهم لما احسوا به من أثر القرآن في قلوبهم ... فهذا هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان اسلامه " ان اخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد اسلمت ، وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام ، رجل من قومه من بني عدى بن كعب ، قد أسلم ، وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه[٢] ، وكان خباب بن الا يختلف الى فاطمة بنت الخطاب ، يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوحشا سيفه يريد رسول الله ورهطا من اصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفاء ... فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد ياعمر ؟ فقال : اريد محمدا هذا الصابىء .. فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ افلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال وأى أهل بيتي ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وا تك فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا

---

(١) رشيد رضا : الوحي المحمدى ، ص١٤٩

(٢) الفرق : الخوف

محمدا على دينه ، فعليك بهما (١) فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه (٢) وعند همـــا

خباب بن الارت معه صحيفه فيها (طه) يقرئهما اياها . فلما سمعـوا

حس عمر تغيب خباب فى مخدع (٣) لهم أو فى بعض البيت ، واخذت فاطمة

بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا الى

البيت ، قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ماهذه الهيمنة (٤) التى سمعت؟

قالا له : ماسمعت شيئا ، قال : بلى والله ، لقد أخبرت انكما تابعتـما

محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت اليه اخته فاطمة

بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له

اخته وختنه : نعم ، لقد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لـك !

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما كان صنع فارعو وقال لأُخته :

اعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به

محمد ــ وكان عمر كاتبا (٥) ــ فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليهـا

قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك

طمعت فى اسلامه فقالت له يا أخى انك نجس ، على شركك ، وأنـه

لا يمسها الا الطاهر، (٦) فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها

فلما قرأ منها صورا قال : ما احسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خبـاب

---

(١) انما امر أن يصرفه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشية عليه وايذاء فاطمة ، وزوجها أهو من ذلك أمرا

(٢) زوج البنت أو الأخت

(٣) المخدع بيت صغير داخل البيت الكبير

(٤) الهيمنة : صوت كلام لا يفهم

(٥) أى عارفا بالكتابة

(٦) اختلف فى الطهارة عند لمس المصحف ، فقيل فرض وقيل مندوب

خرج اليه فقال له ياعمر ؛ والله انى لأرجوا أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فانى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله ياعمر : فقال له عند ذلك عمر فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه "(١) وكان ذلك سببا فى اسلامه وما كان أحد يحلم بذلك بل كانوا يتوقعون أن يسلم حما الخطاب قبل أن يسلم عمر يأسا منه ولكنه القرآن فعل فيه ذلك الفعل العجيب !

ولقد روى البخارى فى صحيحه عن محمد بن عن أبيه ، قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ فى المغرب بالطور: وذلك أول ما وقر الايمان فى قلبى "(٢)

وغير ذلك كثير ، أما أثر القرآن فى أهل الكتاب قديما فيعبر عنه ايمان الكثيرين منهم به الذين يقولون كما أخبر الله عنهم (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)(٣) أما فى هذا العصر فلدينا مواقف لأهل الكتاب منهم من آمن بالقرآن واعلن اسلامه ومنهم من تأثر وعبر عن هذا الشعور ولكنه لم يعلن اسلامه ولكل نسوق اليك الأمثله فمن الأولون اليك المواقف التالية :

" لقد ذكر أدرك هذا أحد فلاسفة فرنسية فذكر كتاب له قول دعاة

---

(١) عبد السلام هارون : تهذيب سيره ابن هشام ، ص٨٨و٨٩

(٢) كتاب المغازى والسير، قبيل باب تسميه من سمى أهل بدر

(٣) الزمر: ٣٢

النصرانية أن محمدا لم يأت بآية على نبوته كآيات موسى وعيسى ، وقال في الرد عليهم : ان محمدا كان يقرأن القرآن خاشعا ، أواها متألها فتفعل قراءته في جذب الناس الى الايمان مالم تفعله جميع آيات الانبياء الاولين "(١)

وهذه ابيات من قصيدة تحت عنوان الحق أولى أن يقال أرسلها مؤلفها ضمن رسالة للشيخ رشيد رضا نقلها في كتابه الوحي المحمدي وهي من الدكتور شبلي شميل المادي الذي كان كاثوليكيا يعبر فيها عن هذا المعنى حيث يقول :

انى وان أك قد كفرت بدينه   هل اكفرت بمحكم الآيات

أو ماحوت في ناصح الالفاظ من   حكم روادع للهوى وعظات

وشرائع لو أنهم عقلوا بها   ما قيدوا العمران بالعادات (٢)

وهذه حادثة في صميم هذا المعنى وهي بليغة جدا يقصها لنا الشهيد سيد قطب في كتابه ظلال القرآن يقدم لها بقوله "ان الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري ... أن له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشري ، حتى ليبلغ احيانا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفا ... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول ــ وان لم تكن هي القاعدة ــ ولكن وقوعها يحتاج الى تفسير وتعليل ... ولن اذكر نماذج مما وقع لغيري

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي : ويقول عن ذلك أن شيخه محمد عبده اسمعه ذلك من كتاب كان يطالع ولم يحفظ اسم الكتاب ولا مؤلفه ص ١٦

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٠

ولكنى أذكر حادثا وقع لى وكان عليه معى شهود سته ، وذلك منذ حوالـــى خمسة عشر عاما ٠٠٠ كنا ستة نفر من المنتسبين الى الاسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر عباب المحيط الاطلسى الى نيويورك ، من بين عشرين ومائـــة راكب وراكبة اجانب ليس فيهم مسلم ٠٠٠ وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعـــة فى المحيط على ظهر السفينة ! والله يعلم ــ أنه لم يكن بنا أن نقيـــم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية ازاء مبشر كان يزاول عمله علـــى ظهر السفينة ؟ وحاول أن يزاول تبشيره معنا ! ٠٠٠ وقد يسر لنا قائـــد السفينة ــ وكان انجليزيا ــ أن نقيم صلاتنا وسمح لبحارة السفينة، وطهاتها وخدامها ــ وكلهم نوبيون مسلمون ــ أن يصلى منهم معنا من لا يكون فـــى الخدمة وقت الصلاة ! وقد فرحوا بهذا فرحا شديدا ، اذ كانت المـــرة الأولى التى تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة ٠٠٠ وقمت بخطبـــة الجمعة وامامة الصلاة ، والركاب الأجانب معظمهم ــ متحلقون يرقبـــو ن صلاتنا ! ٠٠٠ وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجـــاح (القداس) !!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا ! ولكـــن سيدة من هذا الحشد ــ عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته ! ــ كانت شديدة التأثر والانفعال ، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها ٠ جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول : فـــى انجليزية ضعيفة ــ انها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هـــذه وما فيها من خشوع ونظام وروح ! ٠٠٠ وليس هذا موضع الشاهد فـــى القصة ولكن ذلك كان فى قولها أى لغة هذه التى كان يتحدث بهـــا (قسيسكم) ! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم الصلاة الا قسيس ــ أو رجـــل

دين ـ كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة) وقد صححنا لنا هذا الفهم (... واجبناها فقالت : ان اللغة التى يتحدث بها ذات ايقاع موسيقى عجيب ، وان كنت لم افهم منها حرفا ، ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهى تقول : ولكن هذا ليس الموضوع الذى اريد أن أسأل عنه .. ان الموضوع الذى لفت حسى هو أن الامام ـ كانت ترد فى اثناء كلامه ـ بهذه اللغة الموسيقية ـ فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه (نوع أكثر موسيقية واعمق ايقاعا ... هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فى رعشة وقشعريرة ! انها شىء آخر ! كما لو كان الامام ـ مملوءا من الروح القدس (ـ حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها) وتفكرنا قليلا ثم ادركنا أنها تعنى الآيات القرآنية التى وردت فى أثناء خطبة الجمعة وفى اثناء الصلاة ، وكانت مع ذلك ـ مفاجأة لنا تدعو الى الدهشة ، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئا ...

وليست هذه قاعدة كما قلت . ولكن وقوع هذه الحادثة ووقوع امثالها مما ذكره لى غير واحد ـ ذو دلالة على أن فى هذا القرآن سرا آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته "(١)

ومن هؤلاء ننتقل الى رجال اسلموا فنقضى معهم بقية الوقت حتى نهاية هذا الفصل وهؤلاء قد كان للقرآن أثره العميق فى انفسهم حتى جرهم للايمان به فقد كان سبب هدايتهم مجرد اطلاعهم على القرآن وهذه قصص مختصره لاسلامهم وما نورده هنا غيض من فيض ..

---

(١)

نستهلها بالأديب الشاعر المعاصر نقولا حنا الذى يقول :

" قرأت القرآن فأذهلنى ، وتعمقت به ففتننى ، ثم اعدت القـراءة فآمنت ... آمنت بالقرآن الالهى العظيم ، وبالرسول من حمله .. النبى العربى الكريم ، أما الله فمن نصرانيتى ورثت ايمانى به ، وبالفرقـان عظم هذا الايمان .... وكيف لا أومن ومعجزة القرآن بين يـدى انظرها وأحسها كل حين ... وهى معجزة لا كبقية المعجزات .. معجزة الهيـة خالدة تدل بنفسها على نفسها وليست بحاجة لمن يحدث عنهـا أو يبشر بها ...

وكم احتاجت وتحتاج الاديان السابقة الى علماء ومبشرين وشواهد وحجج وبراهين لحض الخلق على اعتناقها اذ ليس لديها ماهو منظـور محسوس يثبت اصولها فى القلوب ، أما الاسلام فقد غنى عن كل ذلـك بالقرآن فهو اعلم معلم واهدى مبشر ، وهو اصدق شاهدا وابلغ حجة ، وارفع برهانا ... هو المعجزة الخالدة خلود الواحد الازلى ، المنظورة المحسوسة فى كل زمان ... ومن ايمانى العميق هذا استلهمت ابيات قصيدتى هذه "(١)

يقولون ما آياته ضل سعيهـم	وآياته ليست تعد عظـام
كفى معجز الفرقان للناس آية	علا وسما كالنجم ليس يـرام
فكل بليغ عنده ظـل صامتـا	كأن على الافواه صـر كمـام
كفى نصره فردا تعاديـه أمه	ومن ينصر الرحمن ليس يضـام
وشاء اله العرش بالناس رحمة	وأن يتلاشى حقد هـم وخصـام
ففرق مابين الضلالة والهـدى	بفرقان نـور لم يشبـه قتـام

(١) نقولا حنا : فى وحى القرآن : ص١

أتاهم بقرآن السلام رسولـه | فطاف بأرجاء البلاد سـلام
كتاب هدى لا ريب فيه شرع | وللسلم والعمران فيه دعـام
مفصلة آياتـه عربيـة | فصاح بها عز البيـان عظـام
تلا كتب التنزيل لكن مكملا | فذى أول التشريع وهو ختـام
فصيح بليغ نطقه وبيانه | قريـب بعيد فهمـه ومـرام
تنزه عن هجر فما اللفظ فاحش | ولا فيه بهتان وليس يـذام
تجاوب أصداء التلاوة قبا | فشق لها فى المشرقين امـام (١)

ولقد تأثر الرجل بالقرآن الكريم هذا التأثر الذى عبر عنـه بقصيدته هذه حيث دخل القرآن الى اعماق نفسه ونفذ حبه الى صميم كيانه فهز شعوره المرهف والرجل شاعر والشعر لا يأتى الا عن تأثر .. ومن هنا ننتقل الى فنسمع الى قصة الاسلام ...

الأخ الامريكى (توماس محمد كلايتون) الذى كان نصرانيـا قد صدمته الكنيسة بمتناقضاتها فأهمل أمر الدين ولم يعد يبالى به فاستمع اليه يكمل قصته فيقول " ومضت فترة طويلة كنت خلالها غافلا عن الدين الى أن جاء اليوم الذى قدر لى فيه أن اكتشف شيئا جديدا كان مـن شأنه أن يغير حياتى من جذورها ومن حيث لا أدرى ...هذا الشىء الذى اكتشفته كان عبارة عن ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الانجليزية بقلم الانجليزى المسيحى جورج سيل وجدتها صدفة فى مكتب صديـق لى ، فجلست على انفراد وبدأت فى قراءتها ... ولعل يد الله وحدها

---

(١) المصدر السابق ص ٨

هى التى اضاءت سراج الوعى الدينى فى رأسى ، فبالرغم عن انتقادات الموءلف جورج سيل المقذعة والمجحفة للاسلام ونبيه وعلى الرغم عن أوهامه السوداء فقد انسابت كلمات الله الى عقلى ...

وهكذا كانت تلك التجربة ايذانا بفتح الباب الذهبى الذى ادخلنى الى عالم جديد من السعادة والنور والاحساس بالارادة الربانية السماوية .

فانظر أيها القارىء هل تجد أثرا أقوى من هذا .. كتاب توجم ولم تحسن ترجمته ومع ذلك وجهت اليه الانتقادات ثم يظل أثره رغما عن ذلك باقيا فيأتى الامر على عكس ما كان يريد مترجمه وهو ابعاد الناس وتنفيرهم عنه ... فأى كتاب هذا ان لم يكن من عند الله ...

وهذه قصة الأخ وليد أحمد أسعد الذى كان يسمى من قبل (شاكر جورج نابل رشيد) وهو كان من قبل من مسيحى لبنان من مواليد سنة ١٩٣٨ ... (١)

وها هو يقول عن بداية اسلامه " لم تكن لدى أية فكرة عن الاسلام ... وكل ما كنت اعلمه هو اننى مسيحى وحسب .. وذات يوم وجدت لذى زميلى المسلم كتابا جديدا لفت نظرى فسألته ...

ــ ما هذه القصة الجديدة يامحمد ؟

ــ هذا هو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم واسمه جزء عم .

فاقتربت قليلا وحاولت التقاط الكتاب لأطلع عليه فنهرنى صديقى المسلم

---

(١) انظر رجال ونساء اسلموا : لعرفات كامل : ٣ / ٢١

بلهجة حازمــة ..

ــ لا يمسه الا المطهرو ن ...

وظننت أنه يمازحني لما بيننا من مود ة ومزاح ، ولما علمت أنه

كان جادا فيمايقول، قلت له حسنا اني على استعداد لأن اتطهــــر

فالأمر بسيط وتقدمت نحو الكتاب فمنعني وقال :

ــ اذهب وتوضأ اعلمك ثم اغتسل . فقلت له :

ــ ارني كيف اتوضأ . ففعل صديقي ذلك امامي فقلدته ثم ذهبــت

واغتسلت ولما فرغت امسكت الكتاب وفي نفسي لهفة لمطالعة مافيــه

فقرأت سورة عم وبعض السور الاخرى . شعرت أن هذا الكلام يلقـى

حنينـا وتجاوبا من اعماق قلبي وواصلت القراءة حتى بلغت قوله تعالى

: (عبس وتولى أن جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى . أو يذكـر

فتنفعه الذكرى ،أما من استغــــنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى

واما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى . كلا ، انهاتذكره)

ــ هل لك أن تشرح لي مناسبة هذا الكلام .

ــ لست بمنفعة في الدين ويكفيك من تقصيري أنني لا اصلي . فقلت له :

ــ ولكن مشوق لمعرفة سبب هذا العتاب وقصته ومن هو المخاطب بــه

فقال :

ــ سأخذك الى أحد العلماء في هذه المدينة فأجبته ... وفي اليـوم

التالي جلسنا الى الشيخ المسلم في بيته ... فقلت له :

ــ هل لك أن تشرح لي معنى الآيات عبس وتولى الى قول القرآن (كـلا

أيها تذكر فقال : يابني ان هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالـى

نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمـــــد

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى هذه الآيات يتوجه الله سبحانه الى

معاتبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام لأنه الد الى رهط من

سادة العرب طمعا فى اسلامهم ، ونزل رجلا اعمى جاء يسأله عن

أمور دينه . ولما قاطعه الاعمى والح عليه فى السوءال بدا شـــى ء

على وجه النبى الكريم فنزلت هذه الآيات لتصحيح الموقف

ووضع الأمر فى نصابه فقلت متعجبا :

ـ الله ! الله ! اذن ليس هذا القرآن من عند نبيكم محمد كما يقول

رهباننا فقال الشيخ :

ـ هذا زعم باطل يا بنى فقلت :

ـ لقد ثبت لى الآن فعلا أن القرآن لا بد أن يكون من عند الله ..

فقال الشيخ :

ـ وماذا سمعت من مزاعم اخرى من هولاء الرهبان المضللين :

ـ سمعت منهم أن محمدا تعلم القرآن من الراهب ، وقد عرفت الآن

أن القرآن ليس من وانما هو من اله الكون الذى يعاتـــب

محمدا هذا العتاب لا لتفاته عن الرجل البسيط الاعمى فقال الشيخ :

ـ بهذا ترى أن دين الاسلام هو الدين الحق وقد جاء به الرسول

الكريم من عند الله ليقوم الناس بالقسط لا فرق بين غنيهم وفقيرهم

ـ نعم نعم شكرا لك ايها الشيخ الكريم وارجو أن تتاح لى فرصـــة

أخرى للقائـــك .

ـ وأنا يسعدني مثل هذا اللقاء في اية لحظة ..

ـ وداعا

ـ في رعاية الله .

عاوت قراءة القرآن ، وكان يشدني اليه شعور خاص لم اكن اعرف لـــه تفسيرا "(١)

هذه هي بداية قصة ايمان هذا الأخ وهو القدر الذي يهمنـــا ايراده في هذا المقام لبيان مدى أثر القرآن في النفوس ومنه لننتقـل الى قصة أخرى ..

ولقاءنا الآن مع أحمد عبد الله كوبيســل الأخ الالماني

وقد كان اسمه من قبل (مانفرد كو) من مواليد سنة ١٩٣٧ فـــي برلين(٢) وها هو يحكـي لنا قصة اسلامه فيقول :

" سافرت الى تونـس حيث يعمل أخ لي ..اسمه مانفرد وهو مهندس ... وهناك افتتحت مدرسة لتعليم اللغة ...

حدث أن التحق بمدرستي المذكورة سبعة من الطلاب كانـــوا في فصل واحد وكلهم من عائلة مشهورة عريقة في تونـس هي عائلة بن غوريال وكانوا جميعا على درجة كبيرة من الخلق ، والذكاء الخارق . فاسترعـــى ذلك انتباهي كمدرس لهم فأخذت اسألهم عن سر ذلك .

ـ اننا مسلمون .

ـ ولكـن رأيت كثيرا من المسلمين في كل مكان من اوروبا وتركيا وغيرهـــا

---

(١) عرفات كامل : رجال ونساء اسلموا : ٢/ ٢٢ـ٢٥

(٢) " " " " " ١٢٥/٢

فلم يعجبني حالهم .

ـ نحن نحاول يااستاذنا الفاضل أن نعيش بالاسلام كمنهج حياة اننا نحاول تطبيق الاسلام في الواقع .

ـ هل لكم ان تحدثوني عن هذا الدين الذي تؤمنون به

ـ بكل سرور يا استاذنا : لقد انزل الله القرآن على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الايمان بالله وبرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) وبجميع الانبياء والمرسلين السابقين كما دعاهم الى الايمان بأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خاتم الانبياء والمرسلين هل لك ان تتقبل نسخة من القرآن هدية كي تقرأ بنفسك وترى مدى صحة ماتقول ؟

ـ يسعدني ذلك ولكن لا اعرف العربية ، وعلى كل حال سأبعث رسالة الى المانيا لطلب نسخة من الترجمة الالمانية لمعاني القرآن .

ـ حسنا فعل .

وجاءت نسخة القرآن المفسر باللغة الالمانية ، فاستلمتها ووضعتها على مكتبي ومضت فترة من الزمن حتى كانت مناسبة عيد رأس السنة الميلادية لعام سنة ١٩٦٦ وكعادة النصارى في ذلك العيد ذهبت وأخي (مانفرد) الى حفلة عيد الميلاد في تونس وما أن جلست في الحفل ، وارتشفت رشفتين من الخمر حتى احسست بألم شديد لم استطع عليه صبرا . ثم اصبت بغيبوبة . فما كان من أخي .. الا أن اخذني بسيارته الى السكن الذي كنت أعيش فيه وحاول اعادتي الى حالتي الطبيعية فلم تفلح مساعيه . ومضى الليل كله

حتى اذا كان اليوم الذى يليه استيقظت من غيبوبتى وتحسنت صحتى وكدت اشعر برغبة شديدة واقبال على القراءة ... قراءة أى شىء فالتفت حولى فاذا بنسخة القرآن باللغة الالمانية أمامى وكأنها تدعونى الى قراءتها فأمسكت بها وأخذت فى قرأتها بدون توقف ، وما تركتها حتى فرغت من قراءتها بأكملها واستغرق ذلك منى يومين كاملين كان الخدم اثناءهما يقدمون لى الطعام ..

لقد احسست حين اكملت قراءة الترجمة الالمانية لتفسير القرآن بروح جديدة تدب فى عروقى ــ شعرت بحياة مجدده تسرى فى كيانى ، كل شىء فى جسمى ونفسى كان يهتف قائلا أنا مسلم ! انا مسلم ، لقد كنت واثقا من أننى لا بد أن اعلن اسلامى فتوجهت الى مفتى تونس الشيخ الفاضل بن عاشور الابن واشهرت اسلامى أمامه "(١)

فأنظر أيها القارىء الى هذا الاثر الذى أوجده القرآن فى نفس هذا الرجل وما اقواه من أثر رجل مريض ينهمك فى قراءة كتاب ولا يتركه الا وقد قضى على كل صفحاته ، ولا سيما أن حجم التفسير يكون أكبر بكثير من (المصحف) ضرورة عدم امكان سد سد اللغة العربية فى هذا فغيرها لا يفى بالغرض ولا يوءدى المعنى الا بقدر هائل من الكلمات مقابل كلمات يسيرة فى القرآن الكريم ، فهل لو تمكن هذا الأثر فى كتاب غير القرآن ! ذلك ما ليس له من وجود ومن يحلم كتابا فيه مثل هذه الحقيقة فلوأوفينا به ! وأنى له ؟!

ومن هذه القصة ننتقل الى أخرى ...

---

(١) عرفات كامل : رجال ونساء اسلموا ، ص ١٢٧/٢ ــ ١٢٩

وهى قصة الأخ الامريكى محمد طاهر من ولاية كنزاس ٠٠٠ ولد قبل الحرب العالمية الثانية بعشرة أشهر ٠٠٠ ويحكى هذه القصة الاسلامية وقد كان صغيرا وقتها فيقول :

" بينما كنت اتجول فى السوق مع والدتى عثرت على طبعة حديث من كتاب (المحمدية) للمؤرخ الانجليزى الكبير جينز) ما الكتاب وقرأته مرات عديدة، وفى الكتاب المذكور يورد المؤلف عددا من الآيات من القرآن الكريم حفظت كثيرا منها باللغة الانجليزية ولا ازل اذكر حتى الآن أن آيتى المفضلة بالذات هى الآية التالية :

(وانا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) البقرة ٠٠

كم من ليلة كنت اجلس وحيدا تماما عند نافذة غرفتى اتأمل السماء والمزينة بالنجوم وأردد هذه الآية مرات ومرات ، وفى ليلة من الليالى أحسست اننى اصبحت مسلما ــ كنت آنذاك شابا صغيرا فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرى لم يسبق لى أن قابلت أى أخ مسلم ، لقد أسلمت ووضعت مصيرى فى يد خالقى :

" اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا " النصر ٠٠

بهذه الكلمات يختم الأخ محمد طاهر حديثه عن نفسه "

ولا يفوتنا أن نذكر أن الأخ محمد طاهر قد انشأ جمعية اسلامية كبيرة سماه (جمعية الفرص الاسلامية اللا محدودة) وله نشرة تصدر وتحت عنوان (اسلامك) يتبنى فيها قضايا الاسلام ويدافع عنها ويرد على

كتابات الاعداء ويلاقى فى ذلك الكثير والتهديد والمشقة فى هذا

السبيل — وعنده برنامج اذاعى فى اذاعة — واشنطن —

يبث فى اربعة محطات اذاعية مختلفة : تحت عنوان الاسلام وماذا يعنى

لأمريكا المعاصرة وله نشاطات غير ذلك ..(١)

أما قصتنا الأخيرة فانها لامرأة هى الاخت السيده (مريم جميلة)

الامريكية صاحبة عدد من المؤلفات أهمها (الاسلام بين العقيدة والتطبيق)

(والاسلام ومذهب التجديد) وغيرها ولها مقالات كثيرة فى الصحف

والمجلات الاسلامية التى تنطق بالانجليزية

فالنستمع اليها تحكى لنا جزءا من قصتها فتقول :

" بينما كانت أمى تستعد للذهاب الى المكتبة العامة سألتنى عن

حاجتى الى مطالعة أى كتاب ، فطلبت منها نسخة من القرآن الكريم فعادت

بعد ساعة ومعها نسخة من ترجمة القرآن لمبشر وعالم مسيحى عاش فى القرن

الثامن عشر وهو (جورج سيل) فلم أفهم منها الا القدر اليسير تبعا

للغتها الركيكة وامتلائها بالتعليقات الكثيره من البيضاوى والزمخشرى

المنتزعة من سياقها ، وذلك بقصد وضع النص القرآنى من وجهة النظر

المسيحية وفى ذلك الحين كان عقلى الناقص النمو يعتبر القرآن مجرد

روايات مشوهة محرفة للقصص المعروفة فى الانجيل . ولم يكن بوسعى أن

ابتعد عن التأثير بالقرآن الكريم بالرغم من أن انطباعاتى الأولى عنه كانت

سلبية ، فقد اخذت أقرأه بصورة مستمرة طيلة ثلاثة أيام بلياليها وعندما فرغت

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٢٢

من قراءته كانت جميع قواى قد استنفذت ، ورغم انني كنت في التاسعة عشر من عمري شعرت بضعف شديد " كما لو كنت امرأة في الثمانين ولم استرد كامل قواى أو نشاطي بعد ذلك ..

وهكذا ظللت احمل فكرة هزيلة عن القرآن الكريم حتى كان يوم من الايام عثرت في احدى المكتبات على نسخة رخيصة من ترجمة (لمحمد مرمادوك بكثال) فما أن فتحت ذلك الكتاب حتى شعرت أنه وحي من السماء فقد جرفني اسلوبه الفصيح " وهكذا اسلمت هذه المرأة بقوة التأثير المباشر للقرآن الكريم كما اسلم كثير غيرها . ...

والى هنا ينتهي بنا الحديث في هذا الصدد والى غيره ننتقل والله هو خير معين ...

الفصل الرابع

الاعجاز العلمي

قدمنا أن القرآن لا يتعارض البتة مع العلم اليقين على الرغم من نزوله منذ اربعة عشر قرنا من الزمان في عهد من الجهل التام بل يشتمل على حقائق علمية ناصعة تتبلور كل يوم مع تقدم العلم الحديث ، وتطور اجهزته ووسائله ، ولا غرو فقد أخبر تعالى في كتابه أنه سيكشف للناس خفايا هذا الكون ، ودقائق هذا الانسان ، حتى يتبين لهم أن هذا القرآن حق، وذلك بمطابقته لما سيعرفه الانسان عن الكون وعن نفسه كما تنطق الآية الكريمة في قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[1] ولقد تحدث القرآن عن كثير من قضايا هذا الكون لم تكن معروفة للناس من قبل الى وقت قريب وهذا يضع الانسان أمام حقيقة لا ريب فيها وهي : أن خالق هذا الكون ومنزل القرآن واحد ـ كما ذكرنا من قبل ـ ولما كان الانسان عاجزا عن ايجاد شيء في هذا الوجود فانه كذلك عاجز عن أن يأتي بهذا القرآن وبهذا تتأكد ربانية مصدره فالقرآن ليس من شأنه أن يخضع للطاقة الانسانية في شيء وما اظهرته الكشوف الحديثة يشكل سبقا بينا للقرآن على البشرية مقداره اربعة عشر قرنا ، ولا يوجد فكر انساني يتفوق على الدنيا بهذه الدرجة ويسبقها هذا السبق البعيد ـ ومع ذلك لم يتمكن أحد من اثبات آية اخطاء علمية فيه ، ولو كان كلاما لمخلوق لكان هذا ضربا من المستحيل ؛ فلا وجود

---

(١) فصلت : ٥٣

لكلام بشرى تدوم صحته كليا ، حيث لا نجد مطلقا كتابا مضى عليه حين من الدهر الا وفيه اخطاء فى ناحية من نواحيه نظرا للكشوف الجديدة فى كل الميادين ، ناهيك عن أن يكون قد مضى عليه قرون عديدة ...

وسلامة القرآن من ذلك تنفى بشريته البتة ـ وفيما يلى حقائق علمية ثابتة لا تقبل الجدل . قد أشار اليها القرآن ولا يستطيع أحد انكارها مثل كروية الأرض التى صورت بالفعل من القمر فلن تصبح الأرض مربعة ، أو مثلثة ، أو مسطحة . فتلك حقيقة ثابتة ومثلها كل قوانين الفزياء .. وكل الحقائق الفلكية التى تأكدت بالرصد والتصوير، ومثلها الحقائق الخاصة بالتشريح والفسيولوجيا . فكل هذه ثوابت ، وكلها تتفق مع القرآن فهى تأييد له ، وفيها دعوة للناس أن يؤمنوا بهذا الكتاب ، وتثبيت لقلوب المؤمنين ـ ان شاء الله ..

والآن لندخل الى هذه الساحة مستعينين بالله لنورد منها ما يتيسر

الماء هو العنصر الأساسى للحياة :

يقول تعالى : (وجعلنا من الماء كل شىء حى)[1]

وهذا ما أكده العلم الحديث فمن خلال تحاليل الكائنات الحية اتضح أن الماء يكون من ٨٠ ـ ٩٠ ٪ من وزنها فهو لذلك عنصر أساسى فى الكائن الحى ، اذ لا بد من وجوده ليحيا الكائن ، فهو يكون أكثر من ثلاثة ارباعه ، ويقرر العلم الحديث أن جميع المواد الغذائية اللازمة للأحياء على اختلاف أنواعها ناتجة اصلا من النبات حيث تكونت فيه باتحاد كيماوى

---

(١) الانبياء : ٣٠

حيوى بين الماء وثاني اكسيد الكربون غير أن آخر الابحاث قد دلت على أن المواد الغذائية التي هي السبب في حياة الانسان مصدره الماء وحده برغم أن الاكسجين الموجود في ثاني اكسيد الكربون ضعف الموجود في الماء ولكن الله اختص الماء بأن يكون الاكسجين الذي يدخل في تكوين اللبنة الأولى من المواد الغذائية منها وحدها دون غيرها وذلك منتهى الاعجاز اذ أن هذا الاكتشاف قد تم بالاستعانة بالعناصر المشعة والاجهزه الحديثة التي عرفت قريبا فمن اين لمحمد معرفة ذلك ان لم يكن هذا القرآن من الله تعالى وحده "(١)

الضغط الهوائي :

قال تعالى في سورة الانعام(٢) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) ويهمنا هنا من هذه الآية جزؤها الأخير (يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) ..

والذي نفهم منه أن الصاعد الى السماء يضيق صدره وهذا ما اعتراه العلماء حديثا الى الضغط الجوى الذي بسببه يحصل ضيق في التنفس يزداد كلما صعد المرء في طبقات الجو العليا ... وهذه حقيقة علمية كما سيأتي بيانها قد سبق اليها القرآن ، حيث لم تكتشف الا بعد اختراع

---

(١) عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث ، ص ٩٤ و٩٥ بتصرف واختصار
وانظر عبد الحميد دياب وقرقور: مع الطب في القرآن ص ٧٢ و٧٣

(٢) الآية : ١٢٥

الطائرات والبالونات فى هذا العصر الحديث ، وما كان يمكن الوصول الـى معرفتها لولا ذلـك ، ولكن القرآن قد أشار الى هذه الظاهرة منذ زمـان بعيد ، فى وقت يعتبر فيه الصعود الى السماء ضربا من الخيال والتعليل العلمى لهذه الظاهرة يرجع الى سببين :

١ ـ انخفاض نسبة الاوكسجين فى الارتفاعات العالية فهى تعادل ٢١ ٪ تقريبا من الهواء فوق سطح الأرض ، وتنعدم نهائيا فى علو ٦٧ ميلا • ويبلغ توتر الاوكسجين فى الاسناخ الرئوية عن سطـح البحر ١٠٠ مم ولا يزيد عن ٢٥ مم فى ارتفاع ٨٠٠٠ متر حيـث يفقد الانسان وعيه بعد ٢ ـ ٣ دقائق ثم يموت •

٢ ـ انخفاض الضغط الجوى : ان أول من اكتشف الضغط الجـوى هو العالم تورشيلى وقدره بما يعادل ضغط عمود من الهـواء المحيط بالأرض على سطح ١ سم ٢ منها وهو يساوى ضغط عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ، وينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عـن سطح الأرض مما يؤدى لنقص معدل مرور الهواء عبر الاسناخ الرئوية الى الدم كما يؤدى انخفاض الضغط لتمدد غـازات المعدة والامعاء التى تدفع الحجاب الحاجز للاعلى فيضغـط على الرئتين ويعيق تمددها وكل ذلك يؤدى لصعوبة فى التنفس وضيق يزداد حرجا كلما صعد الانسان عاليا ، حتى أنه تحصـل نزوف فى الأنـف أو الفم تؤدى أيضا للوفاة • ولقد أدى الجهل بهذه الحقيقة العلمية الهامة التى أشار اليها القرآن الى حدوث ضحايا كثيرة خلال تجارب الصعود الى الجو سواء بالبالونـات

أو الطائرات البدائية ، أما الطائرات الحديثة فقد اصبحت تجهز بأجهزة لضبط الضغط الجوى والاوكسجين "(١)

فأى قوة بشرية كانت تعلم هذا الموقف لمن يصعد فى السماء عند نزول القرآن ؟! ان لم يكن هذا باخبار من المولى عز وجل ؟ حيث لا يمكن ملاحظة ذلك بالصعود فى جبال الحجاز حيث نزل القرآن فبلاد العرب ذات سطح منبسط وصحارى ممتدة، وليس جبالها عالية بحيث يأخذ الساكن فيها فكرة عن تسلق الجبال وما يشعر المتسلق فيها من ضيق كما فى غيرها من البلاد البعيدة عنها جدا، هذا ... ولقد صعدت كثيرا من هذه الجبال الموجودة حول المدينة وحول مكة فلم اشعر بشىء من ضيق ... علاوة على أن القرآن لم يعبر عن لفظ الصعود فى الجبال بل عبر عن ذلك بالصعود فى السماء.(٢) فكم هو تعبير معجز ودقيق ...

كروية الأرض :

قال تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل)(٣)

هذه الآية كما يقول أهل العلم تشير الى كروية الأرض تلك الحقيقة الثابتة وقد استدل بها على ذلك الامام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والنحل(٤) حيث يقول ان هذا " أوضح بيان فى تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو ادارتها وهذا نص على التكوير " اذ التكوير

---

(١) دياب وقرقوز: مع الطب فى القرآن ص٢١ ــ ٢٢

(٢) انظر سعيد حوى :الرسول ، ص٤٠ وانظر مالك بن بنى الظاهرة القرآنية ص٤٧ ٣و٤٨ ٣

(٣) سورة

(٤) ص ٢/ ٩٥

للشيء الدائري ، وقد سميت كرة القدم كرة لأنها دائرية ...

وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها)[١] ليؤكد هذا ويفسره لأن الادحية والادحوة هي مبيض النعام .[٢] وكذلك قول الله تعالى (افلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها)[٣] فلفظة اطرافها هذه هي شاهدنا فانها كما يقول (مالك بن نبي) " تقتضي فكرة عن شكل الأرض ، فأي شكل هو ؟ ... ان الارض لا توحي بداهة بشكل خيطي في الفضاء ، أو بشكل مسطح ، أو مسدس ، أو مربع أو مثلث .. الخ اذ أن أقل نتوء في مساحتها يوحي بداهة بفكرة الابعاد الثلاثة ، ولكن جميع الاشكال الهندسية في الفضاء لا تتفق مع فكرة الاطراف ، فأقرب الاشكال الى التصور هو الشكل البيضاوي "[٤]

فانظر كيف سبق القرآن العلم بهذا القدر من الزمان وفي وقت لا يوجد فيه اجهزة تصوير ولا وسائله مثل ماهو موجود اليوم بين أيدي العلماء ، ان هذا وغيره ليؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون الا من عند الله ، ولدينا مزيد من الحديث في هذا الأمر حتى نجليه باذن الله أكثر ... ومما يبلور ذلك قوله تعالى (وهو الذي مد الأرض)[٥] وقوله (والأرض مددناها)[٦]

---

(١) سورة : الآية

(٢) القاموس مادة دحي

(٣) سورة : الآية

(٤) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ص

(٥) سورة : آية

(٦) سورة :آية

فكيف تكون الأرض ممدودة ؟ بمعنى ذلك أننا مهما سرنا فيها فستبقى ممدودة أمامنا لن تنتهى فيها الى حاجز يحول دوننا وراءه أو هوة أبدية نقف عندها عاجزين، فلو سرنا عليها الدهر كله فانها ستبقى ممدودة ، ولا يوجد شكل من الاشكال الهندسية تتحقق فيه هذه الحالة الا الشكل الكروى ...

وقول الله تعالى (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا)[1].

فيه مزيد توكيد لهذه الحقيقة وبيان ذلك أن الليل يغشى النهار فيجلله بالظلام، ويحث فى ذلك فيلاحقه سريعا دون توقف وهذا الجرى لا بد أن يكون فى طريق لا نهائية ، والا كان هناك نهار واحد لحقه ليل وانتهى كل شىء، اذن فلا بد أن يكون طريقا دائريا حتى يتأتى تعاقبهما دون توقف ...

توسع الكون :

يقول تعالى (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)[2]

ولفظ موسعون هذا ـ كما فهمت ـ يعنى الاستمرار فى هذا التوسع بعد بنائها أى أن الكون أخذ فى التوسع، وهذا شىء يبدو غريبا عند بعض الناس فى هذا الوقت فكيف بالزمان الذى نزل فيه القرآن ؟! وذلك ـ لعمر الله ـ أمر يجعل كل ذى عقل يستبعد جدا أن يكون هذا القرآن صادرا من مخلوق وهذا هو العلم قد جاء مؤكدا لهذه الحقيقة

---

(١) الاعراف : ٣٠

(٢) الزاريات : ٤٧

وذلك " عندما اكتشف عالم الطبيعة (هابل) أن الكواكب السديمية تبتعد عن سديمنا واستنبط عالم الرياضة البلجيكي القسيس لومترمن ذلك .... امتداد الكون ...

أو ليس عجابا مزهلا أن تضع الفكره الموجاة ـ هكذا دائما ـ معالمها المضيئة أمام الفكر العلمي حتى كأنها تصف له الطريق ؟!!" (١)

فهل يقول عاقل أن مثل هذا يمكن صدوره عن بشر ؟!!

اللهم لا الا ان كان مكابرا ...

وهذا هو خبير طبقات الأرض الالماني (الفرد وا) يدلى بدلوه في تأكيد هذه الحقيقة باعلانه عام ١٩١٥ " أنه لو قربت القارات جميعا فسوف تتماسك ببعضها كما يحدث في العاب الالغاز.

فهناك شبه كبير يوجد على سواحل الـ ر المختلفة ، كأن نجد جبالا متماثلة عمرها الأرضي واحد ، وكأن نجد فيها دوابا واسماكا ، ونباتات متماثلة ايضا ، وهذا هو مادفع عالم النبات (البروفسور رونالد جور) ... الى أن يقول : لا يمكن تفسير ظاهرة وجود نباتات متماثلة من مختلف قارات العالم الا اذا سلمنا بأن اجزاء الارض هذه كانت متصلا بعضها ببعض في وقت من الاوقات ...

وقد اصبحت هذه النظرية العلمية تاما بعد تصديق (الجاذبية الحجرية) لها ، فان العلماء اليوم ـ بعد دراسة اتجاهات ذرات الحجارة ـ يستطيعون تحديد موقع أي بلد وجدت به هضبة تلك الحجارة في الزمن

---

(١) مالك بن : الظاهرة القرآنية ، ص٣٥٢

القديم ... وقد أكدت هذه الدراسة في الجاذبية الارضية أن اجزاء الارض لم تكن موجودة في القديم بالأمكنة التي توجد بها اليوم .. وفي هذا الأمر يقول (بلاكيت) (استاذ الطبيعة في الكلية الملكية بلندن) أن دراسة احجار الهند تبين أنها كانت توجد في جنوب خط الاستواء قبل سبعين مليون سنة، وهكذا اثبتت دراسة جبال جنوب افريقيا أن القارة الافريقية انشقت عن القطب الجنوبي قبل ثلاثمائة مليون سنه "[1]

ولنا لقاء مع الطبيب الفرنسي بوكاي ليحدثنا في هذا الصدد فيقول " توسع الكون هو اعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث . وذلك مفهوم قد ثبت اليوم تماما، ولا تعالج المناقشات الا النموذج الذي يتم به هذا التوسع، واذا كانت النسبية العامة هي التي أوحت به ، فان توسع الكون يعتمد على معطيات مادية وذلك عن خلال دراسات طيف المجرات فالانتقال المنهجي نحو اللون الأحمر من الطيف يجد تعليلا له في تنحي المجرات كل عن الاخرى وعلى ذلك فامتداد الكون لا يكف عن الكبر وهذا الاتساع على أهمية أكثر، خاصة وأن المجرات تبتعد عنا ...

ان السرعات التي تنتقل بها الاجرام السماوية قد تتراوح من اجزاء من سرعة الضوء الى مقادير سرعته "[2] وفي الصفحة التالية رسما مقربا لهذه الحقيقة نقلناه من كتاب الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان[3] ..

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ص ١٤٩

(٢) بوكاي : دراسة في الكتب المقدسة ، ص ١٩٢

(٣) ص ١٥٠

السماء والأرض من عنصر واحد ..

يقول تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)[(١)] فهذه الآية تبين أن الارض والسماء كانتا شيئا واحدا ثم انفصلتا . وهذا ما أكده العلم الحديث حيث يقول العلماء فى هذا الزمان بهذا ... فهم يؤكدون أن الشمس وما حولها من كواكب كانتا سحابة هائلة من دخان كما أخبر تعالى بقوله (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[(٢)] وهذه السحابة من الدخان أو (السديم) أى المادة السائلة الملتهبة التى تحتوى على كل عناصر الاجرام من كواكب وشموس كان وسطها ضخما سميكا واطرافها رقيقة خفيفة ، وهى تدور حول نفسها فى سرعة فائقة ، فانفصلت منها الاطراف الرقيقة وكونت الأرض وكل المجموعة الشمسية التى ظلت طائرة طائفة حولها مجذوبة اليها بقوة جاذبيتها ، اذ كل ما ينفصل مما يدور لا بد أن يدور حوله ولا بد كذلك أن يدور حول نفسه ، وكل مايدور حول نفسه لا بد أن يتكور اذا كان سائلا أو لينا ، ولذا تكور وسط هذه السحابة الضخم السميك وصار شمسا متقده متوهجة . أما ما انفصل من أطرافها الرقيقة، فانه تكور كذلك وانطفأ سطحه فصار أرضا باردة من الخارج ومتوقده من الداخل ... وقد حلل العلماء الطيف الذى ينزل من السماء الى الارض فوجدوا أن عناصر الشمس وغيرها من اجرام كعناصر الأرض تماما ، ولم يستدل الكيمائيون

---

(١) الانبياء : ٣٠

(٢) فصلت : ١١

على مادة فى الشمس وغيرها لا توجد فى الأرض ، وهذا يدل ويبرهن على أن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها "(١)

فمن أخبر محمدا بهذا ان لم يكن مرسلا من عند الله تعالى فمن يستطيع أن يعرف هذه المعلومات الدقيقة من البشر ثم قام بتعليمها محمد اذن لكان الأمر معلوما قبل نزول القرآن وهذا مالا يعقل لأن ماعرف الا فى هذا القرن العشرين .

وجود الحياه فى السماء ...

يشير القرآن الكريم الى ذلك فى الآيات التالية :

يقول تعالى (ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا)(٢)

(تسبح له السموات والأرض ومن فيهن)(٣)

(وربك اعلم بمن فى السموات والأرض)(٤)

(ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة)(٥)

وهذه الآية الأخيرة هي الأصرح فى هذا وهى التى تعتمد عليها فى الاساس لتوكيد هذه الحقيقة ..

ففى قوله من دابة يشمل كل دابة : والدابة هى كل مايدب على الارض أو غيرها وقد جرت سنة الله تعالى بالا توجد الحيوانات من دون نبات تتغذى به وبذلك تكون الحياة النباتية والحيوانية مبثوثة فى الكون

---

(١) نعمت صدقى : معجزة القرآن ، ص١٧ و١٨

(٢) مريم : ٩٣

(٣) الاسراء : ٤٤

(٤) الاسراء : ٥٥

(٥) الشورى : ٢٩

وليست بمحصورة فى الأرض وحدها — وينبغى أن ننبه بأن القرآن ليس فيه مايدل على أن الحياة الانسانية العاقلة موجودة على غير الارض ، كما يجب أن لا نظن مطلقا أن الملائكة يدخلون فى معنى دابة لأن هذا اللفظ لا يشير الا الى كائنات حية يشكل الماء العنصر الاساسى فى تركيبها العضوى بدلالة الآية فى سورة النور (والله خلق كل دابة من ماء)[١] أما الملائكة فأجسام نورانية خلقت من النور فهى لا تأكل ولا تشرب هذا ولم يقل أحد قبل الكشوف الحديثة بأن فى السموات دوابا ، وانما كانت نظرتهم دائما الى السماء نظرة تقديس ملائكى أو الاهى فلا يوجد فى السماء غير ذلك ولكن القرآن ليقرر — وهو السابق فى هذا قبل قرون كثيرة — أن السماء تحتوى على دوابا مثل الارض ." [٢] وقد ثبت من المباحث الحديثة فى هذا الصدد أن على سطح المريخ ، وفى جوه حرارة وماء وأوكسجين ، وهى الشروط الثلاثة اللازمة للحياة، وقد ابدت المباحث القائمة على التصوير الضوئى ، والارصاد بالعين المجردة، أن الاحوال اللازمة للحياة لا تختلف كثيرا من جو المريخ عنها فى الأرض ، وأن العلماء الامريكين والسوفيت اكتشفوا دلائل جديدة تدل على وجود حياة على ظهر المريخ ، وقال الراديو أيضا ان مرصد (بلوكوفو) السوفياتى أجرى بحثا عن المريخ ، واستنتج من هذا المبحث أن الاحوال الطبيعية على ظهر هذا الكوكب قريبة جدا من الظروف المطلوبة لبقاء الانسان حيا "[٣] اذا ثبت

---

(١) اية : ٤٥

(٢) انظر محمد على قاسم : براهين ، ص١٣١

(٣) طباره : روح الدين ، ص٥٣

هذا فلا يستبعد وجود حياة فى غـــيره من الكواكب وهى تعد بالملايين (١)

وهاتان حادثتان من جملة حوادث استدل العلماء بها على وجود هذه الحياة

ننقلها اليــك ...

ملخصان من كتاب (الله والعلم الحديث) لعبد الرزاق نوفل : (٢)

جاء فى كتاب للمأجور (رونالد كيهو) القومندان فى سلاح البحرية بالولايات المتحدة أنه فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٨ حدث فى أواسط سيبريــا أن سقط ما سمى فى ذلك الوقت شهابا جبارا اعتبر من اعظم الكوارث الــتى حلت بكوكبنا وأشدها هولا ولكنه تبين فيما بعد بأنه لم يكن جرما سماويــا اطلاقا وانما سفينة كوكبية آتية من كوكب آخر ارتطمت بالارض ونفتتـــت وهذا ما اثبته العالم الروسى (البروفسور ليا بونوف) فى عام سنة ١٩٥٣ بعد دراسة ٤٥ عاما وفى ٦ مارس ١٩٥٩ اذاعت الجهات العلمية فى روسيا أنه صدر كتاب يثبت بالأدلة أنه فعلا سفينة قادمة من كوكب الزهرة ، وأن الذين ماتوا فى ذلــك الحادث كان موتهم بأعراض مرض غامض ينطبق على من يموت بالاشعاع الذرى ، وأن الحديد الباقى لا يشبه حديد النيازك ولا حديد الأرض فى شىء ... وفى ربيع سنة ١٩٥٣ وجد فى (كولكتكت) بالولايات المتحدة كره معدنية غريبة قطرها متر وفى داخلها اسطوانة تدور بسرعة كبيره ، وقد نقلت الى المعمل للتحليل وكانت النتيجة مدهشة للعلماء أذ ثبت لهم أن القطعة من (الكوبالت) فى حالته الطبيعية الخالصـــة

---

(١) انظر بوكاى : دراسة فى الكتب المقدسة ص ١٦٩

(٢) انظر ص ١٩٠

وهذا ماليس له وجود على الكره الارضية ومن هنا فقد قرر أن القطعة من كوكب غير الأرض ...

ظلمات فى اعماق البحار حيث الموج من فوقه موج ..

قال تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكد يراها)(١)

فى هذه الآية وصف علمى دقيق لحالة من الظلمة ، يسجل بها القرآن سبقا معجزا لا نظير له ، وتفصيل ذلك نجده عند مالك بن نبى رحمه الله حيث يقول عن هذه الصورة بأنها " صورة لا علاقة لها بالوسط الجغرافى للقرآن ، بل لا علاقة لها بالمستوى العقلى أو المعارف البحرية فى العصر الجاهلى ، وانما هى فى مجموعها منتزعة من بعض البلدان الشمالية التى يلـ الضباب ، ولا يمكن للمرء أن يتصورها الا فى النواحى كثيفة الضباب فى الدنيا الجديدة أو فى (ايسلندا) . فلو افترضنا أن النبى رأى فى شبابه منظر البحر فلن يعدو الأمر شواطىء البحر الأحمر أو الابيض ومع تسليمنا بهذا الفرض فلسنا ندرى كيف كان يمكن أن يرى الصورة المظلمة التى صورتها الآية المذكورة وفى الآية فضلا عن الوصف الخارجى الذى يعرض المجاز المذكور سطر خاص بل سطران أولهما : الاشارة الشفافة لتراكب الامواج ، والثانى : هو الاشارة الى الظلمات المتكاثفة فى اعماق البحار ، وهاتان العبارتان تستلزمان معرفة علمية بالظواهر الخاصة بقاع البحر ، وهى معرفة لم تتح للبشرية الا بعد معرفة جغرافية

(١) النور: ٤٠

المحيطات ، ودراسة البصريات الطبيعية ... وغنى عن البيان أن نقول : ان العصر القرآني كان يجهل كلية تراكب الامواج ، وظاهرة امتصاص الضوء واختفائه على عمق معين في الماء ، وعلى ذلك فما كان لنا أن ننسب هذا المجاز الى عبقرية صنعتها الصحراء ولا الى ذات انسانية صاغتها بيئة قارية "(١)

الزوجية في كل شيء ...

يضع القرآن ايدينا على هذه الحقيقة بقوله تعالى في الآيات التالية حيث يقول :

(أو لم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم)(٢)

(فاطر السموات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا)(٣)

ففي هذين الآيتين نجد الاشارة الى الزوجية في النبات والانسان والحيوان ، ثم يعمم ذلك في كل شيء بقوله :

(ومن كل شيء خلقنا زوجين)(٤) ومعلوم أن كل اذا اضيفت الى النكرة عمت كل شيء ..

والزوجية في الانسان والحيوان ظاهرة بالمعاشرة الموجودة والمشاهدة كذلك النبات ، فان الناس مازالوا الى هذا الزمان يلقحون النخل

---

(١) الظاهرة القرآنية ، ص٢٥٦

(٢) الشعراء : ٧

(٣) الشورى : ١١

(٤) الذاريات : ٤٩

الأنثى بالذكر وغير ذلك ... ولكن كيف نفسر وجود الزوجية فى الباقى وهو الجماد ؟ ذلك ما نبينه لك الآن باذن الله فى الاسطر الباقية :

معروف علميا أن بناء الكون كله يرجع الى الذرة، وهى مؤلفة من زوج من الكهرباء ، سالب وموجب ، وهى اصغر جزء فى عنصرها ، فقد اكتشف أنها تحتوى قلبا صغيرا يسمى بالنواة تحيط بها عدد من الجسيمات الخفيفة جدا تسمى (بالالكترونيات) وهى تحمل شحنة كهربائية سالبة ، بينما النواة تحمل شحنة كهربائية موجبة ، بل هناك ما هو أدق من هذا فقد اكتشف العلم أن النواة نفسها تنقسم الى وحدتين اساسيتين (هيدروجين) ويسمى كذلك (بالبروتون) ويقابله (نيترون) .(١)

هذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق فى هذه الأرض وربما فى هذا الكون اذ أن التعبير لا يخصص الأرض فى قاعدة الزوجية فى الخلق وهى ظاهرة فى الأحياء كما اشرنا وكلمة شىء كما بينا ايضا تشمل غير الاحياء فالتعبير القرآنى يقرر أن الاشياء كذلك مخلوق على أساس هذه الزوجية ، وكذلك اثبت العلم بدلالة ما سقناه اليك .

---

(١) انظر طبارة : روح الدين ، ص٥٥و٥٦ ثم انظر نعمت صدقى : معجزة القرآن ، ص ٧١

معجزة البصمة ..

قال تعالى (أيحسب الانسان الن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه)[(١)]

ويهمنا فى هذا المقام الآية الأخيرة ... وسبب نزولها هو انكار الكفار للبعث فقد انكروا أن يخلقوا من جديد بعد الفناء وقد اخبر القرآن فى آيات كثيره بهذا الانكار منهم لسنا فى حاجة الى ايراد شئ منها فالأمر متقرر عليهم ونحن فى مجال ايجاز ... ولما استبعد القوم البعث " يجيب الحق تبارك وتعالى فى اسلوب توكيدى : ان الله ليس بقادر على أن يجمع عظام الانسان ،وأن يعيد خلقه فحسب ،بل قادر على أن يعيد تسوية بنانه ، والبنان هو نهاية الاصبع ـ ولكن لماذا خصص الله البنان دون سائر اجزاء البدن الكثيرة ؟ وهل البنان أشد تعقيدا من العظام؟ لقد توصل العلم الى سر البصمة فى القرآن التاسع عشر، وبين أن البصمة تتكون من خطوط بارزة فى بشرة الجلد تجاورها منخفضات ، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية ، تتمادى هذه الخطوط ، وتتلوى وتتفرع عنها تفصنات وفروع لتأخذ فى النهاية وفى كل شخص شكلا مميزا ...

وقد ثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل فى شخصين فى العالم حتى فى التوائم المتماثلة التى أصلها من بويضة واحدة ..

يتم تكوين البنان فى الجنين فى الشهر الرابع وتظل ثابتة ومميزة له طوال حياته ، ويمكن أن تتقارب بصمتان فى الشكل تقاربا ولكنهما لاتتطابقان

---

(١) القيامة : ٣ و٤

البتة ، ولذلك فان البصمة تعد دليلا قاطعا ومميزا لشخصية الانسان معمولا به فى كل بلاد العالم ، ويعتمد عليه القائمون على تحقيق القضايا الجنائية لكشف المجرمين واللصوص، وقد يكون هذا هو السر الذى خصص الله تبارك وتعالى من أجله البنان . انه يريد (وهو أعلم بمراده) أن يبين للانسان ولو بعد قرون من نزول هذه الآية أن الله قادر على أن يعيد بناءها يميزه عن باقى البشر الذين مروا على هذه الحياة ، وفى هذا بيان كاف لأن يوء من الانسان بأن البعث حق كما أن الموت حق[1] وكاف لبيان سبق القرآن وأنه لا يمكن أن يكون من عند انسان . وفى كتاب معجزة القرآن لنعمت صدقى تفصيل أكثر لمن أراد الرجوع اليه .[2]

تمركز الحساسية فى الجلد ..

يقول تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما)[3]

نجد انفسنا بعد تلاوة هذه الآية أمام سبق علمى جديد للقرآن كشف عنه العلم الحديث ، فالآية الكريمة تنص على أن السبب فى تبديل جلود الكفار المحترقة بأخرى هو أن يذوقوا أشد العذاب ، اذن فالجلود هى مراكز الألم وأكثرها احساسا به فما التعليل العلمى لهذه الظاهرة ؟

---

(١) دياب قرقور : مع الطب فى القرآن ص٢٣و٢٤

(٢) تجده فى الصفحتين ١٨١و١٨٣

(٣) النساء : ٥٦

" يبين لنا التشريح المجهرى للجلد أنه عضو غنى بالاليـــاف العصبية التى تقوم باستقبال ونقل جميع أنواع الحس من المحيط الخارجى وذلك اما عن طريق النهايات العصبية الحرة أو المعمدة، وتوجد هذه النهايات فى جميع طبقات الجلد، البشرة والأدمة، والنسيج تحت الأدمة وهى تنقل حس الالم والحرارة، والضغط والبرودة، وحس اللمس، وهناك نهايات عصبية ذات وظيفة افرازية ومنظمة، تعصب غدد الجلد والأجربة الشعرية والأوعية الدموية، أما النسيج تحت الجلد بالنسيج الشحمية والنسيج الضام، والعضلات، والمفاصل فهى أكثر تعصيبا بمستقبلات حس الضغط والوضعية من الجلد، ولكنها أقل تعصيبا بمستقبلات الالم والحرارة واللمس بشكل كبير، لذلك عندما يحقن الشخص بابرة فانه يشعر بذروة الألم عندما تجتاز الابرة الجلد، ومتى تجاوزت الجلد للانسجة الاخرى يخف الألم، والجلد عندما يتعرض للحرق يؤدى ذلك الاحساس بألم شديد جدا لأن النار تنبه مستقبلات الألم . والتى هى النهايات العصبية الحرة، كما ينبه اضافة لذلك مستقبلات الحرارة والتى هى جسيمات توجد فى الادمة وتحت الأدمة وتسمى جسيمات رافين (   )

وتكون آلام الحرق على أشدها عندما يبلغ الحرق النسيج تحت الأدمة ويسمى بالحرق من الدرجة الثالثة، واذا امتد الحرق للانسجة تحت الجلد ويصبح الالم أخف لأن هذه الانسجة أقل حساسية للألم كما ذكرنا "(١)

---

(١) دياب وقرقور : مع الطب فى القرآن ص٣٠

هذه حقيقة علمية ثابتة فهل يقول عاقل بأن انسانا ماقد اشار اليهما قبل اربعة عشر قرنا من الزمان ؟ اذا كان ذلك ليس ممكنا فانه من غير الممكن أن يكون هذا القرآن من كلام البشر وقد اشار الى هذه الحقيقة من قبل قرون ...

خروج اللبن من الحيوان من بين فرث ودم ...

يقول تعالى (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)(١)

ان الفرث ــ كما هو معلوم ــ ما تحتويه المعدة والأمعاء بعد عملية الهضم . والدم هو الدم الأحمر القانى المعلوم . وقد جاء العلم يؤكد هذه الحقيقة التى جاء بها القرآن فأثبت " أن الحليب قبل أن يصبح فى الثدى يمر على عمليتى تصفية، الاولى : تصفيته من الفضلات وذلك بعد الهضم ونزول السائل الحليبى الى الامعاء، اذ تقوم الزغيبيات المعوية بامتصاص المواد الغذائية، طارحة اياها فى الدم ، ومبقية الفضلات فى الامعاء ، حيث تطرح خارج الجسم ،أما المواد الممتصة التى طرحت من الدم فان قسما منها يغذى جسم الكائن الحى : وقسما آخر تصفية الغدد اللبنية من الدم وترسله الى الضرع حليبا خالصا سائغا للشاربين " (٢) غير متأثر بشىء من لون الدم وطعمه ولا بشىء من رائحة الفرث وطعمه ولونه ايضا ورائحة الدم .(٣)

---

(١) النحل : ٦٦
(٢) سعيد حوى : الرسول ، ص٩٠٣ وانظر بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ص٢٢٢
(٣) انظر نعمت صدقى : معجزة القرآن

" اذن يتفق تعريف القرآن لأصل مكونات لبن الحيوان مع معطيات المعرفة الحديثة اتفاقا تاما "[١] وبهذا يسبق القرآن العلم الحديث فيخرج بذلك عن أن يكون من صنع مخلوق ...

الشفاء بالعسل ..

قال تعالى فى شأن النحل (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس)[٢] وهذا الشراب ـ كما هو معلوم ـ هو العسل وله الوان مختلفة حسب مايأكله النحل ويتغذى به ، ولقد شاهدت من الوانه الأبيض والأحمر فاتحا وداكنا ، وفى هذه الآية يذكر القرآن فى العسل شفاء للناس وقد جاء العلم الحديث الناتج عن التجارب المتعددة فى المعامل وعلى المرضى بما يؤكد هذه الحقيقة التى هى ثابتة فى انحاء العالم كله اليوم ، ولا نريد أن ندخل بك فى تفصيل عن مكونات العسل وشرحها علميا فذلك مالايهمنا فى هذا الموضوع ولكن المهم هنا هو بيان كونه شفاء ، كما لا يهمنا ايضا بيان كونه مغذيا ومطهرا للجروح ، وواقيا من الأمراض وان كان الكثيرون من الاطباء يقولون الغذاء أساس الدواء ، والوقاية خير من العلاج ، ولكن نحن نريد أن نأخذ هذا الظاهر من الآية ومدلولها الواضح فنتبين بعض الأمراض التى يعالجها العسل ملخصة من كتب أهل العلم فى هذا المجال ، حيث علمنا من بعضها أن العسل يشفى من أمراض الجلد ، فيسارع فى التئام الجروح ، والتقرحات الجلدية المزمنة والجروح

---

(١) بوكاى المصدر السابق ص٢٢٢

(٢) النحل : ٦٩

الواهنة وغيرها ، كما أنه يعالج أمراض الجهاز الهضمى كمساعد على الهضم ومخففا للحموضة ، ومعالجا للالتهابات المعوية، وكذلك الاسهال ، ويمنع التخمر والامساك ، كما يفيد فى معظم امراض الكبد والصفراء • ويحسن الدوران الدموى ووظائف القلب وأمراضه المختلفه • كذلك يفيد فى امراض التنفس ، فله تأثير على مريض السل ، والسعال الديكى ، والتهاب القصبات ، والربو ، وكذلك فى أمراض العين والتهاباتها وحروقها ، وأمراض الانف والاذن والحنجرة واللوزات ، والتهاب الجيوب الانفية ، والاذن الوسطى ، وامراض النساء والولادة من التهابات وحكه وغيره ، وامراض الكلية والجهاز العصبى •

هذا ولكل ماذكرنا تفصيل وتعليل تجده فى كتاب النحلة للشيخ لمحمد حسن الحمصى (١) وكتاب مع الطب فى القرآن للدكتورين دياب وقرقوز (٢) •••

---

(١) ص ١٧٧ ــ ١٩٠

(٢) ص ١٨٢ ــ ١٩٨

يقول تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)(١)

وقال (وفصاله فى عامين)(٢)

وقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)(٣)

الآية الاولى والثانية مدة الارضاع الكاملة لمن أراده وهى عامين أى (٢٤) اربع وعشرون شهرا ، والآية الثالثة تبين مدة الحمل والرضاع وهى ثلاثون شهرا ، ولما كان الرضاع اربع وعشرون شهرا اذن فالحمل ستة أشهر ، وذلك بعملية حسابية هكذا ٣٠ ــ ٢٤ = ٦ اشهر هى أقل مدة للحمل ولقد أعتمد الصحابة على هذا الفهم اذ روى أن رجلا فى عهد عثمان رضى الله عنه قد تزوج فولد له لستة أشهر فهم عثمان فاقامة حد الزنا عليها ظنا منه أن بداية الحمل كانت قبل الزواج فقال ابن عباس رضى الله عنه أما أنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ، واستدل بهذا الاستدلال ...

هذا ولقد جاء الطب الحديث وقرر أن أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى الجنين بعدها حيا اذا ولد بتمامها هى ستة أشهر ، وهى المدة المعتبرة قانونيا فى محاكم معظم دول العالم وفى قانون الاحوال الشخصية توجد

---

(١) البقرة : ٢٣٣

(٢) لقمان : ١٤

(٣) الاحقاف : ١٥

المادة (١٢٨) ونصها (أقل مدة للحمل (١٨٠) مائة وثمانون يوما وأكثرها سنة شمسية واحدة ، فدل هذا على أن القرآن قد سبق الطب الحديث في تحديد هذه المدة للحمل أي أقله ، فهل يمكن أن يكون محمد هو مؤلف القرآن وفيه مثل هذا العلم وما عرف بأنه طبيب ولا قومه وهو مع ذلك أمي فمن أين له هذا الحساب الدقيق ان لم يكن باخبار من الله ؟؟ (١)

نوع الجنين ..

يقول تعالى : (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) (٢)

ويقول عن الانسان (الم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) (٣)

من هذين الآيتين يتبين أن نطفة الرجل هي التي تعني جنس الحمل فالذكر والانثى كليهما مخلوق من نطفة الرجل وهذا ما اثبته الطب الحديث والتحليل العلمي لهذه الحقيقة كمايلي :

" تحوى البيضة الملقحة التي سيتشكل منها الجنين " زوج من الصبغيات الجسمية مع زوج من الصبغيات الجنسية ، وتأتي هذه الصبغيات من اجتماع بويضة الانثى التي تحوى دائما (٢٢ صبغي جسمي + الصبغي الجنسي ×)

ومن نطفة الرجل التي تحوى (٢٢ صبغي جسمي + صبغي جنسي اما × أو لا) ..

---

(١) قرقور ودياب : مع الطب في القرآن ، ص٢٥
(٢) النجم : ٤٥و٤٦
(٣) القيامة : ٣٧ ـ ٣٩

لأن نصف نطاف الرجل تحوى الصبغى ×ونصفها تحوى الصبغى لا ، أما بويضة المرأة فدائما تحمل الصبغى الجنسى × فاذا اتحدت البويضة مع نطفة حاوية على الصبغى الجنسى × كان الجنين أنثى ، واذا اتحدت مع نطفة حاوية على الصبغى الجنسى لا كان الجنين ذكرا أى حسب المعادلة

نطفة (لا) + بويضة (×) = (×لا) ذكر

" (×) + " (×) = (××) انثى "[1]

اذن فبويضة المرأة ليست لها دخل فى تعيين نوع الجنين وانما نطفة الرجل واليه كان يرجع الضمير فى منه فى الآية الكريمة فى سورة القيامه كما هو صريح فى الآية قبلها فى سورة النجم ..

وفى هذا ايضا سبق أيما سبق للقرآن الكريم مما يجعل الأمر محالا أن يكون من صنع بشر وفيه مثل هذا الأمر وهو أمر ما عرف الا تحت المجهر والمكبرات الحديثة فى المعامل الدقيقة فى هذا العصر ...

---

(١) دياب وقرقور : مع الطب فى القرآن ، ص ٢٧ وأنظر نوفل : الله والعلم الحديث ، ص١٨٢

عناصر خلق الانسان ..

يقول تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون)[(1)]

ويقول (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)[(2)]

ويقول (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)[(3)]

الآية الأولى تخبر بأن الانسان قد خلق من التراب والثانية تخبر أنه من الماء والثالثة بأنه من طين ، ولا تناقض فى ذلك فما الطين الا مزيج من الماء والتراب وهذا هو التحليل العلمى الذى جاء تويدا للقرآن يقول :

" انه لو ارجعنا الانسان الى عناصره الأولية لوجدناه أشبه بمنجم صغير يشترك فى تركيبه حوالى (٢٢) عنصرا تتوزع بشكل رئيسى على :

١ ـ اكسجين (٥) ، وهيدروجين (١-١) على شكل ماء بنسبة ٦٥ ـ ٧٠ ٪ من وزن الجسم .

٢ ـ كربون ( ) ، وهيدروجين (١١) واكسجين (٥) وتشكل أساس المركبات العضوية .من سكريات ودسم ، وبروتينات ، وفيتامينات ، وهرمونات أوخمائر

٣ ـ مواد جافة يمكن تقسيمها الى سبع مواد هى :

الكلور ( ) ، والكبريت ( ) ، والفسفور (أ) والمغنزيوم ( )

والكلسيوم ( ) ، والبوتاسيوم ( ) ، والصوديوم ( ) وهى تشكل ٦٠ ـ ٨٠ ٪ من المواد الجافة .

---

(١)

(٢)

(٣)

سبع مواد أخرى بنسبة أقل هى :

الحديد ( ) ، والنحاس ( ) ، واليود ( ) ، والمنغنيز ( ) والكوبالت ( )

والتوتيا ( ) ، والموليبديوم ( ) ..

ستة عناصر بشكل زهيد هى :

الفلور ( ) والالمنيوم ( ) ، والبود ( ) والسيليوم ( )

والكادميوم ( ) والكروم ( ) ..

وما نلاحظة من هذا الاستعراض الموجز لاولبات الكائن الحى

أنها :

أولا : تتركب أساسا من الماء ، وبنسبة عالية ، حتى أن الانسان لا يستطيع أن يستمر حيا أكثر من اربعة أيام بدون ماء رغم ما يمتلكه من امكانيات التأقلم مع الجفاف ، وينطبق ذلك على جميع الكائنات الحية فتبارك الله اذ يقول (وجعلنا من الماء كل شيء حى افلا يؤمنون) الانبياء : ٣٠

ثانيا : كل هذه العناصر موجودة فى تراب الارض ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة فى تركيب جسم الانسان ، فهناك أكثر من مائة عنصر فى الارض بينما لم يكتشف سوى (٢٢) عنصرا فى تركيب جسم الانسان ، وقد أشار لذلك القرآن حيث قال :: (من سلالة من طين) وفى ذلك اعجاز علمى بليغ "[١]

---

(١) دياب وقرقور : مع الطب فى القرآن ، ص٧٣

ويقول تعالى (خلق الانسان من علق)(١)

" تضمنت هذه الآية الكريمة معجزة علمية خالدة مر الناس عليها مر الكرام حتى أذن بظهورها الزمان حين كشف العلم عن بهائها للعيان ، وتتلخص هذه المعجزة فى أن الله سبحانه وتعالى ، خلق الانسان من حيوان يشبه العلقه وهى دودة تسبح فى الماء من خواصها أن تمتص دم الانسان أو الحيوان حينما تعلق بأحدهما ، وأوجه الشبه أن العلقة تسبح فى الماء وهو سائل ، وكذلك الحيوان المنوى الذى يسبح فى السائل المنوى ، وتمتص العلقة دم الانسان أو الحيوان الذى تعلق به كذلك الحيوان المنوى اذا اتحد مع البويضة امتص غذاءه ..

أما اذا فسرنا العلقة بأنها كل ما يعلق فان الحيوانات المنوية تشبه فراخ الضفدع وهو ما يسميه العامة بالعلق ، وهو يعلق بالحشائش وهو صغير كما يعلق الحيوان المنوى بالبويضة ، وهما يتشابهان فى الشكل فكلاهما له رأس وذنب وينفصل ذنب فراخ الضفدع عند بدء نمون كما ينفصل ذنب الحيوان المنوى عندما يتحد بالبويضة ، ويتشابه الاثنان أيضا فى الحركة وكلاهما يتحرك حركة سوطيه بمساعدة ذنبه "(٢)

وهذا الحيوان المنوى لم يعرف الا قريبا بواسطة المجهر فكيف عرفه محمد اذا كان هذا القرآن كلامه ؟!

---

(١) العلق : ٢

(٢) نعمت صدقى : معجزة القرآن ، ص١٣٢

اطوار خلق الانسان ..

يقول تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين)(١)

أما خلق الانسان من طين فقد سبق الكلام فيه ، وأما جعله فى قرار مكين وهو الرحم فهذا بيانه فى ايجاز لان الذى يهمنا هنا هو باقى الآيات التى تحكى تطور خلق الانسان :

تقع الرحم فى الحوض بين المثانة من الأمام ، والمستقيم من الخلف ويحيط بالرحم جذر عظمى قوى جدا هو الحوض يقى الحمل الصدمات ، وهناك اربطة تمتد فى اجزاء الرحم المختلفة فترتبط بعظام الحوض وغير ذلك من الوقايات التى لا يسع المجال ذكرها وكلها تشكل هذا القرار المكين .(٢)

أما خلق الانسان فيبدأ بالنطفة التى فيها العلقة التى تقدم الحديث عنها ومنها الى مضغة وهى عبارة عن قطعة من الانسجة والخلايا صغيرة بقدر ما يمضغ فى الفم ، ثم بعد ذلك تكون تلك المضغة عظاما ، ثم تكسى باللحم ثم يتم النمو فيخرج انسانا سويا باذن الله ، وهذا ما اثبته العلم الحديث بواسطة التشريح والاجهزة الدقيقة ونجد لهذا تفصيلا كاملا ودقيقا فى كتاب معجزة القرآن(٣) لنعمت صدقى ، والله والعلم الحديث(٤) لعبد الرزاق نوفل ، ومع الطب فى القرآن لدياب وقرقور(٥) ..

---

(١) المؤمنون : ١٢ــ١٥
(٢) انظر دياب وقرقور : مع الطب فى القرآن ، ص ٨٨ــ٩١
(٣) ص ١٣٢ــ١٤٦
(٤) ص ١٤٣ــ١٤٨
(٥) ص ٨٠ ــ ٨٤

الظلمات الثلاث ..

قال تعالى (يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث) (١)

أخبر تعالى فى هذه الآية أن خلق الانسان يتم داخل ظلمات ثلاث فجاء الطب الحديث وقرر هذه الحقيقة وهذا هو التحليل التشريحى ..

" فى الوقت الذى تتعرض فيه الخلايا المضغية للاطوار التى ذكرناها يكون هناك مايسمى بالخلايا المغذية التى تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتى منها هذه الاغشية الثلاثة التى تحيط ببعضها وهى من الداخل الى الخارج :

١ ـ الغشاء الامنيوس ( ) وهو يحيط بالجوف الامنيوس الذى يسبح فيه الجنين بشكل حر .

٢ ـ الغشاء الكوريونى ( ) الذى تصدر عنه الزغابات الكوريونية التى تنغرس فى مخاطيه الرحم .

٣ ـ الغشاء الساقط ( ) وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل وتسمى بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة " (٢)

وهناك شروح وتفسيرات طبية كثيرة حول هذه الآية لا تخرج عن هذا المفهوم. (٣)

---

(١) الزمر: ٦

(٢) قرقور ودياب : مع الطب فى القرآن ، ٨٦و٨٧

(٣) انظر نعمت صدقى : معجزة القرآن ، ص١٤٧ ـ ١٤٩

وهكذا يسبق القرآن العلم الحديث فيخبر عن هذه المعلومة من قبل أن يكون هناك مايعرف بعلم التشريح وغيره فدل ذلك على أن هذا القرآن ليس من عند بشر وانما من عند صانع البشر الذى أخبر محمدا بهذا قبل اربعة عشر قرنا من الزمان .

أشياء حرمها القرآن ..

يقول تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)[١]

ويقول: يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر، والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[٢]

ويقول (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)[٣]

ويقول (يسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)[٤]

ويقول (كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين)[٥]

هذه مجموعة أشياء نهى عنها القرآن الكريم وحرمها ، فجاء العلم الحديث يكشف لنا خطورة هذه الاشياء ويبين لنا ضررها بالانسان عن الناحية الصحية بغض النظر عن الناحية الاجتماعية، والنواحى الأُخرى فانها واضحة والحكمة فيها متجلية، لهذا فسنبين هنا هذه الناحية ونقصر حديثنا عليها ، ولهذا فلا مجال هنا للحديث عن الميسر والانصاب والازلام واضرارها

(١) المائدة : ٣
(٢) المائدة : ٩٠
(٣) الاسراء: ٣٢
(٤) البقرة : ٢٢٢
(٥) الاعراف : ٣١

فان ضررها الصحى على الانسان ليس مباشرا ، وانما تأثيرها عليه من الناحية النفسية ثم تنعكس فيما بعد على الصحة العامة .. فأمامنا الآن ست محذورات نهى عنها القرآن منذ اربعة عشر قرنا ، فجاء العلم يؤكد ضرر هذه الاشياء ولم يستثنى منها شيئا فأثبت بذلك اعجازا وسبقا علميا للقرآن الكريم وسنتناول هذه الاشياء في حديثنا على حسب ترتيبها في الآيات ...

" الميتة باصطلاح الفقهاء هى ما فارقته الحياة من غير ذكاة والذكاة الشرعية هى ذبح الحيوان مباح الأكل أو نحره ، أو عقره ، وحكمة التذكية الشرعية أن الدم بعد فقدان الحياة يصبح بحكم تركيبه من أصلح الاوساط لنمو الجراثيم .... فالتزكية الشرعية تؤمن استنزاف دم الحيوان على احسن وجه بقطع أوردة الرقبة وشرايينها الكبيرة ، ويساعد في ذلك حركات الحيوان التالية للذبح ، يذكر كتاب (ويلز) في فحص اللحوم أن اللحم الذى لا يصفى منه الدم جيدا لا يكون صالحا ... ، ويذكر أن السبب يرجع لوجود السائل الزلالي في الأوعية الذى ييسر للجراثيم انتشارها بسرعة وسط اللحم "(١)

" حتى أن كل جزء منه يحوى مئات الألوف من اصناف البكتريا الرمية والتعفنية "(٢) وهذه ولا ريب تسبب الكثير من الامراض للانسان المستعمل لها ، علاوة على أن الحيوان " قد يموت ... بمرض التهابى يجعل الضرر الناتج عن أكله أشد فتكا ، ومن هذه الأمراض السل ... وهو

---

(١) دياب وقرقور : المصدر السابق ، ص١٢٣

(٢) نوفل : الله والعلم الحديث ، ص١٥٦

أكثر تصادفا فى البقر، وقد قررت كتب الطب اعدام جثة الحيوان المصاب بالسل وهذا بالنسبة للحيوان المذبوح فما بالك بالحيوان الذى بلغ به الداء جسدا أهلكه ؟!!

٢ ـ الجمرة الخبيثة ...ويجب الا تمس جثة الحيوان الذى مات بالجمرة الخبيثة بل يجب دفنها وحرمها، حتى لا تنتشر جراثيمها فتعدى الانسان عن طريق الهواء..

٣ ـ جراثيم السالمونيلا ... ان تناول لحم الحيوان المصاب بالسالمونيلا يسبب تسمما، اما بالجراثيم نفسها، أو بديفاناتها حتى ولو تم طهى الطعام جيدا، حيث لا تتأثر الديفانات بالحرارة.

٤ ـ الحيوانات المتسممة بالجراثيم العنقودية والعقد يقتضر بأكلها ايضا (١) الى غير ذلك من الأمراض التى تركناها اختصارا ...

أما الدم فانه " يحمل سموما وفضلات كثيرة تجد تفصيلاتها فى كتب الطب الحديث المنتشرة ولا سيما كتاب مع الطب فى القرآن لعبد الحميد دياب وأحمد قرقور الذى نتخذه مصدرا أساسيا فى هذا الأمر ... (٢)

أما الخنزير فقد ثبت علميا أنه ينقل الأمراض التالية:

١ ـ الزحار الذقى ٢ ـ الداء البريمى اليرقانى النزفى

٣ ـ شريطة السمك العريضة ٤ ـ الأميبا النسيجية، وتسبب للانسان الزحار الأميبى.

٥ ـ الحمرانية (حصبة الخنزير) ٦ ـ شريطة لحم الخنزير أو الشريطيه المسلحة

٧ ـ الشعرية الحلزونية التى تخش وتلهب جدار المعدة وتسبب طفح جلدى وشرى وصعوبة تنفس.

---

(١) دياب وقرقور: المصدر السابق ص ١٢٤

(٢) انظر ص ١٢٥ و ١٢٦

٨ ـ تصلب الشرايين ٩ ـ آلام المفاصل ـ ١٠ ـ التسمم النيكوتيني[(١)]

أما الخمر فانها أم الخبائث ، وتسبب مئات الأمراض ويكفي أن نذكر منها :

التهاب المعثكلة الحاد وهى اصابة خطيرة جدا قد تؤدى للوفاة .

الازمة الحادة فى الرئة التى تسبب الوفاة أيضا .

الغيبوبة وكثير من أمراض الاعصاب ، اعتلال العصب الفولى العديد والعصب الواحد ، والشلل الوجهى أو العين وغيره ، والتهاب العصب البصرى وداء الحصاف الفولى ، والتهاب المرىء وسرطان المرىء ، والتهاب المعدة السطحى ، والتهاب المعدة المزمن الضمورى وسرطانها ، والقرحة ... الهضمية وأمراض الكبد المختلفة ، التهابها ، وتشحمها ، وتشمعها ، وأمراض القلب وكذلك وخاصة اعتلال العضلة القلبية ، وكثير من أمراض الدم وفقره ، وكثير من الامراض الجنسية ، وأمراض الدماغ والتأخر العقلى الى غير ذلك من الامراض الفتاكه التى تجد الحديث عنها مفصلا فى كتب الطب العصرية ، خاصة كتاب للدكتور محمد على الباز تحت عنوان (الخمر بين الطب والفقه) وكتاب مع الطب فى القرآن .[(٢)]

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣٧ ـ ١٣٩

(٢) انظر ص ١٤٠ ـ ١٥٠ ، وكذلك انظر الله والعلم الحديث للاستاذ نوفل ص ١٥٩ ـ ١٦١

أما الزنا فانه يسبب من الأمراض مايلي :

الافرنجي (السفلس) السيلان (التعقيبة) ـ القرح اللين الورم الحبيبي الاربي ـ النمو البلغمي الالتهابي الجنسي ـ التهاب المهبل وتجد تفاصيل ذلك وشرحه في كتاب مع الطب في القرآن .(١)

وينبغي أن ننوه بأن تلك الأمراض الجنسية التي يسببها الزنا يسببها اللواط كذلك ولقد جاءت الاشارة في القرآن باستنكاره وتسميته بالفاحشة، وكان عقاب أهله أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وجعل عالي تلك البلده سافلها ودكها دكا ... يقول تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون)(٢) وقال تعالى (فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود)(٣)

وعلاوة على ماتقدم من أمراض فانه يسبب كذلك :

" ارتخاء عضلات المستقيم أو تمزيقها ، وبالتالي فقدان السيطرة على عملية التغوط بشكل كامل، ولذلك فقد يخرج البراز بدون ارادة المريض الانعكاس النفسي في خلق الفرد فيشعر من صميم فؤاده أنه ليس رجلا وينقلب الشعور به الى شذوذ خلقي ، فيصاب بأمراض نفسية أهمها الضلال الجنسي كالمازو والسادية، وعدم ميل من اعتاد اللواط الى زوجته وقد يقدم على طلاقها ، الشذوذات النفسية عند الزوج أوالزوجة "الى غيرذلك من الأمراض(٤)..

---

(١) الصفحات :ص ١٦٧ ـ ١٧٦
(٢) الاعراف : ٨٠و٨١
(٣) هود : ٨٢
(٤) مع الطب في القرآن ، ص١٧٧ ومابعدها

أما الاتصال بالمرأة الحائض فانه يسبب اضرارا تفسيرها فيمايلي :

" فى الاحوال الطبيعية يفرز المهبل افرازا خاصا لتلينه وحمايته وهذا الافرازحمضى فى تفاعله بسبب وجود حمض اللبن ... الذى تنتجه العصبيات المهبلية، وهذا الوسط الحمضى يطهر المهبل من الجراثيم الممرضة، وان تغيير الوسط الحمضى الى القلوى أو المتعادل من أهم اسباب التهابات المهبل فيصبح الوسط ملائما لهجوم الجراثيم الممرضة ومن أهم الظروف التى تجعل الوسط قلويا أو متعادلا هو وجود الدم فى المهبل كما يحدث أثناء الحيض كما أن الجماع بوقت الحيض يزيد التلوث الجرثومى ، والتخريش فى المهبل المستعد للالتهاب فى هذا الوقت فيحدث الالتهاب بالاضافة الى أن الرض والتسحج الذى قد يحصل بالجماع يزيد من امكانية حدوث الالتهاب ...

أما غشاء الرحم المخاطى فيكون فى هذه المرحلة فى حالة وانسلاخ وكأنه جرح مفتوح مما يساعد على حدوث التهاب باطن الرحم بصعود الجراثيم من المهبل الى باطن الرحم عبر عنقه ، والجماع أيضا يحدث احتقانا دمويا فيؤدى لزيادة كمية النزف الحاصل، ويزيد الأمر سوءا، الالتهاب الحاصل الذى يسبب آلاما شديدة فى الحوض مع الشعور بثقل فيه ، وترتفع الحرارة ويحتقن الغشاء المخاطى ويظهر الرشح المدمى، وفى الاحوال الشديدة قد يمتد الالتهاب الى ملحقات الرحم ، وقد يسبب العقم، كما قد يمتد للمثانة ويؤدى لالتهابها ..

أما بالنسبة للرجل فيمكن أن يتعرض للمرض أيضا نتيجة انتقال الالتهاب بالتماس ، فقد يصاب بالتهاب المجرى البولى ، ومنه تمتد الاصابة

الى سائر الجهاز البولى والتناسلى ، وعند اصابة الحويصلتين المنويتين يشتد الالم فى العجان ، ويتضاعف الالم عند التبول ، والتغوط ، وأثناء المشى أو عند الجلوس ، كما يصاب الـ والخصيتين " (١)

أما الاسراف فى الطعام فان من مضاره أنه يسبب التخمة وعسر الهضم ، وتوسع المعدة وهجمة خناق الصدر ، وعمود فى التنفس ، وبلادة فى التفكير ، والسمنة ونخر الاسنان بسبب الآثار من تناول السكاكير الصناعية والحصيات الكلويسة ، وتصلب الشرايين والنقرس (داء الملوك) (٢)

تلك كلها محذورات ترتبت عليها تلك الاضرار التى رأيت ، وقد نهى عنها القرآن من قبل قرون عديدة ، وما ادركت كل هذه الأمراض الا أخيرا جدا بواسطة المعامل واجهزة التشريح الحديثه والمكبرة ، فهل يقول ذو عقل بعد هذا أن القرآن يمكن أن يكون كلام بشر ؟! فهل فى قدرة أحد من العاملين أن يعرف كل مايحيط بتلك المحذورات من اضرار اذا مافعلت فيسبق الى تنبيه الدنيا بهذا الفارق من الزمان !!؟ ذلك مالا يمكن صدوره من ذى عقل ..

ومن هذا يتبين لنا حكمة الشارع الحكيم ورحمته بعباده فى كل ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه ..

---

(١) دياب وقرقور : مع الطب فى القرآن ، ص٤٧و٤٨

(٢) انظر المصدر نفسه ص ١٣٠و١٣١

الفصل الخامس

الاعجاز العددى ..

ان هذا الوجه من الاعجاز القرآنى ليست معرفته جديدة فمن قديم قد أهتم أهل العلم بعد كلمات القرآن وحروفه كما أخبر (السيوطى) فى الاتقان (١) ولقد الفت فى ذلك الكتب مثل المعجم المفهرس لالفاظ القرآن وغيره ... ولكن هذا الوجه تطور أكثر وفتحت فيه آفاق جديدة مع ظهور العقل الالكترونى الذى ساعد كثيرا فى ابرازه ، وقد كان أول من أشار اليه من السابقين كوجه معجز (الباقلانى) عليه رحمة الله فى كتابه اعجاز القرآن ، وسيكون لقاؤنا الأول فى هذا الفصل معه .

ثم نلتقى بعد ذلك مع (الزرقانى) وهو ينقل خلاصة رأى توصل اليه من خلال قراءاته مستفيدا من العدد القرآنى فى الحروف التى افتتحت بها بعض السور لاثبات أن هذا القرآن كلام الله تعالى ... ثم فى ثالث لقاءتنا نقف مع الدكتور رشاد خليفة عالم الكيميا الحيوية المعروف الذى استعان بالعقل الالكترونى فى بحثه ، وقد سجل اكتشافه هذا رسميا فى الكونجرس الامريكى سنة ١٩٧٢ م ولقد اطلعت على اثنين من كتبه (عليها تسعة عشر) وهو عبارة عن محاضرة طبعتها دار الشئون الجامعية فى حمص ، والثانى بعنوان (دلالات جديدة فى القرآن) بزيادة يسيرة على المحاضرة وقد ركز فى بحثه على العدد ١٩ ، وقد قال لى بعض الأجلة ان هذا ليس الا ترويجا لمذهب البهائية التى تقدس العدد ١٩ بواجدنى

---

(١) انظر ص ... ٧ .

اخالفهم فى ذلك لعدة أمور سأذكرها مع احترامى مقدما لهولاء الأفاضل ..

أولا : ان المؤلف لم يعرف عنه أى انحراف وشذوذ ولا ميل عن الصراط السوى كما هو معروف فى مذهب اولئك البابية التى هى فى اصلها فرقة من غلاة الشيعة والرجل لم تعرف عنه نزعة تشيع ، والرجل قصده خدمة القرآن وهولاء يزعمون بأن لهم قرآن غير هذا أفضل منه وهولاء كما هو معلوم أناس لا يؤمنون بختم النبوة ويدعون أن لهم انبياء ومن هم أفضل منهم ، وهذا يدعو لاظهار اعجاز القرآن وهو أمر يعنى استمراريته وفعاليته وصلاحيته لكل زمان ومكان الأمر الذى يغنى ولا يحتاج معه لنبى آخر ... هذا بجانب أن هذه الاعداد واقعية وموجودة فعلا فى القرآن ، واذا كان كذلك فلا مجال للاتهام بأن الأمر مقصود به خدمة البابية .

وهولاء ثالثتهم جعلوا من الاحرف المقطعة فى فواتح بعض السور مدار حديثهم كما سوف نرى ، أما لقاؤنا الرابع فسيكون مع الاستاذ عبد الرزاق نوفل وكتابه الاعجاز العددى فى القرآن ، وقد صرح كثيرون نافين أن يكون فيما أورد شىء من الاعجاز ، ولكنى اخالف فى هذا ايضا وأرى أن الرجل قد بين اعجازا ، وانى لأعجب من نفى هذا عما كتب وهو فى استدلاله لا يختلف كثيرا عما استدل به أولئك ففيم الاعتراض عليه اذن وهم لم يعترضوا على أولئك ؟!

وأخيرا فليس هذا هو آخر وجه للاعجاز القرآنى يكتشف ، وانما فى كل يوم يظهر الجديد ، فالقرآن لا تنقضى عجائبه ، ففى كل وقت تتفتح له آفاق جديدة وهذا النوع من الاعجاز مقنع ولا ريب لعشاق

المادية ، فان وضوح الدقة المحكمة فى حروف القرآن وكلماته ، والدقة الحسابية لا يطولها عقل بشرى ، وذلك يجعلهم يؤمنون به ، فهو دراسة عن طريق مادى فى جيل شغل بالمادة ، ولا يؤمن بحقائق المعجزات الا من هذه الطريق، فان فيها اقناعا بالارقام ، لمن لا يفهم غير لغتها ..

ولقاءنا الأول كما وعدت سيكون مع الباقلانى الذى نسوق اليك كلامه فى هذا نصا لقلته مع كونه واف بالغرض حيث يقول :

"إن الحروف التى بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة . وجملة ما ذكر من هذه الحروف فى أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو اربعة عشر حرفا ، ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التى ينظمون بها كلامهم ، والذى تنقسم اليه هذه الحروف على ماقسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها ، أقسام نحن ذاكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها الى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة .
فالمهموسة منها عشرة وهى : الحاء ، والهاء ، والخاء ، والكاف ، والشين والثاء ، والفاء ، والتاء ، والصاد ، والسين . وما سوى ذلك من الحروف فهى مجهورة ، وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة فى جملة الحروف المذكورة ، فى أوائل السور ، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان . (والمجهور) معناه : أنه حرف اشبع الاعتماد فى موضعه ومنع أن يجرى معه النفس حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت (والمهموس) كل حرف اضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى معه النفس

وذلك مما يحتاج الى معرفته لبنى عليه أصول العربية، وكذلك مما يقسمون اليه الحروف يقولون انها على ضربين : أحدهما حروف الحلق وهى ستة أحرف : العين، والحاء، والهمزه ، والهاء، والخاء، والغين، والنصف الآخر من هذه الحروف مذكور فى جملة الحروف التى تشتمل عليها الحروف المثبتة فى أوائل السور، وكذلك النصف من الحروف التى ليست بحروف الحلق ..

وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين آخرين : احدهما حروف غيرشديدة والى الحروف الشديدة، وهى التى تمنع الصوت أن يجرى فيه وهى :الهمزة والقاف، والكاف، والجيم ، والظاء، والذال، والطاء، والباء، وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هى مذكورة فى جملة تلك الحروف التى بنى عليها تلك السور، ومن ذلك الحروف المطبقة ، وهى اربعة أحرف وماسواها منفتحة فالمطبقة : الطاء، والظاء، والصاد ، والضاد ، وقد علمنا أن نصف هذه الحروف فى جملة الحروف المبدوء بها فى أوائل السور، واذا كان القوم الذين قسموا فى الحروف هذه الاقسام لأغراض فهم فى ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأوا مبانى اللسان على هذه الجهة، وقد نبه بما ذكر فى أوائل السور على ما لم يذكر على حد التصيف الذى وصفنا دل على أن وقوعها الموقع الذى يقع التواضع عليه ــ بعد العهد الطويل ــ لا يجوز أن يقع الا من الله عزوجل لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب ، وإن كان انما تنبهوا على ما بنى عليه اللسان فى اصله ولم يكن لهم فى التقسيم شىء، وانما التأثير لمن وضع أصل اللسان ، فذلك ايضا من البديع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان ، فان كان أصل اللغة توقيفا فالأمر فى ذلك أبين

وان كان على سبيل التواطؤ فهو عجيب ايضا ، لأنه لا يصح أن تجتمع هممهم المختلفه على نحو هذا الا بأمر من عند الله تعالى ، وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الاعجاز من وجه ... وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها فى النظم ، اذا كانت حروفا كنحو (الم) لأن الألف المبدوء بها هى اقصاها مطلعا ، واللام متوسطة والميم متطرفة ، لأنها تأخذ فى الشفة ، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف وبين أنه انما اتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التى تتردد بين هذين الطرفين ، ويشبه أن يكون التصيف وقع فى هذه الحروف دون الألف ، لأن الالف قد تلغى ، وقد تقع الهمزة وهى موقعا واحدا "(١)

أما لقاؤنا الثانى فهو مع الشيخ عبد العظيم الزرقانى الذى ينقل الينا رأيا من قراءاته فى هذا الصدد حيث يقول :

" ان الله تعالى خلق العالم منظما محكما ، متناسقا متناسبا ، والكتاب السماوى اذا جاء مطابقا لنظامه موافقا لابداعه ، سائرا على منهاجه ، دل ذلك على أنه من عنده ، واذا جاء الكتاب السماوى مخالفا لنهجه ، منافرا لفعله ، منحرفا عن سننه ، كان ذلك الكتاب مصطنعا مفتعلا ، منقولا مكذوبا (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والعالم المشاهد فيه عدد الثمانية والعشرين وذلك فيما يأتى :

١ ــ مفاصل اليدين فى كل يد اربعة عشر .

٢ ــ خرزات عمود ظهر الانسان منها اربعة عشرة فى أسفل الصلب واربع عشرة فى اعلاه .

٣ ـ خرزات العمود التى فى اصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقر والجمال ، والحمير والسباع ، وسائر الحيوانات التى تلد أولادها ، منها اربع عشرة فى موءخر الصلب وأربع عشرة فى موءخر البدن •

٤ ـ عدد الريشات التى فى اجنحة الطير المعتمدة عليها فى الطيران اربع عشر ريشه ظاهرة فى كل جناح •

٥ ـ عدد الخرزات التى فى اذناب الحيوانات الطويلة الاذناب كالبقر والسباع •

٦ ـ عمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة ، كالسمك والحيات وبعض الحشرات •

٧ ـ عدد الحروف التى فى لغة العرب التى هى أتم اللغات ثمان وعشرون حرفا منها اربعة عشر يدغم فيها لام التعريف ، وهى : ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن • واربعة عشرة لا تدغم اللام فيها ، وهى : أ ب ج ح خ ع غ ف ق ك م هـ و ى ••

٨ ـ والحروف التى تخط بالقلم قسمان ـ منها اربعة عشر معلمة بالنقط وهى : ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن ، واربعة عشر غير معلمة وهى : أ ح د و س ص ط ع ك و هـ ك م لا • وهذا الحرف هو الالف التى هى من حروف العلة ، أما الأولى فهى الهمزة فهذه اربعة عشر حرفا وبقيت الياء وهى تنقط فى وسط الكلمة ولا تنقط فى آخرها فأصبحت الحروف المعلمة اربعة عشر ، وغير المعلمة اربع عشر ، والحرف التاسع والعشرون معلم وغير معلم ، لتكون القسمة عادلة والفضل فى هذا العدل للحكيم الذى وضع حروف الهجاء العربية فانه كان حكيما ، والحكيم هو

الذى يتشبه بالله بقدر الطاقة البشرية وهذا جعل ثمانية وعشرين حرفا مقسمة قسمين كل منها اربعة عشر كما فى مفاصل اليدين وفقرات بعض الحيوانات .

٩ — منازل القمر ثمان وعشرون منزلة فى البروج الشمالية أربع عشرة وفى الجنوبية اربع عشرة فهذا يفيد أن الموجودات التى عددها ثمانية وعشرون تكون قسمين كل منها اربعة عشر، فهكذا هنا فى القرآن جاءت الحروف العربية مقسمة قسمين قسم منهما منطوق به فى أوائل السور، وقسم منهما اربعة عشر غير منطوق به فى أوائلها . وكأنه تعالى يقول : أى عبادى ان منازل القمر ثمان وعشرون وهى قسمان ومفاصل الكف ثمانية وعشرون وهى قسمان ، وهكذا . والحروف التى تدغم فى حرف التعريف والتى هى معلمة كل منها اربعة عشر وضدها اربعة عشر فتعلموا أن هذا القرآن هو تنزيل منى لأنى نظمت حروفه على هذا النمط الذى اخترته فى صنع المنازل والاجسام الانسانية والاجسام الحيوانية، ونظام الحروف الهجائية فمن أين بشر كمحمد أو غيره أن ينظم هذا النظام ويجعل هذه الاعداد موافقة للنظام الذى وضعته ، والسنن الذى رسمته والنهج الذى سلكته ؟ ان القرآن تنزيل منى . وقد وضعت هذه الحروف فى أوائل السور لتستخرجوا منها ذلك، فتعلموا أنى ما خلقت السموات والأرض وما بينهما باطلا بل جعلت النظام فى العالم وفى الوحى متناسبا"[1]

(١) مناهل العرفان : ص ١/٢٢٤ — ٢٢٦ .

أما لقاءنا الثالث فمع الاستاذ عبد الرزاق نوفل وكتابه الاعجاز العددي في القرآن ونحن بالطبع لا نستطيع أن نورد الكتاب كله والمقام مقام ايجاز لاسيما أنه في ثلاثة مجلدات ولكننا سنعطي القارئ خلاصة لهذا الكتاب وها هي :

ان صاحب الكتاب يتناول الاعجاز فيما يتعلق بعدد الكلمات القرآنية، وتناسبها تارة، وتساويها تارة أخرى وان كانت هذه الكلمات بالطبع مفرقة وموزعة في القرآن كله ولكنه يربط بينها بشيء كالتضاد أو التقارب ونحوه : ...

فمثال الكلمات المتضادة : الدنيا والآخرة، ومتقاربة المعنى واللفظ كالرجز والرجس، واللعنة والكراهية، ومثال الكلمات التي فيها تناسب ثلاثي أو أكثر : الملكوت، وروح القدس، ومحمد والسراج ..

ومثل : السلطان والنفاق والابتلاء والجبر، والقهر، والعتو..

ومثل أن تكون الكلمة وسيلة للأخرى كاللسان والموعظة فان اللسان كما هو معلوم وسيلة للموعظة .

والآن نسوق اليك نماذج لهذا التساوي والتناسب ..

لقد تساوت هذه الكلمات :

الدنيا والآخرة : حيث وردت كل منهما ١١٥ مرة

الملائكة والشياطين : " " " " ٨٨ "

الحر والبرد : " " " " ٤ "

المصائب والشكر : " " " " ٧٥ "

الزكاة والبركات : " " " " ٣٢ "

لقد أمر الله عباده بلفظ (قل) فتساوى هذا القول منه بلفظ القول من عباده حيث بلغ عدد كل ٣٣٢ مرة مثل قوله تعالى (قل ان الأمر كله لله)[١] فجاء القول من خلق الله بشرا وملائكة وجنا بنفس العدد كقول الملائكة كما حكى الله عنهم (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)[٢]

وكاخباره تعالى على لسان البشر فى عالم ماقبل الارض أى عالم الغيب (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى)[٣] وعلى لسان البشر فى الحياة الدنيا (وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا)[٤] وعلى لسانهم فى الآخرة (ونزعنا ما من صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)[٥] وعلى لسان الجن (قل اوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا)[٦] هذا .... ولقد أخبر تعالى عن عدد السموات بأنها سبعة فتكرر الاخبار بذلك سبعا ايضا وهى كمايلى :

١ ــ (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات)[٧]

٢ ــ (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم)[٨]

---

(١) آل عمران : ١٥٤

(٢) البقره : ٣٠

(٣) الاعراف : ١٧٢

(٤) البقرة : ٢٥٠

(٥) الاعراف : ٤٣

(٦) الجن : ١

(٧) البقرة : ٢٩

(٨) المؤمنون : ٨٦

٣ ــ (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن)(١)

٤ ــ (فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها)(٢)

٥ ــ (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن)(٣)

٦ ــ (الذى خلق سبع سموات طباقا)(٤)

٧ ــ (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا)(٥)

تلك سبع مرات كما ذكرنا فتستوى مع عدد السموات المذكور فى الآيات

ومن النماذج ايضا قول الله تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا فى كتاب الله)(٦) فلقد تكرر لفظ الشهر فى القرآن ١٢ مرة أى بعدد شهور السنة، وكذلك فان لفظ اليوم قد تكرر فى القرآن ٣٦٥ مرة هى عدد أيام السنة كذلك فان لفظ أيام ويومين قد تكرر فى القرآن الكريم ٣٠ مرة بعدد ايام الشهر .

ومن النماذج فى هذا الصدد :الايمان والكفر ومشتقاتهما حيث ورد ذكر الايمان ٢٥ مرة منها ١٧ مرة يمثل النص الكريم (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان)(٧) و٧ مرات يمثل قوله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون)(٨) ومرة واحدة هى قوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم)(٩)

---

(١) الاسراء : ٤٤
(٢) فصلت : ١٢
(٣) الطلاق: ١٢
(٤) الملك : ٣
(٥) نوح : ١٥
(٦) التوبة : ٣٦
(٧) الحجرات: ١١
(٨) التوبة ١٢٤
(٩) الطور: ٢١

كذلك فان لفظ الكفر ذكر ٢٥ مرة منها ١٧ بمثل قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر)(١) و٨ مرات بمثل قوله تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا)(٢) هذا ولقد تكرر لفظ الايمان ومشتقاته ٨١١ مرة والكفر ومشتقاته ومرادفاته ٦٩٧ والفرق بين العددين هو ١١٤ عدد سور القرآن فسبحان الذى فرق بين الكفر والايمان بالقرآن الكريم ..

وهذه مجموعة امثلة أخرى فى هذا الشأن :

لفظ الرحمن ذكر ضعف لفظ الرحيم ، ١١٤ و٥٧

لفظ ابليس ذكر ١١ مرة والأمر بالاستعاذه مثله

لفظ الحرب ومشتقاته تساوى مع لفظ الأسرى ومشتقاته كـ ذكر ٦ مرات.

لفظ النطفة تساوى مع لفظ الطين فورد كل منهما ١٢ مرة

لفظ الفعل تساوى مع لفظ الأجر فورد كل منهما ١٠٨ مرة

لفظ الحساب تكرر ٢٩ مرة وبنفس العدد ورد تكرر لفظى العدل والقسط ١٤و١٥ مرة

لفظ المغفرة ضعف عدد مرات الجزاء ٢٣٤ ، ١١٧ مرة

لفظ القرآن ومشتقاته يتساوى مع الوحى ومشتقاته كل منهما ٧٠ مرة

لفظ الشدة ومشتقاته يتساوى مع الصبر ومشتقاته كل منهما ١٠٢ مرة

لفظ الابرار ضعف عدد مرات الفجار ٦ و٣ مرات

هذا ما تيسر عرضه من الامثلة والنماذج وبقى أن نورد كلمة لمؤلف الكتاب د . عبد الرزاق نوفل(٣) يقول فيها " ترى أية قوة أوطاقة بشرية أياكانت

---

(١) آل عمران : ١٧٦

(٢) التوبة : ٩٧

(٣) ص ١/١٧٧

سواء من الاجهزة الحاسبة أو العقول الالكترونية يمكنها أن تحدد هذه الاعداد المتساوية فى الفاظ الموضوعات المتشابهة أو المتماثلة ، أو المترابطة أو المتناقضة ثم توزيعها هذا التوزيع الدقيق، منفردة ومتباعدة فى مختلف آيات القرآن الكريم التى يبلغ عددها بضع مئات وستة آلاف آية ٠٠ وتأتى الآيات بعد ذلك فى البلاغة والبيان وروعة الصياغة والاتقان؟ ترى اذا كان ذلك لا يمكن ولو تعاون البشر اجمعين ٠٠٠ فكيف بالأمر اذا كان هذا الفرد من الاميين – صلى الله عليه وسلم – ؟ أنك لا تملك حين تنتهى من قراءة هذا الكتاب الا أن تعترف بأن هذا القرآن لابد أن يكون من عند الله حقا، وتردد قوله تعالى (كتاب احكمت آياته) [1]

أما الآن فقد حان لقاؤنا الأخير مع الدكتور محمد رشاد خليفة وأمامنا كتابيه (الاعجاز العددى فى القرآن الكريم)[2] و (ودلالات جديدة فى القرآن)[3]

ولا يفوتنا أن ننوه بأن المؤلف قد سجل هذا الاكتشاف فى الكونجرس الامريكى سنة ١٩٧٢م وسنحاول اعطاءك خلاصة لما جاء فيهما ٠٠

يستند المؤلف فى دراسته على العدد ١٩ الذى يكون عدد حروف البسمله ، فبسم الله الرحمن الرحيم هى مفتاح هذه المعجزة، فان كل كلمة منها تتكرر فى القرآن (١٩) مرة أو الى مضعفات العدد (١٩) فاسم يتكرر ١٩ مرة ٠

---

(١)

(٢)

(٣)

الله = ٢٦٩٨ مرة أى ١٩×١٤٢

الرحمن = ٥٧ " " ١٩×٣

الرحيم = ١١٤ " " ١٩×٦

والعدد ١٩ يحتوى على البداية والنهاية للنظام الحسابى فالواحد هو البداية والعدد ٩ هو النهاية ، وهو لا يقبل القسمه على أى عدد سوى نفسه والواحد وللعدد ١٩ دلالة خاصة فى القرآن فالآية (عليها تسعة عشر) (١) انما جاءت فى سياق الرد على الذين يزعمون أن هذا القرآن من صنع البشر وأن من يقول ذلك فسيكون عقابه تحت اشراف ال(١٩) فالآية تخبرنا عن اسباب اختيار(١٩) اذ يقول تعالى (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا ايمانا ، ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو الا ذكرى للبشر) (٢) فالاسباب خمسة :

١ ـ فتنة الذين كفروا : أى ازعاجهم فهذه الحقيقة الكامنة فى الحروف الـ ١٩ (بسم الله الرحمن الرحيم) سوف تزعج الكفار .

٢ ـ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب فهناك مسيحيون ويهود طيبون (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) (٣) وحقائق الاعجاز سوف تساعدهم على التصديق .

---

(١)

(٢)

(٣)

٣ ـ ايمان المؤمنين يزداد بهذه المعجزة

٤ ـ هذه المعجزة تدعوا الى زوال الريبة من الذين اتوا الكتاب والمؤمنين

٥ ـ كشف المنافقين واظهارهم ولله جنود لا يعلمونها .

هذا ... ويتميز القرآن بوجود حروف فى فواتح بعض السور وهى بالضبط ١٤ حرفا تشترك فى ١٤ فاتحة والفواتح هى : ق، ن، ص، طه، يس، الم، المر، طسم، طس، حم، حمعسق، المص، كهيعص، المر وتوجد فى تسع وعشرين سورة لمجىء بعضها متكررا فى أكثر من سورة فيكون عندنا ١٤ حرفا يتركب منها ١٤ فاتحة فى بداية ٢٩ سورة فاذا جمعناها نجد (١٤+١٤+٢٩) =٥٧ هى ثلاثة اضعاف ١٩ فالرقم ١٩ هو القاسم المشترك الاعظم فى جميع فواتح السور بدون استثناء ويزيد المؤلف فى الدلالة على خاصية العدد ١٩ فيقول ان أول ما نزل به جبريل هو أول سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذى خلق)(١) ورقم هذه السورة (١٩) اذا عددتها من نهاية القرآن وما بقى وهو ٩٥ قابل للقسمة على (١٩) والحاصل (٥)

فالربط التام حاصل بين العدد ١٩ وفواتح هذه السور وتلك الحروف الم بها .

ونسوق اليك الآن بعض الأمثلة :

الحروف (ق) مثلا هو فاتحة سورة ق وفى فاتحة الشورى فمكرراته فى سورة ق هى ٥٧ أى ١٩×٣ . وكذلك فى الشورى نفس العدد ومكررة

---

(١)

فى كلتا السورتين=٥٧+٥٧=١١٤=١٩×٦ فالحرف ق ـ يرمز الى القرآ ن الكريم وهو ذا ارتباط وثيق بالعدد ١٩ الذى يمثل بسم الله الرحمن الرحيم وهذه العلاقة كما ذكرنا شاملة للحروف فى أوائل السور كلها :

فالحرف ق كما ذكرنا يتكرر ٥٧ مرة فى ق ومثلها فى الشورى أى ١٩ × ٣

الحروف كهيعص تتكرر فى مريم ٧٩٨ مرة أى ١٩×٤٢

الحرف ن يتكرر فى القلم ١٣٣ مرة أى ١٩×٧

الحرفان ى س يتكرران فى يس ٢٨٥ مره أى ١٩×١٥

" ط هـ " " طه ٣٤٢ " " ١٩×١٨

" ح م " " جميع السور بهما ٢١١٦ مره أى ١٩×١١٤

الحروف عسق تتكرر فى الشورى ٢٠٩ مره أى ١٩×١١

" الم فى سورة الرعد تتكرر ١٥٠١ مره أى ١٩×٧٩

وهكذا تتطرد القاعدة ..

وهذا وقد دل الاحصاء كذلك على أن استهلاك سورة بحرف معينه يقابله تفوق حسابى لمعدل تواود وتكرر هذه الحروف فى نفس السورة ففى ق مثلا نجد أن الحرف ق يتكرر فى السورة بمعدل أعلى من باقى الحروف ثم ان معدله فى السورة أعلى معدل فى سور القرآن على الاطلاق وكذلك الحال فى الم البقره بل أكثر من هذا تأتى المعدلات فى سلم تنازلى من أ الى ل الى م وبنفس الترتيب فلقد وردت أ ٤٥٩٢ مره

ل ٣٢٠٤ "

م ٢١٩٥ "

نفس الأمر فى آل عمران

أ	٢٥٧٨	مرة
ل	١٨٨٥	،،
م	١٢٥١	،،

ومع هذا الترتيب التنازلى هى تتوارد فى السورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف ..

وهكذا فى الم العنكبوت

أ	٧٨٤	مرة
ل	٥٥٤	،،
م	٣٤٤	،،

وايضا الم الروم

أ	٥٤٧	مرة
ل	٣٩٦	،،
م	٣١٨	،،

وكذلك الحال فى الرعد بنفس الترتيب التنازلى وهى تتوارد بأعلى معدل من باقى الحروف

أ	٦٢٥	مرة
ل	٤٧٩	،،
م	٢٦٠	،،
ر	١٣٧	،،

وهذا قليل من كثير مع ملاحظة أن هذا مجرد مثال والقاعدة مضطردة في الجميع ، ولكي ندرك مدى الاحكام في التوزيع الحسابي لحروف القرآن نجد في سورة ق آية وهي الثالثة يقول فيها تعالى (وعاد وفرعون واخوان لوط) فاخوان لوط هولاء قد ذكروا في القرآن ١٢ مرة ودائما كانوا يسمون قوم لوط الا هنا ولو جاء هنا ايضا قوم بدل اخوان لانحرفت القاعدة ولزادت مكررات الحرف قاف ليصبح ٥٨ بدلا من ٥٧ فلا يقبل القسمة على ١٩ فدل ذلك على أن تحريف كلمة واحدة يوءدي الى اختلال النظام وبهذا نستدل على أنه لم يحصل تحريف في القرآن خلال الاربعة عشر قرنا الماضية ..

ومن الأدلة على هذا الاحكام العظيم نجد في سورة الاعراف الآية الكريمة (وزادكم في الخلق بصطه)(١) بالصاد لا بالسين ولو كتبت بالسين لاصبح مجموع مكررات الحرف صاد في السور الثلاث التي ورد في أوائلها(٢) ١٥١ وهذا الرقم ليس من مكررات العدد ١٩ ومعنى ذلك أن تغيير حرف واحد يخل بالاحكام الحسابي ، وكذلك الآية الكريمة (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة)(٣) فبكه اصلها مكه وجاءت الباء بدلا عن الميم حتى لا تخرج هذه عن القاعدة ايضا ...

---

(١)

ويقول المؤلف عن هذه الدراسة بان هذا الأمر لا يمكن أن يكون صدفة فتكرار ثلاث كلمات من جملة في كتاب ما بطريق المصادفة على هذا النمط مستحيل فهل يمكن أن يكون هذا كله مصادفة واذا سلمنا بمصادفة واحدة فكيف نفسر الباقي وقوانين الاحتمال ذاتها تنفي تكرار المصادفات بهذا التواتر الا أن يكون الأمر والترتيب مقصودا ، فاذا كان مقصودا فهل يمكن أن يكون من عند محمد عليه الصلاة والسلام وأنه هو الذي رتبه وكتبه بهذه الطريقة الحسابية الخاصة؟ ان هذا مرفوض ولا ريب لأن محمدا قد ثبتت أميته علاوة على أن القرآن قد نزل على مدى ٢٣ عاما ولو كان في استطاعته أن يكتبه هكذا ، مع الحفاظ على بلاغته وجماله لفاخر بذلك بين صحابته علما بأن هذه الحقائق العددية لم تكن معروفة قبل شهر يونيه (حزيران) سنة ١٩٧٥ م الموافقة سنة ١٣٩٥ هـ بواسطة العقل الالكتروني (الكومبيوتر) أذن فهو ليس من عند محمد ولا يمكن أن يكون من عند أحد من البشر فهل يمكن أن يبدأ مؤلف كتاب ويقول لنفسه سوف اكرر الحرف الفلاني كذا والحرف الفلاني كذا وسوف التزم في مقالتي بالا تتجاوز مجموعات كذا مضاعفات ١٩ ـ اذن فالاحتمال الوحيد المتبقي هو أن هذا القرآن انما هو كلام الله وحده ..

وأخيرا فهذا هو الاعجاز العددي أو هو الاعجاز الايجابي والمادي الذي لا تختلف حوله الآراء ولا يقوم النقاش فيه ولا يثار حوله الجدل لأن لغة الأرقام هي الفاصلة واحاديث الاعداد والحسابات ابدا قاطعة ..

الخاتمة ..

وتشتمل على :

* خطبة الختام .
* خلاصة الرسالة .
* نتائج البحث ..
* نداء .
* اقتراح .
* ملحق رقم ١
* ملحق رقم ٢
* ملحق رقم ٣
* قائمة المصادر .
* قائمة المحتويات ..

خطبـــــة الختـــام

الحمد لله حمدا يوازى نعمه وهى جد كثيرة لااستطيع لهـــا عدا ولو حاولت كيف والمولى يقول فى محكم تنزيله (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ولعل من أجل نعم الله تعالى علـى وعلى كثـير من عباده بعد نعمة الايمان والعافية أن أعيش فترة من الزمـــان فى هذه المدينة المنورة التى انطلقت منها دعوة الحق الى العالمين والتى لها من الفضل مالايسع المجال ذكره . وأن انتسب الى هذه الجامعة الاسلامية التى ترفع راية الدعوة فى هذا الوقت وتصدرهــا الى الآفاق لمنة من الله كبيرة وشرف عظيم .

وأن يوفقنى الله الى الوصول الى هذه المرحلة لنعمة كبيرة وفضل عظيم وهو الذى وفقنى لاتمام هذا العمل وقد تداركنى لطفه الخفى بأن يسر لى كتابة باب كامل قد ضاع منى قبيـل الطبع فنسخ فى الوقت المناسب وقـد كان موقفا محرجا لولا رحمته وكل ذلـك من فضلـه وهـو المسئول بعـد ذلك أن يهيء لى الشكر علـــى هذه النعم كما هيأها حتى تدوم اذ الشكر يزيد النعم فله الحمـد كله والشكر منتهاه إنه جواد كريم . أمـا بعـد فقـد وصلنا الـى خاتمة هذا البحث نسأل اللـه حسنهـا وهذه خلاصة الرسـالـة فى ايجاز لا تغنى عن الرسالة ولكن تعطى فكرة عنهـا وهى ـ

الفقرة الاولى فى هذه الخاتمة تليها أخر ....

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ....

خلاصة لما سبق

لقد صدرت هذه الرسالة بعد بسم الله بآيات مختارة فى صميم الموضوع ثم دعاء ثم الاهداء ، ثم الخطوط العريضة للرسالة فالافتتاحية التى تناول الباحث فيها بيان أهمية الموضوع وأرجعها الى كون الموضوع يتعلق بالقرآن الكريم فمنه يستمد تلك الأهمية وان ضرورته تتجلى للقارئ اذا ماعلم أنه فى مجال الدفاع عن هذا الكتاب المعجز الذى هو روح الاسلام وأصله الأول الذى يقوم عليه فهو حجر الزاوية والعماد الأساسى لهذا الدين ثم ان المطاعن التى توجه الى القرآن الكريم دعوة الى هجرة وهى دعوة الى باطل فكان لابد لها من ترياق مضاد هو دعوة حق تعيد الأمور الى نصابها ، ومعلوم أن مجال الدعوة الاسلامية ينقسم الى قسمين : تبليغى يتعلق بنشر الدعوة ودفاعى هو مانحن بصدده أمران لاينفك أحدهما عن الآخر وكلاهما لازم اذ لايمكن للداعية بحال من الأحوال أن يبلغ هذا الدين وينمى فى أمة الاسلام وغيره يهدم باطلاق تلك الشبهات والمطاعن فكان لابد من الدفاع بجانب التبليغ كلاهما فى درجة واحدة فى الأهمية وهذا ماأكده المختصون فى هذا المجال . ثم بين الباحث سبب اختياره للموضوع فأشار الى هذه

الأهمية ثم لطمعه فى نوال ثواب اللـه بالزود عن كتابه هذا ولقد أحب الكاتب أن يكون بحثه ذا علاقة بالقرآن الكريم لظروف تتعلق بنشأته الخاصة فأحب أن يربط الحاضر بالماضى وأن تظل صلة القرآن مستمرة • ولقد ادرك الباحث أهمية هذا الموضوع عندما كان طالبا فى كلية القرآن الكريم وفيها كانت تدرس مادة اسمها شبهات مزعومة حول القرآن والرد عليها أفاد منها كثيرا فحرص على الكتابة فى هذا الموضوع ليزداد فائدة ثم ليفيد غيره • هذا ومما زاد أهمية الموضوع أن أوصى المؤتمر الاول العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة بحث الجامعات الاسلامية على تتبع افتراءات الاعداء والرد عليها •

ثم أن الباحث لم يجد من سبق بافراد الموضوع كرسالة جامعية فى علمه فكتابات أهل العلم متفرقة فى بطون الكتب فحرص الباحث على أن يجمع هذا المتفرق ويحذف ماتكرر منه فيها • ولقد واجه الباحث صعوبات كثيرة قد زللت كلها بحمد الله منها عدم تحديد الموضوع وعدم معرفة الباحث باللغات الاجنبية وغياب كثير من المراجع الضرورية وغير ذلك ــ وبعد تقديم واجب الشكر لأهله الذين ساعدوا فى هذا العمل ولاسيما الاستاذ المشرف بين للباحث منهجه الذى يعتمد عليه فى الاساس على ايراد المطعن ثم الرد عليه. هذا وأعقبه الباحث بوقفه مع بعض الأجلة من أهل

العلم وردت لهم آراء تعترض على بعض المنهج الذى سلكه الباحث فتناول الرد عليهم، وبين أنه كان مضطرا الى ذلك وأن تلك المناقشة لآرائهم لاتقلل من مكانتهم عنده ولاتبخسهم حقهم من العلم .

هذه هى الافتتاحية أما المدخل الى الرسالة فقد اشتمل بعد التمهيد على فقرات ثمانى : الأولى فى تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا ، وتعريف بأسمائه مع التركيز على لفظ مصحف واثبات عربيتها . والثانية تمثلت فى نبذة موجزة عن تأريخه اشتملت تأريخ تدوينه فى العهد النبوى ثم البكرى ثم العثمانى ومابعد ذلك من تطور فى عصر الطباعة الحديثة .

أما الفقرة الثالثة فقد كانت كلمة عامة عن الطاعنين فيه ومطاعنهم فبين الباحث اصنافهم وأنهم هم انفسهم أعداؤه القدامى فاليهود هم اليهود والنصارى هم النصارى والمنافقون هم هم والملحدون الأولون والمرتدون فأولئك آباؤهم وهؤلاء احفادهم حملوا راية الخزى من بعدهم ، والمتأمل للمطاعن اليوم يجدها أيضا هى نفسها القديمة وان اختلفت فى اللون والشكل ولكن المضمون فى غالبه واحد

وقد استهدفت هذه المطاعن القرآن من كل جانب مباشرة وبطريق غير مباشر فطعنوا فيه من حيث مصدره ومن حيث سلامته ، ومن حيث اعجازه ومن عالميته ، ومن حيث صلاحيته كمنهج شامل للحياة

كما طعنوا فى الرسول الكريم واستطاع الباحث أن يستدل على أن الطعن فى شخص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ طعن مباشر فى القرآن الكريم ، كما طعن الاعداء فى السنة النبوية ولقد أثبت الباحث أن الطعن فيها طعن فى القرآن الكريم . وساق على ذلك الأدلة فى كلام أهل العلم مشفوعا بالكتاب والسنة ، هذا وكل المطاعن إنما تهدف الى نفى الصلة بين هذا القرآن وبين السماء للوصول الى أنه صنعة بشرية ، ولقد أورد الباحث صورا مختلفة لهذه المطاعن غير التى ستعالج فى صلب الرسالة وأشار الى الطاعنين .

أما الفقرة الرابعة فقد كانت مع الذين تولوا كبر الطعن فى القرآن فى هذا الزمان المتأخر . وأولئك هم المستشرقون وقد قام الباحث بالتعريف بهم وبيان نشأتهم وأثبت أن الاستشراق أول مابدأ كان فى الكنيسة بعد انحرافه وبين غرضهم ودوافعهم ووسائلهم المختلفة وامكاناتهم وكيف أن التبشير والاستعمار سندان قويان له كما تضمنت الفقرة قائمة بأسماء بعض الخطرين من المستشرقين من مختلف الجنسيات وأخرى ببعض الكتب الخطيرة ، هذا ولقد ورد فى الفقرة بعض الاثناء للاستشراق النزيه[1] ، واثبات بعض الحسنات للاستشراق بصفة عامة وهذا من باب الانصاف فان ديننا دين العدل والحق .

---

(١) وإن كانت لنا تحفظات أيضاً وأنها غير مقصودة وإنما ترجع للجهل بالعربية غالباً .

هذا ولقد قام الباحث ببيان بعض الاخطاء التى يقع فيها أولئك المستشرقين علمية ومنهجية وغيرها ونقل بعض الصور لتعصبهم ، [illegible]
لا يهدفون إلى شيء سوى الحقيقة !

أما الفقرة الخامسة فقد كانت اجابة على سؤال هو لماذا الهجوم على القرآن ولقد حاول الباحث استخلاص الاجابة من بعض أقوال أولئك الاعداء ومن خلال بعض الآيات القرآنية وما تحمله من مبادئ ضد أهدافهم ، فأورد الباحث عدة أقوال لهم وجملة آيات قرآنية وانتهى الى أن الاسباب الداعية الى الطعن فى القرآن من جانب اعدائه من خلال ما أورد من أمثله هى كما يلى :

الحقد ، والحسد ، اختلاف الدين ، الخوف ، نصرة مذهب بعينه ، الطمع ، الجهل ، الاجتهاد ، الخاطئ ، وهذه فيما يرى الباحث أبرز الاسباب .

أما الفقرة السادسة فهى أيضا اجابة عن سؤال هو لماذا نرد الهجوم على القرآن ؟ وبين الباحث اهم الدوافع لذلك منها أن هذا القرآن أغلى من كل شئ عندنا نحن المسلمين فهو أصل العقيدة وروح الشريعة فوجب أن ندافع عنه ونحافظ عليه كما ندافع على كل شئ نفيس ، ومنها خوفنا من انفراد تلك المطاعن بالساحة فتجد من يستمع اليها الى غير ذلك مما بسطه الباحث .

أما الفقرة السابعة فهى عبارة عن بيان لمجهودات أهل العلم من الأمة الاسلامية فى محاربة تلك المطاعن والدفاع عن الكتاب العزيز وقد أورد فيها الباحث قائمة ببعض الكتب فى هذا المجال تضمنت كتبا ألفت فى بيان اعجاز القرآن وكتبا لم يقصد بتأليفها رد المطاعن عن القرآن ولكنها خدمت الموضوع ضمنا حيث اشتملت على الكثير من الردود عليها ، وكتبا افردت بالرد على من طعنوا فيه افرادا أو هيئات وأخيرا كتبا فى العقيدة وهى التى تثبت وجود الخالق عز وجل الذى أنكره الجاحدون وهو الذى أنزل القرآن فلا ريب أن الطعن فى وجوده يفتح الطعن على القرآن من جوانب كثيره ، والمنكرون له بلا ريب مدافعون عن القرآن الكريم .

وقد أوضح الباحث أن الذى دعاه الى هذا هو أن يجد من يبتغى التوسع فى الموضوع غايته من هذه الكتب فيجد امامه ما يمكنه من الرجوع إليها بسهولة ويسر ثم لمعرفتها كمراجع قد تنفعه فى بحثه واطلاعه وقد يعثر فيها على مالم يستطع الباحث ابرازه علاوة على ماكان أوضحه الباحث فى التمهيد لهذا المدخل من أسباب دعته الى بيان هذه الجهود ..

أما الفقرة الثامنة والاخيرة فقد كانت كلمة لابد منها حدد فيها الباحث المطاعن التى عولجت فى هذه الرسالة ووضع القضية فى اطارها العام تمهيدا للتفصيل فيها ..

واستهل الباحث حديثه فيها بأنه لايوجد فى الدنيا انسان لا يعترف بأن هذا القرآن قد جاء به محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام وهو ذلكم العربى الأمى الذي ولد فى مكه فى أواخر القرن السادس الميلادى وخرج بدعوته الى الناس فى أوائل القرن السابع الميلادى ، فهذا ما تعترف به الدنيا كلها الا بعض المغرضين مكابرة وعنادا فهو فى الحقيقة لا يتصور وجود انسان يجهل هذه الحقيقة وقد تواترت الا اناسا معذورون سماهم أما اولئك المغرضين فلا عذر لهم وقد مثل الباحث لصور من هذا العناد ورد عليها فى ايجاز أما من أين جاء محمد بهذا القرآن فهذا ما اختلف فيه الناس وقام الباحث بتعديد الآراء وهى كلها عبارة عن مطاعن فى القرآن الا القول بأنه من عند الله تعالى ، هذا وقد استثنى الباحث بعض هذه المطاعن كان من المفروض بحكم عنوان الرسالة أن تعالج فيها ولكنه اعتذر عنها وبين الاسباب ، ولم يفته أن يفصل تلك المطاعن جميعا ما تولى الرد عليه فى الرسالة وما استثناه .

ثم دلف الى الباب الأول الذى كان فى الرد على المنكرين وجود الخالق سبحانه وتعالى ، ولقد جاء مشتملا على توطئه له وستة فصول أما التوطئة فلقد جاء فيها أن لابد من البداية بهذا الباب لأن البحث يجرى عن حل جزئى لمسألة منبع القرآن ومصدره فالأمر يبدأ من هنا حيث نقول نحن بأنه من عند الله ويقول الاعداء ان هذا الاله

الذى تنسبون اليه هذا القرآن ليس موجودا فأثباتـه اذن هو الحجر الاساسـى فى هذه المسألة الذى ينبنى عليـه غـيره ..

أما الفصل الأول فى رفـع القـول بقـدم العالم أى أن العـالـم قائم بذاته مستغن عن الله فهو أبدى أزلـى فيما يزعمـون .. وقد قام الباحث بتنفيذ هذه الدعوة ناقلا أقوالا لأهل العلم المختصين فى علوم الطبيعة المختلفة كلها تنص على حدوثه وهؤلاء العلماء من كبـار الاساتذة الذين ينتسبون الى هيئات وجهات علمية معترف بها دوليـا ومن ثم فهم من المصادر الموثوقه فى هذا المجال وأقوالهم هذه نتيجة خبرات كثيرة وتجارب عديدة فى سنوات طويلة فهى حقائق علمية لا تقبـل الجدل ، ثم أعقبها بأخرى لبعض علماء الاسلام وانتهى الباحث الى أن قضيـة حدوث العالم حقيقة يلتقى فيها العلم والدين ، وأن القوانين العلمية التى دلت على حدوث الكون كثيره منها قانون الألكترون والطاقة الشمسية وقانون الحرارة ، وقد تضـافرت كل هذه الادلة على ذلك هذا ومعلوم أن الكون جوهر وكل جوهر لا ينفك عن عرض وكل عرض حـادث له بدايـة .

وهذه الحرارة فى الكون من أدلة حدوثه ولو كان ازليا لكان باردا لانه يفقد من هذه الحرارة باستمرار ، هذا ولقد حدد العلم عمـر الكون بخمسة بلايين سنه ، ومعلوم ايضا أن الكون متغير وكل متغير حادث

أما الفصل الثانى فقد كان فى دفع القول بأن العالم قد أوجدته الطبيعة ، وقد استهله الباحث بتعريف الطبيعة وبيان ما هيتها وكيف هى فى مفهوم الناس ، وبين أنها لاتخرج عن مفهومين : الأول أنها ذات الاشياء فى هذا الكون والثانى أنها خصائص الاشياء ، ثم عرج الباحث على تفنيد زعمهم بالدليل العلمى مستعينا بأقوال أهل العلم المختصين ، وظهر بداهة أن الاشياء لا يمكن أن تخلق نفسها ومن باب أولى خصائصها وقابلياتها لانها مرهونة بها ، وكيف تخلق الطبيعة الصماء هذا الانسان المفكر الواعى وهى مسخرة له وهو قاهر لها مسيطر عليها ؟ فهل يكون المخلوق أرقى من خالقه وهل ينتج ذو عقل ممن لا عقل له ؟ الى غير ذلك من الادلة التى وردت فى الفصل ..

أما الفصل الثالث : فقد كان فى الرد على زعمهم أن هذا الكون وجد صدفة ، أى حدث اتفاقا بغير قصد أو تصميم وليس للخالق فيه من عمل ، وقد سقط هذا الزعم باكرا نتيجة سؤال هو من أوجد تلك المادة التى لعبت فيها الصدفة دور الخلق ؟ فان تركيب الشئ يختلف ولا ريب عن ايجاده ، ولو كانت المصادفة فاعلة شيئا لكان من الاولى أن توجد تلك المادة وحتى التركيب نفسه فان المصادفة لاتدخله الا بقدر ضئيل كما يقول قانون المصادفة ولقد ساق الباحث على ذلك الأدلة العلمية والعقلية التى تنفى أن يكون للمصادفة أى دور فى الخلق والتركيب فى هذا الكون .

أما الفصل الرابع فلقد كان فى الرد على من اشترط رؤية الله تعالى حتى يؤمن بوجوده وقد رد عليهم الباحث بأسئلة طرحها ثم أجاب عليها فكان فى الاجابة سقوط مدعاهم وهى مامدى قدرة البصر على الرؤية • وهل تعطى العين الحقيقة دائما • وماهى وسيلة المعرفة الحقيقية ، وماهى قيمة الحقائق التى تثبت خارج نطاق البصر ؟ — فثبت علميا أن البصر محدود القدرة وعلى ذلك ساق الباحث الأدلة وأن العين لاتعطى الحقيقة دائما وأن العقل هو الوسيلة لمعرفة الحقيقة وأيضا هى ذات مدى محدود وأن الحقائق التى تثبت خارج نطاق العين هى حقائق لاتقل عن ماثبت بها بل ربما أوثق ، ولقد أكد الباحث أن الزاعمين لم يكونوا صادقين مع أنفسهم لأنهم يؤمنون بأشياء كثيرة لم يروها بأعينهم • وعلى كل ذلك أورد من الأدلة الكثير •

أما الفصل الخامس فقد كان فى الرد على من زعم أنه لم يجد أدلة شافية على وجود الله — ولقد جاء فى رد الباحث قوله :

ان المنكر لم يأت بدليل واحد ينفى به وجود الخالق عز وجل وكان المقام يستدعى ذلك لخطورة الأمر فلو كان هناك من دليل لما توانى فى الاتيان به اذ ليس من السهل أن يقول قولا كهذا دون دليل أو على الأقل دون أن يفند تلك الأدلة التى رآها غير شافية ويعرضها مناقشا •

ان قوله لم يجد أدلة شافية مفهومة أنه قد وجد ثمة أدلـــة على الوجود مقابل لاشيء ينفى هذه الحقيقة الأمر الذى يرجـــح على الأقل جانب الوجود .

وكونه لم يجد ادلة ليس حجة على من وجد فليست الحقيقـــة محصورة على علمه ومعرفته ، فان احاطته بالمعارف كلها مستحيـــل فانكاره هذا مجازفة وحكم يتحطه وحده والعلم منه براء .

هذا والأدلة التى وجدت وتوجد كل يوم فى درجته من الكثرة بحيث لاتغيب عن الانسان البسيط فاهيل عمن يدعى علما ......
هذا ولقد ساق الباحث اقوالا جمة لكثير من أهل العلم كلهـــا تؤكد كثرة الأدلة على وجود الخالق وأنها كلها شافية لمن أراد الحق

أما الفصل السادس فقد اشتمل على مجموعة أدلة مختارة على ـ وجود الخالق منها الدليل الفطرى ودليل الاجابة ودليل السببية وغيرها

أما البـاب الثانـى : فقد كان بعنوان وقفات مع منكرى الوحى والنبوة ولقد اشتمل بعد التوطئة على ستة فصـول :
الاول : فى نقض بعض حجج المنكرين ، وهدم متكآتهم فى هذا الزعم
قام فيه الباحث باسقاط تلك الحجج وتوهيمهـا .
الثانى : فكان فى بيان عجز العقل وعدم كفايته لتسيير أمور الحياة
وبيـــان الحاجة الى الوحى . قام فيه الباحث بتأكيد هذه

الحقيقة بالدليل والمثال ومن الأدلة على نقص العقل وعدم كفايته أنه يعتمد على الحواس فى وصول المعلومات اليه وثبت أن هذه تخطىء من جهة ومحدودة المدى من جهة أخرى فكذلك العقل • فقد تأتيه مسائل يصعب عليه معرفة وجه الحق فيها فيدخل فى الظن والتخمين وذلك دليل نقصه اذ لو كان كاملا لعرف وجه الحق فى كل مسألة ولما احتاج الى ذلك الظن والتخمين • ومن الأدلة كذلك على نقصه أنه يزداد علما ومعرفة بمرور الوقت والتجارب ولو كان كاملا لما احتاج الى ذلك ولما ازداد لانه كامل • ثم ان العقل محدود المدى فهو لايعلم الغيب ويعجز عن ادراك كثير من الاشياء كالروح والعقل نفسه • وغير ذلك فكان لابد من الوحى فلا يغنى عنه العقل بحال •

أما الفصل الثالث : فكان فى بيان أن مايحدثه بعض الناس ومايحدث لهم لهم من العجائب من الأدلة المقربة للوحى وامكانه • وكذلك ماتحدثه بعض الحيوانات من غرائب فانها من الأدلة المقربة له وهذا ماخصص له الباحث الفصل الرابع • أما الخامس فقد كان أيضا فى الاستدلال بالعلم الحديث والمخترعات الحديثة العجيبة على تقريب الوحى ومن كل ساق الباحث من الادلة مايقرب هذه الحقيقة للناس ولاحظ أن هذه العوالم

الثلاثة هى التى يشاهدها الانسان ويحس بها فكان لابد لنا من الاستدلال في هذه البيئات . أما الفصل السادس والأخير فقد كان فى بيان الدليل العقلى لامكان الوحى واثبات وقوعه فعلا وقد اجتهد الباحث فى بيان هذه الحقيقة مستندا على أقوال أهل العلم العالمين فى هذا الشأن .

أما الباب الثالث : فقد كان فى الرد على الزاعمين بأن هذا القرآن من الانتاج الذاتى للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولقد اشتمل بعد التوطئة ـ على ستة فصول هى :

الأول : فى بيان أن التحدى بالقرآن ينفى هذه الفريه فليس بامكان أحد من البشر أن يتحدى العالم كله الى يوم القيامة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو جزء جزء منه يسير فثبت أنه كلام الله تعالى لمن يعقل ذلك غير مكابر وقد قام الباحث بتفصيل ذلك بما يجليه من أقوال أهل العلم . أما الأمر الثانى النافى لهذا الزعم فهو اميته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا ماخصص له الباحث الفصل الثانى فاوضح فيه هذه الحقيقة بعد أن أكد وجود هذه الصفة فيه عليه الصلاة والسلام فثبت لكل ذى عقل أن مافى القرآن من علوم ومعارف ونظم وقوانين فى مجلات الحياة المختلفة لاتستطيعه عدة لجان تعمل لسنوات عديدة فكيف يأتى به شخص واحد وهو أمى من أمة أمية ومع ذلك حتى هذه اللحظة لم يأت أحد بأحسن

ولا أفضل مما أتى به فى هذا العصر الحديث الذى تيسرت فيه كل السبل فدل ذلك على أنه لابد أن يكون من عند الله تعالى ٠

ومما يؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له فى القرآن من عمل هو صدقه وأمانته منقطعة النظير حتى أنه لقب بالصادق الأمين وهذا لقب لم يحظ به أحد من العالمين وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأنه رسول رب العالمين وهذا ماعقد له الباحث الفصل الثالث من هذا الباب بلور فيه هذه السجايا الطيبة فى الرسول الكريم التى تنفى البتة أن يكون قد كذب فيما أخبر به وساق الباحث كثيرا من الأدلة فى هذا الصدد ٠ أما الفصل الرابع الذى عقد لتأكيد النفى بأن محمدا لا يمكن أن يأتى بمثل هذا القرآن من عنده هو عدم تحكمه عليه الصلاة والسلام فى الوحى فالرسول كما هو ثابت لا يملك من أمر الوحى شيئا فانه قد عليه ويتتابع فى النزول وقد ينقطع عنه فترة من الزمان تصل الى سنوات وقد يتأخر عنه مع حاجته الماسة اليه ٠ أو يأتيه ولكن على خلاف مايريد وضد ما يرغب بل ويأتيه أحيانا بالامر الصعب الثقيل ثم هو عليه الصلاة والسلام لا يعلم متى ينزل عليه الوحى ولكن يأتيه على غير موعد ويفجأه من دون انذار ٠ وكذلك قد تغيب عنه الحكمة أحيانا فى أمور نزل بها ٠ وأخرى مجملة لا يدرى ما تفصيلها حتى ينزل عليه الوحى فيما بعد بالبيان وهذه كلها ولا ريب أمور تنفى أن يكون هذا القرآن من عنده عليه الصلاة والسلام وقد قام الباحث ببيان ذلك كله مقرونا بالدليل ٠

أما الفصل الخامس : فقد عقده الباحث لايراد بعض البشارات من الكتب القديمة فقد أخبر القرآن أن صفات هذا النبي موجودة في الكتب السابقة ، وبالرغم من أنها حرفت ولكن يمكن أن يلمس ذلك في بعضها بوضوح فان اشارات الحق لا تنطفي مهما حاول الاعداء ولقد يساق الباحث مجموعة من البشارات في العهدين القديم والجديد وغيرهما من الكتب ..

أما الفصل السادس : والأخير فقد عقده الباحث لايراد مجموعه من الآيات القرآنية تنفي أن يكون هذا القرآن من عنده عليه الصلاة والسلام منها آيات العقاب ، وآيات فيها تحذير وتهديد شديد وأخرى تجرد النبي عليه الصلاة والسلام من نسبه القرآن اليه وتظهر ضعفه كبشر الى غير ذلك من الآيات في هذا الشأن .

أما الباب الرابع : فقد اشتمل بعد التوطئة له على سبعة فصول :ـ

الأول : في دفع زعم الاعداء بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد تعلم ممن سموهم بأسمائهم وقد قام البحث بهدم هذه الفكرة ونفي هذا الزعم واسقاط تلك الاستاذية المفتراه عن سبعة أشخاص قيل بأنه قد أخذ عنهم أو تأثر بهم واعتمد في ذلك على اجابة ثلاثة اسئلة وهي لماذا محمد وحده هو الذي تعلم هذا العلم الذي خرج به الى الناس اذا كان الأمر مبذولا للناس كلهم ؟ واذا لم يكن

مفذولا للجميع فلماذا اختار كل منهم محمدا ليعطيه ما أعطى ؟ ان لم يكن للأمر تفسير آخر .. ثم لماذا يعطى أحدهم ما أعطى لمحمد ولا يعطيه لابنه أو قريبه أو يخرج به ويدعيه لنفسه اليس هو أولى به من سواه ؟ فلماذا يعطى المجد والشهرة والقوة والنصر وخير البشرية كلها وانقاذها الى غيره ، ان المتأمل ولا ريب لهذه الأسئلة يدرك بيسر ان الزعم لاسند له ثم ان المزعوم اخذه عنهم اما انهم ماتوا قبل ان يبعث أو كانوا من تابعيه ومؤيديه ، أو من الد أعدائه ، فأما من مات قبل بعثة فمن أين له أن يعرف حوادثا بعده بعشرات السنين فيعلم بها محمدا عليه الصلاة والسلام وأين هو من سوال يسأله النبى فتأتى الاجابه عليه فى وقتها قرآنا ؟ وأما أعداوه فهؤلاء لا يعطونه ولا ريب علما وهم أعداوه ولو اخذ شيئا منهم ونسبه اليه لكشفوه وفضحوه وأما متبعوه فهم تلاميذه وهو استاذهم ولا يعقل أن يأخذ الاستاذ من التلميذ ويقول بأنه وحى ويتابعه هذا عليه ؟ الى غير ذلك من أمور اختص بها كل فرد من أولئك تنفى أن يكون محمدا عليه الصلاة والسلام قد اخذ منه شيئا .

أما الفصل الثانى : ففى بيان أن البيئة العربية ليست مصدرا للقرآن فى شئ قام فيه الباحث بتوكيد هذه الحقيقة مستندا على التحدى بالقرآن فلو كان من نتاج البيئة لاستجابوا له لان الشئ وليد البيئة لايكون حكرا على أحد دون الآخر ، هذا شئ وشئ آخر هو أن الاسلام أعلنها حربا

على الوثنية لا هوادة فيها وعلى الشرك بكل انواعه من أول يوم وحارب كل العادات والاثام والتى كانت سائدة فى ذلك المجتمع الجاهلى فلماذا يحاربهم فى طباعهم وصفاتهم اذا كان ما جاء به لا يخرج عن نطاق البيئة ؟ وكيف يخرج مثل نظام الاسلام من خلال تلك البيئة — الجاهلية الجهلاء لو لم يكن أمر السماء ؟ وقد كانت هناك شعوب متحضرة وفى ايديهم كتب سماوية فكانوا أجدر بالبحث فى أمر العقيدة والتفكير فى مخرج من أزمتها وازمة الخلق والحياة فى ذلك العالم ولكنها لم ترفع بذلك رأسا فكيف ينبع من هذه الأمة الأمية ؟

أما الفصل الثالث : ففى بيان أن النصرانية ليست مصدرا للقرآن فى جزء منه وقد اعتمد الباحث فى دفع زعمهم بأنه أخذ منها ببيان الحالة التى كانت عليها النصرانية وقت ظهور الاسلام فقد كانت تلك الفترة هى العصر المظلم فى تاريخ الانسانية ووسط هذا الظلام الدامس سطع نور الاسلام فهل يمكن أن يكون هذا النور مستمدا من تلك الظلمة ؟ فان حالة الديانات والأمم والنحل كلها بما فيها النصرانية لم تكن تغرى أحدا بأن يقتبس منها ، كما اعتمد الباحث ايضا على الفروق فى المبادىء عقيدة وشريعة بين النصرانية والاسلام ، ووجود آيات قرآنية كثيرة ليست فى صالح النصرانية مما ينفى أن يكون قد استمد منها الى غير ذلك من الأمور التى أتى بها الباحث .

أما الفصل الرابع : فكان فى بيان أن اليهودية ليست مصدرا للقرآن كذلك فى شئ حذى فيه الباحث حذوه فى الزعم السابق بيان حالة اليهودية وقت ظهور الاسلام وانها لم تكن تغرى أحدا بالاقتباس منها وكذلك وجود الفروق الجوهرية بين الاسلام وبينها ، ووجود آيات قرآنية كثيرة ليست فى صالح اليهودية وكلها تنفى استمداد الاسلام منها الى غير ذلك من الادلة ..

أما الفصل الخامس : فقد عقده الباحث لايراد مجموعة آيات فى القرآن كلها تنفى أن يكون هذا القرآن مقتبس من أهل الكتاب وهذه الآيات موجودة فيه وذلك امعانا فى الباحث فى الرد على الاعداء لما كانوا يركزون على هذه الفرية فى كثير من كتاباتهم ... وهذه تشمل الرد على الطائفتين من أهل الكتاب مما اليهود والنصارى وهى تخبر عن كتمانهم الحق وتهددهم بعاقبة ذلك وهى تصور علومهم بأنها الجهالات ، وعقائدهم بأنها الضلالات والخرافات — وأعمالهم بأنها المنكرات الى غير ذلك مما ينفى أنهم كانوا مصدرا للقرآن الكريم .

أما الفصل السادس : فقد كان وقفة أخيرة معهم أيضا قام فيه الباحث بنفى الاصالة عن اليهودية والنصرانية تلك الفرية المشاعة واثبت الباحث انهما غير ذلك بل استقتا من مصادر متعددة بل وللاسلام كذلك اثره البين فيهما لاالعكس كما يزعمون .

أما الفصل السابع والأخير : فكان فى نفى أن يكون الاسلام قد اقتبس من الديانات الأخرى واعتمد الباحث بشكل اساسى فى دفع زعمهم على المقارنة بين تلك الديانات وبين الاسلام فى المعتقدات والشرائع الى غير ذلك من الأدلة التى توهن دعواهم .

أما الباب الرابع : فقد عقده الباحث لايراد مجموعة من الادلة على أن هذا القرآن لا ينبغى أن يكون من صنع مخلوق ، اشتمل بعد التوطئة على خمسة فصول :

الأول : تحت عنوان خصائص فى نظم القرآن واسلوبه ، ومن هذه الخصائص الوفاء بالمعنى مع القصد باللفظ ، ومنها البيان مع الاجمال ، ومنها اشباع العقل والعاطفة معا ، ومنها خطابه للعامة والخاصة فى أن واحد ومنها جوده سبكه وترابطه على كثرة تنوع اجزائه وغير ذلك — ولقد قام الباحث ببلورة ذلك كله وبيانه مستفيدا من أقوال أهل العلم فى هذا المجال ولقد أوجز الباحث فى هذا الفصل لكونه اعجاز لا يحيط به الا الضالعون فى اللغة العربية المحيطون بأسرارها . . وهؤلاء قلة فى هذا الزمان ، المهم أن تلك الخصائص قد انفرد بها القرآن مما يخرجه عن كونه كلام انسان .

أما الفصل الثانى : ففى الاخبار بالغيب الوارد فى القرآن الكريم وقد جاءت الايام والوقائع والاحداث وصدقته فيما بعد دون أن يخترم منه شىء وقد أورد الباعث عدة امثلة فى هذا الصدد ، وهذا كله ينفى أن يكون

القرآن كلام بشر لأنه ليس من شيمة البشر ا كشف المستقبل وعلم الغيوب

أما الفصل الثالث : فلقد كان في بيان صنيعة في النفوس وأثره فيها على وجه لم يتوفر فيه لغيره من كلام البشر ولقد ساق الباحث عدة امثلة لهذا الاثر في الاعداء والمؤمنين على السواء في السابق واللاحق والحق ما شهدت به الاعادى ..

أما الفصل الرابع : فقد كان في الاعجاز العلمي في القرآن ولقد اثبت الباحث أن ما جاء في القرآن من حقائق علميه كله لم يستطع العلم الحديث أن ينقض منه شيء بل يؤكده ويصدقه ، ولقد اسهب الباحث في هذا الفصل لكون اهتمام الناس في هذا العصر منصب نحو هذا العلم واكثر اقتناعا به وميولا اليه ..

أما الفصل الخامس : فكان في الاعجاز العددى في القرآن الكريم ولقد ساق الباحث عدة أمثلة مختلفه لهذا النوع من الاعجاز منها ماعرف في السابق ومنها ما ادرك حديثا وكلها تدل على أن هذا القرآن لا يحكمه أن يكون كلام بشر وهو يحوى ذلك الاعجاز المضطرد في الاعداد القرآنية سواءا في حروفه أو كلماته .. ولغة الارقام أبدا مقنعة . والحساب لا يقبل الجدل والتخمين .. هذه خلاصة لما سبق .. أرجو أن تكون وافيه .. والله ولي التوفيق .

النتائج التي توصل اليها الباحث

(١) ان الدعوة الاسلامية نوعان بلاغي ودفاعي كلاهما في درجة واحدة من الأهمية لا يغني أحدهما عن الآخر ..

(٢) حتمية الرد على أعداء الاسلام ومطاردة شبهاتهم ومطاعنهم وتتبعها وهو وصية المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ..

(٣) ان ايراد مطاعن الاعداء ثم الكر عليها بالرد هو المنهج الأمثل في الرد على الأعداء ولا يترتب عليه من ضرر ، وهو الذى يسير عليه السلف منذ بدء الخليقة وهو المنهج العلمي الذى لا يطمأن الا اليه ثم هو قبل ذلك منهج القرآن الكريم ..

(٤) ان اعداء الاسلام هم اعداؤه القدامى ومطاعنهم هي نفسها وان اختلفت لونا ورائحة ..

(٥) انهم لم يتركوا حربهم على الاسلام الى يوم القيامة لأنه حق وهو حرب على الباطل ولا مسالمة بين الخير والشر أبدا ..

(٦) انهم يحاربون القرآن لانهم يخافون منه أولا ويرفضونه ولأمور أخرى كثيرة ومآرب لهم ..

(٧) ان هذه المطاعن تدل على عظمة القرآن وأنه ذا قيمة حضارية كبرى يخشى منها ولو كان تافها لما كان هناك من حاجة الى حربه بهذا العنف ويبذل كل تلك الاموال والأوقات والجهود في هذا السبيل وأنه لو لم يكن من عند الله لما صمد أما كل ذلك الى هذا الوقت ..

(٨) ان الله سبحانه وتعالى موجود ، وان الوحي ممكن وقد وقع فعلا ومنه هذا القرآن فهو وحي وليس لمحمد فيه من عمل لا من ذاتـــه ولا تعليما من غيره الا من ربه بواسطة ذلك الوحي فلا يستطيع أحد في العالم أن يأتي بهذا القرآن وهذه أهم نتائج البحث .

نـــــــداء ..

نوجهــه الى الأمة الاسلامية جمعاء ولا سيما شبابها لأنهم هـــــم المستهدفون بالمؤامرة ، وهم المقصودون من قبل الاعداء في المقـــام الأول بصدهم عن هذا الكتاب الكريم ..

أيها الأفاضل اعلموا ومن يعلم فليتذكر ولا يغيب عن باله أبـــدا أنه لا صلاح لهذه الدنيا ولا راحة للبشرية ولا طمأنينة لها ولا خـــير ترجوه الا بالرجوع الى الله الذى ليس له الا طريق واحد الا وهـــو العودة بالحياة كلها الى منهج الله ممثلا فى هذا القرآن الكريـــم والا فهو الفساد فى الأرض والشقاء للبشرية ، لأن هذا الانسان مـــن صنع الله فلا تنفتح مغاليق فطرته الا بمفتاح من صنعه هو هذا القـــرآن فوحده فيه الشفاء من كل داء قد يصيب هذه الأمة ، فالقرآن هو كتاب هذه الأمة ومصدر دعوتها وحضارتها هو روحها وباعثها وقوامها وكيانها هو حارسها ، هو بيانها هو منهجها .. ولقد عرف الاعداء فـــى السابق واللاحق هذه الحقيقة ، وعلموا أنه هو الذى يبعث الحركـــة والقوة فى نفوس اصحابه فلا تقف أمامهم قوة فى الدنيا لأنهم يسيرون بقـوة خالق الكون ، ولقد وقف الاعداء جيلا بعد جيل يدرسون هذا الكتـاب بعمق بحثا عن اسرار قوته وعن مداخله الى النفوس ليفسدوه وكيف يجعلونه من حركة دافعة تحطم الباطل الذى هم فيه الى شئ غير ذلك تماما. انهم يحاولون ومازالوا ليجعلوه حركة ثقافيه باردة وبحوث نظرية باهته ومعانـــى

ميته لا تجد الى العمل والحس سبيلا والى غير ذلك من مما هو فارغ ..
انهم يعلمون فى استماتة لابعاد هذا القرآن من نظام الحياة ويعرفون
الخطر الذى يهددهم من حركة هذا القرآن ولقد مربك فى المدخل
بعض أقوالهم التى تسجل رعبهم منه ، انهم يعرفون ولا يجهلون أبدا
أن هذا القرآن هو الذى كون جيلا من البشر فريد هو جيل الصحابة
الذين احدثوا فى التاريخ ذلك الحدث الهائل وما كانوا الا رعاة جمال
قبله ولكن به ملأوا الأفاق تمدينا ، فكان مجتمعهم معجزة كبرى عند
مقارنيه بالمجتمعات الأخرى التى تفوقه فى الامكانات المادية ، ولكنه
صنع حضارة لا تدانيها حضارتهم ولا تذكر بجانبها ومن ثم يخشى الاعداء
خروج جيل بنك الصفاة والقوة ، وهم يعلمون أن ذلك حاصل لا محالة
لو تمسك المسلمون بهذا الكتاب وعملوا به كما كان يعمل أولئك ، لهذا
فهم حريضون على ابعاد الناس عنه بشتى السبل ومهما كلفهم ذلك —
هذه حقيقة على الأمة الاسلامية أن تعيها وما هذه المطاعن التى
توجه الى الاسلام وما هذه الشبهات التى تثار الا وسيلة من تلك
الوسائل التى يحاولون بها ابعاد الناس عن القرآن ولاسيما عن معرفته
الحقيقية ومصدر القوة فيه ولاسيما عن الحكم به ، فينبغى على الأمة أن
تعرف ذلك ولا تمكنهم منه ، ولتعلم الأمة أنه مازال المسلمون بعد
عز ولا ضعفوا بعد قوة ولا فقروا بعد غنى الا بعد أن ضاعوا عن القرآن
وتاهوا عن الطريق ، وما ضاعت فلسطين الا من جراء ذلك ومن قبل
ما فقدنا الاندلس الا بهذا السبب واليوم ما غزا الروس أفغانستان بعد

أن أضاعوا منا بخارى والتركستان من قبل الا من جراء هذا البعد عن القرآن بل كل ما اصابنا من ويلات ونكبات وضربات ما كان الا بهذا السبب ، ان المتأمل فى التاريخ على طول المدى يجد أن المسلمين ما عزوا وما أمنوا ولا سعدوا الا عندما رفعوا راية القرآن فوق هاماتهم ووضعوا مبادئه فى قلوبهم وكانت أعمالهم وأقوالهم حركاتهم وسكناتهم ترجمة له ، ثم أنهم ماذلوا ولا ضعفوا الا عندما داسوا تلك الراية وخلعوا ذلك القرآن من قلوبهم وهذا ما نعيشه نحن اليوم فمثالنا والقرآن أمامنا ونحن لا نستفيد منه كالرجل الغبى الذى يكسر مصباحه الذى ينير له الطريق فتهنا فى الظلام وصرنا كالبيد فى الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول ، وتكأكأت علينا الأمم كما تكأكأ الأكلة على قصعتها وليس من قلة بنا ولكنا لا نساوى شيئا بدون هذا القرآن ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقد تغيرت نفوسنا تجاه هذا القرآن فغير الله ما بنا من نعمة الى عذاب ولن يغيره الى خير الا اذا اتجهنا اليه وتغيرت نفوسنا ونوايانا تجاه هذا الكتاب فصلاح آخر هذه الأمة مرهون بما صلح به أولها وهو هذا القرآن ، فانه يهدى للتى هى أقوم وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

اقـــــــتراح ...

وهو ليس من بنات افكارى فى اصله ، وانما سبقنى اليه بعض أهل العلم فهو نتاج مجموعة اقتراحات ، ولكنى لما كنت أراه الأمثل فانــــى اعرضه من جديد تذكيرا به مع بعض التصرف فيه ثم الزيادة عليه ..

ان المطاعن الموجهة الى الاسلام فى درجة من الكثرة بحيث لا يكفى فيها مثل هذه الرسالة أو غيرها من الاعمال الفردية .. لذا فانى أقترح على الأمة مايلــى :-

١ - أن تكون هيئة من كبار أهل العلم فى جميع جامعات الاسلام وغيرهم من علماء الاسلام فى مجال الدعوة وحقولها المختلفة تتبناها الجامعة الاسلامية أو رابطة العالم أو ادارة البحوث العلمية أو جامعة الازهر أو غيرها أو تكون قائمة بذاتها حسب ما يتيسر أو تتبناها تلـــــك المؤسسات جميعا ، المهم أن تقوم ، وعلى دول الاسلام الغنيـــة تمويل أعمال تلك الهيئة التى تتمثل فى متابعة وجمع كل الطعون التى ترد على الاسلام واستيراد كتابات الاعداء كلها ثم ترجمتها الى العربية ثم الرد عليها بكل لغات العالم الحية ثم نشر هذه الردود وتوزيعـها مجانا ليس فى البلاد الاسلامية فحسب بل فى كل الدنيا ..

٢ - أن تكون لهذه الهيئة اذاعة تبث الرد على تلك المفتريات بكل لغات العالم الحيـة ..

٣ - وأن تنشئ هذه الهيئة مجلة دورية تصدر كل شهر أو شهرين ترد على كل ما يطرأ في الساحة من طعون بكل اللغات الحية أيضا ..

٤ - أن تجند الهيئة لهذا العمل في كتاباتها واذاعتها كل من لديه دراية كافية بالثقافة الاسلامية بحيث يستطيع أن يميز الصحيح من الخطأ وما له سند مما لا سند له مما يذكر على أنه من تعاليم الاسلام فليس المقصود بالرد كل كلام يقال ، ولكن ما يظن الاعداء أنه كلام علمي .. وأن يكون ضمن هؤلاء الكثيرون ممن يجيدون اللغات العالمية المختلفة ..

٥ - أن تكون هناك لجنة عليا تقبل الردود من أعضائها ومن غيرهم فلا يستقل فرد من الناس بأي جزء من العمل بل يكون العمل جماعيا بمعنى أن كل ما يقوم به فرد يعرض بالتفصيل على تلك العليا لدراسته أو تكليف المختصين بذلك ولا يعتبر نهائيا الا اذا أقره الجميع ..

هذا هو الاقتراح وهو في أصله لاستاذنا الدكتور أحمد ابراهيم مهنا في كتابه دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، وبعضه من قراءات قديمة لبعض كتاب الاسلام .

والله الهو الهادي الى سواء السبيل ..

ملحـــــق رقـــــم ــ ١ ــ

قائمة ببعض المستشرقين الخطرين ...

نوردها فى هذا الملحق وفاء لما وعدناك فى المدخل وهـــــى تمثل فقط ماتيسر لنا عرضه فى هذا المقام وهو غيض من فيض وكـــل واحد منهم أخطر من الآخر . وهذه مجموعة حاولت أن تكون مـــن مختلف البلدان :

* ادويـــن كالفرلــى : E.Calverley.

امريكى متعصب رئيس تحرير مجلة العالم الاسلامى الامريكيـة لفترة من الزمن ومن محررى دائرة المعارف الاسلامية معـروف باتجاهات تبشيرية سافـرة .

* ادوارد فرمــان : E.Ferman.

انجليزى من ألد أعـداء الاسلام وأكثر المستشرقين طعنـــا فيه له كتاب بالانجليزية عن تأريخ المسلمين وفتوحاتهم .

* آثــر جيفـرى : Arthur Jeffry

معروف بتعصبه السافر ضد الاسلام والمسلمين ومن كتبــــه الكلمات الدخيلة فى القرآن بالانجليزية .

* ارنولد توينبى : Arnold Toynbee

انجليزى له اخطاء فيما كتب عن الاسلام والرسول فى كتابــه

العالمى (دراسة فى التأريخ) وخطوءه هنا شديد الخطورة لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتأريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص .

* ر . بل : R. BeLL.

انجليزى كثير الخطأ فى حديثه عن الاسلام والقرآن ومن كتبه اصول الاسلام فى بيئته المسيحية صدر فى ١٩٢٦ .

* تيودرى نولدكه : T. NoeLdeKe

المانى معروف بعدائه للاسلام له كتاب عن القرآن وآخر عن التأريخ الاسلامى .

* ل . جوثير : L. GouThier

فرنسى متعصب دينيا وجنسيا كثير التشهير بالاسلام والحقد عليه .

* جودفروى ديمومبنز : GaudefroyDemombynes

من محررى دائرة المعارف الاسلامية له كتاب عن الحج فيه كثير من الخلط والتشوية .

* سنوك هورج رونجة : SnoukHorgronje

هولندى ومن محررى دائرة المعارف الاسلامية حارب الاسلام والمسلمين بكتبه منها كتابة الاسلام .

* ج هـ • كريمرز : J.H. Kramers

هولندى من محررى دائرة المعارف الاسلامية كثير الطعن فـــى الاسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة •

* هيورت : Huart

من المستشرقين المشهورين بالتخبط فى عرض الاسلام ومن محررى دائرة المعارف الاسلامية •

* جوليوس ولهاوزن : J. Welhausen

المانى اشتهر بتعصبه ضد الاسلام وتشويه مبادئه ومن كتبـــــه تاريخ اليهود •

* ج • ووكـر : J. Walker

من محررى دائرة المعارف الاسلامية وهو مؤلف كتاب (مـــالح فى التوراة فى القرآن) صدر ١٩٣٦ •

* ابرهام كاش :

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية فى الاسلام) •

* برداروف : Brodorov.

روسى متخصص فى تاريخ الأدب العربى والمذاهب الاسلاميـــــة والحركات السياسية •

* نيشونوف ر • ن : R. Nishonov.

متخصص فى الفقه الاسلامى • وهو روسى ايضـا •

* كليموفيتش ل • آى : L.i.KLimovitch

متخصص فى الفقه والتأريخ الاسلامى •

* ل جى ناديارا دزى : L.J.Nadiro Dezi

روسى مدرس العلوم والتاريخ الاسلامى •

* كويز بفنج : Krez Befing

مدير معهد لينينى غراد متخصص فى الأدب والتاريخ الاسلامى •

* بوغولوف : Bugolov

روسى متخصص فى الفقه الاسلامى •

* س • ل • تيخفينسكى : S.L.Tiknvensky.

رئيس جمعية المستشرقين الروس •

هؤلاء بعض المستشرقين هم فى نظرنا من أخطرهم وأكثرهم عداء للاسلام والمسلمين وهذه القائمة والتى قبلها فى المدخل مختارة من كتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ــ انظر الصفحات من ٥٣٨ ــ ٥٥٨ الا ــ المستشرقين الروس فمن مجلة الأمة العدد العشرون فى سنتها الثانية شعبان سنة ١٤٠٢هـ مقالة محمد أسد شهاب •

ملحق رقم — ٢ —

ويشتمل على بعض الكتب الخطيرة وهذه المجموعة والتى سبق أن ذكرت فى المدخل كلها مختارة من كتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى .

انظر الصفحة ٥٥٩ ومابعدها :

* قنطرة الى الاسلام : تأليف اريك بيتمان ظهر بالانجليزية .
* مقدمة القرآن : من تأليف ر . بل .
* الاسلام : لمرجليوث بالانجليزية .
* الوحدة والفتوح فى الحضارة الاسلامية تأليف ج . فون جرونباوم بالانجليزية .
* دراسات فى الثقافة الاسلامية له ايضا وهو بالانجليزية كذلك .
* تاريخ العرب : تأليف (فليب حتى) وقد ظهر بالانجليزية والعربية .
* الحرب والسلام فى الاسلام : من تأليف مجيدى قدورى .
* تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الاسلام بالانجليزية ومؤلفه د .ب ماكدونالد .
* تاريخ شارل الكبير من تأليف القس تيربن .

ـ ملحق رقم ـ ٣ ـ

بعض مجهودات علماء الاسلام فى الدفاع عن القرآن وهو تتمه لما سبق فى المدخل ...

* القرآن ينبوع العلوم والعرفان لعلى فكرى[1] وقد أتى فيه على بيان ما اشتمل عليه القرآن الكريم من العلوم والمعارف الكونية بذكر الآيات الصريحة فى كل من العلوم ، الطب والصيدلة ، والصحة ، والتأريخ الطبيعى والحيوان والمعادن والكيمياء ... الخ .. ومع ذلك قد أتى بنبذة عن كل علم مع تفسير الآيات تفسيرًا مختصرا طبع فى ثلاثة اجزاء سنة ١٩٤٦ بالقاهرة .

* معجزة القرآن : نعمت صدقى[2] ولقد أوردت فيه الكاتبة نماذج مختلفة لاعجاز القرآن الكريم العلمى سائقة ادلة ادلة قوية وبراهين ساطعة على ربانية هذا القرآن .....
ولقد طبع بالقاهرة وبين يدى طبعته الثانية بدون تاريخ .

* الظاهرة القرآنية (لمالك بن نبى)[3] وهذه طبعته فى دار الفكر ترجمة عبد الصبور شاهين ، وقد قدم له بفصل

---

(١) احد كتاب مصر كان أبوه الأمين الأول فى دار الكتب المصرية سابقا ولقد نشأ الرجل فى دار علم .

(٢) كاتبة مصرية معاصرة ابنها طبيب مشهور .

(٣) من كتاب الجزائر المشهورين الداعين الى الله فى مجالهم وهو مجال الهندسة توفى فى نهاية القرن الهجرى الماضى .

كامل فى الاعجاز محمود محمد شاكر والكتاب فريد فى ـ
الاستدلال صاحبه على أن هذا القرآن لايمكن أن يكــون
من عند محمد صلى الله عليه وسلم وقد ابلى فى ذلـــك
بلاء حسنا رحمه اللــه دار الفكـر بدون تأريـخ •

* دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، اصدرتـه
دار المعارف بمصر وهو ترجمة من الفرنسية الى العربيـــة
والكتاب للكاتب الفرنسى الشهير موريــس بوكاى وهو معاصر
والكتاب دراسة مقارنة تتجلى من خلالها ربانية القرآن الكريم
وهو نفيـس فى بابـه •

* معجزة القـرآن : محمد متولى شعراوى [1] طبع للمرة الأولى
سنة ١٩٧٨م فى دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع وهـو
كتاب جيـد لا يخلو من الجديد •

* الوحـى المحمـدى : محمـد رسـيد رضـا [2] وهذه نسخة
من طبعته الثامنة الصادرة من المكتب الاسلامى من دون ـ
تأريـخ وقد اثبت فيه رحمه الله نبوة سيدنا محمد ـ صـلى
الله عليه وسلم بالبراهين العقلية والعلمية الباهرة ورد ضلالات
المنحرفين عنها لاسيما شبهات فلاسفة الافرنج ومطاعن الملحدين
ودعاوى المكابرين ، والكتاب مدرسة فريدة فى هذا المجال وكله

---

(١) وزير الاوقاف المصرى السابق عالم مشهور له مؤلفات كثيرة ومحاضرات مسجلة •
(٢) منشىء المنار وعالم جليل مشهور له كتابات قيمة توفى فى القرن الهجرى الماضى •

أدلة لاثبات صحة الوحي المحمدي وهو بحث علمي فـــي الاعجـاز متميز ويكفي في ابراز قيمتـه تلك التقاريـظ الكثيرة في خاتمته لأكابر العلماء ثم الطبعات الكثيره له .

* نبـوة محمـد في القـرآن : حسن ضياء الدين عـتر . وهي جزء من رسالة دكتوراة في التفسير من جامعة الأزهـر سنة ١٩٧١م وهو يهدف الى اثبات رسالة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم ـ من خلال القرآن الكريم وقد عالـــج خلاله كثيرا من المطاعن التي وجهت الى الرسول والقـرآن الكريم ، وقد طبعته دار النصر بسوريا بدون تاريـخ .

* الانتصار والرد على ابن الراوندي ـ للحسن بن عثمان بن خياط ، وبين يدي طبعه قديمه بدون ذكر للتاريخ أو اسـم الناشر ، ابطل فيه ادعاءات ومزاعم ابن الراوندي حـــول القرآن الكريـم .

* القرآن والمبشـرون : محمـد عزت دروزة ، وهذه طبعـــة المكتب الاسلامي بدمشق سنة ١٩٧٥م وفيه يرد على المبشرين في تطاولهم على القرآن الكريم فيسقط حججهم بأدلة قويـــة لا تقبـل الجـدل .

* الانتصـار لنقل صحة القرآن للباقـلان

طبعته منشأة المعارف بالاسكندرية بمصر سنة ١٩٧٣م بتحقيق محمـد زغلول سلام قام فيه بالرد على كثير من مفتريات اعـداء الاسلام ومطاعنهم فى القرآن الكريم فأسكتهم بما ساقه من حجج وبراهين ساطعة .

* ما يقال عن الاسلام : العقـاد ، وهذه طبعة من المكتبـة المصرية ببيروت بدون تاريخ وهو ردود على مجموعة كتب افتراء فيها اصحابها على الاسلام فأسقط حججهم وابطل مفعولها ..

* نقض كتاب فى الشعر الجاهلـى : محمد الخضر حسين

وهذه نسخة من مطبوعات المكتبة العلمية ببيروت غير مؤرخـه رد على طه حسين فيما ساقـه من مطاعن وافتراءات علـــى الاسلام والقرآن فى كتابه من الشعر الجاهلى فحطم حججـه وازهقها بأدلة قوية .. جزاه الله خيرا .

قائمة المراجع

لقد رجعت بعد كتاب الله الى المراجع التالية وهى مرتبة على حسب حروف المعجم :ـ

١ ـ أثر العرب فى الحضارة الغربية : عباس محمود العقاد ..
طبعة دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٣م .

٢ ـ اظهار الحق : رحمة الله بن خليل الهندى (١٢٣٣ ـ ١٣٠٨) طبعة دار التراث العربى للطباعة والنشر بمصر بدون تأريخ وهى بتحقيق احمد حجازى السقا .

٣ ـ اعجاز القرآن : ابوبكر محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ الطبعة الثالثة من دار المعارف بمصر بدون تأريخ وهى بتحقيق السيد احمد صقر .

٤ ـ اعجاز القرآن : مصطفى صادق الرافعى الطبعة التاسعة بتاريخ ١٩٧٣م الصادرة من دار الكتاب العربى ببيروت .

٥ ـ اعلام النبوة : أبو الحسن على بن محمد الماوردى
المطبعة البهية بمصر سنة ١٣١٩هـ .

٦ ـ انباه الرواة : جمال الدين ابو الحسن على يوسف القفطى بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة دار ـ الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م .

٧ ـ انجيل برنابا : برنابا أحد حوارى المسيح بتحقيق سيف الله احمد فاضل ، الطبعة الأولى الصادرة من دار القلم بالكويت سنة ١٩٧٣م .

٨ ـ الاتقان فى علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ مطبعة حجازى بالقاهرة الطبعة الثالثة .

٩ ـ الأجوبة الفاخرة : شهاب الدين احمد بن ادريس المالكى القرافى طبع بهامش الفارق بين المخلوق ـ والخالق بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ .

١٠ ـ الاستشراق والمستشرقون : مصطفى السباعى الطبعة الثانية الصادرة من المكتب الاسلامى ببيروت سنة ١٩٧٩م .

١١ ـ الاسلام بين الانصاف والجحود : محمد عبد الغنى حسن طبعة دار الفكر بدمشق بدون تاريخ .

١٢ ـ الاسلام على مفترق الطرق : ليوبولد فايس (محمد أسد) توزيع دار الجهاد ودار الاعتصام بالقاهرة .

١٣ ـ الاسلام فى عصر العلم : محمد فريد وجدى الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٦٧م من دار الكتاب العربى ببيروت .

١٤ ـ الاسلام فى قفص الاتهام : شوقى أبو خليل ، الطبعة الرابعة الصادرة من دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٠م .

١٥ ـ الاسلام فى مواجهة الماديين : عبد الكريم الخطيب ، الطبعة الثانية الصادرة من دار الشروق سنة ١٩٧٩م .

١٦ ـ الاسلام يتحدى : وحيد الدين خان : ترجمة ظفر الاسلام خان الطبعة الثالثة الصادرة من دار البحوث العلمية سنة ١٩٧٩م .

١٧ ـ الاصنام ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، المطبعة الاميرية ..

١٨ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة : شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ ـ ٨٥٢) مطبعة دار السعادة بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨هـ .

١٩ ـ الاعتقادات : ابن بابويه القمى : طبع فى ايران سنة ١٢٧٤هـ .

٢٠ ـ الانتصار لصحة نقل القرآن : ابو بكر محمد بن الطيب الباقلانى توفى سنة ٤٠٣هـ طبع دار المعارف بمصر .

٢١ ـ البراهين العلمية : محمد فؤاد البرازى ، الطبعة الثانية الثانية من دار القلم سنة ١٩٧٤م .

٢٢ ـ البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (٧٤٥ ـ ٧٩٤) بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م .

٢٣ ـ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية : مصطفى خالدى وعمر فروخ الطبعة الخامسة من دار الكتب العربية ببيروت .

٢٤ ـ التبيان فى آداب حملة القرآن : أبو زكريا محيى الدين يحى بن شرف الحوارنى النووى (٦٣٤ ـ ٦٧٦هـ) طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٦٠م .

٢٥ ـ التبيان : لابن جعفر الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠هـ ، طبعة النجف بدون تاريخ .

٢٦ ـ التعبير الفنى فى القرآن : بكرى شيخ أمين ، الطبعة الثالثة الصادرة من دار الشروق سنة ١٩٧٩م ببيروت .

٢٧ ـ التوحيد : عبد المجيد الزندانى : الطبعة الثالثة على نفقة رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر الصادرة سنة ١٩٧٧م .

٢٨ ـ التوراة عرض وتحليل : فؤاد حسنين : الطبعة الاولى الصادرة من دار النفائس ببيروت سنة ١٩٧٢م .

٢٩ ـ الجامع الصحيح : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦) طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٢٧٧هـ بمصر .

٣٠ ـ الجامع الصحيح : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٤ ـ ٢٦١) طبعة دار الفكر ببيروت، بدون تاريخ .

٣١ ـ الجامع لاحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨م .

٣٢ ـ الجمع الصوتي الأول : لبيب السعيد طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ببيروت بدون تاريخ .

٣٣ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : تقى الدين احمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيميه (٦٦١ ـ ٧٢٨) طبع مطابع المجد التجارية

٣٤ ـ حقائق الاسلام واباطيل خصومه : العقاد

٣٥ ـ الخمر بين الطب والفقه : محمد على البار ، طبع دار الشروق ببيروت وجده .

٣٦ ـ الدين فى مواجهة العلم : وحيد الدين خان ت ظفر الاسلام خان صدر من دار الاعتصام سنة ١٩٧٢م .

٣٧ ـ الرد على بن النغريلة اليهودى : ابو محمد على بن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ طبع بتحقيق احسان عباس وصدر من مطبعة دار العروبة بالقاهرة بدون تاريخ .

٣٨ ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعيد حوى ، طبع جزأن توزيع الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤م .

٣٩ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين : نذير حمدان طبعته رابطة العالم الاسلامى .

٤٠ ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : عبد الحليم محمود : طبع ونشر دار الكتاب العربى ببيروت .

٤١ ـ السنة ومكانتها فى التشريع : مصطفى السباعى ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م من المكتب الاسلامى بيروت

٤٢ ـ الشيعة والسنة : احسان طهير ، الناشر ادارة ترجمان السنة طبع مطبعة وفاق بلاهور بباكستان سنة ١٩٧٥م ، الطبعة الثانية .

٤٣ ـ الطب فى محراب الايمان : خالص جلبى طبع مؤسسة الرسالة توزيع الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت .

٤٤ ـ الطبيعة وما بعد الطبيعة : يوسف كرم ، طبعة دار ـ المعارف بمصر بدون تاريخ .

٤٥ ـ الظاهرة القرآنيـــة : مالك بن نبى ، طبع دار الفكر ، بدون تاريخ .

٤٦ ـ العقيدة والشريعة : جولد زيهر : ترجمة محمد يوسف موسى وزملائه الطبعة الثانية بمصر بدون تاريخ توزيع دار الكتب الحديثـه .

٤٧ ـ العلم يدعو الى الايمان : ا ـ كريسى موريسون : ترجمـــة محمود صالح الفلكى الطبعة الخامسة سنة١٩٦٥ مؤسسة فرانكلين / القاهرة ـ نيويورك .

٤٨ ـ الفارق بين المخلوق والخالق : عبد الرحمن بك باجه جى زاده الطبعة الاولى الصادرة من مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ .

٤٩ ـ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى : محمد البهى الطبعة السادسة صدرت من دار الفكر ســـنة ١٩٧٣م .

٥٠ ـ القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، الطبعة الصادرة من المؤسسة العربية للطباعة والنشر ببيروت .

٥١ ـ الكافى فى الاصول : محمد بن يعقوب الكاسنى ، طبع بايران بدون تاريخ ولا اسم الناشر ..

٥٢ ـ اللــه : عباس محمود العقاد ، من منشورات المكتبة المصرية بيروت ـ صيدا بدون تاريخ .

٥٣ ـ اللــه جل جلالــه : سعيد حوى ، نسخه من توزيع الشركة المتحدة للتوزيع .

٥٤ ـ اللــه والعلم الحديث : عبد الرزاق نوفل ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م ، نشر دار الكتاب العربى ببيروت

٥٥ ـ الله يتجلى فى عصر العلم : نخبه من العلماء الامريكيين باشراف جون كلوفر ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ، نشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة .

٥٦ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم : محمد محمد أبو شهبه ، الطبعة الثانية ، مطبعة القاهرة الحديثه للطباعة سنة ١٩٧٣م .

٥٧ ـ المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها : عبد الرحمن عميرة الطبعة الثانية من منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٩م .

٥٨ ـ المستشرقون : نجيب العقيقى ، طبعة قديمة بدون اسم الناشر والتاريخ .

٥٩ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال : أبو عبد الله محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق محب الدين الخطيب طبع السلفية سنة ١٣٧٤ .

٦٠ ـ المؤامرة على الاسلام : أنور الجندى ، الطبعة الثانية الصادرة من دار الاعتصام بتاريخ ١٩٧٨م .

٦١ ـ الناس والحق : يوسف القرضاوى ، الطبعة الثالثة من المكتب الاسلامى ببيروت .

٦٢ ـ النبأ العظيم : محمد عبد الله دراز ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ صدرت من دار القلم بالكويت .

٦٣ ـ النبوات : ابن تيمية ، صدرت من المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٦هـ .

٦٤ ـ النبى محمد : عبد الكريم الخطيب ، طبعة دار الفكر بدون تاريخ .

٦٥ ـ النحلة تسبح الله : محمد حسن الحمصى ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧م صدرت من دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق .

٦٦ ـ النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة : شفيق شحاته ، طبعة دار الفكر ببيروت بدون تأريخ .

٦٧ ـ الوجود الحق : حسن هويدى ، صدرت من المكتب الاسلامى سنة ١٩٧٨م .

٦٨ ـ الوحى المحمدى : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثامنة صدرت من المكتب الاسلامى سنة ١٩٧١م .

٦٩ ـ الوافى فى شرح الشاطبية : عبد الفتاح القاضى ، صدرت من مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الاسلامية ـ بمصر .

٧٠ ـ اليهودية واليهود : على عبد الواحد وافى ، صدرت من مكتبة غريب سنة ١٩٧٠م .

٧١ ـ بحوث المؤتمر الأول العالمى لتوحيد الدعوة وإعداد الدعاة اللجنة الثالثة ١٣٩٧ .

٧٢ ـ براهين : محمود القاسم : مطبعة دار الهجرة ببيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ .

٧٣ ـ بيان اعجاز القرآن : أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى ، (٣١٩ ـ ٣٨٨) الطبعة الثالثة من دار المعارف ضمن ثلاث رسائل فى الاعجاز تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول بدون تاريخ .

٧٤ ـ تاج العروس : محمد بن مرتضى الزبيدى ، مطبعة دار ـ مكتبة الحياة ببيروت بدون تأريخ .

٧٥ ـ تأريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان ، صدر من دار احياء الكتاب العربى ببيروت بدون تاريخ .

٧٦ ـ تأريخ العرب فى الاسلام : جواد على ، بغداد مطبعة الزعيم سنة ١٩٦١م .

٧٧ ـ تأريخ الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، (ت ٣١٠) طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم .

٧٨ ـ تأريخ الفلسفة : (١ • و • س) ت عبد المجيد عبد الرحيم مكتبة الانجلو المصرية .

٧٩ ـ تأريخ المصحف : عبد الفتاح القاضى ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الاسلامية .

٨٠ ـ تاريخ بغـداد : أبو بكر احمد بن على الخطيب البغدادى
(ت ٤٦٣) نشر دار الكتاب العربى ببيروت
بدون تاريخ .

٨١ ـ تهذيب التهذيب : احمد بن على بن حجر العسقلانى ، الطبعة
الاولى من مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية
حيدر اباد الهند سنة ١٣٢٥ .

٨٢ ـ تهذيب سيرة بن هشام : عبد السلام هارون ، دار احيـاء
التراث العربى ببيروت / لبنان .

٨٣ ـ تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين الذهبى (ت :
٧٤٨) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
حيدر اباد الدكن سنة ١٩٥٥م .

٨٤ ـ تفسير الصافى : للمحسن الكشى ، طبعة طهران بايـران .

٨٥ ـ تنقيح المقـال : للماتقـانى ، طبعة طهران بايران .

٨٦ ـ توحيـد الخـالـق : عبد المجيد الزندانى ، طبع الشـئون
الدينية بدولة قطر .

٨٧ ـ تكوين العقـل : جون هرمان راندال ، ترجمة جورج طعمـه
الطبعة الثانية من دار الثقافة ببيروت .

٨٨ ـ تهافت الفلاسـفة : ابو حامد الغزالى ، طبع بمصر طبعة قديمة
بدون تاريخ ولا اسم الناشر .

٨٩ ـ جـزور البـلاء : عبد الله التل ، المكتب الاسلامى ، الطبعـة
الثانية سنة ١٩٧٨م ، جريدة الكفاح الاسلامـى
الاسبوع الثانى فى نيسان سنة ١٩٦٢م .

٩٠ ــ حجة الله البالغة : شاه ولي الله الدهلوى (١١١٤ــ ١١٧٦) ، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة تحقيق السيد سابق .

٩١ ــ حرز الامانى ووجه التهانى : القاسم بن فيره بن خلف ابن احمد الشاطبى (ت ٥٩٠) مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر سنة١٩٣٧

٩٢ ــ حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام : فتحى يكن ، الطبعة الثالثه الصادرة عن مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٧٩م .

٩٣ ــ حصوننا مهدده فى داخلها : محمد محمد حسين ،الطبعة الرابعة من المكتب الاسلامى ببيروت سنة١٩٧٩

٩٤ ــ حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض : عبد العزيز بن باز من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

٩٥ ــ حياة محمد : محمد حسنين هيكل ، الطبعة الثالثة عشرة من دار احياء التراث العربى سنة١٩٦٨

٩٦ ــ دائرة المعارف الاسلامية : عدد من المستشرقين ، طبع بمصر عليه بعض تعليقات الكتاب المسلمين وردودهم .

٩٧ ــ دائرة معارف وجدى : محمد فريد وجدى ، طبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .

٩٨ ــ دراسة حول ترجمة القرآن : احمد ابراهيم مهنا ، من مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .

٩٩ ــ دراسات اسلامية : محمد عبد الله دراز ، صدر من دار القلم بالكويت سنة ١٩٨٠م .

٩٠ ـ حجة الله البالغة : شاه ولى الله الدهلوى (١١١٤ـ ١١٧٦) ، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة تحقيق السيد سابق .

٩١ ـ حرز الامانى ووجه التهانى : القاسم بن فيره بن خلف ابن احمد الشاطبى (ت ٥٩٠) مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر سنة١٩٣٧

٩٢ ـ حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام : فتحى يكن ، الطبعة الثالثه الصادرة فى مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٧٩م .

٩٣ ـ حصوننا مهدده فى داخلها : محمد محمد حسين ، الطبعة الرابعة من المكتب الاسلامى ببيروت سنة١٩٧٩

٩٤ ـ حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض : عبد العزيز بن باز من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

٩٥ ـ حياة محمد : محمد حسنين هيكل ، الطبعة الثالثة عشرة من دار احياء التراث العربى سنة١٩٦٨

٩٦ ـ دائرة المعارف الاسلامية : عدد من المستشرقين ، طبع بمصر عليه بعض تعليقات الكتاب المسلمين وردودهم .

٩٧ ـ دائرة معارف وجدى : محمد فريد وجدى ، طبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .

٩٨ ـ دراسة حول ترجمة القرآن : احمد ابراهيم مهنا ، من مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .

٩٩ ـ دراسات اسلامية : محمد عبد الله دراز ، صدر من دار القلم بالكويت سنة ١٩٨٠م .

١٠٠ ــ دراسة فى الكتب المقدسة : موريس بوكاى ، صدر فى دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م فى طبعته الرابعة .

١٠١ ــ دفاع عن العقيدة والشريعة : محمد الغزالى السقا ، ــ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٥م من دار الكتب الحديثه بالقاهرة .

١٠٢ ــ رجال ونساء اسلموا : عرفات كامل العشى ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م من دار القلم بالكويت .

١٠٣ ــ رجال الكشى : للكشى ، طبع مؤسسة الاعلمى بكربلاء بالعراق .

١٠٤ ــ رحلتى من الشك الى الايمان : مصطفى محمود ، صدر عام ١٩٧١ من دار المتوسط للنشر والتوزيع بسوريا

١٠٥ ــ رسالة التوحيد : محمد عبده ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م من دار احياء العلوم ببيروت .

١٠٦ ــ رسائل البنا : حسن البنا ، صدر من دار الشهاب بالقاهرة .

١٠٧ ــ روائع القرآن : محمد سعيد رمضان البوطى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ من مكتبة الفارابى .

١٠٨ ــ روح الدين الاسلامى : عفيف عبد الفتاح طباره ، ــ الطبعة السابعة عشرة سنة ١٩٧٨م من دار العلم للملايين ببيروت .

١٠٩ ــ سنن ابن ماجه : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٥٢م .

١١٠ ـ سيرة بن هشام : تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة المدنى سنة ١٩٦٣م ، نشر محمد على صبح وأولاده .

١١١ ـ شبهات حول الاسلام : محمد قطب ، الطبعة الحادية عشرة من دار الشروق سنة ١٩٧٨م .

١١٢ ـ شبهات وردود حول العقيدة : عبد الله علوان ، صدرت من دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م .

١١٣ ـ شرح الشفا : على القارى ، المطبعة العثمانية ١٣١٦هـ

١١٤ ـ شريعة الاسلام : يوسف القرضاوى ، صدرت من المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ببيروت ١٩٧٣م

١١٥ ـ صحيفة المدينة المنورة : مجموعة اعداده .

١١٦ ـ ضحى الاسلام : أحمد أمين ، طبعة دار المعارف ـ بمصر بدون تأريخ .

١١٧ ـ طبقات ابن سعد : تحقيق ادور سخاو وزملاؤه طبع مؤسسة النصر طهران بدون تاريخ .

١١٨ ـ طبقات القراء : ابن الجزرى ، مكتبة الخانجى القاهر سنة ١٩٣٣م .

١١٩ ـ عقيدة المسلم : محمد الغزالى ، الطبعة الثانية من دار القلم صدرت سنة ١٩٧٩م .

١٢٠ ـ عقيدة المؤمن : ابو بكر جابر الجزائرى ، الطبعة الأولى من مطبعة النهضة الجديدة سنة ١٩٧٧م .

١٢١ ـ غاية النهاية : ابن الجزرى ، نشر (برجشتراسر) ١٩٣٥م

١٢٢ ـ فارس الخوري وأيام لاينسى : محمد الفرجانى ، طبع دار احياء التراث العربى بدون تاريخ .

١٢٣ ـ فتح البارى : ابن حجر ، طبع المطبعة الخيرية للخشاب بمصر .

١٢٤ ـ فتح القدير : للشوكانى ، الناشر محفوظ العلى بيروت .

١٢٥ ـ فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الارباب : حسين الطبرسى ، طبعة ايران سنة ١٢٩٨هـ .

١٢٦ ـ فى ظلال القرآن : السيد قطب ، مطبعة دار الشروق سنة ١٩٧٨م .

١٢٧ ـ قادة الغرب يقولون : جلال العالم ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ من مطابع دار الأمل ببيروت .

١٢٨ ـ قصة الايمان : نديم الجسر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م مطابع المكتب الاسلامى ببيروت .

١٢٩ ـ قصة الحضارة : ول ديورنات .

١٣٠ ـ كانت والفلسفة النقدية : زكريا ابراهيم ، دار مصر للطباعة بدون تاريخ .

١٣١ ـ كبرى اليقينات الكونية : محمد سعيد رمضان البوطى الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ من دار الفكر .

١٣٢ ـ كيف نتأدب مع المصحف : محمد رجب فرجانى ، الطبعة الثانية من دار الاعتصام سنة ١٩٧٨م .

١٣٣ ـ لباب النقول فى أسباب النزول : جلال الدين السيوطى ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠م من دار احياء العلوم ببيروت .

١٣٤ ـ لمحات فى الثقافة الاسلامية : عمر عوده الخطيب ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م من موسسة الرسالـــة ببيروت •

١٣٥ ـ لسان العـرب : محمد ابن منظور الافريقى ، المطبعـــة الاميرية بدون تاريخ •

١٣٦ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن على ـ الحسنى الندوى ، الطبعة الحادية عشـــر من دار القلم بالكويت سنة ١٩٨٠م •

١٣٧ ـ مباحث فى علوم القرآن : صبحى الصالح ، الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٧٩ من دار العلم للملايين ـ ببيروت •

١٣٨ ـ مباحث فى علوم القرآن : مناع القطان ، الطبعة السابعة سنة ١٩٨٠ من موسسة الرسالة •

١٣٩ ـ مجمع البيان لعلوم القرآن : أبو الفضل الطبرسى ، ٥٤٨ طبعة دار التقريب بين المذاهب الاسلامية سنة ١٩٥٨م •

١٤٠ ـ مجلة المجتمع الكويتية : مجموعة أعـداد •

١٤١ ـ مجلة المجمع العلمى بدمشق : عدد ٢٣ •

١٤٢ ـ مجلة رابطة العالم الاسلامى : مجموعة أعـداد •

١٤٣ ـ مجلة الطليعة المصرية : عدد ديسمبر ١٩٦٦م •

١٤٤ ـ مجلة روز اليوسف عددها بتاريخ ٢٩/٦/١٩٦٣م •

١٤٥ ـ مجلة المنار : عددها فى ٩/١١/١٩٦٢م •

١٤٦ ـ مجلة الجامعة الاسلامية : مجموعة أعداد •

١٤٧ ـ مجلة لواء الاسلام العدد الأول السنة الأولى .

١٤٨ ـ مجلة الأمة ، عدد شعبان سنة ١٤٠٢هـ .

١٤٩ ـ محمد فى التوراة والانجيل والقرآن : ابراهيم خليل احمد ، نشر مكتبة الوعى العربى ببيروت .

١٥٠ ـ محاضرات الموسم الثقافى للجامعة الاسلامية سنة ١٣٩٣ ـ ١٣٩٤هـ .

١٥١ ـ محاضرة عبد المجيد الزندانى : طبعة لجنة التوعية الثقافية بجامعة الملك عبد العزيز لموسم ٩٥ ـ ١٣٩٦هـ .

١٥٢ ـ مختارات من امرسون : نشر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية .

١٥٣ ـ مختصر تفسير ابن كثير : محمد على الصابونى ، طبعته دار القرآن الكريم ببيروت على نفقة حسن عباس الشربتلى سنة ١٩٨١م .

١٥٤ ـ مذاهب التفسير الاسلامى : جولد تسيهر ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٥م .

١٥٥ ـ مستقبل الثقافة فى مصر : السيد قطب ، طبع الدار السعودية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م .

١٥٦ ـ مطلع النور : عباس محمود العقاد ، من منشورات المكتبة العصرية ببيروت ـ صيدا بدون تأريخ .

١٥٧ ـ معجزة القرآن : نعمت صدقى ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ من دار الاعتصام .

١٥٨ ـ مع الطب فى القرآن : عبد الحميد دياب وأحمد قرقـــور
الطبعة الاولى الصادرة من موءسسة علـوم
القرآن بدمشق سنة ١٩٨٠م •
١٥٩ ـ صح اللـه : حسن أيوب ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤ من
دار القلم بالكويت •
١٦٠ ـ مفاهيم اسلامية : أبو الأعلى المودودى ، طبعة دار القلـم
بالكويت سنة ١٩٧٧م •
١٦١ ـ مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازى ، طبع فى القاهـــرة
سنة ١٣٢١هـ من ثمانية مجلدات •
١٦٢ ـ مفتاح الجنة للاحتجاج بالسنة : جلال الدين السيوطـــى
الطبعة الثالثة من مطبوعات الجامعة الاسلامية
١٦٣ ـ مقارنة الاديان : أحمد شلبى ، الطبعة الخامسة مـــن
مكتبة النهضة المصرية •
١٦٤ ـ من أخلاق الرسول : عبد المحسن العباد ، من مطبوعات
الجامعة الاسلامية •
١٦٥ ـ مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقانى ، طبعة عيســى
البابى الحلبى وشركاه بدون تأريخ •
١٦٦ ـ منهاج السنة النبوية : ابن تيميه ، صدرت من مكتبة دار
العروبة بدون تأريخ •
١٦٧ ـ موقف الاسلام من الدراسات الاشراقية : محمد علوى مالكى
مطبعة حسان بالقاهرة •
١٦٨ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين : مصطفــى
خيرى طبعة مصر بدون تأريخ ولااسم الناشر •

١٦٩ ـ موقف المعتزلة من السنة النبوية : أبو لبابه حسين ، ـ
الطبعة الاولى من دار اللواء بالرياض .

١٧٠ ـ هداية الحيارى فى اجوبة اليهود والنصارى : ابن القيم
مؤسسة مكة للطباعة وهو من مطبوعات
الجامعة الاسلامية .

المراجع الأجنبية

1- W.M..Matt, Islom ond The Integrotion of Society London 1961.

2- B. Lewis, The Arobs in History London 1960.

3- G. E. von Grunebaum Islom: Essoys in the Nature ond growth of a Culturol Trodition, London 1961.

4- E. W. Bornes, The Rise of Christionity London 1948.

5- H.A.R. Gibb, Mohommedonism, oxford 1950.

6- A. J. Arbery. The Holy Koron 1953

7- The Reoders Componion To world Literoture. By Hornstein. Persy. Brown.

قائمة المحتويات

الموضـــوع	الصفحـــة
١٧ ـ وقفة مع الذين تولوا اكبر الطعن فى القـرآن .	٤٠ ـ ٦١
١٨ ـ لماذا الهجوم على القـرآن ؟ ..	٦٢ ـ ٨٠
١٩ ـ لماذا ترد الهجوم على القرآن	٨١ ـ ٩٠
٢٠ ـ من مجهودات علماء الاسلام	٩١ ـ ١٠٨
٢١ ـ كلمـــة لابـد منهـا ..	١٠٩ـ ١٢٧
الباب الأول : فى الرد على المنكرين وجـود الخالق : ١٢٨ـ١٩١	
٢٢ ـ توطئـــة	١٢٨ـ ١٣٤
٢٣ ـ الفصل الأول : فى الرد على من زعـم أن هذا العالم قديم	١٣٥ ـ ١٤٢
٢٤ ـ الفصل الثانى : فى الرد على من زعـم أن هذا العالم قد أوجدته الطبيعة	١٤٣ ـ ١٥٠
٢٥ ـ الفصل الثالث : فى الرد على من زعـم أن هذا الكون وجد صدفة	١٥١ ـ ١٦٢
٢٦ ـ الفصل الرابع فى الرد على من اشترط رؤية الله تعالى حتى يؤمن بوجوده	١٦٣ ـ ١٧٠
٢٧ ـ الفصل الخامس : فى الرد على من زعم أنه لم يجد أدلة شافية على وجـــود اللـه تعالـى	١٧١ ـ ١٧٩
٢٨ ـ الفصل السادس : بعض الأدلة المختارة على وجود الله تعالى	١٨٠ ـ ١٩١

الباب الثانى : وقفات مع
منكرى الوحى والنبوة : ١٩٢ـ٢٥٥

* * * *

الباب الثالث : فى الرد على الزاعمين
بأن هذا القرآن من الانتاج الذاتى
لمحمد صلى الله عليه وسلم من
٢٥٦ ـ ٣٥٣

الموضـــــوع	الصفحــــــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الخاتمـــة ـ ٥٦٣ ـ ٦٢٤